

نوران خالد

# ظرد يصل متأفراً

رواية



دار دُون



طرد يصل متأخرًا

الطبعة الأولى: يناير ٢٠١٦  
رقم الإيداع: ٢٦٠١٧ / ٢٠١٥  
الترقيم الدولي: ٨-٩٤-٦٤٢٦-٩٧٧-٩٧٨  
تصحيح لغوي: مصطفى السيد سمير  
تصميم الغلاف: كريم آدم

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

© دار ذوق

تليفون: 01020220053

E-mail: info@dardawen.com

www.dardawen.com



# طرد يصل متأخرًا

نوران خالد

روايته

دَوْن



للنشر و التوزيع

دار دَوْن للنشر والتوزيع



## إهداء

أكتب الآن وقد انتهت من كتابة القصة منذ عدة أشهر بينما لم يتبق سوى تفاصيل صغيرة أعكف عليها لإنهاؤها حتى تكتمل الرواية. أكتب ولم يمض سوى بضعة أيام على أول رفض لتلقاه تلك الرواية من أول دار نشر تقدمت لها، أكتب ولم يمض سوى عدة ساعات على رحيل "رضوى عاشور". عندما قرأت الخبر البارحة على صفحتك على ال"Facebook" أحسست أنني أبذل مجهودا كبيرا لأصدقته. هل حقا رحلت قبل أن ألقاك ولو لمرة واحدة؟! أخذت أنتقل بين الصفحات المختلفة في جنون لعلي أجد من يكذب الخبر. صفحة تميم البرغوثي أو مرشد أو أي صفحة أخرى تكذب هذا الخبر وتؤكد على أنك تتعاطلين للشفاء وأن صفحتك في تحسن، وعندما تأكدت من الخبر من إحدى الصفحات الموثوق بها وجدتي أبكي، نعم بكيت، ظننت أنه بكاء عابر سيلتفي وإن بقي الحزن في القلب، ولكنني تفاجأت بنفسي أعود للبكاء مرة أخرى. ظلت أبكي في صمت حتى غفوت، وعندما استيقظت أول ما فعلته هو أن عدت للبكاء مرة أخرى. اندهشت من نفسي، لقد اعتدت عدم البكاء في غربي ماعدا مواقف قليلة، مرة أو مرتين كل فترة دراسية يشند الحال وتقسو الغربة فأبكي قليلا وينتهي الأمر، ولم أتخيل أن المرة التي سأبكي فيها خلال الفترة الدراسية الثالثة ستكون على فراقك. لم ألتق بك من قبل إلا من خلال كلماتك لكنني بكيتك كما لم أبك أحدا من قبل، بل لم أبك أحدا من قبل بتلك الطريقة ولم أحسب نفسي قادرة على أن أذرف الدموع هكذا بتلك السهولة والكثرة بسبب فقدان، لكنني في تلك اللحظات أشعر أنني المعنية بالأمر، أريدهم أن يواسوني، أن يقدموا لي العزاء فيك! كل من يعرفونني يعرفون كم أحبك يا سيدة راء، يعرفون أنك كنت دائما وستظلين مثلي الأعلى وقودتي التي أحلم أن أكون مثلها أو مشابهة لها. ألا يعق للمرء أن يتقبل العزاء في مثله الأعلى حتى لو لم يلتق به أو يعرفه معرفة شخصية؟ ألا يعق لي أن يتفهم ولو ثلاثة أو أربعة أشخاص هذه الخسارة وهذا فقدان اللذين أشعر بهما الآن فيواسوني ويقدموا لي العزاء؟ قد تيدو كلماتي غريبة ودموعي أغرب، قد يهيا للبعض

أن الأمر أبسط مما أصفه، لكنني أشعر أنني لست بحاجة إلى تبرير ما أشعر به وأقوله. لست بحاجة إلا إلى أن أبكيك وأظهر حزني عليك لأنك تستحقين أن نعزن على رحيلك، تستحقين أن ندعوك بالرحمة وأن يبذلك الله داراً خيراً من دارك وأهلاً خيراً من أهلِكَ حتى إن انتابت دارك وأهلك وانتابتنا معهم الوحشة بدونك. لو كنت أعرف كيف تنظم الأشعار كنت سأرتبك لكنني لا أحسن سوى الفخر فكتبت ما أشعر به دون ترتيب. فقط شعرت أنني في حاجة ماسة إلى الكتابة. رأيت كم تلهمني؟ في حياتك وأيضا في رحيلك.

عزيزتي السيدة "رضوى عاشور"، لا أملك سوى ما أسطر من كلمات في مؤلفاتي وأنت تعلمين أنه لا يوجد ما هو أعلى عند الكاتب من كلمات سطرها بمشاعره وهذا الشغف الداخلي الذي لا يعرفه إلا من جربه من قبل.

عزيزتي السيدة "رضوى عاشور"، كنت قد قررت من قبل أن تظل تلك القصة بلا إهداء، ويعلم الله كم سيمضي من الوقت حتى تنشر تلك الرواية وهل سيكتب لها أن تنشر أم لا. لكنني في تلك اللحظة التي لا أشعر فيها بشيء سوى بفرغ موحش خلفه رحيلك لا أجد عندي ما هو أعلى من تلك الرواية لأهديه إلى روحك الصافية وأن أدعوك، وأنا أعلم أنهم في تلك اللحظة التي أكتب فيها الآن قد أنهوا الصلاة عليك في القاهرة وأدعوك مثواك الأخير أو يوشكون على ذلك، عسى الله أن يتقبل مني فيغفر لك ويرحمك، بحق ما خلفته من علم لطلابك ومن أدب وفقن وسيرة طيبة رقيقة وقوية في آن واحد لكل من سيسمع عنك أو سيقراً لك.

وبحق صورتك الملهمة وتفصيلها الوديع التي تحتل في قلبي مكانة يعلم الله قدرها وأعجز عن أن أوفيقها حقها.

أهديك هذا الكتاب وهو أعز ما أملك الآن وأتركك لتستريح وتهنئي في مثواك الأخير. فلتظلي مبتسمة حتى وأنت على الجانب الآخر. فأنت الوحيدة التي لا تشعر بالوحشة مثلما نشعر كلنا الآن لأنه "لا وحشة في قبر رضوى".

الأول من ديسمبر ٢٠١٤ الساعة الثالثة وخمس دقائق

فرايبورج - ألمانيا



استيقظ عندما هبط الظلام ثقيلًا على مدينة الضباب. لم ينقبض صدره من الوحشة التي زحفت على البيت قادمة من الشوارع الخالية التي امتزج ظلامها بالموجات الباردة مما زاد تلك الوحشة ثقلاً وكأية لم تستطع بالرغم من شدتها أن تؤثر فيه. شأنه في ذلك شأن كل من اعتاد الحياة والسكن في شوارع العاصمة البريطانية.

خرج من غرفة النوم بصر قدميه وهو لا يكاد يرى ما أمامه من خلال عينيه نصف المغمضين وجفونه التي أثقلها الصداع. فمضى معتمداً على معرفته بأروقة المنزل، حتى وصل إلى القطعة الرخامية السوداء التي تفصل الصالة الخارجية عن المطبخ المتصل بباقي الشقة على الطراز الأمريكي الحديث. تناول تفاحة لم يميز لونها في الظلمة الحالكة وتقدم في تباطؤ نحو النافذة العريضة وهو يقضم ويمضغ التفاحة دون توقف حيث مد رأسه محاولاً التقاط أي حركة في الشارع. فقد بدا لخاطره أنه ربما إن ركز كل بصره وحواسه على أي حركة، ربما أطار ذلك النوم من عينيه وأعاد إليه يقظته. ولكن خاب أمله بعدما وجد الشارع ساكناً وموحشاً كالجنة الشاحية.

رفع بصره باحثاً عن غايته في أي نافذة من نوافذ الأبنية المحيطة. لم يطل بعثه حيث وجد حركة ما فوق سطح البناء المواجه لمنزله. انتشى قلبه بسعادة ساذجة لمراى تلك الحركة ثم بدأ بتنفيذ ما اعتزمه، وأخذ يركز بصره ويفتح عينيه عن آخرهما ليرى ما يحدث أمامه. كان هناك ثلاثة أو أربعة أشخاص، لم يستطع أن يميز الخيالات التي انتابتها حركة سريعة عنيفة لا تليق بالخطورة المرتبطة بوقفتهم عند حافة سطح عالٍ، لم يبال بذلك، كل ما كان يهمه هو ألا تنتهي تلك الحركة حتى يكون قد حقق غايته وأفاق من هذا النوم اللعين الذي يأبى أن يترك جفنيه.

فجأة، حدث ما أراه، طار النوم من عينيه. اختفى الصداع كأن لم يكن. سقطت التفاحة من يده بعدما تنهت كل حواسه انتباهة غمرت قلبه بالذعر وعقله بالدهشة وجسده بقشعريرة كاملة ملأت كل أوصاله.



حدث كل ذلك في اللحظة التي أعقبت رؤيته لثلاث من تلك الخيالات يرفعون الرابع ويلقون به من فوق السطح كما لو كانوا يلقون كيسا من الدقيق أو الورق، تبعها صرخة مدوية شقت عنان السماء وطلعت بضراوة على سكون الشارع وانتهت بصوت ارتطام قوي انقطعت على أعقابه صوت الصرخة.

حدث كل ذلك في ثائيتين، ثانية رأى فيها كل ما حدث وثانية انتابه فيها خليط المشاعر المتناقضة التي أطارت النوم من عينيه. وعندما أفاق من دهشته، رفع عينيه باحثا فوق السطح فلم يجد أحدا، لم يجد أي أثر لتلك الأشباح التي كانت منذ ثائيتين تتحرك مسرعة فوق هذا السطح. جن جنونه، تملكه للحظة إحساس بأن كل ما حدث كان وهما صوره له خياله نصف النائم. ولكن لا، كيف يكون كل ذلك تهيؤات أو خيالات، لقد حدث بالفعل، حدث أمام عينيه، حتى وإن كانتا نصف مغمضتين!

اندفع كالمجنون نحو الشرفة، فتحها في أصابع أروعشها السرعة واندفع إلى الخارج غير عابئ بالبرد الذي ارتطم بجسده الدافئ من أثر النوم، نظر إلى الشارع وما لبث أن وقعت عيناه على ما طمأنه إلى أنه لم يكن يعلم أو يتخيل، ولكن سرعان ما انقلبت تلك الطمأنينة إلى إحساس بالأسى والحزن عندما رأى على أرض الشارع جثة فتاة انفالت حول رأسها بقعة من المسائل الأحمر.

لم يكن قد مضى الكثير من ساعات العمل عندما دخل عليها غرفة الاستقبال الواسعة مرتدياً بذلة رمادية أنيقة، ارتس في إعياء على المقعد المواجه لمكتبها، زفر وقد غطت وجهه أمارات الضيق دون أن ينبس بكلمة واحدة.

تركزت ما في يدها من أوراق وقد بدا لها أن أفضل ما تفعله هو أن تداعبه كما تفعل دائماً. مستخدمة دعاياتها تلك لتخفي الرعشة التي تصيب قلبها كلما رآته، والتي يبدو أنه لا يلتفت إليها بالمرّة. قالت في نبرة ساخرة وشفاه مبتسمة، وقد أسندت رأسها ذات الشعر البني القصير والوجه الأبيض الرقيق على راحة يدها:

- صباح النور يا مسترأفت. أه أنا الحمد لله كويسة جدا. شكرا على سؤالك!

فما زادته تلك المداعبة إلا ضيقاً وقال في نفاذ صبر:

- ليديا. أنا مش ناقصك خالص النهارده.

فعادت نبرة الجدية إلى صوتها وهي تتساءل في انزعاج:

- مالك يا رأفت؟

فصمت قليلاً قبل أن يقول:

- كنت الصبح في الخارجية.

- أه ما أنا عارفة إن مستر شفيق بعتك النهارده عشان شغل.

- أيوه، وأنا هناك قالوا لي خير زي الزفت.

فاعتدلّت وهي تتساءل في قلق:

- خير؟

فصمت برهة كأنه يهينها لتلقي الصدمة:

- ربما، انتحرت.

ندت عنها صرخة مكتومة أخفتها بيدها، وتراجعت بالمقعد لالخلف من أثر الصدمة التي هوت على

رأسها كمطرقة عقدت الدهشة لسانها وبصعوبة استطاعت أن تستجمع قوتها وتقول بنبرة خافتة

- يا نهار أسود! انتحرت! إنت متأكد يا رأفت؟ الحاجات دي مافهاش هزار.

فانتابته عصبية وهو يقول منفعلًا:

- هزار إيه؟! بأقول لك قالوا لي في الوزارة. رمت نفسها من سطح العمارة اللي هي ساكنة فيها في لندن.

فنظرت في قلق نحو الباب الخشبي الكبير وهي تقول مازعجة:

- وطي صوتك. مسر متصور عنده اجتماع جوا.

فهدأ انفعاله قليلا، بينما عاودت ليديا حديثها قائلة في توجس:

- طب وإيه؟ متدخل تقول له؟

فعاد رأفت إلى انفعاله وهو يقول:

- إنتي اتجننتي؟! عاوزاني أنا أكون أول واحد يقول له خيرزي ده؟

- قلت لك وطي صوتك.

قالتها في عصبية. لم تكن حقا متضايقه من أن صوته عالي. لكنها اتخذت من ذلك سببا لتحتج على انفعاله عليها لأنها لم تجد في نفسها الجرأة الكافية لتعلنها صراحة.

سيطر عليها صمت ثقيل قطعه رأفت قائلا في نبرة مترددة:

- طب ما تقولي له إنتي.

فانتفضت في ذعر ونظرت إليه بعينين ملأتهما الدهشة وهي تقول:

- نعم؟! عاوزني أنا أقول له؟! طب أقول له إيه؟ بتلك الوحيدة ماتت.

لم يستطع أن يجيبها، كان يعلم أن هذا هو أسوأ موقف يمكن أن يوضع فيه. ألم يشفق هو على نفسه من أن يكون أول من يخبره بتلك الفاجعة، ألم يهزها منذ دقائق عندما اقترحت عليه هذا الاقتراح المرعب، كيف يتخيل نفسه واقفا بين يدي منصور بك، بكل عظمته وهيبته ويقول له بكل بساطة "وحيديتك انتحرت، ماتت، لم تعد موجودة في هذه الدنيا." انتابته رعشة عندما تخيل ذلك، قطع جرس الهاتف حبل أفكاره التي خرج منها على ليديا وهي تجيب في صوت حاولت أن تكسيه الطبيعية:

- الو، أيوه هنا مكتب منصور أبو بلامد، تقول له مين يا فندم؟

ثم التفتت نحو رأفت وقالت وقد عاد الشلق إلى وجيبها:



- وزارة الخارجية؟ حاضريا فندم.

ضغطت على زر وانتشرت قليلا قبل أن تقول:

- أنا أسفة مستر منصور، بس فيه تليفون مهم من وزارة الخارجية. حاضريا فندم.

ثم ضغطت على زر آخر لتحول المكالمة قبل أن تغلق السماعة في هدوء وتقول كأنها مستسلمة الأمر الواقع:

- خلاص، مما اللي هيقولوا له بنفسهم.

فلوح رآقت بيده وهو يقول في ارتياح:

- هما متعودين على الحاجات دي.

مرت الدقائق التالية بطينة ثقيلة، تتابعت دقائق قلبينا وهما برهقان السمع نحو الباب الخشبي المغلق منتظرين في أي لحظة صوت صراخ، بكاء، نحيب، أن يصرع أحدهم طالبا النجدة، أو طبيب لينتد منصور بك.

لكن بدلا من كل ذلك، فتح الباب في هدوء، وخرج كل من كانوا في الاجتماع دون أن يبدو على وجوههم أي ارتجاج أو قلق. دون أن يحدث أي شيء مما توقعناه. نظر أحدهما للأخر بدهشة سرعان ما قطعها صوت منصور بك عبر جهاز النداء بجانب ليديا قائلا:

- ليديا.

- أيوه يا فندم.

- قولي للجراج بجهزوا العربية عشان رايح وزارة الخارجية حالا.

- حاضريا فندم.

رفعت السماعة وضغطت الزر وهي تقول:

- شكلم استدعوه في التليفون وهيقولوا له الخير وجها لوجه.

فقال رآقت في ارتياح مضاعف:

- يكون أحسن.

وجهت حديثها إلى السماعة وهي تقول:

- جهزوا عربية مستر منصور بسرعة عشان رايح وزارة الخارجية بعد خمس دقائق.

وبعدما وضعت السماعه نظرت إليه في تعجب وقالت:

- إنت إيه اللي مقعدك هنا؟! قوم استخى في أي حته.

فتساءل مستنكرا:

- أستخى؟! ليه؟

- افرض مستر منصور كان عارف إن مستر شفيق بعثك النهارده الخارجيه. لو شافك وهو خارج

ميسالك هما عاوزينه ليه. ساعتها هتقول له إيه بقى يا ذي؟

فانتفض رأفت واقفا كالمسوع وقال في ذعر:

- تصدقي صبحا طب أنا هاطير دلوقتي ولما الجو بهذا ابقي كلميني. بأمانه ربنا أنا مش عارف كنت

هاعمل من غيرك إيه. ربنا يخليكي ليا يا لولو.

واتطلق خارجا من الغرفة كالمسهم تاركا إياها كما ينركها دائما وقد امتلكت قلبها وعشه لذبده ملائها

أماني وأحلاما ارتسعت في شكل ابتسامه حالمه على شفيتها لم تستطع أن تمنعها على الرغم من

التأنيب الشديد الذي تفرع به نفسها في كل مرة تسعد فيها بكلمة يقولها لها.

أفاقت على صوت الباب وهو يفتح. فوقفت في احترام لهذا الذي لا يسع أحدا في حضرته أن يفعل

شيئا سوى أن يحترمه. هيئته تطفى على كل من حوله. هيبة مبعثها كل شيء فيه. جسده الضخم

الذي يتوجه شعر أسود فاحم تتخلله شعيرات بيضاء تزيد هيبه فوق هيئته. وعينان عسليتان

تشعان ذكاء وحيوية. أناقته. عطره الراقى الذي يملأ الأنوف. ولكن فوق هذا وذلك. حضوره

الطاغي. حضوره الذي يستمتع الناس فيه بحسن حديثه ولباقته وذكائه وعلمهم بهذا النجاح

الساحق الذي وصل إليه بفضل عمله وكفاحه واجتهاده.

مر أمامها في خيلاء من يعرف قدر نفسه دون أن يسمح لها أن تصل إلى درجة الغرور. والتفت إليها

وقال في أدب اعتاد أن يعامل به كل من يعملون لديه حتى أصغر عامل في مصنع من مصانعه:

- لو سمحتي يا ليديا أجلي كل مواعيدي بس ماتلقهاش. أنا مش هاتأخر.

فأومات برأسها دون أن تواتها الشجاعة لتتحدث. وعندما خرج من الغرفة لم تستطع أن تمنع

نفسها من الابتسام في مرارة لأنها كانت تعلم أن كل مواعيد اليوم وغدا وربما الشهر القادم

بأكملها. ملغاة مقدما.



(٢)

لم يكن يختلف كثيرا عن منصور بك، احترامه، لباقتة، ذكاؤه، حتى سواد شعره وطوله الفارع. كان شبيها جدا به. لم يختلف عنه إلا في شينين، في المظهر، لم يكن ضخما مثل منصور بك بل كان ممشوق القوام مما جعله يبدو أصغر سنا منه على الرغم من أنه في نفس عمره تقريبا، وفي الجوهر، كان يفتقد إلى تلك الهيبة الطاغية التي تمتاز بها شخصية الملياردير ورجل الأعمال المعروف منصور أبو بلاط، كان يستطيع أن يفرض على الناس احترامه ولكنه كان غير قادر على إحاطة نفسه بتلك الهالة التي تكتم الأنفاس وترتفع بالقلوب حتى تبلغ الحناجر مثلما يفعل منصور بك. كان هذا التشابه - على الرغم من عدم اكتماله - خليقا بأن يجعل منه نائبا ومديرا لأعمال منصور بك، بل أيضا صديقه ومستودع أسراره في كل شيء في حياته العامة والخاصة لمدة تزيد عن الخمسة وعشرين عاما. أثبت فيهم أنه جدير بتلك الثقة وأنه لا يقل عن منصور نفسه كفاءة في إدارة أعماله بحكمة وذكاء.

دارت كل تلك المقارنات في رأس المهندس المكلف باصطحاب شفيق الشناوي في جولة بأحد مصانع مؤسسة أبو بلاط، مما أعطاه الفرصة ليكون قريبا جدا من ثاني أهم رجال المجموعة بأكملها. انقطع تفكيره عندما رأى أحد زملائه قادمًا في شبه هرولة حتى أصبح بجانبها تماما فاعتدل في وقفته وقال:

- أستاذ شفيق، تليفون لحضرتك.

فالتفت شفيق إليه وفي نظرتة دهشة حاول أن يخفيها وتساءل متعجبا:

- تليفون ليا أنا؟!

- أيوه يا فندم، من مكتب منصور بيه.

عقد شفيق حاجبيه في دهشة شديدة، ليس من المتوقع أبدا أن يتصل به منصور بك أثناء تلك الجولة التي يقوم بها، يبدو أنه أمر خطير هذا الذي لم يستطع الانتظار حتى آخر النهار ليبلغه به. كان يفكر في ذلك وهو يصعد الدرج المؤدي إلى الغرفة الصغيرة الملحقة بالمصنع، والتي كان يوجد بها مكاتب المهندسين والتليفون الوحيد الموجود داخل المصنع نفسه. دخلها واتجه نحو التليفون،



التقط السماع وأخذ نفسا ليسترد هدوءه وهو ينظر إلى المصنع من خلال زجاج الغرفة ثم قال في أتران وهدوء:

- ألو.

سمع على الناحية الأخرى صوت ليديا وهي تهتف قائلة:

- أيوه يا مستر شفيق.

- أيوه يا ليديا، خير فيه إيه؟

- أستاذ يحيى صالح من الخارجية بيكلم حضرتك على الموبايل بس يظهر إن حضرتك مش سامعه، عشان كده هو قال لي أحاول أوصل لحضرتك بأي طريقة وأقول لحضرتك إن منصور بيه تعب وهو عنده النهارده الصبح في الوزارة ونقلوه المستشفى وإن هو معاه دلوقتي.

تقلصت ملامح شفيق من أثر كل تلك المفاجآت التي تلقاها دفعة واحدة كطلقات الرصاص، ازدحمت التساؤلات وعلامات الاستفهام في رأسه، واستطاع بصعوبة أن يخرج من حالة الذهول بفضل هدوئه المعتاد وريزته وتساءل في نبرة مستنكرة:

- وهو عنده إزاي؟! مستر منصور ماكانش عنده النهارده أي مواعيد في الخارجية.

فأسرعت ليديا لتقول موضحة:

- ما هو من حوالي ثلاث ساعات جاله تليفون من الخارجية. بعدما طلب تجهيز العربية وقال إنه رايح على هناك.

فازدادت دهشة شفيق عند سماع هذا الكلام، وقال في نبرة ملأها الحيرة:

- غريبة قوي! لو كان فيه حاجة كانوا هيقولوها لرأفت النهارده الصبح وهو هناك، إنتي ماشفتيش رأفت النهارده؟

انقبض صدرها عند سماع اسم رأفت، إن قالت له إنها رأته ربما يصيبه أذى إن علم شفيق أنه جاء إلى الشركة دون أن يتحدث إليه ويبلغه بما علم، وعلى الرغم من أنها تكره الكذب ولا تجيده إلا أن خوفها على رأفت دفعها لأن تقول في نبرة مترددة:

- لا، ماشفتوش النهارده.

فصمت ثواني مفكرا قبل أن يقول:

- طبيب، لوجه خليه يكلمني وأنا هاروح المستشفى دلوقتي. هو قال لك مستشفى إيه؟  
- أستاذ يحيى قال إنهم طلبوا له هليكوبتر نقلته من الوزارة للمركز الطبي العالمي في طريق الإسماعيلية.

- ماشي، شكراً يا ليديا.

ثم قال متذكراً قبل أن يضع السماعة:

- آه ليديا، اوعي أي حد مهما كان يعرف أي حاجة خالص، والغني كل مواعيد منصور بيه النهارده. اعتذر عن تكملة الجولة وخرج مسرعاً من المصنع وهو يحاول الاتصال برأفت على هاتفه المحمول دون أي فائدة، ظل الجرس يرن في أذنه دون أن يجيب أحد، مما دفع شفيق إلى مزيد من الطلق والعصبية وهو يطلب من السائق أن ينطلق به نحو المستشفى. حاول الاتصال به مرة أخرى دون فائدة، هتف محدثاً نفسه في عصبية "ماشي يا رأفت الزفت". ثم حاول الاتصال بيحيى صالح. ولكنه أيضاً لم يجبه. ازداد توتره وأخذ يحث السائق ليزيد من سرعته حتى وصلت السيارة أمام باب المستشفى، قفز منها مسرعاً واتجه نحو موظفة الاستقبال، ولكن قبل أن يتم جملة وجد أن أحدهم كان ينتظره في استقبال المستشفى، فاصطحبه بين أروقتها حتى رأى يحيى واقفاً أمام إحدى غرف الفحص الطبي، والذي ما إن رآه حتى أقبل نحوه متلهفاً وقال:

- إنت فين يا أستاذ شفيق؟

- أنا أسف بس ماكنش في المكتب. خير يا أستاذ يحيى إيه اللي حصل؟

فزفر يحيى في ضيق وقال:

- منصور بيه تعب جدا وأغمى عليه وهو عندي النهارده في المكتب. سيادة الوزير طلب له الإسعاف الطائر وأصر إننا نجيبه هنا عشان دي أقرب مستشفى فيها مهبط طائرات للمطار، يعني احتياطي في حالة إن الدكتورة شافوا إنه محتاج يسافر برا يكون من السهل نقله للمطار، وأنا فضلت إني آجي وأفضل معاه لحد أما حضرتك تبي بنفمك عشان أي حد يبقى جنبه.

فقال شفيق في امتنان:

- أنا متشكر جدا يا أستاذ يحيى، وأنا هابقى أشكر معالي الوزير بنفسي.

- العفو على إيه. المهم إن إحنا نتطمئن على منصور بيه.



فأوما شفيق برأسه موافقا ولكنه تذكر السؤال الذي يلح عليه منذ أن اتصلت به ليديا فالتفت نحوه وتساءل في حيرة:

- بس، هو إيه اللي خلى منصور بيه يروح الخارجية النهارده؟

أحمس يحيى بالضيق من حرج موقفه وهو يقول:

- فيه خبر وحش كان لازم أبلغه بيه بنفسي.

فتساءل شفيق في توجس:

- خبر إيه؟

فصمت يحيى لحظة ليستجمع قواه قبل أن يقول:

- ربما بنت منصور بيه، اتوفت إمبراح بالليل.

اتسعت حدقتنا شفيق في دهشة شديدة عند سماعه آخر خير كان يمكن أن يخطر له على بال، على

الرغم من هدوء أعصابه المعتاد وجمود مشاعره الذي دائما ما يمنعه من إبداء أي خلجة من

خلجات نفسه واضحة على صفحة وجهه، إلا أنه لم يستطع أن يمنع أثر انقباض قلبه من أن يظهر

على ملامحه وفوق لسانه وهو يقول متلجلجا:

- ربما! ماتت!

فمط يحيى شفتيه في حسرة وهو يقول:

- أيوه للأسف، رمت نفسها من فوق سطح العمارة اللي هي كانت ساكنة فيها.

فالتفت إليه في ذعر وتساءل وقد ازدادت دهشته حدة:

- انتحرت؟

فأوما يحيى برأسه وقد بلغ حرجه مداه، بينما دفن شفيق عينيه في راحة يده اليمنى قبل أن يمسح

بها كل وجهه في محاولة لامتصاص صدمته، وهو يتساءل وهو يعلم الإجابة مسبقا:

- عشان كده منصور بيه حصلت له الأزمة دي؟

- أيوه، ماستحملش الخبر.

ثم صمت قليلا ليعطي شفيق فرصة لاستيعاب الموقف، ولنفسه فرصة ليستعد لقول كلام في غير

مقامه ولكن لا بد منه، بدأ حديثه في نبرة تقطر اعتذارا قائلا:



- أستاذ شفيق أنا عارف إن لا الوقت ولا المكان مناسبين، بس، ده واجبي ولازم أقوم بيه، إن ما كانش عشان شغلي يبقى عشان الصداقة اللي كانت بين منصور بيه ووالدي الله يرحمه. التقت شفيق نحوه وقال وهو يستमित لاسترجاع رزائنه وسيطرته الكاملة على نفسه وكل ما يحدث حوله:

- خيرا أستاذ يحيى؟

فازدرد ريقه قبل أن يقول:

-أنا قررت إن أنا أبقي مسؤول عن متابعة كل حاجة بنفسي، وكان المفروض إنني أتفق مع منصور بيه على كل الإجراءات اللازمة بعد ما أقول له على الخبر، وبشوف إذا كنا هندفن ربما هناك ولا هنجيها ندفنها هنا، وإنه يسافر طبعا ل لندن عشان وجوده هناك ضروري دلوقتي. لكن الأزمة اللي جات له قبل حتى ما أقول له على أي تفاصيل حطنتي في موقف معرج جدا، خصوصا وإن ربما كانت لوحدها هناك، والدتها سيرين هانم سافرت عند أهلها في لبنان إمبراح الظهر. فصمت شفيق دقائق مفكرا ثم قال في بساطة:

- هي مشكلة فعلا بس لها حل. حضرتك ممكن تبعت لسيرين هانم في لبنان تسألها وتطلب منها إنها تسافر ل لندن بسرعة عشان تحل محل منصور بيه دلوقتي، بما إن إحنا مش ضامين إذا كان هيقدر يسافر قريب أو حتى يتعرض لموقف زي ده. فتسأل يحيى على الرغم من أنه قد بدا عليه الاقتناع:

- يعني هو ده رأي حضرتك؟

- حضرتك شايف حل ثاني؟

- الصراحة، لأ.

ثم استطرد في تسليم:

- خلاص، أنا هاعمل اتصالاتي مع سفارتنا في لبنان عشان تتصل بسيرين هانم. وهابقي أبلغ حضرتك بأي جديد و حضرتك كمان ابقي طمئي. بس أنا أسف بجد لأنني لازم أرجع الوزارة دلوقتي عشان أنا سبت الشغل فجأة وجيت مع منصور بيه. فقال شفيق متفهما:

- أنا مقدر طبعاً يا أستاذ يحيى.. كان الله في عونك. وشكراً على كل اللي عملته معانا.

فأجابه مبتسماً:

- العفويا أستاذ شفيق. بعد إذنك.

انتهى جو المجاملات المقيت، والتفت يحيى خارجاً من المستشفى وهو يندق بكعب حدائه الإيطالي الأنيق على البلاط ثم على أسفلت الشارع، حتى وصل إلى السيارة التي أرسلها إليه الوزارة لتقله عائدة إلى مقرها على كورنيش ماسيرو. بدأ في بذلته وأناقته جديراً بالإعجاب والاحترام. شاباً لم يتجاوز الثلاثين بعد، أبيض البشرة، بني الشعر والعينين بطريقة تجعل الناس تشك قليلاً في مصريته أو أصله العربي الغالص. اعتاد السفر إلى أوروبا منذ أن كان طفلاً صغيراً، حيث كان والده يعمل في السفارات والقنصليات المصرية. تلقى تعليمه الجامعي في إنجلترا ثم تخرج ليُدخل السلك الدبلوماسي من أوسع أبوابه، معتمداً في البداية - فقط - على أبيه ثم على عمله واجتهاده ولياقته. بعدما اجتاز مرحلة الاختبار والتدريب الدبلوماسي سافر في أول بعثة دبلوماسية له إلى جنوب أفريقيا، حيث قضى أربع سنوات في أجواء وثقافات تختلف عن تلك التي اعتادها في أوروبا واستطاع أن يتغرط بسهولة مع أناس يختلفون تماماً عن هؤلاء الذين اعتاد العمل والحياة معهم منذ صغره، فأصبح ملماً بشؤونهم كما لو كان إنجليزياً مثلهم. فأنبت بجدارته أنه يمتلك تلك الموهبة الفريدة في التأقلم مع العقليات والثقافات والطباع المتباينة، خاصة وأنه كان يحظى بقدر مماثل من الحب والاحترام بين أصدقائه المصريين والعرب. كان خليقاً بأن يدعى بهذا اللقب الدارج الذي بدأ كأنه صمم خصيصاً من أجله، "ابن ناس". ليس فقط لأن أسرته تتمتع بالثراء والرفق منذ زمن بعيد، ولكن أيضاً لأنه اكتسب من محاسن تلك الطبقة أكثر من مساوئها، اكتسب أخلاقاً حسنة في التعامل مع الناس، كل الناس، أبرزها التواضع الشديد وإن لم يخل من قوة شخصية وحزم فضل أن يظهرهما أمام الجميع بهدوء من يمتاز بثقة شديدة بالنفس. كما اكتسب عادات دينية لم يبرحها على الرغم من قلتها وأنها بالكاد تتفق مع ما يعتبر متواضعا بالنسبة لمسلم متدين. وصلت السيارة أمام مقر الوزارة فترجل منها وصعد مسرعاً إلى حجرة مكتبه، ارتدى على مقعده محاولاً نقض كل الأحداث التي حدثت له في الساعات الماضية عن عقله والاستعداد لعمل شاق لا يعلم متى سينتهي.. رفع السماعرة وطلب توصيله بالسفارة المصرية في لبنان بأسرع ما يمكن.

(٣)

تقدمت ليديا في دهليز المستشفى من الحائط الذي استند عليه رأفت بجوار شفيق. وقد بدا التعب والإرهاق الشديدين على وجههما. كان رأفت قد تلقى من شفيق تقرعها شديدا منذ قليل لأنه علم بالخبر في الصباح وتعمد الاختباء والهروب منه حتى لا يكون أول المبلغين بهذا النبأ المشؤوم. وعلى الرغم من اقتناع شفيق بقوة حجته والإشفاق الذي شعر به نحوه عندما تخيله وهو يبلغ منصور بك الذي يتهاوى ساقطا غارقا في تلك الأزمة الصحية بين يديه، علي الرغم من ذلك لم يتوان شفيق في تقرعه لأنه لولاه ما تلقى الخبر من الخارج وما تأخرت سيطرته عليه وعلى توابعه، وأيضا حتى لا يعود رأفت إلى إخفاء شيء عنه مرة أخرى.

ولكن ما لبث شفيق أن عاد إلى هدوئه المعهود. مركزا كل حواسه وتفكيره في تلك الكارثة التي وقعت فوق رأسه وحده دون سابق إنذار. مما جعله يلتزم الصمت أثناء وقوفه بجانب رأفت الذي صمت هو الآخر احتراما لصمته وخوفا من أن يقول كلمة تثيره فيعود إلى تقرعه مرة أخرى.

وقبل أن تصل ليديا إليهما خرج طبيب من غرفة العناية المركزة التي يرقد بها منصور بك، وتحدث هامسا إلى شفيق الذي تنعى به بعيدا حتى يتحدث معه في حربة بينما التفت رأفت من الموضوع الذي كانا يقفان فيه ونظر إلى ليديا في دهشة قائلا:

- أنتي إيه اللي جابك دلوقتي؟

- جبت لكوا سندوتشات تاكلوها، أنا عارفة إنكم ماكلتوش من الصبح.

فمد رأفت بصره في الحقيبة التي تحملها للأطفال وهو يقول:

- صحيح؟ طب هاتي هاتي أنا فعلا جعان قوي يا لولو.

فأخرجت كيسا بلاستيكي من حقيبتها وأعطته إياه، ولكنه لم يكتف به بل مد بصره في حقيبتها متطفلا وهو يتساءل:

- أمال إيه الكيس الثاني ده؟

فأبعدت حقيبتها عن عينيه بحركة لا إرادية وهي تقول:

- لا دي كفتة بتاعة مستر شفيق. إنت عندك سندوتشات مرّية وحلاوة وفول.

فقلب شفتيه ممتعضا وهو ينظر إلى الكيس الذي بين يديه وقال بنبرة احتجاج طفولية:



- قول؟ إشمعنى يعني مستر شفيق عاملة له كفتة وأنا لا؟

فقالت مذكرة إياه في نبرة معاتبة:

- عشان إحنا في صياح دلوقتي يا سي رأفت.

فانقلب امتعاضه غيظا وهو يقول متوعدا في قلة حيلة:

- ماشي، ماشي يا ليديا، والله لأوريكي.

ضحكت ضحكة خافتة وهو يفتح الكيس في عصبية ويقضم الساندوتش في غيظ. كانت تعلم أنه سيحتج ويغضب. لكنها لم تتردد ثانية واحدة في فعل ذلك، ليس فقط لحرصها على الحفاظ على الواجبات الدينية، ولكن أيضا لرغبة خفية في نفسها في أن تعذبه مثلما يعذبها بعدم شعوره بها حتى إن كان هذا العذاب هو حرمانه من الكفتة.

في تلك اللحظة انضم إليهما شفيق بعد أن أنهى حديثه مع الطبيب، وتوجه بحديثه نحو ليديا متسانلا في دهشة:

- إيه اللي جابك يا ليديا دلوقتي؟ دي الساعة عدت واحدة الصبح يا بنتي؟

فأعطته الكيس البلاستيكي وهي تقول:

- جيت أجيب لكوا أكل يا مستر شفيق، اتفضل.

فجاهد لبيتسم وقد ملأ الإجهاد والهم وجهه وهو يقول:

- شكرا يا ليديا، والله إنتي بنت جدعة قوي.

ابتسمت شاكرة وقد طرب قلبها لهذا الإطراء الذي أثنى به عليها، خاصة وأنه كان أمام رأفت الذي بدا وكأنه لم يتنبه لأي شيء مما يحدث حوله، لكنه التفت نحو شفيق وتساءل في قلق وهو يزدرد الطعام:

- خير يا مستر شفيق؟ هو الدكتور قال لك إيه؟

فزفر شفيق في ضيق وقال وهو يعبث بأصابعه في الكيس:

- منصور بيه مريض ضغط زي ما انتوا عارفين، لما سمع الخبر ماستعملش، ضغطه علي فجأة وجت له جلطة في المخ دخلته في غيبوبة الله أعلم هيفوق إمتي منها.

صبت صمت ثقيل على ثلاثهم بعد هذا الكلام، كأن الدنيا كلها قد انهدمت فوق رؤوسهم، وكان شفيق أكثرهم شعورا بتلك المصيبة لأنه بمجرد دخول منصور بك في تلك الغيبوبة أصبح مسؤولا عن كل شيء، مثل الأيام التي يكون مسؤولا فيها عندما يسافر منصور بك. ولكن في تلك الأيام، الموقف مختلف، لأن في حالة السفر كان منصور بك ينظم معه كل شيء وكان شفيق يعلم متى سيعود، ولكن الآن، لا يوجد شيء منظم ولا أحد يعلم متى سيعود منصور بك، خرج شفيق من الصمت موجها حديثه إلى ليديا قائلا:

- ليديا، بكرة الصبح أول حاجة تعملها تحجزني نهي ياخذ صفحة كاملة في الأهرام، دي بنت منصور أبو بلاط مش أي حد يعني.

فقالت ليديا في ابتسامة هازنة:

- هو حضرتك فاكِر إن الجرايد مستنيانا؟! دي الجرايد المسائية كلها والمواقع الإخبارية نشرت عن الموضوع والصحفيين واقفين قدام باب الشركة وزمانهم جاين على هنا.

فضغط شفيق على شفتيه في ضيق شديد قبل أن يقول:

- ده شيء متوقع يا ليديا، بس ده مايمنعش إننا نلشر النهي، وكمان عاوزك تحجزني في عمر مكرم عشان العزا.

فتساءل رأفت في تعجب:

- هنععمل عزا من غير دفنة؟! طب مين هياخد العزا ومنصور بيه في الحالة دي؟

فقال شفيق في صبر نافذ وكأن كلام رأفت يزيد همومه:

- لو سيرين هاتم ماجائش تاخد العزا، مصطفى أخو منصور بيه ياخده، ولو هو ماجاش أنا هابقى آخذ العزا يا سيدي، ربما برضو كانت زي بنتي.

- طب والدفنة؟

- لسه مش عارفين يا رأفت إذا كانت سيرين هاتم هتطلب دفنها هنا ولا هناك ولا إيه اللي هيجصل،

والإجراءات هتاخذ وقت قد إيه، بس بغض النظر عن إيه اللي هيجصل إحنا هنا لازم نعمل عزا،

إنت ناسي اللي ماتت دي تبقى بنت مين؟

ثم التفت نحو ليديا وقال:

- اعلمي اللي قلت لك عليه يا ليديا أول ما توصلي بكرة الشركة.

- حاضريا فتندم.

وهم شفيق بإكمال كلامه. لكنه صمت وهذا نفسه عندما رأى يحيى قادما من آخر الدهليز، ثم قال منها الحديث:

- بلا يا ليديا روجي الوقت أتأخر. رأقت وصلها لحد العربية تحت في الجراج وخلي السواق يوصلها لحد باب بيتها واطلع لي تاني.

- حاضريا مستر شفيق.

سارت ليديا بجانب رأقت تاركة شفيق خلفها وهو يتحدث مع يحيى. مولية كل تفكيرها نحو هذا الذي يسير بجانبها. هذا الذي يوصلها فقط لأن شفيق أمره بذلك وليس لأنه يخاف عليها حقا. كم تمنى أن يتشاجر معها ويعنفها عندما يراها أمامه في تلك الساعة المتأخرة، أن يكون حنقه وغيظه بسبب خوفه عليها وليس بسبب أنها لم تصنع له سندوتشات كفتة مثل شفيق.

دخلت المصعد معه وهي تحاول بكل جهدها أن تخفي مشاعرها لكنها لم تستطع أن تمنع النجيم الذي ملأ وجهها وهي تنظر شاردة والباب يغلق أمامها نحو شفيق ويحيى.

كانا جالسين على أريكة قريبة من العناية المركزة، بدأ شفيق الحديث متسائلا وهو يعلم أن ما جعل يحيى يأتي إليه في تلك الساعة المتأخرة هو بالتأكيد أمر خطير:

- خيريا أستاذ يحيى؟

ضغط يحيى شفثيه وقال محاولا إضفاء بعض المرح ليقلل من تعقد الموقف:

- شكله كده مش خيريا أستاذ شفيق.

- ليه بس؟! هو حضرتك اتصلت بسيرين هانم في لبنان؟

- أيوه. اتصلت بالسفارة المصرية هناك وهي بعثت لها مندوب.

- وإيه اللي حصل؟

- للأسف سيرين هانم هي كمان الخبر كان شديد عليها قوي، وجاءت لها أزمة ودخلت العناية المركزة

والزيارة ممنوعة عنها تماما، وتقريبا هي كمان مش هتخرج من المستشفى ولا حتى هيتسمح لها بالزيارة قريب.



فصمت شفيق لحظات مفكرا ثم تساءل:

- طب وبعدين يا أستاذ يحيى؟ المفروض بيحصل إيه في الظروف اللي زي دي؟

مط يحيى شفتيه قبل أن يقول في ضيق:

- مش عارف، الموقف معقد جدا، أخت سيرين هانم قالت للمندوب إن سيرين هانم قبل ما تتعب

قالت إنها عاوزة تدفن ربما في مصر، بس عشان ده يحصل كان لازم هي أو منصور بيه يسافروا

لندن عشان يقدموا طلب شحن الجثمان ويتابعوا الإجراءات، أو على الأقل حد فيهم يعمل توكيل

لاي حد متواجد في لندن عشان يقدم الطلب ويتابع الإجراءات بالنيابة عنهم. وكل ده طبعا

مستحيل إنه يحصل وهما الأثنين في حالتهم دي.

فنظر شفيق نحوه متسائلا في دهشة:

هي كل حاجة متعطله تماما بسبب الظروف دي؟ مافيش أي حاجة من الإجراءات تمت خالص؟

- الإجراءات العادية زي تقرير المشرحة والبوليس وشهادة الوفاة والتصديق عليها في القنصلية

والغاء الباسبور كلها شغالين فيها. إنما غير كده الدنيا متعطله تماما بسبب غيبوبة منصور بيه

وتعب سيرين هانم.

فدعك شفيق ذقنه مفكرا وقد شرد ببصره نحو قطع البلاط المتراصة تحت قدميه ثم قال:

- مافيش بقى غير إني أكرم مصطفي أبو بلاط أخو منصور بيه وعم ربما الله يرحمها في كندا،

وأطلب منه يسافر ل لندن أو على الأقل يعمل التوكيل ده من القنصلية هناك عشان الإجراءات

ماتتعطلش لحد أما هو يتزل مصر ويستلم الجثمان.

صمت يحيى قليلا قبل أن يقول في حرج:

هو قانونا كان المفروض إن منصور بيه أو سيرين هانم هما اللي يقوموا بالخطوة دي بس أنا

هاحاول أعمل استثناء نظرا للظرف الطارئ ده.

فتهد شفيق قبل أن يتساءل:

- هو مين اللي بيبقى مسؤول عن الإجراءات في حالة وفاة مصري في الخارج؟

- عادة نائب القنصل.

رفع شفيق حاجبيه قائلا في تعجب:

- الأستاذ محمد جابر؟

- أيوه.

- عظيم، ده صديق منصور بيه وماغتقدش هيبقى فيه مشكلة لو خلينا مصطفى بيه يعمل له التوكيل ده عشان كل حاجة تبقى تحت تصرفه. على العموم أنا هاكلم مصطفى بيه وأشرح له الموقف كله.

فنهض يحيى استعدادا للرحيل وقال لشفيق الذي نهض هو الآخر ليحييه:

- وأنا هابقى أكلم حضرتك بكرة عشان أعرف إيه اللي حصل.

نهض شفيق وهو يقول في شبه رجاء:

- أستاذ يحيى، أنا باكملك دلوقتي مش بصفتك الرسمية إنما بصفتك ابن مراد صالح الله يرحمه اللي كان صديق منصور بيه وكان بيعتبره أكثر من أخوه. أرجوك تتابع الموضوع ده بنفسك وتهتم بيه جدا عشان خاطر منصور بيه اللي كان بيعتبرك زي ابنه وأكثر.

ابتسم يحيى وهو يقول محاولا التغلب على الإجهاد الذي يشعر به:

- ماتقلقش يا أستاذ شفيق، من غير ما تقول والله العظيم أنا متابع الموضوع ده بنفسى مع الشؤون القنصلية عندنا في الوزارة. حتى الإخطار اللي كان المقروض يوصل لمنصور بيه لسه موجود في درج مكنتي لأنى أصريت إنى أبلغه الخبر بنفسى عشان أساعده على تحمل الصدمة. والحمد لله إنى عملت كده وكنت جنبه ولحقته لما الأزمة حصلت له، ده غير إن سيادة الوزير شبه مكلفني بمتابعة الموضوع بنفسى. ماتقلقش يا أستاذ شفيق حتى لو ده مش شغلي فأنا مش هاسيبكوا لحد لما ربما الله يرحمها توصل وتتدفن وأخد عزاها بنفسى كمان.

ابتسم شفيق قائلا في امتنان حقيقي:

- أنا عاجز عن الشكر.

- العفو يا أستاذ شفيق ده واجبي.

قالها يحيى ثم مد يده وصافح شفيق قبل أن يرحل عائدا إلى منزله بعد يوم امتلأ بالإرهاق الشديد.



عندما وقفت السيارة السوداء أمام باب المؤسسة تهاقت الصحفيون على رأفت الذي وجد نفسه محاطا بأسئلة لا قبل له بإجابتها ولا حتى فهمها، اتجه بخطوات مسرعة نحو الباب الزجاجي الذي ما إن وصل عنده حتى اعترض رجال الأمن الصحفيين ومنعهم من الدخول خلف رأفت، الذي وقف ليلتقط أنفاسه بعدما شعر بالراحة عندما رأهم يعودون أدراجهم بعيدا عن الباب، قرر أن يخرج من الباب الخلفي عندما ينهي مهمته حتى لا يتعرض لهذا الموقف ثانية.

عندما دخل حجرة الاستقبال كانت ليديا تبدو منشغلة بطريقة جعلتها لا تلتفت لوجوده، كانت تتحدث في التليفون والمكتب أمامها يدل على أنها لم تكف عن فتح ملفات وتسجيل ملاحظات خلال أول ساعتين من هذا اليوم، الذي بدا أنه سيكون شاقا أكثر من المتوقع.

وضعت السماعة ونظرت نحوه نظرة مقتضبة قبل أن تعود إلى أوراقها وهي تتساءل في قلة اكتراث مبعثها - إلى جانب انشغالها - الحنق الذي كانت لا تزال تشعر به نحوه منذ البارحة:

- خير؟

فقال وهو يفرك عينيه في إرهاق واضح:

- جاي لمسترشفيق، هو جوا؟

- أيوه، ربنا يكون في عونته.

- ليه؟

- الدنيا كلها فوق دماغه، أسعار الأسهم في النازل من الصبح، مجلس الإدارة، وموضوع المرحومة ده اللي مش عاوز يخلص.

فتساءل متعجبا:

- مش عاوز يخلص ليه؟ هو مش كلم عمها عشان يبجي من كندا؟ يبقى إيه المشكلة؟

فرفعت عينها عن الورق ونظرت إليه وهي تقول ساخرة:

- لو جدد أسأله بتشمك.

فمط شفتيه وكأن مجرد الفكرة تلذعه وهو يقول:

- لا وعلى إيه؟ أنا هادخل أخلص المصلحة اللي أنا جاي لها وربنا يستر.

اتجه نحو الباب الخشي الكبير محاولا تهدئة نفسه. حتى يستطيع أن يمتص ما سيلاقيه عندما يدخل ويراه شفيق أمامه في تلك الساعة المبكرة المزدحمة بالمشاكل المعقدة، فتح الباب واقترب من مكتب منصور بك في هدوء. كان شفيق جالسا خلف المكتب مركزا كل حواسه في شاشة اللاب توب وعلى وجهه ما ينذر بما في داخله من ضيق وما فوق رأسه من مصائب. التقت في عصبية بعدما شعر بوجود أحد في الغرفة وما إن رأى رأفت أمامه حتى انتفض وقال في عصبية لم يعهدها أحد منه من قبل:

- إنت إيه اللي جابك؟ أنا مش قلت لك تفضل في المستشفى وماتمشيش منها مهما حصل؟ افرض صحفي عرف يتسلل ويأخذ صورة لمنصور بيه يبقى إيه موقفنا دلوقتي؟  
فقال رأفت مدافعا عن نفسه:

- ماتخافش يا مستر شفيق، المستشفى حاسة بخطورة الموقف وهي نفسها بتحرص منصور بيه يمكن أكثر مننا.

فزفر شفيق قبل أن يقول في صبر نافذ:

- ماشي ماشي، إيه اللي جابك طيب؟

- طلبوا مبلغ تحت الحساب في المستشفى فجيت أخذ فلوس.

أغمض شفيق عينيه وهو يرفع سماعة التليفون، ضغط على الزر قبل أن يقول:  
- ليديا، وصليني بالحسابات.

انتظر دقيقة قبل أن يعود للحديث قائلا:

- أيوه يا حلمي، رأفت هيبجي لك دلوقتي إدي له المبلغ اللي يطلبه.

استمع قليلا قبل أن يعود إلى عصبيته وهو يقول في صوت مرتفع:

- الأرقام هابقي أظبطها لك بعدين يا حلمي، اعمل اللي باقول لك عليه وخلص، أنا مش فاضي لك.

أغلق السماعة في عنف وقال لرأفت مقتضبا دون أن يرفع عينيه من اللاب توب:

- تروح الحسابات تأخذ الفلوس وتطلع على المستشفى، تفضل قاعد هناك ماتتحركش إلا بأمر مني أنا شخصيا.



فقال رأفت مؤثرا السلامة في اقتضاب:

- حاضر.

التفت واتجه مسرعا نحو الباب ليتخلص من هذا الموقف الثقيل، اصطدم بليديا التي كانت تستعد للدخول في نفس الوقت الذي كان يفتح فيه باب الغرفة، لفت انتباهها امتقاع وجهه والجو المشحون الذي امتلأت به الغرفة، إلا أنها لم تستطع أن تستفسر منه وهما يقفان على باب الغرفة التي يجلس فيها شفيق، وهو في حالة من الغضب لم يعهدا أحد منه من قبل، لذا تركته يذهب وأغلقت الباب في هدوء حاولت أن تتمسك به قدر الإمكان وهي تخطو نحو المكتب حتى تتجنب أي انفعال يصدر من شفيق ضدها. ولكن شفيق كان قد استعاد هدوءه بعد خروج رأفت من الغرفة فتساءل في نبرة حاول أن يكسيها طبيعية دون أن يرفع عينيه من الشاشة التي أمامه:

- فيه حاجة يا ليديا؟

- أستاذ هاشم اتصل وسأل تاني عن اجتماع مجلس الإدارة.

كبت شفيق الانفعال الذي أصابه وهو يقول في حسم:

- قولي له مافيش اجتماعات لحد أما المرحومة توصل مصر وتتدفن، وأحسن له مايسألش تاني عن الموضوع ده لحد ما أنا اللي أفتحه بنفسى.

فازدردت ريقها وهي تقول:

- حاضر.

- حاجة تاني؟

- أيوه أستاذ يعنى صالغ على الغلط التاني.

رفع شفيق يده من على الأضرار وقد ازداد الضيق على وجهه وبلغ منتهاه، كان يعلم أن تلك المكالمات قادمة لا محالة لكنه كان يتمنى أن تتأخر قدر الإمكان، على الأقل حتى ينهي بعضها من مشاكله حتى يستطيع أن يتفرغ للمصيبة الكبيرة التي لم يستطع أن يجد لها حلا حتى الآن.

أشار لليديا حتى تنصرف، وأخذ نفسا عميقا حتى يستطيع أن يبدو طبيعيا وهادئا، فهو وإن كان يمكن له أن يفعل على موظفي الشركة فهو لا يستطيع أن يشعل ذلك مع رجال الدولة والخارجية وخاصة يعنى صالغ.

رفع السماعه ووضعها على أذنه وهو يقول في هدوء:

- صباح الخير يا أستاذ يحيى.

فجاء صوت يحيى هادئا مهذبا كعادته وهو يقول:

- صباح النور يا أستاذ شفيق. إزي حضرتك؟

- الحمد لله.

- ومتصور بيه مافيش أخبار عنه؟

- والله لسه حالته حرجة. ادعي له.

- طلب الدكاترة ما قالوش إنه ممكن يسافر بتعالج برا؟

- لا لا بالعكس دول قالوا إن المستشفى فيها كل اللي هو محتاجه، وما فيش حاجة أكثر من كده

ممكن تتعمل غير المتابعة لحد أما يقوق من الغيبوبة.

- ربنا يطمنا عليه.

ثم صمت يحيى لثوان قبل أن يقول بعدما لم يجد من شفيق أي بادرة لبدء الحديث المتوقع:

- حضرتك كلمت مصطفى بيه في كندا زي ما اتفقنا؟

فزهر شفيق قبل أن يقول:

- أيوه، بس للأسف، مصطفى بيه عنده مشاكل كتيرة في شركته اللي هناك وقال لي إنه مش هيقدر

يطلع برا كندا إلا لما كل المشاكل دي تتصلى. وده مش هيجحصل قبل ست شهور.

فهنف يحيى مترعجا:

- ست شهور؟ مستحيل!

استطرد شفيق في ضيق:

- أيوه للأسف، حتى مش هيقدر يروح يعمل التوكيل للأستاذ محمد جابر لأنه قاعد في فانكوفر

ومش هيقدر حتى يسبها ويسافر للقنصلية في مونتريال.

هبط صمت ثقيل على المكالمة قبل أن يعاود يحيى حديثه كأنه يخاطب نفسه في نبرة ساخطة:

- معقولة؟ حتى الحل النص قانوني اللي بذلت فيه كل المجهود ده عشان أعمل فيه استثناء ماينفعش! مش كفاية إننا تجاوزنا شرط إن لازم اللي يتابع الإجراءات ويستلم الجثة ويعمل التوكيل يكون من أقارب الدرجة الأولى؟

عندئذ، مرفت في رأس شفيق فكرة لم يعلم كيف لم يفكر فيها من قبل! كيف استطاع أن ينسأها كل هذا الوقت! إنه حل مناسب جدا لهذا الموقف السيء، بل إنه الحل المثالي، لمعت الفكرة أمام عينيه وتبلورت في الثواني التي أعقبت كلمات يحيى الذي استطاع بسؤاله الساخط أن يلهم شفيق هذا الحل العبقري.

- أستاذ يحيى أنا تقريبا لقيت الحل.

فقال يحيى غير مصدق:

- معقولة؟ إيه هو؟

هم شفيق أن يقول له، ولكنه تراجع في آخر لحظة، خاف أن يقول له ثم يفشل مسعاه في هذا الحل فيكون قد أفشى السر بلا فائدة، لولا هذا الموقف العصيب ما كان ليقدّم على فعل ذلك أبدا، كان سيحفظ لمنصور بك سره حتى آخر يوم في عمره مهما حدث، لكنه وجد نفسه مكتوف الأيدي أمام هذا الطريق المسدود ووجد نفسه مضطرا لفعل ذلك.

- أنا أسف يا أستاذ يحيى، مش هاقدر أقول لحضرتك أي حاجة إلا لما أتأكد.

اندش يحيى من تلك الإجابة غير المتوقعة، لكنه أخفى الدهاشه وقال في نبرة متفهمة:

- مافيش مشكلة يا أستاذ شفيق، بس أرجوك لازم بكرة بالكثير شخص مؤهل لاستلام المرحومة ربما والإشراف على دفنها في مدافن عائلة أبو بلاط يكون عندي في مكتبي عشان أنسق معاه كل الإجراءات.

- حاضر يا أستاذ يحيى، إن شاء الله، مع السلامة.

- مع السلامة.

أغلق السماعه وقد انتشر الحماس في جسده كله، كأنه غريق وجد أملا يتعلق به وينقذه.

مد يده وأخذ ورقة وقلمًا، ثم بدأ يعتصر عقله ليتذكر، إنه يعلم العنوان، لقد ذهب إلى هناك من قبل من أربع أو خمس سنوات، لكنه يجد صعوبة في تذكره، لقد كان عقارا فخما في مصر



الجديدة. كتب مصر الجديدة. ثم بدأ يتذكر اسم الشارع، إنه يشعر أن الاسم قريب جدا من سطح ذاكرته. يحتاج فقط إلى بعض المجهود ليشفز إلى عقله. نعم. عبد العزيز فهمي. شارع عبد العزيز فهمي. كتب اسم الشارع وقلبه يتراقص فرحا وهو يقترب نحو حل تلك المشكلة. لكنه لا يتذكر رقم العقار. لا بهم حتما سيتذكر شكله عندما يصل إلى هناك.

نهض مسرعا وهو يطوي الورقة ويضعها في جيبه استعدادا للرحيل. عندما دخلت ليديا وفي يدها ملف مدته نحوها وهي تقول:

- أستاذ شفيق. العملية دي واقفة ولازم...

لكنه قاطعها وهو يخرج من خلف المكتب قائلا:

- لا عمليات ولا ملفات دلوقتي. أنا مش قاضي يا ليديا. كلمي الجراج وقولي لهم يحضروا العربية حالا.

قالها وهو يمرق مسرعا خارج الغرفة تاركا ليديا غارقة في اندهاشها.

دق كعها العالي فوق سلالم الوزارة. على الرغم من أنها خريجة الجامعة الأمريكية وأنها تعمل في شركة أجنبية وتتعامل مع أجنب كثيرين لكن تلك هي المرة الأولى التي تخطو فيها داخل جبهة حكومية ذات هيبة ومكانة استثنائية مثل وزارة الخارجية.

علي الرغم من الموقف المهيب لكن خطواتها لم تفقد الثقة والرصانة وهي تتبع الرجل الذي يقوم باصطحابها داخل أروقة الوزارة. في ملابسها السوداء الأنيقة التي ارتدتها لتناسب هذا الموقف العجيب. وقد تركت شعرها الأسود ينسدل حتى بلغ كتفها فصنع مع ملابسها ونظارتها هالة سوداء رقيقة حول وجهها ذي البشرة البيضاء.. توقف الرجل عند إحدى الغرف ودق الباب في أدب شديد. قبل أن يفتحه ويقول لمن في الداخل إن الأنسة من طرف شفيق بك الشناوي. ثم أفسح لها لتدخل وأغلق الباب خلفها.

وجدت نفسها في غرفة مكتب صغيرة لم تستطع أن تتأملها مليا، لأن يعجبى كان قد أقبل نحوها مسرعا وهو يقلق أزرار سترته. ثم قال مبتسما في ترحيب شديد وهو يشد على يدها:

- أهلا وسهلا.

فقالت في نبرة رقيقة:

- أهلا يا فتدم.

ثم قال بعد أن أزال الابتسامة من وجهه:

- البقاء لله يا هانم.

فأجابته في نفس النبرة الرقيقة وإن لم تفارق الابتسامة شفيتها:

- شكرا يا أستاذ يعجبى.

دعاما للجلوس في الصالون الصغير الموجود بمكتبه والذي كان دائما ما يستقبل فيه ضيوفه.

شعريشيء من الحرج وهو يسأل:

- أنا أسف بس، ممكن أتشرف بمعرفة حضرتك.

وضعت حاوية نظارتها في الحقيبة في هدوء شديد. اعتادت تلقي هذا السؤال. لذا كانت تتمتع بهدوء بحار اعتاد العواصف حتى ألفها. واعتادت رؤية عاصفة من الدهشة تجتاح وجوه كل من

يستمع إلى إجابتها وشرحها المرهق، لذا كانت تتمتع بهدوء الطيب الذي اعتاد إبلاغ أهل المريض بأنه توفي.

أغلقت حقيبها والتفتت نحوه وقالت في ثقة مثبتة عينها العسليتين في عينيه:  
- يارا منصور أبو بلاط.

لم تتحرك خليجة من خلجات وجهه، لم يقابلها بعاصفة الدهشة التي توقعها، لم يستطع حتى أن يستوعب ما سمع. ظن أنه لم يسمعها جيدا أو لم يفهم ما قالت، لذا تساءل والابتسامة لا تزال على وجهه:

- أفندم؟

فقالت مؤكدة وقد أبطأت من نبرتها حتى يتأكد مما يسمعه:  
- يارا.. منصور.. أبو بلاط.

بصعوبة شديدة بدأ يستوعب ما يسمعه، فتح فمه ليتحدث ولكن الدهشة عقدت لسانه، كيف له أن يستوعب ذلك؟ وجد نفسه يتساءل محاولا إيجاد تفسير لكلامها غير هذا الذي يرفضه عقله:  
- قصد حضرتك إنك تبقي بنت أخو منصور بيه؟!

ابتسمت، لأول مرة ترى رد فعل كهذا من أحد. الناس عادة ما يصمتون عند سماع ذلك ليتعاشوا التورط في أمور عائلية أو يتهاونون عليها بالأمنلة ليجدوا تفسيراً منطقياً، أما أن تجد من يصر على إيجاد تفسير مضاد، فهو حقا شيء غريب. أجابت ولا تزال الابتسامة على شفرتها:  
- لأ، أبقي بنته.

لم يسهه إلا أن يبتسم عندما وجدها تبتسم في وجهه تلك الابتسامة الودية، حرك يديه وهو يتساءل في اندهاش:

- طب إزاي؟ اللي أنا عارفه إن منصور بيه ما عندوش غير بنت واحدة بس، هي ربما الله يرحمها. فهزت رأسها نافية وهي تقول:

- ده اللي كل الناس عارفاه، بس هو للأسف غلط، منصور أبو بلاط عنده بتين، أنا الكبيرة وربما الصغيرة. وعشان حضرتك تتأكد، اتفضل بطاقتي أهي.

فتحت حقيبها وأخرجت البطاقة الشخصية وأعطتها له، تناولها ونظر فيها وهو غير مصدق، ثم



سمعها تقول:

- ممكن كمان تكلم أستاذ شفيق وتساله وتناكد.

ناولها البطاقة وهو يتساءل كأنه يناكد لأخر مرة:

- يعني حضرتك تبقي أخت ربما؟

- أبوه.

في الظروف العادية كانت ستكتفي بما قالت وتتجنب الخوض في شرح مفصل، لكن تلك الحالة مختلفة تماما. ليس لأنها في وزارة، تتحدث مع مسؤول فيها وتحتاج إلى إثبات هويتها أمامه بالأدلة، ولكن لأنها أحست فيه شيئا مختلفا، فهو لم يستطع أن يصمت تماما ويتجاهل المفاجأة مثلما يفعل البعض معها. كما أن أخلاقه لم تسمح له بالتطفل وطرح أسئلة عميقة أو طلب شرح واف - على الرغم من أن هذا من حقه - لما سمعه. لذا وقف أمامها حائرا بين رغبته الجامحة في معرفة المزيد وبين الحياء الذي منعه من السعي لذلك. أشفقت عليه من ذلك كله. لذا استكملت حديثها موضحة:

- أختي من الأب بس، من حوالي ثمانية وعشرين سنة، كان لسه منصور بيه مغامر صغير في السوق، ماكانش لسه كون الثروة الضخمة دي واشتهر. ساعتها اتجوز واحدة متوسطة زه هي والدتي الله يرحمها، بعد سنتين جواز خلفوني ولما بقى عندي حوالي ثلاث سنين انفصلوا واتطلقوا. بعدها هو دخل مجال البيزنس وبقى من أشهر رجال الأعمال في مصر واتجوز الست اللبنانية اللي بيتهيا لي إنها لسه مراته لحد دلوقتي وخلف منها ربما. وكانت هي دي الأسرة اللي بيظهر بيها في كل وسائل الإعلام وقدام كل الناس. قليلين قوي اللي يعرفوا حكاية عيلة منصور أبو بلاط الأولانية لأنه انقطع عننا تماما بعدها.

خف الاندهاش من على وجهه وإن لم يزل تماما وهو يقول:

- أنا بقى لي سنين أعرف منصور بيه ووالدي الله يرحمه ووالدتي كانوا أصدقائه، إنما، عمري بصراحة ما سمعت عن الحكاية دي خالص، أنا بيتهيا لي لو سألت والدتي هالاقيا هي كمان مش

عارفة. فابتسمت ابتسامة حاولت أن تداري بها مراتها وهي تقول:

- ما هو واضح إنه كان بيتعمد مايجيبش السيرة دي خالص.

ولكنها عادت ونقضت عنها كل مظهر يعبر عن مشاعرها وقالت في جدية:

- المهم يا أستاذ يحيى، إيه المطلوب مني بالضبط.

فكسا هو الآخر نبرته وتعبيراته بجدية العمل، وهو يشرح لها كل الإجراءات وكل ما هو مطلوب منها وختم كلامه قائلا:

- بمجرد ما التوكيل يوصل القنصلية هيتتموا كل الإجراءات ويجهزوا الجثمان ويشحنوه على مصر في أسرع وقت ممكن، وهنبقى نخطرك بمعاد وصول الطائرة. وإن شاء الله فيه عربية من الوزارة هتيجي لحضرتك تحت البيت قبل المعاد بحوالي ساعتين عشان لازم تبقى في المطار بدري عن معاد الطائرة عشان الإجراءات. وإن شاء الله هتلاقيني هناك أول ما توصلي. وبالنسبة لترتيبات الدفن وتجهيز المدفن دي هيقوم بيها الأستاذ شفيق صح؟

فأومات وهي تقول:

- آه، بالضبط كده.

- تمام وأنا هاتابع معاه كل حاجة وهأكون حلقة الوصل بينه وبين القنصلية هناك. بس ممكن تسيبي لي نمرة تليفونك احتياطي؟

- آه طبعاً.

أخرجت قلمها ودفترا صغيرا من حقيبتها وأخذت تكتب في إحدى أوراقه ثم جذبتها وأعطتها له وهي تقول:

- أنا كتبت لحضرتك نمرة موبايلى والبيت والشغل كمان.

نظرا إلى اسم الشركة التي تعمل بها، ابتسم ولم يستطع أن يمنع نفسه على الرغم من عدم اعتياده ذلك من أن يسألها:

- هو حضرتك بتشتغلي؟

فابتسمت وقد بدأ الحديث يأخذ منعطفًا وديا وهي تقول:

- أيوه في الـ marketing، أنا أصلا خريجة بيزنس AUC.

فرفع حاجبيه في دهشة امتزجت بإعجاب ثم قال متحدثا عن نفسه هو الآخر:

- أنا بقى درست علوم سياسية في لندن.

رفعت حاجبها محاكية إياه وهي تقول:

- ياها لندن مرة واحدة؟

شعر باضطراب بسيط من كلماتها، لكنه أخفى هذا الشعور ومضى يشرح مبتسما:

أصل أنا قضيت فترة ال secondary school في إنجلترا. عشان والدي الله يرحمه كان شغال في السلك الدبلوماسي في أوروبا وبالتالي ماكانش صعب إنني أدخل الجامعة هناك. وبعد ما اتخرجت انعمت في الخارجية وبعد ما خلصت المعهد الدبلوماسي سافرت أربع سنين ملحق دبلوماسي في جنوب أفريقيا وبعدين رجعت القاهرة سنتين قبل ما أسافرتاني.

فناالت مداعبة وهي تهض استعدادا للرحيل:

- نشرفنا يا حضرة السفير.

فأجاب مداعبتها مبتسما وهو ينهض:

- الشرف لينا يا فندم.

وأصلها حتى باب المصعد ثم عاد إلى غرفته والدهشة لا تزال تتملكه. دهشة من تلك الحكاية الغربية التي سمعها. من أن يكون لمنصور بك ابنة غير ربما من الأصل. أن تكون تلك الابنة فتاة عادية تعمل وتمزح وتعيش حياتها بلا أب كما يبدو من حديثها. وأيضا دهشة من تباسطه معها في الحديث على الرغم من أنه لم يعد ذلك أثناء العمل. ثم إنه لم يكتف بما حكته عن نفسها. إنه يريد معرفة المزيد عنها. لماذا لم يتنازل أكثر ويطل حديثه معها؟ على العموم فهو بالتأكيد سيحرص على حضور استلام جثمان ربما وسيراها مرة أخرى في المطار.

حاول أن يعود إلى عمله ويركز فيه كل حواسه كما اعتاد. لكنه أحس أنه يريد أن يتحدث في هذا الأمر الغريب مع شخص آخر. أن يقص ويصف هذا اللقاء ويسمع تعليقات ويتحاور فيها ويعيد الحديث عن تلك الشخصية الفريدة مرات ومرات.. ترك الأوراق من يده ورفع سماعة التليفون وطلب الرقم الوحيد الذي استطاعت ذاكرته أن تحفظه. وانتظر قليلا حتى سمع صوتا على الجانب الآخر فأجاب مبتسما:

- أيوه يا ماما. صباح الخير. إزيك؟ باقول لك يا ماما. هو إنني تعرفي إن منصور أبو بلاط كان متجوز واحدة تانية زمان قبل سيرين هانم دي وإنه مخلف منها بنت اسمها يارا؟



(٦)

كانت الطرقات كلها مزدحمة. منذ أن خرجت من الوزارة بسيارتها الحمراء وهي لا تلبث أن تسير ثابيتين ثم تتوقف دقيقة تباعا دون أي بارقة أمل في انتهاء هذا الازدحام. ومما زاد الطينة بلة هذه الحرارة الخانقة التي ملأت السيارة وأرغمتها على فتح النوافذ حتى آخرها، ولعنت هذا الميكانيكي الذي كان السبب في العطل الذي أصاب مكيف الهواء. بدأ الملل يصيبها. الطريق طويل جدا ولن تصل إلى منزلها قبل ساعتين على الأقل. ساعتين من الحر والازدحام والملل، مجرد التفكير في ذلك يصيبها بسخط شديد لم يلبث أن هدا قليلا وتحول إلى ضيق مستمر مستكين اعتادته مع مرور الوقت وتناسته حتى نسيته، ووجدت نفسها تفكر في هذا الذي يحدث لها منذ البارحة. أخذت تتذكره وتعيده في ذهنها كشرط سينمائي ذي مشاهد متتالية، مشاهد بدأت في اليوم السابق حين كانت تستعد في عجلة للذهاب إلى عملها عندما سمعت صوت جرس الباب. انتابها دهشة شديدة، من يمكن أن يزورها في تلك الساعة المبكرة من الصباح؟ بل من يمكن أن يزورها من الأساس؟ خطت نحو باب الشقة في هدوء دون أن تستطيع أن تمنع إحساسا خفيا بالجزر والقلق أصابها. فتحت الباب بعد أن تظاهرت بالثبات وتغلبت على هذا الخوف الذي شعرت به. رأت أمامها شخصا لا تعرفه وإن أحست أنها رآته من قبل ولكن أين؟ لم تجد منسعا من الوقت لتعترض ذاكرتها، اضطرت أن تسأل مسرعة:

- أي خدمة؟

فابتسم وقال في تودد ظاهر:

- إيه يا يارا؟ مش فاكراني؟

اندهشت عندما وجدته يعرف اسمها، لكنها تماكنت نفسها وقالت مسرعة:

- هو حضرتك تعرفني؟

فقال وابتسامته تتسع:

- أنا أونكل شفيق، صاحب بابا ومدير أعماله، مش ممكن تكوني مش فاكراني.

تذكرته، نعم، إنه هو هذا الشخص الذي أرسله أبوها من أربع سنوات ليكون بجانبها أثناء إجراءات دفن وعزاء والدتها، أبوها. وقع الكلمة غريب على أذنها، اسمه منصور، منصور أبو بلاط.

اباسمت ابتسامة صبراء وهي تقول محاولة إخفاء ضيقها:

- أه، أهلا يا فندم، اتفضل.

دخل في خطوات رزينة متلدة، لم يتغير منذ أربع سنوات، حتى مظهره لم يتغير فيه شيء سوى بضع شعيرات بيضاء ظهرت في فوديه. جلس على أقرب مقعد وجلست أمامه، مستميتة لتخفي توترها وتبدو قوية هادئة غير عابئة به وبوجوده المفاجئ أمامها في هذا الوقت الغريب.

سأل محاولا بدء حديث ودي معها:

- شكك كنتي خارجة وأنا عطلتك؟

- كنت رايحة الشغل.

- وبمبسوطة في شغلك بقي؟

- الحمد لله.

كان يسأل في تودد وكانت تجيب في برود مما جعله يشعر بصعوبة مهمته، صمت لحظات ثم وجد أنه من الحكمة أن يبدأ حديثه وينبيه ليتخلص من هذا الموقف المحرج. تساءل محتفظا بهدونه:

- طبعا إنتي عرفتي اللي حصل؟

عقدت حاجبها ومضت شفتها في استنكار، لم تكن تعلم ما هذا الذي يتحدث عنه ويتوقع أن تكون هي على علم به. منذ متى وهي تعلم أي شيء عن منصور بك؟

تساءل متعجبا:

- ده مافيش جرنان ولا موقع ماكتيش عن اللي حصل، إزاي ماعرفتيش؟

قالت في بساطة:

- أنا ماباقراش جرايد ولا أخباريا أستاذ شفيق.

فأوما برأسه متفهما وهو يتساءل ممهدا لما سيقول:

- طبعا إنتي عارفة إن ليكي أخت اسمها رما عايشة ما بين لندن ولبنان؟

- أيوه.

- للأسف أختك رما اتوفت من يومين.

اتسعت حدقتاهما في دهشة طغت على هذا البرود الذي كانت تتعمده منذ بداية الحديث، علي الرغم من أنها لم تكن تعلم أختها تلك ولم ترها ولا حتى مرة واحدة في حياتها لكنها لم تستطع أن تمنع تلك الرجفة التي تصيبنا عندما نسمع نبأ وفاة أي شخص مهما كانت درجة معرفتنا به خاصة إن كان هذا الشخص صغيراً في السن.

قالت في نبرة ملؤها أسف حقيقي شعرت به من داخل قلبها:

- لا إله إلا الله! هي كان عندها كام سنة؟

فزفر قبل أن يقول:

- عشرين سنة.

- معقولة؟! طب هي اتوفت إزاي؟

- انتحرت، رمت نفسها من فوق العمارة اللي هي ساكنة فيها في لندن.

شعرت بنغزة من الألم في قلبها الذي لم يتحمل فكرة موت فتاة في ربيع عمرها وبنتك الطريقة المؤلمة. يا ترى ما الذي دفع فتاة في مثل عمرها إلى أن تلقي بنفسها من فوق مبنى عال لتسقط مهشمة الرأس سائلة الدماء في بلد غريب عن بلد أمها وأبيها؟ ربما قصة حب فاشلة أو شجار مع والدتها. يا لها من صغيرة لا تعلم حقيقة تلك الحياة، لا تعلم أنه لا يوجد شيء في تلك الدنيا يستحق أن تضسر حياتها من أجله.

أفاقت على صوت شفيق وهو يقول:

- بس مش هي دي المشكلة يا أنسة يارا، أنا جاي النهارده عشان حاجة تانية خالص.

صمت لحظة ليتأكد من أنها منتبهة إليه قبل أن يقول:

- منصور بيه لما عرف الخبر ما قدرش يستحمل، ضغطه علي وجات له جلطة في المخ دخلته في غيبوبة ما حدش يعرف إمتى هيفوق منها.

حقاً! أزمة وغيبوبة! بالطبع، هذا أقل ما يمكن أن يحدث لمنصور بك عندما يعلم أن من يعتبرها ابنته الوحيدة رحلت عن تلك الدنيا. يا ترى لو كنت أنا التي توفيت هل كنت ستدخل في غيبوبة وأزمة يا منصور بك؟ أم كنت ستكتفي بإرسال شفيق لتلقي العزاء بينما تعقد أنت الصفقات المربحة في أنحاء أوروبا مثلما فعلت عندما توفيت أمي؟



قالت محاولة إخفاء السخرية المريرة التي ملأت أفكارها:

- وحضرتك جاي تقول لي عشان أروح أزوره يعني؟

تراجع إلى الخلف واستند على ظهر المقعد وهو يقول في هدوء:

- والله تزوره أو ماتزوره،وش، دي مسألة شخصية أنا ماليش دعوة بيها. أنا جاي عشان حاجة

ثانية خالص. مشكلة ماحدث هيقدربعلها غير حضرتك.

قالت في اندماش:

- أنا؟!

منذ متى وأنا أعلم أي شيء عن منصور بك وأسرته الكريمة؟ كيف يأتي يوم تكون هي فيه الوحيدة

القادرة على حل إحدى مشاكلهم؟ استمعت في هدوء لم يخل من دهشة إلى كل المشكلة التي يعاني

منها شفيق منذ أيام والتي أصبحت اليوم فوق عاتقها هي.

صمتت لمتوعب كل تلك التفاصيل التي سردها ثم تساءلت مستنكرة:

- حضرتك عاوزني أستلم المرحومة من المطار وأخذها لحد مدفن عيلة أبو بلاط وأشرف على دفنها

بنفسي؟

فأوما برأسه مؤكدا وهو يقول:

- وتأخدي العزا في نفس اليوم بالليل في عمر مكروم، وقبل كل ده تروحي عملي توكيل لنانب

القنصل في لندن بصفتك الوحيدة من أقارب ربما من الدرجة الأولى القادرة على تفويض أي

شخص لإنجاز إجراءات تجهيز وشحن الجثمان.

يا للسخرية! إن كل هؤلاء لم يعرفوا عنها شيئا يوما، لم يسعوا إليها أو يسألوا عنها طيلة الثلاثة

وعشرين عاما الماضيين، هذا الأب الذي لم يشعر بوجودها واعتبر أنه لم ينجب في تلك الحياة سوى

فتاة واحدة فقط، يأتي اليوم الذي يحتاجون إليها فيه أكثر من أي شيء، الذي تكون هي فيه

المفتاح لحل أعقد مشكلة لديهم ولا أحد غيرها يمكن أن يفعل ذلك، هذا هو اليوم الذي يسعون

فيه إليها طامعين في رضاها عنهم لتحل لهم مشكلتهم.

أخرجت نفسها من خواطرها. ليس هذا وقت تذكر كل هذا الذي حدث ولا يزال يحدث لها. ستكون أفضل منهم كلهم. كما ربّتها والدتها. متعل لهم مشكلتهم على الرغم من أنهم كانوا سبب كل مشاكلها.

قالت في هدوء بعد صمت دام دقائق أحس شفيق أنهم سنوات:

- حاضر يا أستاذ شفيق، أنا هاعمل كل اللي إنتوا محتاجيني أعمله.

ابتسم شفيق في ارتياح. كان يخشى أن ترفض يارا ويعود إلى الدوامة التي كان فيها. شكرها شكرا عميقا قلما يشكره لأحد وذهب بعدما ذكرها بموعدها اليوم التالي في وزارة الخارجية.

أغلقت الباب خلفه وعادت إلى الصالون حيث جلست على مقعدها مرة أخرى وأسندت رأسها إلى الخلف. أغمضت عينيها وزفرت في محاولة مستميتة لاحتواء كل تلك المشاعر التي استيقظت فجأة بداخلها وأخذت تزدهم وتستعر بعدما ظلت أربع سنوات منذ وفاة والدتها لا تشعر بأي من تلك المشاعر المؤلمة.

- سامحك الله يا رما، لقد تكأت جروحا ظلت ملتئمة سنوات.

تحركت السيارات متقدمة أمامها فأفاقته من أفكارها وتحركت بسيارتها بضعة أمتار حتى توقفت السيارات مرة أخرى منتظرة الإشارة الحمراء. توقفت وعادت برأسها إلى الخلف حيث أسندتها لتريحها قليلا مما يثقلها.

تذكرت الرهبة التي شعرت بها عندما فكرت المساء الماضي في تلك الزيارة الفريدة التي ستقوم بها لوزارة الخارجية، كانت تظن أنها ستلتقي دبلوماسيا كهلا باردا ثقيلًا. سيعاملها بفرور ليتخلص منها. لكنها عادت وتذكرت أن شفيق قد أخبرها بأنها ستلقى هناك شابا اسمه يحيى صالح. دبلوماسيا بالإدارة الأفريقية.

و يحيى هذا، كم هو غريب، شخصية فريدة لم تلتق مثلها من قبل. يبدو أنه على صلة وثيقة بمنصور بك وإلا ما حرص على متابعة هذا الشأن البعيد عن مجال عمله، كما يبدو أنه مجتهد وناجح وإلا ما أصبح في هذا المنصب المتميز. يبدو أنه لم يعتمد تماما على والده الذي كان يعمل في السلك الدبلوماسي.



كانت تعلم أن من يعملون في الخارجية لا بد أن يكونوا لبقين ومتحدثين، وهو كذلك بالفعل. ولكن كان هناك شيء آخر في حديثه. كان حديثا تلقائيا كأنه يعرفها منذ سنوات. وهنا التفتت إلى شيء لم تلق له بالا منذ أن خرجت من مكتب أستاذ يحيى. شيء أدهشها، إنها المرة الأولى التي تقص فيها حكاية والدها ووالدتها ببساطة وهي مبتسمة دون أن تشعر بضيق في صدرها أو سخط على هذا الذي ضغط عليها لترضي فضوله وتقص عليه هذا السر الذي تكتنفه حياتها أو يكتنف حياتها.

ابتسمت عندما تذكرت شكله وهو مرتبك. حائر بين رغبته في معرفة المزيد وبين حيائه من أن يضغط عليها لتخبره. أضيئت الإشارة الخضراء وبدأت السيارات تتحرك من حولها. ضغطت بقدمها على مكبح الوقود وانطلقت تطوي الطريق بسيارتها بعدما خف الأزدحام قليلا ولا تزال الابتسامة عالقة فوق شفيتها.



(٧)

وقفت سيارة الخارجية أمام بوابة قرية البضائع بمطار القاهرة الدولي حيث كان يحيى واقفا في انتظارها، فتح لها الباب في احترام لم يغفل من ابتسامة احتلت شفثيه. ابتسامة لم يكن ليظهرها في مثل هذه المواقف ولا يعلم ماذا دفعه لأن يرسمها على شفثيه، لكنه تشجع عندما وجدها تبادلته ابتسامته وهي تقول في رقة:

- صباح الخير يا أستاذ يحيى.

- صباح النور يا يارا هانم.

أشار لها لتتقدمه فخطت نحو الباب وهو خلفها حيث قضيا نحو ساعة ونصف في إنهاء الإجراءات اللازمة قبل وصول الطائرة التي ستعود بجثمان الفتاة الصغيرة الجميلة إلى بلدها. بلدها الذي لم تأخذ فرصتها لتحميا فيه وتراه وتمتع به كما يجب.

التفت إليها محاولا إخفاء السعادة التي شعر بها عندما انتهت كل الإجراءات قبل موعد وصول الطائرة بنحو نصف ساعة وقال مبتسما:

- لسه فاضل نص ساعة على وصول الطائرة. تسبحي لي اسمك على قهوة؟

اندهشت من طلبه لكنها قالت مبتسمة في هدوء:

- مافيش مانع.

لم يكذب يخطو خطوة بجانبها حتى سمع صوت أحدهم يناديه ويطلب منه أن يحضر لعدة دقائق. أخفي ضيقه وغيظه واستأذنها قائلا وهو يمشي من دون تعذر عليه بعد ما حدث:

- أنا أسف، ثانية واحدة.

- اتفضل يا فندم.

شعر بالارتياح لأنها لم تعترضه وذهب مسرعا بينما تركها تنتظره. شعرت هي الأخرى بضيق عندما ناداه هذا الشخص واضطر ليستأذن. كانت في حاجة شديدة إلى الجلوس واحتساء القهوة لتهدئ أعصابها التي بدأت تضطرب بشدة بعدما بدأت تستوعب أن ميعاد الطائرة اقترب وأن تلك اللحظة التي توارقها منذ أن جاءها شقيق قد أزلت.



كانت في حاجة شديدة إلى تلك الجلسة التي عرضها عليها يحيى، يحيى، كيف أدرك أنها في حاجة الآن إلى ما يهدئ أعصابها؟ لقد جاءت دعوته في موعدها، وليست الدعوة فقط هي ما أشعرها بارتياح، لكنها أيضا أحست منذ زيارتها له في مكتبه أنه من القلائل الذين استطاعت أن تشعر بالتفانيّة الشديدة وهي تتحدث معهم، دون تكلف أو ضيق كما اعتادت ما يفرضه الناس عليها أثناء حديثها معهم. من أجل هذا وذاك شعرت بارتياح عندما دعاها وشعرت بضيق عندما تعطلت تلك الدعوة.

أفاق فت فجأة على صوت أحدهم يناديها من الخلف، صوت تعرفه لكنها لم تسمعه منذ فترة، النفث والصوت يقترب منها وهو ينادي مرة أخرى:  
- ياراً، ياراً.

اتسعت عيناها العسليتان في دهشة، آخر من كانت تتوقع أن تراه في هذا المكان وهذا اليوم، بل إنها لم يخطر لها على بال أنها يمكن أن تلتقاه ثانية بعد خمس سنوات. هتفت وهي تبتسم ابتسامة متعجبة:

- كريم؟

اتسعت ابتسامته وقد استقر به المقام أمامها مباشرة وهو يهتف في سعادة:

- ياراً! إزيك؟ واحشاني.

- الحمد لله أنا كويسة، إنت عامل إيه؟

- الحمد لله، إنتي إيه اللي جابك المطار؟ مسافرة ولا لسه واصله؟ أصلا إيه اللي جابيك قرية البضايع؟

فزفرت وهي تقول ولا تزال الابتسامة على شفيتها:

- لا مسافرة ولا واصله، أنا جاية أستلم جلة أختي عشان أدفنها.

فنظر إليها في دهشة وفزع وهو يتساءل:

- أختك؟!

ثم قال وكأنه تذكر شيئا:

- أيوه صحيح، إنتي كان ليكي أخت أصغر منك، بس إنتي ماكانش ليكي أي علاقة بيها مش كده؟

- أه.
- آمال ليه إنتي اللي جاية تستلمجا؟
- أبصرت يحيى وشفيق قادمين نحوهما فقالت له في عجالة لتنهى الحديث:
- هابقى أفهمك بعدين عشان مافيش وقت دلوقتي.
- وقف يحيى أمامهما مباشرة وهو يسرق نظرات مرتابة نحو كريم لكنه تظاهر بالطبيعية وهو يقول لها:
- أنسة يارا، الطائرة وصلت وبدري.
- فقال شفيق متمما كلامه:
- والعربية اللي هتاخذ المرحومة لحد المدافن وصلت برا.
- ازدردت ريقها بعد أن جف حلقها وقالت ووجيب قلبها يتصاعد:
- حاضر، أنا جاهزة.
- ثم التفتت نحو كريم وقالت مستأذنة:
- معلىش يا كريم أنا لازم أمشي دلوقتي.
- فقال لها في نبرة مندهشة:
- إنتي جاية لوحداك ولا إيه؟ طنط ماجاتش معاك ليه؟
- فأجابته وهي تبتسم ابتسامة صفراء:
- ماما اتوفت من أربع سنين يا كريم.
- فقال معتذرا في حرج:
- أنا أسف.
- ثم استدرك في حماس:
- خلاص أنا هاجي معاك.
- نظرت إليه وتساءلت مندهشة:
- تيجي فين؟!



معاني، ما أنا أكيد مش هاسيبك لوحك في موقف زي ده، أنا سبت شنطي مع السواق وهاكلمه  
أخليه يروحهم البيت، ماتقلقيش.

انطلقوا معا، كريم ويارا في الخلف وشفيق ويحيى في المقدمة، خطأ يحيى في هدوء وثبات وثقة في  
مظهره الذي اعتاده جميع الناس، ولكن في داخله كان هناك شعور غريب، شعور لو لم يسيطر  
عليه لكان الآن ملتفتا نحو كريم ويارا مراقبا لهما ليعلم من هذا الشخص وماذا يقول لهما، شعور  
ليس بالفيظ ولا بالضيق، إنه خليط منهما معا، لم يشعر بمثل هذا الشعور من قبل، والأغرب أنه  
يشعر به مرتبطين بشخص، بفتاة، فتاة لم يعرفها إلا منذ يومين فقط!  
لكنه استطاع بالطبع أن يتغلب عليه ولو ظاهريا فقط حتى يحافظ على مظهره كما اعتاد دائما  
طوال عمله الدبلوماسي.

لم يطل انتظارهم كثيرا قبل أن يخرج الصندوق الخشي أمامهم، حيث انشغل يحيى وشفيق  
وبعض الموظفين في مراجعة بوليصة الشحن وإنهاء الإجراءات بسرعة وإتقان يتناسبان مع النفوذ  
الذي يصاحب اسم منصور أبو بلاط حتى لو كان صاحبه شخصا غارقا في غيبوبة. انزوت يارا  
بعيدا محاولة تمالك أعصابها التي اضطرت منذ أن رأت الصندوق يخرج أمامها حتى تنتهي  
الإجراءات ويتم نقل الصندوق إلى السيارة المنتظرة بالخارج. ولكن بدلا من ذلك أحست بشيء من  
الاضطراب يسري في حديث يدور بين شفيق ويحيى والموظف المسؤول فوجئت بعده بثلاثة عمال  
يحملون الصندوق ويذهبون به في الاتجاه الآخر إلى داخل إحدى الغرف القريبة. اقتربت يارا من  
يحيى ثم تساءلت في تردد:

- هوقيه إيه؟ هما واخدين الصندوق جوا ثاني ليه؟

نظر يحيى نحو شفيق الذي تركهم وذهب خلف الصندوق ثم نظر نحوها وهو يقول في اقتضاب:

- أستاذ شفيق عاوز بيص بصة على ريم.

اتسعت حدقتها وهي تهتف في دهشة:

- إزاي؟! هوينفع إننا نفتح الصندوق أصلا؟ مش هو متشمع بالشمع الأحمر؟

- أه متشمع ومش المفروض طبعا إن الصندوق يتفتح. بس الأستاذ شفيق مصمم وطبعا ماחדش

هنا يقدر يرفض له طلب.

- طب هو ليه عاوز يفتحه؟

- بيقول إنه عاوزكم تشوفوها لآخر مرة.

دق قلبها بعنف. همت بالاعتراض عندما أتاها صوت شفيق الذي هتف قبل أن يدخل الغرفة في حزم:

- يلا يا يارا.

أحست ببرودة تسري في أطرافها، ودت لوركضت مبتعدة لتهرب من الموقف برمته، ولكن بالرغم من الخوف الرهيب الذي اعترافها لكنها وجدت نفسها تنصاع لأمر شفيق وتتجه نحو باب الغرفة التي يرقد بها الصندوق. أي شيطان هذا جعلها تفعل ما يلح عقلها ومنطقها بعكسه تماما؟ كان يجب أن تعتذر وتنتظره بالخارج حتى يقوم بتنفيذ هذا الطلب العجيب الذي طلبه، ولكنها بدلا من ذلك وجدت شيئا غريبا لا تعلم ما هو يدفعها للاقتراب من حيث ستلتقي وجه أخت اكتشفت فجأة أنها لا تعلم كيف يجب أن تشعر نحوها؟ توقفت لدقائق أمام باب الغرفة محاولة التقاط أنفاسها ودفع نفسها للقدوم على أول خطوة نحو الداخل. اقترب يعنى منها وقال مبتسما لتشجيعها في رقة:

- اتفضلي يا أنسة يارا. هي دقيقة واحدة مش أكثر. وجود المسؤولة عن الاستلام هيمنع وجود أي حرج في فتح الصندوق.

كانت تستमित لتسيطر على قلبها المرتجف، لماذا تشعر بكل هذا الخوف؟ ربما لأن تلك هي المرة الأولى التي ترى فيها ميتا؟ أو ربما لأن الموقف كله يبعث على الرهبة؟ لا تعلم، لكنها أحست أنها يجب أن تبذل مجهودا جبارا لتحافظ على ثبات خطواتها عندما دخلت الغرفة ولمحت في آخرها الصندوق الخشبي الأنيق الذي ترقد بداخله ربما وهو مفتوح. في البداية لم ترى شيء من بعيد، لكن كلما تقدمت خطوة ازدادت حافة الصندوق انخفاضا واتضح ما خلفها شيئا فشيئا. الشعر الأسود الفاحم الذي ورثته مثلها عن أبهما كما ورثت الوجه البيضاوي أبيض البشرة والذي ازداد بياضه بسبب شحوب الموت، لم تستطع أن ترى عينها بالطبع لأنهما كانتا مغمضتين لكنها أحست أن خلف هذين الجفنين عينين عسليتين مثل عينها، لا تعلم لماذا انتابها هذا الإحساس الذي اختلط مع مائة إحساس آخر طغوا عليها في تلك اللحظة، إحساس بخوف رهيب وهي ترى أمامها ميتا لأول مرة في حياتها - حتى أمها لم تستطع أن تلقي عليها نظرة أخيرة بعد وفاتها، إحساس مؤلم

بأن أول مرة ترى فيها أختها تكون هي آخر مرة وتكون بتلك الطريقة. وإحساس بشفقة عجيبة على ربما التي بدت في ثوبها الأبيض الرقيق كمالك عذب اغتالته الحياة ووضعت في هذا الصندوق الخائى لتمعن في ظلمه.

أفاقنت من كل تلك الأحاسيس وتمالكت أعصابها. يجب أن تتماسك فاليوم طويل وما زال في بدايته.

خرجت من الغرفة وهي تحاول السيطرة على ترنحها قدر الإمكان. كانت نظرات يحيى المشفقة هي أول ما رآته ولكن كريم كان أسرع منه حيث أقبل عليها يسألها عن حالها، فطمأنته بكلمات مقتضبة قبل أن تستدير مسرعة نحو يحيى وشفيق الذي كان قد سبقها بالخروج قائلة في نبرة متضايقه:

- للأسف فيه مشكلة.

فقطب يحيى حاجبيه وتساءل مستنكرا:

- مشكلة إيه؟

- واضح إن ربما اتجهزت عشان تتدفن تبعاً للطقوس المسيحية ومدفن عيلة أبو بلاط مدفن إسلامي.

فقال يحيى والتقطيبة لم تترك وجهه بعد:

- مش ممكن؟! إزاي الناس هناك يغلطوا غلطة زي دي؟ المفروض إن الجثمان بيتغسل ويتكفن تبعاً لديانة المتوفى الرسمية، والمفروض إن ربما مسلمة زي والدها، مش كده يا أستاذ شفيق؟

فمط شفيق شفثيه وقال في حيرة:

- قانونا ده صحيح. إنما ربما كانت والدها مسيحية وهي كانت عايشة معاها معظم الوقت. عشان كده أنا مش عارف هي كانت بتؤمن بإيه بالظبط. ومش عارف هما ليه جهزوها في القنصلية تبعاً للطقوس المسيحية؟ يمكن عشان كانوا بيشوفوها ساعات وهي رايحة الكنيسة مع سيرين هانم؟

طلى صممت احتلت فيه الحيرة نظراتهم للحظات قبل أن تتحدث يارا محاولة إيجاد حل سريعاً:

- أستاذ شفيق إنت لازم تتصرف. أنا ماعرفش ربما كانت بتؤمن بإيه بس مادام هي لابسة اللبوس ده يبقى مستحيل تتدفن في مدافن مسلمين، لازم تدفنها في مدافن مسيحيين.



- فضحك شفيق نصف ضحكة أخرج بها زفيراً ساخراً ليخفي حرج الموقف وهو يقول في حيرة:
- وأنا هاجيب مدافن مسيحين إزاي؟ هو الموضوع بالساهل كده؟
  - فتساءل يحيى في محاولة لإيجاد حل:
  - ماينفعش نخلي رأقت يساعدنا؟
  - يعني عاوزني أروح أقول له إيه؟ لو سمحت ادفن لنا ربما في مدافن عيلتك؟! وبعدين دي تبقى ربما منصور أبو بلاط، إزاي تتدقن في مدفن عيلة موظف بيشتغل عند والدها؟ ده غير إن تصبرح الدفن طالع على أساس مدفن أبو بلاط.
  - بدا أن الأمر قد ازداد تعقيداً بعد هذا الحوار فمطت يارا شفيتها وقالت في عناد:
  - وأنا مش هاوافق إنها تتدقن غلط.
  - بدت أثار التفكير على وجه شفيق الذي زم شفته قبل أن يقول بعد أن اهتدى للحل المناسب:
  - خلاص، يلا بينا على المدافن دلوقتي وأنا هاحل الموضوع كله.
  - فتساءلت يارا في حيرة:
  - متحلله إزاي يا أستاذ شفيق؟
  - هتعرفوا لما نوصل، ماتقلقيش يا يارا، ربما مش هاتتدقن غلط. بس أرجوكم يلا بينا عشان كده هنتأخر على الناس اللي مستنيانا هناك.
  - لم يملكو أمام كلمات شفيق المطمئنة سوى أن يستسلموا وتركوا الأمر كله في يده، واتجهوا جميعاً نحو صف السيارات السوداء التي كانت تنتظرهم أمام الباب خلف السيارة الكبيرة التي تم وضع الصندوق بداخلها.
  - التفتت يارا نحو يحيى وقالت مستأذنة:
  - ممكن كريم يركب معايا العربية يا أستاذ يحيى عشان هو مش عاوز يسبني لوحدي في الظروف دي؟
  - بوغت بطلها هذا، جمد وجهه للحظة تدارك بعدها مسرعاً وهو يقول في تباسط:
  - آه طبعاً، اعتبري العربية بتاعتك.



شكرته مبتسمة ثم اتجهت نحو السيارة فركبتها وركب كريم بجانبها، بينما اتجه يحيى ليركب مع شفيق في سيارة أخرى وانطلقت كل السيارات خلف السيارة التي تحمل الصندوق وربما بداخله. صفت سيارات سوداء أنيقة لامعة تتطلع نحوها الأعين في انبهار وفضول.

منذ أن تحركت السيارات وشفيق يتحدث في هاتفه المحمول بكلمات لم يفهم يحيى منها شيئاً، كانت هناك كلمات أخرى تشغله. كلمات يتحدث بها إلى نفسه وتحدثه نفسه بها، لماذا لم يركب في السيارة الأخرى؟ كان ينوي أن يفعل ذلك لكنه تراجع عندما وجد هذا الشخص الغريب الذي ألقته الصدفة عليهم اليوم يركب مع يارا، وماذا في ذلك؟ كان يستطيع أن يركب في المقدمة بجانب السائق وكان الأمر سيبدو طبيعياً، لكنه لم يفعل لأنه يعلم أنه إن ركب معهم سيسترق السمع إلى ما يقولونه وهو ما يكرهه ويأباه على أخلاقه وكرامته. لذا وعلى الرغم من رغبته الشديدة في معرفة من هو كريم هذا لكنه استقل سيارة أخرى لتجنب كل موقف قد يدفعه إلى فعل ما لم يترب عليه. وأحس بدهشة شديدة لتنايه مما يفكر فيه. لماذا يريد أن يعلم ما سيقولونه؟ لماذا تضايق عندما لم تتم دعوته لها على فنجان القهوة؟ لماذا يريد أن يعرف من هو كريم هذا وما علاقته بيارا؟ لماذا يفكر في يارا من الأساس؟ ولماذا هذا الإحساس الذي بداخله الآن؟ شعور بأن كل حواسه منطلقة خلف السيارة الأخرى بلا أي سبب. إن كل ما هو به من مواقف في عمله الدبلوماسي ظن فيها أنه استطاع أن يكون بارعاً في ضبط نفسه لا تساوي واحداً على مائة من المجهود الذي يبذله الآن ليضبط نفسه ويبدو طبيعياً. وظل نفس السؤال يلح عليه، لماذا؟ لماذا يحدث له كل ذلك؟

fb.com/Sa7er.Elkotob/

لماذا؟

توقف عن التفكير عندما توقفت السيارة أمام باب المدفن حيث كان ينتظرهم عدد من موظفي وأعضاء مجلس إدارة مجموعة أبو بلاط في أزواء رسمية أنيقة بجانب سياراتهم السوداء الفارحة. كان باب المدفن مفتوحاً ومعداً، وأمامه كان يقف الحائوتي في جلبابه وعباءته الأنيقة في كامل أهيته حتى أنه بدا أكثر وقاراً من الموظفين أنفسهم. هبط الجميع من سياراتهم واتجه شفيق نحو الحائوتي فحياه في ود وتحدث معه قليلاً حديثاً ذهب الحائوتي على أثره فأتى ببعض الرجال الذين فتحو باب السيارة الكبيرة وأخرجوا منها الصندوق واتجهوا به نحو حجرة تبعد خطوات عن المدفن. عندئذ أحست يارا بالقلق يساورها. أحست أن قلبها منجذب نحو الصندوق الذي يحوي

بداخله تلك الأخت التي ما شعرت لها بأي إحساس مثلما تشعر الآن، اتجهت مسرعة نحو شفيق وتعلقت بذراعه كالمستنجدة وهي تسأل في نبرات قلقمة وصوت مقزوع:

- هما واخديتها فين يا أستاذ شفيق؟

فقال لها مطمئنا:

- ماتلقيش، مش إنتي عاوزه إنها تتدفن صح؟

- أيوه.

- خلاص، أنا هانفذ لك اللي إنتي عاوزاه.

فتساءلت وقد بدأ صبرها يتقد:

- إزاي؟

- الحاج عبده الحانوتي هيخلي الستات يغسلوها ويكفنوها زي الشرع قدر الإمكان عشان العجثة أصلا بتنحنط قبل ما تتشجن. إنما هنحاول قد ما نقدر بس عشان نعرف ندفنها في مدافن عيلة أبو بلاط.

علي الرغم من أن المدة لم تكن طويلة لكن الانتظار كان مرهقا تحت شمس أول أيام الربيع وهوائه الساخن الذي ازدادت وطأته بسبب رهبة المكان الذي يقفون فيه وما هم منتظرينه. كان الصمت مطبقا، لم يحاول أحد أن يتحدث أو حتى يهمس حتى يدت سيده في زي أسود فضفاض أشارت للرجال فأسرعوا إلى الداخل وخرجوا بعد دقائق حاملين الصندوق، حيث عبروا به الطريق ودخلوا المدفن وخلفهم الحانوتي وصبيانته والمقرئ الذي علا صوته من الداخل بأيات قرآنية ملأت المكان رهبة وخشية أحس بها حتى من اختاروا أن يقفوا بالخارج دون أن يشهدوا الدفن.

كان ما يحدث حولها حنم أو وهم، وقفت مشدوهة من هذا الموقف الذي لم تتخيل قط أنها يمكن أن توضع فيه. مستندة على أحد الحوائط وقد خبأت عينيها خلف النظارة السوداء، مطرقة نحو الأرض وهي تبذل مجهودا خارقا لكبت دموعها، دموع لم تعرف لها سببا، إنها لا تعرف ربما ولم ترها من قبل، لذا من الصعب أن تصدق أنها حزينة عليها، ولكنها الحقيقة. إنها حزينة ليس على ربما ولكن على الأخت التي لم تستطع أن تراها وتعيش معها مثل كل الأخوات، حزينة على حياتها



التي تعيشها بمفردها منذ أن توفيت والدتها وحتى قبل أن تتوفى والدتها، حزينه من تلك الدنيا التي حرمتها حتى حق البكاء على ذكريات مع أختها الصغيرة.

أفاقته على صوت شفيق الذي خرج من المدفن وقال لها في تأثر:

- انفضلي يا أنسة يارا.

تقدمت في خطوات ثابتة وسط نظرات كل من يحيطون بها، نظرات اختلط فيها الفضول بالتأثر، معظم من أتوا اليوم كانوا لا يعرفون أن لمنصور بك ابنة أخرى غير ربما ومعظمهم أيضا كانوا متأثرين بسبب وفاة ربما، ابنة الرجل الذي يحترمونه ويقدرونه ويتمنون شفاؤه وعودته إلى عمله واليهيم.

قرأت الفاتحة قبل أن تطيل وقفتها وهي تتأمل المدفن بينما يعيث الهواء بخصلات شعرها دون أن تعبا هي بإزالتها عن وجهها. أفاقته عندما أحست بيد توضع على كتفها، يد يحيى الذي كان يتأملها من بعيد منذ أن دخلت المدفن، ابتسم لها نصف ابتسامة ليواسيها فابتسمت هي الأخرى قبل أن تستدير وتخرج من باب المدفن وهو خلفها.

كان شفيق هو أول من رأت "أحسنت يا سيدنا"، قالها للمقري ثم أقبل عليها وفي عينيه نظرة حزن حقيقية. شد على يدها في حرارة وهو يقول متأثرا:

- البقاء لله يا يارا وشكرا على تعبك معنا.

- العفو يا أستاذ شفيق.

- ماتنسيش، الساعة سبعة في عمر مكرم إن شاء الله.

- إن شاء الله.

أقبل باقي الموظفين يعزونها مؤقتا حتى ميعاد العزاء الرسمي مساء، يتفرسون في وجهها في فضول قبل أن يلقوا ببضع كلمات متشابهة تجيبها مقتضبة في صوت منخفض قبل أن يتركوا يدها منسحبين في هدوء.

التفتت نحو كريم الذي أقبل نحوها وهو يرسم ابتسامة على وجهه قائلا:

- البقية في حياتك يا يارا.

ابتسمت وهي تقول:

- شكرا يا كريم، وشكرا كمان عشان جيت معايا النهارده.

- ماتقوليش كده، ماكانش ينفع أسيبك لوحدك في ظروف زي دي.

ابتسمت صامتة دون أن تجد كلمات لتجيبه بها بينما استطرده هو متسانلا:

- وراكي حاجة تانية النهارده.

- آه، العزا في عمر مكرم النهارده الساعة سبعة بالليل.

فقال متحمسا:

- خلاص، يبش يلا نروح نتغدى في أي حنة دلوقتي عشان تستريح وتهدى قبل ما نطلع على العزا بالليل.

لم تستطع أن تخفي في عينها دهشة من كل تلك الشهامة التي يبرزها منذ أن رآها بعد قطعة دامت خمس سنوات، ابتسمت وهي تقول وشعورها بالإحراج يزداد:

- يا كريم كفاية كده، إنت لسه راجع من السفر ومش عاوزة أتعبك أكثر من كده.

فقال متمللا:

- سفر إيه ده اللي أنا هاتعب منه؟ هو أنا كنت راكب جمل؟ يلا يلا بلاش دلغ، خلينا نلحق نوصل وناكل قبل معاد بالليل.

ثم قال في عصبية مصطنعة ليحمسها:

- يلاااا.

لم تملك سوى الاستسلام أمام إلحاحه، التفتت نحو يحيى الذي لم يكن بعيدا عنها وقالت مبتسمة:

- أستاذ يحيى أنا بجد متشكرة على تعب حضرتك معانا.

فقال وقد ثبت عينيه بداخل عينها:

- ماتقوليش كده يا أنسة يارا. متصور بيه كان صديق والذي الله يرحمه وده واجب عليها.

ابتسمت شاكرة، نفض عن نفسه هذا الإحساس الذي اعتراه للحظة ثم استطرده قائلا:

- العربية متفضل معاكي لحد بالليل، أنا جيت موافقة من الوزارة.



لم يكن ذلك شيئاً طبيعياً. لذا اتسعت ابتسامتها وامت ياغداق عبارات الشكر عليه، لكن كريم قاطع حديثهما متسانلاً في تضجور:

- مش يلا يقى يا يارا.

- حاضر.

التفتت نحو يحيى وقالت:

- بعد إذنك.

- هاشوقك بالليل.

- أكيد.

ودعته مبتسمة وسارت نحو السيارة التي فتح بابها كريم فدخلت بداخلها ثم قفز هو بجانبها وأغلق الباب الأسود اللامع.

انطلقت السيارة مبتعدة تطوي الطريق نصف الممهد بسرعة مخلفة عاصفة من الغبار لم تستطع أن تمنع يحيى من متابعة السيارة بعينيه حتى انحرفت نحو اليمين واختفت عن الأنظار.



(٨)

انساب النيل تحتهما في نعومة وهدوء. اختارت مكانا مفتوحا يطل على النيل، أرادت أن تستنشق هواء منعشا يلمسها إرهابا ما مضى من هذا اليوم ويعيها على ما تبقى منه. مضت تتأمل النيل ونسمات رقيقة تعيث بخصلات شعرها الأسود الشاحم منصرفة عن قائمة الطعام التي بين يديها والنادل الذي وقف بجانبها منتظرا تلقي الطلبات. أفاقته على صوت كريم الذي قال دون أن يرفع عينيه عن القائمة التي يمسك بها:

- أنا هاخذ ستيك بوافر ومكرونه وايت صوص. وإنثي؟

اعتدلت في جلستها ونظرت إلى القائمة دون أن تعي منها شيئا، بدا لها أن اختيار شيء لتأكله أمر صعب سيرهق عقلها الذي تعاول إراحته قدر الإمكان. تظاهرت بأنها لم تجد ما يعجبها في الصفحات التي تقلها قبل أن تقول:

- هاخذ زيك.

ابتسم غرورا عندما وجدها تفتحي مثلما انتقي. أخفى ابتسامته مسرعا ومد يده بالقائمة للنادل الذي سجل الطلبات في دفتره الصغير وأخذ القوائم وانسحب في هدوء. عادت إلى شرودها، تحدد في التيارات الضعيفة التي تدفع أمامها ورود النيل نحو الشمال في هدوء وهي تستنشق الهواء الذي أعاد إليها الانتعاش الذي تفتقده منذ عدة أيام. ظلت أحداث اليوم تمر أمامها سريعة ومتتابعة، تظهر وتختفي دون رحمة وإن ظل الوجه الأبيض النحيل الشاحب يحتل الخلفية، ينغز في قلبها ويعذبها دون هوادة رغم محاولاتها المستميتة للتخلص من هذا الإحساس الحزين الذي احتلها دون مبرر.

- رحتي فين؟

التفتت نحو كريم وقالت وهي ترسم ابتسامه على شفرتها:

- أنا هنا أهو.

- أصلك سرحتي.

ابتسمت في صمت. لم تجد ما تجيب به، الموقف كله غريب بالنسبة لها، مجرد الجلوس مع كريم على مائدة واحدة في مكان مثل هذا بعد كل ما حدث بينهما وبعد خمس سنوات من القطيعة أمر

غير معقول. فما بالك إن كان في يوم كهذا اليوم بكل ما يحتويه من أحداث غريبة ومشاعر متداخلة ومتناقضة! التفكير في إحساسها نحوه الآن أمر غير وارد بالنسبة لها، لكنها أحست أن الله بعثه لها، فهي تريد أن تتحدث مع أي شخص تعلمه جيدا حتى وإن كان كريم.

لطلعت الصبمت قائلة لبدء أي حديث:

- ماقلتليش بقي، كنت بتعمل إيه في المطار؟

- أنا كنت لسه واصل من السفر بس عديت على قرية البضايح عشان بابا طلب متي أسأل له على حاجة هناك.

- كنت مسافر فين؟

- كنت في بلجيكا.

اتسعت حدقتهاها وهي تقول مندمشة:

- بلجيكا؟! هو شغل باباك وصل لحد بلجيكا؟

ابنسم ابتسامة أخفى بها مرارته وهو يقول:

- أنا ماكنتش مسافر عشان شغل.

- أمال كنت مسافر ليه؟

زفر قبل أن يقول:

- كنت باتعالج في مصحة نفسية.

عادت إلى الخلف وقد سيطرت الصدمة على كل ملامحها، قالت في نبرات متقطعة وصوت مفزوع:

- مصحة نفسية؟! ليه؟!

- اكتئاب، حاد.

ألجمت الصدمات المتتابة لسانها، صممت للحظات في محاولة لاستيعاب ما تسمعه، كريم الذي لم تكن الضحكات تفارق فمه ولم يكن الاستهتار يفارق كل تصرفاته يصاب باكتئاب حاد. قال

مبتسما بعدما رأى ما انتابها:

- إيه؟! مش مصدقة؟!

قالت مسرعة:



- لا مصدقة طبعاً، بس مش فاهمة.

- عندك استعداد تسمعي؟

- أكيد.

عاد بجسده إلى الخلف وهو يتأمل النبل بجانبه كأنه يبحث على سطحه عن شيء هوى واستقر في القاع، قاع ذاكرته التي تحوي كل الذكريات المؤلمة وتخفيها لتظهر فقط في لحظة مثل تلك اللحظة أخذ نفساً عميقاً قبل أن يلتفت نحوها ويسألها:

- فاكورة الحادثة الكبيرة اللي حصلت من حوالي ثمان شهور على طريق السويس؟

مطت شفيتها وهزت رأسها نافية، تساءل في محاولة لتذكيرها كأنه يستنكر أنها نسيت حادثة كذلك:

- التزلزتين اللي خبطوا بعض وخذوا في وشهم بتاع ١٠ عربيات؟ دي الجرايد مابطلتش كلام ساعتها

ابتسمت وهي تقول حاسمة الموقف:

- أنا مابقراش جرايد يا كريم.

حرك رأسه لأعلي ولأسفل متفهماً قبل أن يستطرد حديثه في نفس الهدوء السابق:

- أنا كنت في الحادثة دي، بس ماكنتش لوحدي، كان معايا كمان مراتي وابني.

خفق قلبها عندما سمعت ما قاله. هل حقاً تزوجت يا كريم؟! وأنجبت أيضاً؟! وماذا في ذلك؟ أليس

رجلاً؟ ماذا كنت تتوقعين خلال خمس سنوات من القطيعة؟ بالطبع سيتزوج وينجب. أتركي تلك

القصة كلها كما تركتها تنتهي من قبل، لقد انتهت بالفعل وانتهى معها كريم بداخلك فإن ظهر مرة

أخرى فليس عليك إلا أن تستمري في حياتك كما أنت لأنك بالفعل تجاوزت كل أحاسيسك نحو.

تمالكت نفسها دون أن يظهر شيء على وجهها. اختلس هو نظرة نحوها كأنه يبحث عن أثر كلمته

عليها وعندما لم يجد شيئاً استكمل حديثه قائلاً وهو يرسم ابتسامة صفراء على شفطيه:

- وعلى الرغم من إن كنت أنا اللي سابق، وإن أنا اللي كنت ناحية الخطر أكثر، إلا إنني خرجت من

الحادثة بشوية كدمات وإصابات عادية، أما بقى مراتي وابني فماخرجوش، اتوقوا.

نظرت نحوه بعينين ملتاعيتين، لم تتوقع ما قاله، يبدو أنك قاسيت كثيراً يا كريم، الاكتئاب إذا شيء

طبيعي بعد ما حدث لك. لم تكن تعلم ماذا يجب عليها أن تقول، أتواسيه وتعتذر عما حدث، أم

تحاول تغيير الحديث كله وتحويل دفته إلى موضوع آخر، لا تعلم، لذا أثرت الصمت خاصة عندما



أحدث فيه ميلا للحديث وأنه أخيرا وجد شخصا مناسباً ليفضي له بما بداخله. كان لا يزال مثبتاً عليه نحو النيل وقد ترققت فحما دموع مكبوتة عندما قال في صوت متحشرج يمتلئ بالألم:  
كانت لحظة صعبة قوي، إني أدفن أبني بأيدي وأشوف مراتي وهي بتتنفس لآخر مرة جنبي.  
إحساس صعب.

صدمت لحظة ازدرد فيها دموعه قيل أن يلتفت نحوها ويستطرد قائلاً:

فعدت شهرين حابس نفسي، مكنلب وباتمي الموت من كل قلبي. لحد أما بابا قرر إنه يسفرني بلجيكاً في منتجع نفسي عشان أتعالج. قعدت هناك ست شهور لحد ما قدرت أعدي الأزمة ولسه راجع النهارده.

ابنم محاولاً القضاء على الألم الذي تذكره فابتسمت هي الأخرى، كانت ترى شخصاً جديداً لا تعلمه، شخصاً هذبته الألم وعلمه وقومه حتى أصبح إنساناً آخر غير هذا الذي كان لا يعنى بشيء قدر ما يعنى بملابسه وسيارته وأناقته. شخصاً دفن مع زوجته وابنه كثيراً من أنانيتته وغروره واستهتاره. لماذا أحببته يوماً؟ هكذا سألت نفسها لكنها لم تجد الوقت لتفكر في إجابة. قطع كريم

الصمت قائلاً في مرح مصطنع ليغير مجرى الحديث:

- بس ليه مافيش أي حد من أصحابك جه معاك؟  
- صحاب إيه بس؟ ده أنا يادوب باشوقهم مرة كل كام شهر. اللي سافر برا واللي اتشغل في حياته واللي اتجوزت. الموضوع مابقاش زي زمان. ماعتديش دلوقتي غير داليا، صاحبتني من الشغل، بلشوق بعض كل يوم لحد أما اتعودنا على بعض وبقينا صحاب قوي.

- بس واضح إن علاقتك بباباكي بقت أحسن مش كده؟

كان النادل قد وضع أمامهما الطعام عندما أجابته يارا وهي تقطع اللحم:

- لا أبدا، لسه علاقتي بيه زي ما هي، مافيش علاقة أصلا.

عقد حاجبيه مستنكراً وهو يقول بعدما ازدرد طعامه:

- أمال إزاي طلب منك إنك تستقبلي جثة بنته وتدفنيتها؟

لم تجد بدا من أن تشرح له الموقف كله ليفهم، ثم قضيا بعد ذلك بقية الوقت وهما يتحدثان عن ذكريات الجامعة دون أن يتطرقا إلى أي شيء قد يكون له علاقة بذكريات ما كان بينهما. وعندما

فرغاً من طعامهما أخرج كريم علبة سجائره وفتحها ومدما نحو يارا لكنها رفعت يدها له علامة الرفض وهي تقول:

- بطلتها.

فتناول واحدة وضعها في فمه وأشعلها وهو يقول:

- من إمتى؟

تململت قليلا قبل أن تقول:

- بعد ما ماما اتوفت جت لي أزمات تنفس. Mainly سببها أزمة نفسية. الدكتور قال لي إني لازم أبطل فبطلت.

كانت تكذب، لقد أصيبت بالفعل بتلك الحالة النفسية والأزمات التنفسية، لكن لم يكن ذلك عند وفاة والدتها، كان قبل ذلك بعام، عندما تركها كريم، لكنها بالطبع لم تقل ذلك، أحست أنها يجب أن تحتفظ بكرامتها حتى آخر لحظة أمامه حتى ولو كان كل شيء قد انتهى بداخلها بالفعل. ابتسم وهو يقول:

- أوحش حاجة عملتها معاكى كانت إني علمتلك تشربي سجاير. كودس إنك بطلتها.

ابتسمت وهي تداري السخرية التي تشعر بها. هل حقا هذا هو ما يشعر به؟ كانت بداخلها تريد أن تقول له إن التدخين لم يكن أقيح شيء فعله معها، ولكنها صمتت، لا فائدة من أن تقول له ذلك، لقد انتهى كل شيء كما كانت تفكر منذ قليل.

رفعت يدها لتستدعي النادل وهي تقول:

- أنا هاطلب قهوة عشان محتاجة أفوق قبل مشوار بالليل. تاخذ قهوة معايا؟

نفث دخان سجارته في الهواء وهو يلوح برأسه راقضا قبل أن يقول:

- من ساعة ما جالي الاكتئاب وأنا بطلت أشربها لحد ما اتعودت إني ماشربهاش.

ابتسمت متعجبة وهي تتساءل:

- يعني بطلت القهوة وما بطلتش السجاير؟

أخذ نفسا عميقا من السجارة ثم نفثه في الهواء مبتسما وهو يقول وقد وضع ساقا على ساق:

- c'est la vie.

(٩)

كانت الساعة تقترب من الخامسة مساءً عندما وصل مكتبه في الخارجية، ظل محققاً في العقارب الذهبية وهي تسير في ببطء ممل فزادته توتراً على توتره، فأخذ يحرك قدمه في حركة عصبية وقد وضع سماعة التليفون على أذنه واستمع بصبر نافذ إلى الحديث، لكنه استطاع أن يحافظ على هدوئه حتى أتمت أمه حديثها وخفت حديثها بعدما أخرجت كل ما بداخلها، فاستغل فرصة صمتها للتلقظ أنفاسها وأسرع ليقول مهادناً:

- يا ماما يا حبيبي صدقيني والله ما فيش داعي خالص تيجي النهارده بالليل، طب اهدي بس وأنا ماشهك.

صمت لحظة ليزرد ريقه ثم قال:

- أولاً أنا هايقى موجود وهاقوم بواجب العزا كله لنفسى وبالتيابة عنك، ثانياً الشخص الوحيد اللي يعرفك ولازم تقدمي له العزا اللي هو منصور بيه مش هيبتى موجود، ثالثاً بقى ودي أهم حاجة، حضرتك لسه تعبانة والدكتور قال لازم ترتاحي اليومين دول، صدقيني والله العظيم أول ما منصور بيه يفوق هاخذك تروحي تعزبه بنفسك ولو عاوزة كمان تسافري لبنان عشان تعزي سيرين هانم - اللي إنتي ماتعرفهاش أصلاً - هاخذك من إيدك ونسافر لحد هناك. خلاص؟

ثم صمت قليلاً وابتسم وهو يستمع إلى مقاومتها التي تشبه مقاومة طفل يعترض على أن أمه لن تعطيه الحلوي في اللحظة التي طلبها فيها، اضطر إلى أن يلجأ إلى المعايلة لينتهي الحديث الذي كان بالفعل يقترب من نهايته فقال وقد ملأ صوته بتدليل لا يستخدمه إلا معها فقط:

- عشان خاطر يحيى، خلاص بقى.

و عندما أعلنت موافقتها ساخطة زفري ارتياح قيل أن يقول في سعادة:

- ربنا يخليكي ليا يا رب، خللي بالك من نفسك ماشي؟ بلا سلام.

أخيراً وضع السماعة وأغمض عينيه ليستعيد نشاطه حتى يستطيع أن يستكمل يومه الطويل، عاد إلى شاشة اللاب التوب يتفحص بريده الإلكتروني مسرعاً وهو يخرج الطعام الذي طلب منهم إحضاره، عندما مس السندوتش شفته رفع عينيه من على الشاشة منتبهاً، أعاده إلى مكانه ونظر في حزن إلى الطعام الذي أمامه، دون وعي أو قصد منه عقد مقارنة بين ما كان يلتويه وما حدث،



كان يريد أن يدعو يارا على الغداء اليوم، أن يعطي لنفسه فرصة ليتحدث إليها أكثر ويعرف عنها المزيد. تلك الشخصية الفاضلة المهمة التي امتزجت فيها الرقة بالقوة والتي تعاملت بكل صلابة ووداعة مع هذا الموقف العجيب الذي وجدت نفسها فيه. لماذا تقوضت كل الخطط التي وضعها ليتقرب منها ويعلم عنها المزيد؟ لماذا فشلت دعوته لها لتناول القهوة في المطار؟ ولماذا لم يستطع من الأساس أن يدعوها إلى تناول الغداء معه؟ إنه الظهور المفاجئ لهذا الشخص، كريم هذا الذي ظهر من العدم مثل شيطان مختبي. من هو كريم هذا؟ ما علاقته بها؟ يبدو أنها علاقة وطيدة تلك التي جعلته يلزمها منذ أن رأها في المطار على الرغم من أنه كان عائداً من السفر.

أفاق من أفكاره، نار على نفسه، لماذا لا يبرح التفكير في هذا الشأن؟ لماذا تزداد رغبته في معرفه المزيد عنها؟ ولماذا يمنعه القدر عن تنفيذ رغبته بطريقة تزيد تلك الرغبة إلحاحاً؟ وكلما ازدادت رغبته وازداد معها عناد القدر، ازدادت كرامته ثورة وحنقا، لطالما زهد فيما أحس أنه لن يناله، ولم يتمن إلا ما كان في متناول يده، أما أن يتمنى شيئاً ولا يناله ولا يستطيع حتى أن يزهد به فهو ما لم يعتده من قبل. ثم عادت كرامته تثور مرة أخرى، ما هو هذا الذي يتمناه؟ أن يعرف عنها المزيد ويتحدث معها؟ ماله ومالها؟ ليس بها شيء مختلف يجعله يفكر فيها كل هذا الوقت، وماله يتمرد بسببها على روتينه اليومي؟ لطالما تناول طعامه بمقرده في مكتبه وأحبه وأحب عمله وعزلته؟ لماذا يأتي اليوم الذي يتمرد فيه على كل هذا؟ لا، سيعود إلى ما اعتاده، إلى عمله وحبه له وتفانيه فيه، سيأكل طعامه بشهية مثلما يفعل كل يوم.

هكذا أقنع نفسه وشحن عزيمته، تناول السندويش في إصرار لا مبرر له وقضم منه بحماس ملاً كل حواسه وأثر على حركة أصابعه التي أخذت تتحرك فوق لوحة المفاتيح حركة مجنونة ظهرت في شكل حروف وكلمات على الشاشة البيضاء.

(١٠)

أما في مكتب منصور أبو بلاط في المقر الرئيسي للمجموعة كان التوتر هو سيد الموقف، الموظفون ينحاشون الاقتراب من المكتب منذ أن دخله شفيق الذي أتى ليتابع سير العمل قبل أن يتوجه إلى عزاء عمر مكرم في المساء. تملؤه شحنات من التوتر والانفعال غمرت المكان كله من حوله ومألت أيديا بشعور من الخوف والقلق والاستعداد التام لأن تهب إليه في أي لحظة يطلها فيها دون تكاسل حتى تتجنب غضبه الذي بدا قريبا جدا في تلك اللحظات، والذي ظهر واضحا في صوت صراخه الذي ملأ حجرته ووصل إلى أيديا فزادها انكماشاً وهي تستمع إليه وهو يهتف في سماعه الهاتف صارخا:

- لا يا رأفت، مش هينفع تيجي العزا النهارده يعني مش هينفع تيجي.

!؟ -

- ليه؟ عشان طول ما أنا مش في المستشفى إنت لازم تفضل عيليا هناك، ولا عاوزنا نسيب منصور

ببه هناك لوحده يا بني آدم إنت؟

ثم ازدادت عصبيته وهو يقول:

- وبعدين إنت عاوز تيجي تعزي مين؟ يارا اللي ماتعرفكش أساسا؟

!؟ -

- رأفت، أنا مش ناقصك النهارده خالص، هي كلمة واحدة، إوعي تسيب المستشفى مهما حصل.

وضع السماعة في عنف وعاد إلى الأوراق التي أمامه، عندما طرقت أيديا الباب ودخلت في خطوات

بطيئة مترددة حتى وقفت أمام المكتب، دون أن يرفع رأسه قال محاولاً ضبط نفسه:

- فيه حاجة يا أيديا؟

ازدردت ريقها لتبلل حلقها الجاف قبل أن تقول:

- أستاذ هاشم برا ومصمم يقابل حضرتك.

رفع رأسه وفرك جبهته وقد ملأ الضيق وجهه بعدما أدرك أن هاشم لن يبدأ حتى ينال ما يريد، زفر

قبل أن يقول:

- خليه يدخل.

- حاضر.

همت بالاستدارة لكنها توقفت لحظة مترددة قبل أن تتساءل في توجس:

- مستر شفيق هو أنا برفع آجي العزا النهارده بالليل؟

ابتسم رغما عنه دون أن يرفع رأسه من على الأوراق. أدرك أنها تعقد المقارنة بين نفسها وبين رأفت

فقال متبسطا:

- أيوه طبعا يا ليديا، أنا مش هاقعدك في المكتب بالليل يعني.

ابتسمت مطمئنة قبل أن تخرج من الغرفة مسرعة. مضت لحظات قبل أن يدخل هاشم. طويل

عريض الكتفين، تنجلي ضخامته في بذلته الرمادية الأنيقة وخطواته المتحمسة التي قطع بها

المسافة بين الباب والمكتب، حتى جلس أمامه وهو يقول في نبرة طبيعية كأنه لا يشعر بكل ما يحدث

حوله:

- مساء الخير يا أستاذ شفيق.

فرقع شفيق رأسه متناقلا. وصمت لحظة بدافيا الإنماني واضحا على وجهه قبل أن يقول:

- مساء النور يا أستاذ هاشم. خير؟

- أنا أول ما عرفت إن حضرتك هنا جيت على طول علشان نحدد معاد اجتماع مجلس الإدارة.

فزفر شفيق محاولا كظم غيظه وغضبه قدر الإمكان. قبل أن يقول في لهجة متوعدة:

- مش ليديا قالت لحضرتك إن أنا مش هاتكلم في الموضوع ده. لكن أما كل إجراءات الدفن والعزا

تخلص؟

فقال هاشم شبه متحد:

- الدفنة خلصت النهارده الصبح يا أستاذ شفيق. وأظن ماقيش مانع نحدد معاد مجلس الإدارة

دلوقتي؟

نظر شفيق إلى ساعة معصمه قبل أن يقول محاولا الحفاظ على هدونه:

- أستاذ هاشم أنا قدامي بالظبط نص ساعة أخلص فيها كل الورق اللي قدامي ده قبل ما أطلع

على عمر مكرم. كل اللي أقدر أقوله لك دلوقتي هو إنك لو عاوز تكسب وقت ممكن تنسق مع باقي

أعضاء مجلس الإدارة وتبلغ ليديا بالمعاد اللي اتفقوا عليه.



ثم استطرد في حزم:

- وقول لها تبلفني بالمعاد بكرة الصبح لأنني مش هاتكلم في الموضوع ده قبل ما العزا يخلص خالص.  
فحرك هاشم رأسه موافقا بعدما أدرك أنه لن ينال اليوم أكثر من ذلك ثم نهض وهو يقول خاتما  
الحديث:

- حاضريا أستاذ شفيق، بعد إذتك.

خطا بضع خطوات نحو الباب، لكنه توقف قبل أن يبلغه واستدار مرة أخرى ونظر نحو شفيق وهو  
يقول في نبرة جادة وإن لم تغل من توسل:

- بس أرجوك، المعاد اللي نتفق عليه ماتأجلوش، المجموعة من غير رئيس مجلس إدارة، موقفنا  
وحش مع العملاء، وأكد حضرتك أكثر واحد عارف قد إيه خبر مرض منصور بيه والخلل اللي  
حصل أثر على سمعتنا وبالتالي أسعار أسهمنا في البورصة.

نظر شفيق إليه في هدوء بعد تلك النبذة المتوسلة التي خاطبه بها هاشم وقال:

- حاضريا أستاذ هاشم.

خرج هاشم من الغرفة وترك شفيق غارقا في حيرته. كل ما قاله صحيح، منذ دخول منصور بك في  
الغيبوبة وموقف مؤسسة أبو بلاط يتدهور بسبب كل ما يحدث. أعضاء مجلس الإدارة متدمرون،  
يريدون عقد مجلس إدارة عاجل لإنقاذ الموقف وهو أولهم، لكن الفرق بينهم وبينه هو أن أحدهم لا  
يتحمل مسؤولية ربما واستقبالها ودقنها وتنظيم عزائها، تلك المسؤولية المرهقة التي ألقيت على  
عاتقه وحده والتي لولاها ما لجأ إلى يارا ولا أفشى سر منصور بك الذي ظل مختبئا لمدة ثلاثة  
وعشرين عاما، قبل أن يظهر فجأة مقتحما حياته بشراسة غير متوقعة في الصحف والإعلام فلم  
به كل الناس، كل الناس، يا للسخرية، يخنى ابنته أعواما لا يدري بوجودها حتى أقرب المقربين له،  
وعندما تظهر، تظهر أمام الناس كلها وليس فقط المقربين منه، ويجد شفيق نفسه وحيدا وسط  
كل ذلك، يتحمل تبعات كل ما فعله منصور بك في حياته وحده بينما يغط منصور بك نفسه في  
نوم عميق.

- متى ينتهي هذا الكابوس؟

هكذا هتف لنفسه قبل أن يفر ويعود إلى ما أمامه من أوراق وملفات.

عندما انتصفت الثامنة مساء كانت كل الشوارع المفضية والمحيطه بمسجد عمر مكرم ممثلة بالسيارات الفارهة وسيارات الحراسة ذوات الزجاج "الفيديه" الأسود الذي يحجب ما خلفه فيزيد المشاهد قصبولا وتطفلا.

و أمام المسجد وقف رجال الحراسة أنفسهم. طوال القامة ضخام. مفتولو العضلات. في بذل سوداء لا تقل أناقة عن بذل من يحرسونهم. وفي آذانهم سماعات بلاستيكية مثبتة بعناية حتى لا تسقط من جراء تلفهم المستمرمينة ويسرة باحثين بعيونهم عن أي شيء قد يثير الشكوك.

في الداخل. جلس المقرئ مترعا على ديوان وثير أمام مكبر الصوت. ينطلق صوته الرخيم القوي بالأية تلو الأية فتشق الصمت الذي لاذ به كل من يجلس في قاعة الرجال. صمت يستحق المشاهدة والتأمل. وزراء ودبلوماسيون ونواب مجلس شعب ورجال أعمال لا يكتفون عن الظهور والثرثرة المستمرة في وسائل الإعلام. جلسوا كلهم صامتين كأن على رؤوسهم الطير يستمعون إلى التلاوة أو يتظاهرون بذلك. وفي أول القاعة وقف شفيق وهاشم ويحيى يتلقون العزاء ومعهم بعض أعضاء مجلس الإدارة وموظفي الشركة وكريم الذي أصر على مرافقة يارا حتى نهاية اليوم. أما في قاعة السيدات جلست زوجات كل من في قاعة الرجال. بالإضافة إلى بعض سيدات عائلة أبو بلاط في ثياب فاخرة أنيقة وعطور تطاير شذاها واختلط حتى ملأ المكان كله.

أما يارا فكانت جالسة في أول القاعة. بعد أن ظلت فترة طويلة واقفة تتلقى العزاء والتحيات. تنظر شاردة إلى السجادة الملونة تحت قدمها وبجانها جلست داليا. بطولها القارع وقوامها المتناسق وقد خلا وجهها الأسمر وعيناها السوداء من المساحيق فبدت بشعرها المقصوص "الأ جارسون" والمصبوغ بأحمر قان وكأنها امرأة في منتصف الثلاثين رغم أنها لم تبلغ الثلاثين بعد. وخزت يارا وخزة خفيفة لتنتهها. قبل أن تقول هامسة وهي تسترق نظرات مفتاظة إلى ما حولها:

- إيه الفرع اللي إحنا قاعدين فيه ده؟ كل هانم لابسة ومتشبكة وعلى سنجة عشرة.

فالتفتت إليها يارا وقطبت حاجبها معاوله استعادة وعيها واستيعاب ما سمعته قبل أن تتساءل:

- إنتي بتتكلمي عن إيه يا داليا؟

- باتكلم عن هوانم المجتمع اللي مش جاين بعزوا، إنما جاين يتفرجوا على بنت منصور بيه اللي ظهرت فجأة وبقت حديث المدينة.

فاسترقت يارا نظرة خاطفة نحو النساء الجالسات حولها، لم تكذب داليا، كلهن يتفحصنها ويكدن يثقبنها بأعينهن، هل أصبحت "فرجة" حقاً؟ سامحك الله يا منصور بك. زفرت في حمرة قبل أن تقول داليا ساخرة:

- أول مرة أشوف "سيدات الروتاري" اللي بيقولوا عنهم.

كتمت يارا ضحكة كادت أن تنطلق منها قبل أن تقول مؤنبة:

- يا داليا كفاية بتضحكيني. شكلنا هيبقى وحش.

فابتسمت داليا قبل أن تقول في استهتار:

- اضحكي ياختي اضحكي، ما احنا قاعدين في عيد ميلاد.

كتمت يارا ضحكة أخرى حاولت أن تخفيها عندما أبصرت فتاة تدخل من الباب وتنتجه نحوها لتعزبها، كانت تبدو أنها دون العشرين، بيضاء ممتلئة امتلاء معقولا برز جماله في وجنتيها المتوردتين من أثر هذا الامتلاء، وقد جمعت شعرها الأسود في عقدة واحدة خلف رأسها "ذيل حصان" في وقار يتناسب مع الموقف. وقفت يارا وقد استرد وجهها جديته ومدت يدها لتحبي الفتاة التي قالت:

- البقية في حياتك.

- حياتك الباقية، شكراً.

فتشجعت الفتاة قليلا قبل أن تقول:

- أنا ندى العجرودي، كنت زميلة ربما في المدرسة، ال secondary school في لندن.

- أهلا وسهلاً.

- أنا وربما كنا المصيريين الوحيدين في المدرسة، عشان كده معظم صحابها مش موجودين في مصر وماجوش العزا.

- ما أنا خدت بالي.

فلاحت ابتسامة على وجهها وهي تنساءل:



- انتي يارا صبح؟

فابتسمت يارا وقد ظننت أن الفتاة تريد أن تتأكد مما تقرأه في الجرائد قبل أن تقول:  
- أيوه أنا.

- ربما كانت بتتكلم عنك. ساعات.

فنظرت إليها يارا في دهشة شديدة ملأت كل ملامحها. قبل أن تقول في نبرة متقطعة تمتلئ  
بالاستنكار:

- ربما! كانت بتتكلم عني أنا؟!

فانتسعت ابتسامة الفتاة وهي تقول في حماس:

- أيوه. كنت باسمعها وهي بتقول إن ليا أخت عايشة في مصر عمرها ما شافتها. وإن نفسها لما  
تزل مصر تاني إنها تقابلها وتتعرف عليها.

ثم تلاشت الابتسامة قبل أن تقول في حزن:

- بس للأسف ما لحقتش.

لم تستطع يارا أن تنطق بكلمة. كانت الدهشة قد ملأت كل حواسها وأصابها بالشلل. بصعوبة  
شديدة تماكنت نفسها وأخفت دهشتها وهي تقول مجاملة:

- ماعلش. الله يرحمها.

- يارب. بعد إذنك.

دخلت الفتاة وجلست على مقعد في آخر القاعة بينما جلست يارا مستغرقة في دهشتها وخوابطها  
المتخبطة في رأسها. أحقا كانت ربما تتحدث عنها؟! وكانت أيضا تريد أن تراها وتتمنى ذلك؟! لماذا؟! أين  
الصورة التي رسمتها يارا في مخيلتها عن هذه الأسرة؟ صورة جافة لناس بلا قلب أو شعور.  
يأبون أن يعترفوا بعلاقتهم بها ويترفعون عن مقابلتها أو الاهتمام بأمرها. أيمن أن تكون هذه  
الصورة خاطئة. علي الأقل من جانب ربما؟ أيمن أن تكون تلك الفتاة الصغيرة تحمل في  
جوانحها قلبا رقيقا يتطلع إليها بحب ليس له أي دافع سوى معرفة أخت بعيدة حرمت منها؟ إنه  
شيء لا يصدق. لكن تلك الفتاة تبدو صادقة. تتحدث بثقة ومودة حطمت تلك الصورة التي ظلت  
يارا ترسمها في مخيلتها عمرها كله. سمعت صوت داليا كأنه قادم من بعيد وهي تهتف قلقة:

يارا، مالك؟ إنتي كويسة؟

الذمتت نحوها وقد تخبطت الأفكار في رأسها وعقدت لسانها فلم تدر حتى كيف تجيب على هذا السؤال السهل. فتحت فمها لتتحدث لكنها لم تعلم ماذا تقول، ظل فمها مفتوحا دون أن تنطق وهي تحمق في وجه داليا دون أن تستطيع أن تخرج نفسها من الدهشة التي سيطرت عليها.

أماقت عندما أحست بإحداهن تقف أمامها وسمعتها وهي تقول:

- أئمة يارا.

رفعت عينها ونظرت نحو وجهها الأبيض الجميل وشعرها البني القصير فبدأت تعود إلى الواقع الذي انفصلت عنه للحظات، تماكنت نفسها ووقفت وهي تجيب:

- أيوه.

- البقية في حياتك.

- حياتك الباقية، شكرا.

- أنا ليديا سكرتيرة منصور بيه ومديرة مكتبه.

فنظرت إليها مليا وكأنها تكتشف في وجهها عالما جديدا ثم ابتسمت وهي تقول مجاملة:

- أهلا وسهلا يا ليديا.

فابتسمت ليديا وهي تقول معتذرة:

- أنا أسفة إنني ماجتش الصبح الدفنة.. بس مستر شفيق مابيجليني ش أسيب المكتب مهما حصل.

- ولا ييمك، ربنا يكون في عونك.

- شكرا، بعد إذنك.

ذهبت ليديا من أمامها وتركتها لتعود إلى الدهشة والحيرة من جديد، كأنها كانت في غيبوبة، لا تعلم شيئا عن حياتها وأقرب المقربين لها، أ يوجد أحد في هذه الدنيا لم يراها وأخته مثلها؟ أليس هذا دليلا على أنها هي الغريبة ليس الآخرون؟ هي المختلفة الشاذة عن كل ما يدور في تلك الدنيا الواسعة.

لم تشعر كم من الوقت مضى وهي تفكر، لم تع ما حولها إلا عندما وكرتها داليا لتنتهيها إلى أن المقرئ قد انتهى من قراءة الربع الثالث وأن بعض المعربات قد أتت ليحييها قبل أن يرحلن.

(١٢)

عندما دخلت المنزل ألقت بنفسها على أول أريكة وجدتها في الصلاة أمامها. خلعت الحذاء الأسود ذا الكعب العالي وأمسكت بأصابع قدميها لتهدئ من الألم الذي تشعر به من أثر هذا الكعب الذي لم تعتد أن ترتديه كثيرا مثلما فعلت اليوم. استلقت وأغمضت عينيها وتركت جسدها يسترخي فأحسست بكم الإرهاق الذي أصابها اليوم عندما بدأت الراحة تنتشر في أوصالها. وعلى الرغم من أنها بدأت تشعر بتخدير لذيد في أطرافها إلا أن عقلها ظل يؤرقها ويمنعها من أن تهنا بتلك الراحة التي تحتاج لها منذ أول اليوم. كان هناك قرار تريد أن تأخذه، أو أخذته بالفعل ولكن تنقصها الشجاعة لتنفيذه. قرار غريب لا تعلم متى أنت فكرته في مخيلتها؟ ربما عندما تحدثت إليها تلك الفتاة "ندى" وكشفت لها جزءا من جانب في حياتها كانت تظن أنها تعلمه. فأصابت معتقداتها بزلزال عنيف جعلها تعيد التفكير في كل شيء بل وتفكر أيضا في أن تخاطر بمحاولة اكتشاف المزيد، والمزيد من العلم يعني مزيدا من الحيرة والالتباس وربما أن تنقلب كل حياتها وأفكارها رأسا على عقب. لكن كل ذلك لم يستطع أن يثنيها عما اعترمت به وحاولت أن تقاومه دون فائدة. حاولت أن تمنع نفسها بأنها متعبة اليوم فلا داعي لمزيد من التعب، لكنها ابتسمت في سخرية لأنها تعلم أن إرهاقها هذا ليس قاتلا وأنه يمكنها أن تتعامل على نفسها وينفذ فكرتها. فكرت في أن الوقت متأخر ونظرت في ساعة معصمها لتتأكد من ذلك. كان الوقت بالفعل بالليل. لكنها لم تشعر حقا بالليل. وكأن منتصف الليل. وكان مقاومتها تلك ما هي إلا مقاومة ترضي بها غرورها دون اقتناع كامل بها. ففجأة، أدركت أنها لن يغمض لها جفن الليلة دون تنفيذ ما اعترمت به. وأنه من الأفضل لها أن تهض الآن بدلا من أن يسرقها ترددها فتضطر إلى تنفيذ ذلك في الفجر. ملأها حماس عجيب فهضت مسرعة وأخرجت حذاء آخر مربعا بلا كعب. ارتدته وأخذت حقيبتها وخرجت قبلما تغلق باب الشقة في عنف لا يتناسب مع الهدوء الذي شمل العمارة في تلك الساعة المتأخرة من الليل.

استقلت سيارتها وقادتها حتى توقفت عند بائع ورد يهيم بإغلاق المحل. قفزت مسرعة وتوسلت إليه بنبرة متعجلة أن يعد لها باقة ورد صغيرة. تعجب الرجل لكنه لم يجد بدا من أن ينفذ لها طلبها مسرعا. وضعت الورود البيضاء بجانبها وقادت السيارة مسرعة في الشوارع التي كانت لا تزال



ممتلئة بالساهرين. فتحت الزجاج وتركت هواء الليل البارد يلفح وجهها بعنف لتفتيح وتستعد لما هي مقدمة عليه دون خوف أو تردد. لم يكن من العسير معرفة في أي مستشفى يرقد منصور بك. كل من كان في العزاء كان يردد اسم المستشفى وسط الأحاديث الكثيرة التي تردت بالقرب من مسامعها اليوم. كانت تطوي الأسفلت مسرعة وكأنها تسابق نفسها التي بدأت تشعر بالخطر عندما اقتربت بالفعل من تنفيذ هذا القرار. "أن ترى أباهما!"

كانت كل المطاعم والمحلات في مصر الجديدة لا تزال تتلألأ بالأنوار وتعج بالناس الذين نسوا الزمن في غمار تلك الحياة الليلية الصاخبة، على عكس طريق المطار الذي كان شبه خالي حيث لم تجد صعوبة في العثور على المبنى. تركت السيارة وترجلت منها. دخلت المستشفى في ثبات ممسكة بيدها باقة الورود البيضاء، وبعد دقائق كانت تقطع الدهليز المؤدي إلى غرفة منصور بك بالعناية المركزة. كان يحيى واقفا معطيا ظهره للدليلز. أمامه رأفت وبجانبيهما شفيق الذي كان منهمكا في الحديث عندما التقت دون قصد منه نحو اليمين، فصمت فجأة واتسعت عيناه في دهشة وهو يهتف متسائلا:

- يارا؟!

تطلع رأفت نحوها في فضول، بينما التفت يحيى بجسده في دهشة خفق لها قلبه عندما سمع شفيق يهتف بالاسم. وازدادت تلك الدهشة عندما رآها أمامه بالفعل واقفة في ثبات، بنفس ملابسها السوداء، في يدها باقة ورود وعلى وجهها شبح ابتسامة حاولت السيطرة بها على نفسها أمام تلك الدهشة التي قبولت بها. والأدهى من ذلك، أن تكون جاءت بمفردها إلى هنا في تلك الساعة المتأخرة من الليل.

لم يطل الصمت كثيرا، تقدمت يارا نحوهم والابتسامة لا تزال على وجهها وهي تقول:  
- مساء الخير.

فرد ثلاثهم التحية والدهشة لا تزال على وجوههم، بينما تخلص رأفت من دهشته وهو يسارع قائلا:

- البقية في حياتك يا يارا هانم، أنا رأفت، أسف إنني ماعرفتش آجي العزا النهارده، بس أصل الأستاذ شفيق مابخيليتيش أسيب منصور بيه لوحده في المستشفى مهما حصل.

ابلتسمت وهي تقول مجاملة:

- متشكرة قوي يا أستاذ رأفت.

ثم التفتت نحو الوجهين الآخرين المتطلعين إليها في دهشة وقالت وهي تشير نحو باب العناية المركزة:

- هو أننا ممكن أدخل؟

فقال شفيق مسرعا:

- أه طبعاً ممكن، بس، دلوقتي؟

فرفعت حاجبها وهي تتساءل متحفزة:

- فيه مانع؟

فأجاب شفيق في استسلام:

- لا أبداً، بس، يا ريت ماتطوليش عشان ده مش معاد زيارة.

- حاضر.

دخلت حجرة العناية المركزة وقلتها يكاد يتوقف من شدة الخفقان. حاولت أن تضبط صوت تنفسها الذي تسارع بشدة، وعلا كما اقتريت من الفراش الأبيض الذي رقد عليه الجسد الضخم، وقد تغطى نصفه بغطاء أبيض وبقي النصف الآخر عارياً، وقد ألصقت عليه تلك الدوائر الملونة الموصولة بغيوط رفيعة بعدة أجهزة تصدر أزيزاً متواصلاً كدليل على أن هذه الكتلة المسجاة حية لم تمت بعد. بيدني مرتعشتين وضعت الباقية على طاولة قريبة وهي تحاول ضبط نفسها قبل أن تقوم بالخطوة الأخيرة والأصعب، خطوة التقدم أكثر بحيث تصبح بجانب الفراش مباشرة فتستطيع رؤية هذا الوجه الذي لم تره في الحقيقة من قبل.

أخذت نفساً عميقاً وتعالّت دقات قلبها وهي تخطو نحو مقدمة الفراش، وأته، نفس البشرة البيضاء والشعر عميق السواد الذي جمع بين ثلاثتهم "منصور وبارا وربما" على الرغم من الدنيا التي فرقتهم. تأملت هذا الوجه - الذي يشبهها رغم كل شيء - وقد عقدت ذراعها أمام صدرها كأنها تمنع بهما مشاعرها المتناقضة الهانجة من الانفلات.

ضغطت شفرتها وهي تنظر إلى أعلى بعينين مغرورقتين. لماذا أتيت؟ لماذا أفعل بنفسني كل هذا؟ ألم يكن من الأفضل أن يلتقي كل ذلك كأنه حادث عابر أستكمل حياتي بعده دونما تغير؟ لماذا

استسلمت لفضولي واستغلالي لغيبوبته لأطلع على هذا الوجه الذي ظللت أمقته عمري كله؟ لماذا لم أكن رحيمة بمشاعري؟

- يا أنسة.

انتفضت على صوت الممرضة التي طليت منها مترفة أن تغادر في هدوء. أقلت نظرة أخيرة سريعة قبل أن تخرج وهي تجر قدمها في ومن وقد اعترها ذهول شديد وألم لم تعلم له سببا محددًا. أقلت بنفسها على الأريكة دون أن تلتفت إلى يحيى الذي كان ينتظرها مستندا على الحائط الملاصق للحجرة. هو أيضا كان غارقا في دوامة من الأفكار المتضاربة. يقاومها فتطحنه في عنف وشراسة. ألم يثر على نفسه في الصباح فهذهها وقومها؟ ألم يقرر أنه لن يفكر فيها أكثر من اللازم مرة أخرى؟ أنه لن يشغل نفسه بما لا مبرر له أو طائلة منه؟ واستطاع أن ينفذ ذلك خلال العزاء بالفعل. ماذا حدث؟! كيف انهار هكذا؟! كيف استطاع هذا الوجه الأبيض الشاحب الحزين أن ينكصه عن عزيمته؟ وكيف انهارت حصون مقاومته أمام تلك العينين العسليتين الحائرتين؟ لماذا لم يذهب مع شفيق ورأفت وفضل أن يبقى هنا في انتظارها؟ إنه يعلم الإجابة. ليطمئن عليها. من باب الذوق والأدب. كفى خداعا! إنه قلق عليها بالفعل. وإن لم يكن قلقا قلم إذاً يشعر بقلبه مضطربا بتلك الطريقة. اضطرابا لم يعهده بنفسه من قبل. أه يا يحيى! أول مرة تجد نفسك غير قادر على تفسير مشاعرك. وعلى الرغم من ذلك تنفذ كل ما تمليه عليك بلا تردد أو تفكير. لا تنكر. إن لم يكن ذلك صحيحا لماذا إذا تتحرك الآن نحوها في تردد وتجلس بجانبها وكل ما تتمناه في تلك اللحظة هو أن ترفع رأسها لترى وجهها؟

أحست بشخص يجلس بجانبها. فرفعت رأسها ونظرت بعينين محمرتين انحبست فيما الدموع نحو يحيى الذي ابتسم محاولا أن يطمئن نفسه قبل أن يخفف عنها. ابتسمت في عناء مما شجعه على أن يبدأ الحديث مستفسرا في تودد:

- أول مرة تشوفيه وهو في المستشفى؟

اتسعت ابتسامتها وأسندت رأسها إلى الخلف وهي تقول في نبرة ساخرة:

- أول مرة أشوفه في حياتي كلها.

رفع حاجبيه في دهشة وهو يتساءل متعجبا:



- عمرك ما شفني باباكي قبل كده؟!

فهزت رأسها نافية وابتسامة المرارة لا تزال على شفتيها، وجد نفسه يكسر كل القواعد التي اعتادها، أحس أنه شخص آخر. إنسان فضولي يسأل ويستفسر ويتحدث في تناسب لا يتناسب مع حرج الموقف، رغبة عجيبة في أن يتحدث ويستمر حديثه معها بلا نهاية. من أين أتت تلك الجرأة؟ ربما لأنه وجد ما تمناه الصباح في المطار ومنعه ظهور كريم يتحقق الآن. وأجمل مما كان يتمنى، ربما هذه السعادة هي التي أيقظت تلك الجرأة التي دفعته إلى أن يتساءل وقد ثبت عينيه بداخل عينها المسترخيتين من التعب والحزن:

- ليه؟

لم يفاجئها السؤال ولم تشعر بضيق منه، أجابت في بساطة وكأنها تتحدث مع شخص تعرفه منذ سنوات:

- إذا كان هو ما حاولت يشوفني قبل كده، يبقى أنا أحاول أشوفه ليه؟

هز رأسه مقتنعا بإجابتها، لكنه وجد نفسه يسألها دون تفكير:

- وليه اللي خلاكي تبجي تشوفيه النهارده؟

مطت شفتيها وهزت رأسها قبل أن تقول:

- ماعرفش، أنا نفسي بأسأل روجي السؤال ده، ومش لاقية إجابة، يمكن عشان لقيت فرصة إني

أشوفه من غير ما هو ما يشوفني ولا يعرف إني موجودة أصلا؟

صممت لحظات مفكرة قبل أن تقول في شرود:

- بس أنا كان ممكن أعمل كده من زمان، كان ممكن أروح أسلم عليه في أي حته وأتكلم معاه، وهو

ماكانش هيعرف إن اللي واقفة قدامه دي تبقى بنته.

- وليه ماعملتيش كده؟ ما دام إنني عاوزه تشوفيه؟

رفعت رأسها وعقدت ذراعها أمامها وهي تقول في ضيق:

- أنا عمري ما حسيت قبل كده إني عاوزه أشوفه، بالعكس، أنا كل مصيبة حصلت لي في حياتي

وكل ألم حسيت بيه كان لازم يكون هو سبب مباشر أو غير مباشر له، مابقيلتش عارفة أحبه ولا أكرهه.

ابنسم وهو يقول مستنكرا:

- تحبيه؟! بعد كل اللي على وشك ده ولسه بتتكلمي على حب؟

عادت ابنتسامتها وهي تقول موضحة:

- عارف، أنا مافيش عيد ميلاد عدى عليا من غير ما بيعت لي فيه هدية حلوة، مبلغ محترم كان

بيتحط في رصيد ماما الله يرحمها في البنك عشان مصاريفي، أحسن تعليم، أحسن عربية، توصية

أول ما اتخرجت عشان أتعين في الوظيفة اللي أنا فيها دي. حتى لما اتخطبت لكريم، بعث لي هدية

طقم ألماظ عمري ما شفت في جماله قبل كده.

خفق قلبه عندما سمع اسم كريم، تساءل محاولا إخفاء اضطرابه:

- كريم ده اللي شفناه الصبح في المطار؟

هزت رأسها بالإيجاب، ثم استكملت دون أن تنتبه إلى ما كابده يحيى ليكنتم فضوله ومشاعره

وأسلته ليبدو طبيعيا:

- بس كل اللي كان بيعمله ده كان من بعيد، فلوس من بعيد، هدايا من بعيد، وحتى الوساطة من

بعيد. كأننا مثلا ماسكين عليه زلة وبيدفع لنا عشان نفضل ساكتين.

ثم صممت وعادت إلى شرودها قبل أن تقول:

- بعد كل البعد ده ألاق نفسي مزروعة وسط مشاكل منصور بيه ومسؤولة عن استلام ودفن وعزا

أخت عمري ما شفتها ولا عرفتها ولا حسيت بوجودها في حياتي قبل كده.

حاول أن يتحدث، لم يجد كلاما ليقوله، لكنه فوجئ بها تسترسل في وصف ما بداخلها قائلة في نبرة

مطمئنة:

- بس عارف؟ مش هي دي أكثر حاجة أنا مستغريها في اللي بيحصل ده.

- أمال إيه هي أكثر حاجة مستغريها؟ -

فزفزت قبل أن تقول:

- أنا عندي ستة وعشرين سنة وأول مرة أخذ بالي من غرابية حياتي. أنا عندي أب وأخت ماعرفش

عتم أي حاجة، أول مرة أشوف أختي تبقى وهي ميتة وأول مرة أشوف أبويا يبقى وهو في غيبوبة.

هي الحاجات دي بتحصل للناس الطبيعيين؟! بدمتك دي مش حاجة غريبة؟!!

فابتسم وهو يقول:

- هي حاجة غريبة، بس الأعراب منها إن دي أول مرة الاقي فيها واحدة ست بتقول سنها عادي كده في وسط الكلام.

ضحكت ضحكة صافية طردت بها كل ما بداخلها من هموم وهي تقول:

- لعلمك بقى، فيه رجالة بيخبوا عمرهم الحقيقي يمكن كمان أكثر من الستات.

- معقولة؟

- آه والله.

- أنا مصدقك، بس إيه يعني اللي بيخلي راجل يخبي سنه؟

- نفس اللي بيخلي الست تعمل كده.

فرقع إصبغه معترضاً وهو يقول:

- لا ماعلش، فيه فرق.

فانتصبت يجذعها وهي تقول متحفزة في استنكار:

- يا سلام؟ إيه الفرق بقى إن شاء الله؟

فالتسعت ابتسامته عندما رآها تتخفز ضده وهو يقول:

- الفرق إن الراجل مش محتاج يخبي سنه لأن الستات مايجتمش بسن الواجل إنما الست بتخبي سنها لأن الرجالة تافهة. بيتم بسن الست.

انطلقت ضحكاتها تشق صممت المستشفى، بدت شينا غريباً في مثل تلك الساعة المتأخرة وهذا المكان الغريب أمام العناية المركزة، لكنها كانت ضحكات صافية جعلت الممرضة المناوبة تركبهم دون أن تعترض، بل وتبتسم وتحاول إخفاء تلك الابتسامة خلف النعاس الذي غشي وجهها وعينها المتعبتين.

قال وهو يحاول الانتهاء من الضحك:

- أيوه يعني هو أنا هاضحك عليكي؟ أنا ياما ورد عليها أشكال من النوع ده.

سعلت من أثر الضحك قبل أن تقول:



- إذا كنت إنت مستغرب من إن فيه واحدة ست بتقول سنها عادي، فأنا مستغربة من إن فيه راجل يقول الكلام ده بصراحة كده.

- يااه! ده إنتي فكرتك وحشة قوي عن الرجالة.

- لا والله ما قصدي، أنا كنت باهزر.

فابتسم وهو يقول:

- على العموم وبعبدا عن أي حاجة، أنا راجل آه، بس صريح جدا.

فقالته مداعبة:

- أبوه صح، طول ما إنت صريح كده إن شاء الله هتبقى وزير خارجية.

ثمادا إلى الضحك مرة أخرى، ربما لم تكن الدعابات تستحق كل هذا الضحك، لكن سعادته بما

يدور بينه وبينها من حديث وسعادتها بأنها وجدت من يخفف عنها وطأة هذا اليوم المرهق،

جعلهما يضحكان بشدة، ضحكات ولدت بداخل قلوبهما وخرجت إلى العالم صافية لتضفي على

كل شيء سحرا غريبا وجميلا لم يعلماه من قبل.

بالتدرج خف ضحكها حتى توقف، أسلمت نفسها لشروء مؤقتة تذكرت خلاله هذا الوجه الأبيض

الجميل الذي واره التراب منذ ساعات قليلة، أحست أنها تريد أن يشاركها إحساسها هذا ولكن

بطريقة غير مباشرة، وجدت نفسها تسأله محاولة إبقاء الابتسامة على شفيتها:

- إنت عندك إخوات؟

فهم ما تفكر فيه وما ترمي إليه بسؤالها لكنه تجاهل هذا وأجاب مبتسما:

- أبوه، أختين أكبر مني.

رفعت حاجبها في دهشة وهي تسأل:

- إنت الصغير؟! وكمان ولد على بنتين؟

اتسعت ابتسامته وهو يقول:

- أبوه، بس مش زي ما إنتي فاكرة، مش متدلح والكلام الفارغ ده، أبويا الله يرجمه وأمي كانوا

متربيين تربية عسكرية وربوني زي ما هما اتربوا بالضبط، ده حتى يسرا ويمنى أخواتي البنات اتربوا

نفس التربية.

ابتسمت وهي تقول مفكرة:

- يسرا ويسرا ويسرا ويسرا، أساميكوا حلوة قوي.

- ماما هي التي كانت بتختار أسامينا.

كفت عن الابلسام وهي تقول:

- عارف؟ أنا ماعرفش مين اللي اختار اسمي، لما اتولدت كان ماما ومنصور بيه لسه متجوزين.

فرنا إليها مبتسما وقال في نبرة رقيقة:

- مش مهم، المهم إنه اسم حلو قوي ولايق عليك.

ابتسمت وأحنت عينها في محاولة لإخفاء أثر خفقان قلبها من على وجهها ووجنتها بينما أبعاد هو

عينيه بعدما أحس أنه أصاب وريح كثيرا بتلك النظرة التي رمقها بها.

حانت من بارا التفاتة نحو ساعة معصمها فقالت في تعجب شديد:

- ياه، الوقت متأخر قوي، أنا لازم أروح.

تهضت فنهض يحيى أيضا مشفقا من انتهاء هذا الحديث الذي كان يتمناه منذ الصباح، قال في

محاولة لخلق مزيد من الوقت:

- طب يلا عشان أروحك.

- لا لا أنا معايا عربية، مافيش مشكلة.

فقال متصنعا الحزم بينما هو من الداخل يدعو الله أن توافق على ما يطلبه:

- مش هتسوقي لوحك في ساعة زي دي.

فتعلمت قليلا قبل أن تقول في حرج:

- أيوه بس الوقت متأخر وأنا عايشة لوحدي و...

فقاطعها وقد ازداد الأمل بداخله:

- أنا هاوصلك بعربية وسواق الوزارة، وأظن الناس كلها عارفة الظروف اللي إنتي فيها.

لم تجد مخرجا من هذا الموقف، لقد سد أمامها كل الطرق، قالت في محاولة غير جادة للتهرب:

- أيوه بس عرييتي، هاسيها هنا إزاي في المستشفى؟

فمد يده نحوها وهو يقول:

- هاتي مفتاح عربيتك.

فذهرت نحوه في دهشة وارتياح من هذا الطلب، فقال مشجعا لها:

- هاتيه.

فمدت يدها في توجس وأخرجت المفتاح من القلادة وأعطته له. أمسك به وهو يقول في ثقة:

- بكرة الصبح هتلاقي العربية قدام باب بيتك والمفتاح مع البواب.

فنظرت نحوه مبتسمة في دهشة من تلك الثقة التي يتحدث بها، وقبل أن تفتح فمها لتتحدث أشار

لها لتسير وقال في حسم:

- بلا بينا.

سارت دون أن تعترض، كان بوسعها أن تجادل وتتهرب من هذا العرض، لكنها لم تفعل. في تلك

اللحظة لم تعلم لماذا لم تستمر في المحاولة، لكنها كانت راضية بما يحدث. أما يحيى فلم يعلم كيف

استطاع أن يسيطر على مشاعره طيلة طريقهما حتى باب السيارة، لو كان يمكن سماع صوت

خفقان القلب، لمأصوت قلبه حجرات تلك المستشفى كلها بالسعادة اللذيذة التي كان يشعر بها في

تلك اللحظة.

في السيارة، استمر حديثهما الضاحك، غير عابئين بالتعب الذي كان يملؤهما بعد هذا اليوم

الطويل المرهق. كيف استطاعت أن تنسى كل همومها؟ كيف نسي كل ما أغضبه في الصباح؟ لم

يحاولا التفكير في إجابة، لم يحاولا فعل شيء سوى الاستمرار في الحديث. وعندما وصلت السيارة

أمام باب العمارة، التفتت نحوه وقالت مبتسمة في امتنان حقيقي:

- شكرا يا أستاذ يحيى.

- على إيه؟

- كفاية إنك خلتي أروح مبسوفة رغم كل اللي حصل لي النهارده.

فابتسم وهو يقول:

- هي دي أهم حاجة بالنسبة لي.

وعندما ألقى بجسدها على الفراش والابتسامة لا تزال على شفحتها، كانت السيارة السوداء تطوي

شوارع القاهرة الخالية وبداخلها إنسان يشعر بسعادة عجيبة لم يجربها من قبل.



(١٣)

لم يكسر سعادتها في صباح اليوم التالي سوى تلك النظرات الفضولية التي أخذت تلاحقها منذ أن دخلت من باب الشركة، مالكم تنظرون إلي هكذا؟ أتروني لأول مرة؟ أم لأنكم علمتم السر الخطير الذي يصعب عليكم تصديقه؟ بالطبع، وكيف يمكن أن تصدقوا أن من تحيا بينكم منذ سنوات هي نفسها ابنة أغني وأشهر رجال الأعمال في مصر؟ يا ربا! كيف يمكنني أن أعيش في تلك الشركة مرة أخرى؟! سامحك الله يا منصور بك، لقد أفشيت السر الذي أحاول إخفاءه منذ أن دخلت هذا المكان، وهل تظن أنك وحدك من تحاول إخفاء تلك الحقيقة؟

أغلقت باب المكتب خلفها في عنف قبل أن تسترسل في سعال حاد بسبب رائحة دخان السجائر التي كانت تدخينها داليا، والتي التفتت نحوها بالمقعد المتحرك وقالت في دهشة:

- إنني إيه اللي جابك النهارده؟ مش كنتي تستريعي بعد تعب امبارح؟

فقال في ضيق من الرائحة وهي تتجه نحو النافذة:

- ما أنا قلت آحي أبص على الشغل وأمشي بدري.

ثم شرعت في فتح النافذة وهي تناول في ضيق:

- إنني مش هنبتلي سجاير بقى يا داليا؟! طب حتى افتحي الشباك، أنا هاتخفق.

فابتسمت داليا دون أن تحول عينها من على شاشة الكمبيوتر قبل أن تقول متعجبة:

- أول مرة أشوف حد كان بيشر ب سجاير ويكرهها كده بعد أما يبطلها.

فجلست يارا خلف مكتبها وهي تقول في سخرية:

- ما أنا ماكنتش باشربها عشان يا حيا، أنا كنت باشربها عشان أبقى cool وأعجب.

التفتت داليا نحوها وهي تقول متذكرة:

- آه صحيح فكرتيني، إيه بقى اللي جاب سي كريم ده إمبارح في العزا والدفنة وخلاه يقضي معاه الهوم كله؟

- ولا حاجة، أنا قابلته بالصدفة في المطار فمأحيش يسبيني لوحدي في ظروف زي دي.

فقلبت داليا شقتها ممتعضة وهي تقول:

- حنين قوي! بكرة ياختي يرجع بزن في موضوع زمان عشان ترجعي له.

- يا شيخه حرام عليكي. ده مراته وابنه لسه متوفيين من كام شهر وهو كان عنده أزمة نفسية بسبب اللي حصل.

- ما هو ده سبب ادعى بخله يبقى عاوز يرجع لك.

فقلت يارا في خبث لتثيرها:

- طب وفيها إيه أما أرجع له؟

فالتفتت داليا نحوها في عصبية وقالت في عنف:

- نعم ياختي؟ إنتي إيه ما عندكيش كرامة؟ إنتي ناسية اللي عمله معاكي؟

فقلت يارا مسرعة وهي تضحك:

- خلاص خلاص، أنا كنت باهزر والله. ماتخافيش أنا عمري ما هارجع لكريم تاني مهما حصل.

فقلت داليا في امتعاض دون أن تنظر نحوها:

- والله بقى إنتي حرة. اللي ببشيل قرية مخرومة بتخرع على دماغه.

- ما خلاص بقى يا داليا فيه إيه؟ قلت لك كنت باهزر.

ثم سادت لحظة من الصمت ترددت فيها يارا قليلا قبل أن تستجمع شجاعتها لتقول:

- دولي، عاوزه أحكي لك حاجة مهمة.

فزامت داليا لتحثها على الحديث دون أن ترفع عينها من على الشاشة التي أمامها، فضغطت يارا

على شفتها وأخذت نفسا عميقا وقد أخذ قلبها يدق بعنف قبل أن تقول:

- أنا رحيت المستشفى إمبراح لمنصور أبو بلاط.

فالتفتت داليا نحوها مندهشة وهي تقول:

- يخرب عقلك! رحتي إمتي؟

- إمبراح بعد ما رجعت من العزا نزلت تاني ورحت له المستشفى.

فعدت داليا حاجبها مستنكرة وهي تضع سيجارة في فمها وتشعلها ثم نقتت الدخان قبل أن

تسأل:

- طب وإيه اللي خلاكي تروحي؟

فقلبت يارا شفتها قبل أن تقول في حيرة:

- مش عارفة.

ثم زفرت قبل أن تقول شاردة وهي تتذكر ما حدث لها:

- بس كان إحساس غريب قوي يا داليا.

فبهضت داليا واقترت لتجلس بجانبها وهي تتساءل متوجسة:

- يارا! إنتي كويسة؟

فالتفتت نحوها وهي تتصنع الابتسام قائلة:

- ماتخافيش عليا أنا كويسة الحمد لله، أنا بس مستغربة اللي بيحصل لي. أول مرة أحس إنني بجد لوحدي في الدنيا، أول مرة أشوف أختي أبقي رايحة أدفنها، وأول مرة أشوف أبويا يبقى في غيبوبة ومش حاسس بوجودي.

ثم اشروقت عينها بالدموع وهي تقول في صوت مختنق:

- أنا محتاجة ماما قوي يا داليا، يا ربها كانت موجودة إمبراح، أنا حاسة إنني لوحدي.

فربت داليا على كتفها وهي تقول في حنان:

- خلاص بش يا يارا كفاية، ده أمر ريفنا، وبعدين إيه لوحديك دي؟ هو أنا مش مكفياكي؟

فمسحت يارا دموعها وقالت مبتسمة:

- إزاي بقي؟ ده لولاكي كان زماني اتجننت.

فقال داليا ضاحكة:

- لا ماتقوليش كده، إنتي مجنونة لوحديك أساسا.

أطلقت يارا ضحكة قبل أن تقول مستسلمة:

- خلاص بقي، كأنها كانت مغامرة وخلصت.

فأخذت داليا نفساً من السبخارة قبل أن تقول مفكرة:

- غاوية رأيك؟ مايتريأليش إن المغامرة خلصت خلاص.

فهمت يارا حاجبها مستنكرة وهي تتساءل:

- يعني إيه لسه ماخلصتش؟



- يعني مش معقول بعد كل البعد ده، ربنا بخلق المشكلة دي كلها ويدخلك فيها وتخرجي منها عادي كده.

فأسألت يارا متوجسة وقد نفذ صبرها:

- أبوه يعني إيه اللي ممكن يحصل؟

- ماعرفش، بس بتهيألي إن الحكاية لسه بتبدأ، مش خلصت زي ما إنتي فاكرة.

فأسندت يارا رأسها إلى الخلف وأغمضت عينها وكلام داليا يتخبط في عقلها كعاصفة. هل يمكن ذلك؟ تلك الدنيا الغريبة التي زلزلت كيائها عندما أطلت عليها فقط من بعيد. هل يمكن أن تجد نفسها فجأة غارقة في غمارها؟ كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ وهل سيحدث بالفعل كما تقول داليا في ثقة؟

ثم تذكرت تلك الفتاة التي قابلتها في العزاء، تذكرت كلامها الذي صدمها وأصابها بالحيرة، "ربما كانت بتتكم عنك ساعات"، "كان نفسها تشوفك وتتعرف عليك".

تذكرت منصور بك، هل يمكن أن يكون هذا الوجه الأبيض الشاحب القارق في الغيبوبة يخفي خلفه شيئا آخر غير مشاعر الكره والنفور التي طالما أحست أنه يشعرها نحوها هي ووالديها. استمادت كل المشاعر التي اجتاحتها البارحة بعدما رآته في المستشفى، ثم ابتسمت فجأة، ابتسمت عندما تذكرت ما حدث لها بعد ذلك، ابتسمت متعجبة من هذا الشخص الغريب الذي استطاع أن ينسها ويضحكها بينما هي تغمزق من الداخل، أنساها دمومها وأضحكها وأوصلها إلى المنزل وأحضر لها سيارتها في اليوم التالي كما وعدنا، من يكون "يحيى" هذا؟ كيف استطاع أن يفعل كل ذلك؟ كيف؟

فتحت عينها على صوت داليا وهي تسألها متعجبة:

- إنتي بتضحكي على إيه؟

أدركت أن ابتسامتها قد اتسعت بطريقة ملفتة، فأخفت ارتباكها لم تعلم له سببا وقالت وهي

تتشاغل بفتح جهاز الكمبيوتر:

- ولا حاجة.

(١٤)

عندما دخل مكتبه بالخارجية ميكرا عجب كل العاملين معه. كانوا يتوقعون أنه سيأخذ هذا اليوم أجازة ليرتاح من عناء اليوم الماضي، لكنه أتى. ميكرا، بل ودخل مبتسما ابتسامة يملؤها ارتياح غريب لا يناسب إرهاق الأيام الماضية. ولكن سرعان ما انشغلوا بأعمالهم وأحاديثهم ونسوا يحيى الذي جلس خلف مكتبه وعاد بالمتعد إلى الخلف حتى أحس بالراحة تملأ أوصاله كما هي تملأ عقله وقلبه الآن. لم ينام الليلة الماضية، منذ متى لم يشعر بسعادة كنتك؟ لا يذكر. لا يستطيع أن يتذكر شيئا سوى ليلة البارحة، يتذكر الحديث بكل تفاصيله، يتذكره فتزداد تلك السعادة العجيبة واللذيذة التي يشعر بها. حاول عقله أن يتساءل ويستفسر عن هذا الذي يحدث له. أن يؤنبه على تلك المشاعر الصببانية التي لا تليق برجل قارب على الثلاثين، لكنه صده بقوة، رفض أن يستسلم لتلك الأفكار، رفض كل شيء إلا تلك السعادة التي يشعر بها الآن، حتى إحساسه بأنها لا توليه نفس الاهتمام الذي يوليه إياما، ريبته من كرم هذا الذي قابلته في المطار، كل شيء يمكن أن يعكس صفو تلك السعادة رفضها. تلك السعادة التي يشعر بها والتي غمرته لدرجة جعلته لم يستطع أن ينام الليلة الماضية وأن يهب صباحا في نشاط وقد ملأته طاقة غريبة، ليست فقط للعمل أو الخروج من المنزل، بل أشمل وأكبر من ذلك. طاقة للحياة كلها بكل ما فيها.

أفاق على صوت جرس الهاتف فعاد بالمتعد إلى الأمام وأجاب، ازدادت سعادته عندما سمع صوت أخته يسرا وهي تهتف في صوتها الأنثوي الناضج الذي لا يخلو من حنان على الرغم من قوته:  
- صباح الخير يا يويو.

فكتم ضحكته وهو يقول مداعبا:

- صباح الفل، إنني مش هتبطلي يويو دي بقى؟

فنهزته في مودة قاطلة:

- إيه يا مي يحيى؟ فاكرك نفسك كبرت عليا ولا إيه؟

- لا وأنا أقدر؟ ده إلا إنت يا جميل.

- أيوه كده اتعدل، عامل إيه؟

- كويس الحمد لله، وإنني، إيه أخبار دبي عندك؟

- أهو كريمة الحمد لله، شغالة.
- وجوزك وولادك عاملين إيه؟
- فسالتي في عصبيتها اللينة التي أحها منذ صغره:
- كويسين قوي ومطلعين عيني والحمد لله.
- فأطلق ضحكة صاقية من قلبه قبل أن يقول في نبرة مليئة بشوق صادق:
- والله العظيم واحشائي يا يسرا، وحشتني خفة دمك وعفرتك، وولادك كمان وحشوتي قوي.
- فصمتت يسرا قليلا قبل أن تقول في نبرة متوجسة:
- واد يا يحيى، إنت مالك يا واد إنت؟
- شعر ياضطراب خفيف لكنه سرعان ما سيطر عليه وهو يتساءل في قلق وحيرة:
- مالي؟
- مش عارفة، صوتك مبسوط ومودك حلو، شكله كده فيه حاجة.
- حاول أن يجعل نبرته طبيعية وهو يقول نافيا بشدة:
- مافيش حاجة، أنا مبسوط عشان سمعت صوتك.
- فقالت في نبرة ساخرة:
- يا سلام! واد يا يحيى إنت هتعملهم عليا ولا إيه؟ ده أنا اللي مربياك يا واد إنت وعارفاك أكثر من نفسك.
- فضحك ضحكة يداري بها اضطرابه قبل أن يقول:
- إنتي مش مصدقاني ليه بس؟ والله أنا مبسوط عشان سمعت صوتك.
- فصمتت لحظة قبل أن تقول في غيظ:
- ماشي يا يحيى، هاعديا لك المرة دي، بس كلها شهرين وأنزل في الأجازة وأقبرك، أما نشوف إيه آخرتها معاك يا سي بويو.
- فضحك وقال والارتياح يملؤه لأنها ستكف عن إلحاحها:
- انزلي إنتي بس وابقى اعلمي اللي إنتي عاوزاه.
- ماشي، بلا سلام بقى عشان عاوزة ألحق أكلم ماما.



- سلام يا حبيبيتي.

أغلق السماعه وشرد والابتسامه تنسج على شفتيه. أحقا تبدو سعادته جلية وواضحة؟ حتى نيرة صوته وطريقة حديثه تعكسان ما يملأ صدره من ارتياح وسعادة.

إنه يثق في شعور يسرا، إنها تعرفه أكثر مما يعرف هو نفسه. عندما ولد كانت هي في الثانية عشرة من عمرها، تولت تربيته مع أمها، كانت تؤكله وتلعب معه وتهذبه وتذاكر له فلشأ يحيا حيا فاق حب الأخ لأخته، يحيا كام، لن ينسى عندما تزوجت وسافرت مع زوجها إلى الإمارات، كان هو في الحادية عشرة، طفلا أحس أن أمه خطفت منه، بكى حتى انفطر قلبه ولم يخفف عنه سوى وجود يمني بجانيه، يمني الأخت الصديقة التي تكبره بست سنوات فقط، ظلت بجانيه تعوضه عن غياب يسرا. وعندما تزوجت وسافرت مع زوجها إلى البحر الأحمر كان قد بلغ التاسعة عشر وأصبح رجالا قادرا على تحمل الشراق الذي كان قد اعتاده بسبب دراسته في لندن، بل وأيضا أصبح مسؤولا عن والدته خاصة عندما توفي والده بعدها بخمس سنوات وأصبح يحيا معها وحدهما في شقتهم بمصر الجديدة عندما لا يكون مسافرا في مهماته الدبلوماسية.

إذا فعندما تقول يسرا إنه سعيد فهو حتما سعيد. وعندما تقول إن به شيئا مختلفا أكبر وأعمق حتى من السعادة فبالأكد أنه يوجد به هذا الشيء حتى لو لم يكن هو منتها له.

شعر بتيار قوي من الحيرة يعصف به، لقد انتزعته يسرا من السعادة السليبية التي كان مستمتعا بها، واجهته بما حاول أن يخفيه عن نفسه ويتجاهله.

ما هذا الذي يحدث لك يا يحيى؟ كم مرة رأيتها؟ ثلاث مرات، ما هو المختلف فيها حتى تنجذب إليها بتلك الطريقة؟ ماذا يوجد في حديثها يجعلك تشعر بكل تلك السعادة عندما تتذكرها؟

و ازدادت أفكاره قتامة عندما اقتحمها كريم هذا الذي يبدو أنه كان خطيبها لفترة ما في الماضي، يبدو أن ظهوره في المطار كان صدفة، هل تحيي تلك الصدفة ما كان بينهما؟

عاد إلى الخلف وزفر في ضيق. إلى أين ستصل هذه الحيرة وتلك المشاعر؟ إلى أين يا يحيى؟

انتفض وثار على تلك الأفكار السوداء، كره أي شيء يمكن أن يقضي على تلك السعادة التي تملؤه.

نعم هو سعيد وسيظل سعيدا، بغض النظر عن مسمى تلك السعادة أو سببها، فليحدث ما

يحدث، فلتستمر أو تكف تلك السعادة. لا يهم، كل ما يهمه هو أنه سعيد وأنه أحسن في نيتها  
وتبساطها معه في الحديث أنها شعرت بارتياح نحوه. هذا هو كل ما يهم.  
مادت الابتسامه تتسع على وجهه وقد ترك تيار السعادة يجرفه مرة أخرى بلا حساب، مديده وفتح  
اللاب توب، فتح اليوتيوب، سيسمع أغاني " Frank Sinatra " كما اعتاد أن يفعل عندما يكون  
سعيدا.

(١٥)

الرهبنة تنتشر في المكان، تملأ القلوب والعيون، الكل يتحاشى إحداث صوت، يتهايمسون في قلق شديد وتوجس. في داخل تلك الغرفة يتقرر مصيرهم ضمينا مع تقرير مصير مؤسسة أبو بلاط، وكلما طال انعقاد مجلس الإدارة كلما ازدادوا قلقا وفضولا لمعرفة ما سيصلون إليه من قرارات، ولكن كل ذلك من بعيد، دون محاولة حتى الاقتراب من غرفة الاستقبال الكبيرة التي جلست فيها ليديا تنعم بهدوء لم تعتده منذ سنوات.

وعلى الرغم من أنها كانت أقرب الموظفين إلى تلك الغرفة التي يدور بها كل شيء، لكنها كانت أقل الناس قلقا وتفكيريا فيما يحدث، دفنت رأسها في الملفات، متظاهرة بالانشغال في العمل بينما كل عقلها يدور فيما يبعد كثيرا عن العمل، تفكر في المسألة التي تمتلئ بها حياتها منذ أن عملت في هذا المكان.

إلى متى ستظل تفكر فيه ويخفق قلبها له بينما هو لا يشعر بها؟ بين كل فترة وأخرى يلقي لها ببضع كلمات جميلة تضطرب لسماعها وتجدد بداخلها أملا كاذبا لا يلبث أن يضيع مرة أخرى وسط تجاهله وعدم إحساسه بها. كلما خفق قلبها له أحست أن الدنيا لا تساوي شيئا بدونها، وعندما تفيق تسخط على الحياة ويزداد كرهها لنفسها.

منذ سنوات وهي تدور في تلك الدوامة التي لا مفر منها سوى أن يشعر بها وبادلها حبا، أو تنساه هي وتقبل أيا ممن يتقدمون لها وترفضهم.

انتفضت عندما فكرت في هذا الحل. لا تستطيع أن تتخيل أنها يمكن أن تنساه يوما، وتفضل الموت على أن تكون لشخص آخر سوى رافت.

ثم انتقل تفكيرها إلى الحل الأول. لماذا لا يشعر بها ويحبها؟ هل ينقصها شيء؟ ما هو هذا الشيء الذي لا يعجبه فيها؟ عندما يكون رقيقا معها تشعر أنه لا يرى في الحياة سواها. لماذا إذا لا يدوم هذا الحال وسرعان ما يعود إلى تجاهله القاتل؟ هل؟ هل يحب أخرى غيرها؟

أحست بقلبيها يتقلص بداخلها، هل يمكن أن يكون هذا صحيحا؟ أحب أخرى يا رافت؟ من هي وما شكلها؟ نفضت عنها هذه الفكرة البغيضة، لا يوجد ما يؤكد أو حتى يجعلها تشك في أنه يحب



أخرى، إنها تراه طوال الوقت في العمل والكنيسة. لا يهتم بأي فتاة ولا تشعر بأنه يميل إلى أي واحدة منهم.

لا لا لا مجال لتلك الفكرة. هكذا قالت لنفسها وإن ظل شعاع صغير من الشك يوخزها. وجدت نفسها تعود إلى نفس النقطة، إن لم يكن هناك أخرى، فماذا إذن يمتعه عنها؟ متى تنتهي تلك الدوامة يارب؟ متى؟

أقافت على صوته، انتفضت عندما رفعت رأسها ووجدته أمامها كأنه مثلا علم ما كانت تفكر فيه، لكن سرعان ما تماثلت نفسها وتساءلت في دهشة حاولت أن تخفي بها الغزع الذي شعرت به:

- إننت إيه اللي جايك؟ هو مش مستر شفيق قال لك ماتسيبيش المستشفى أبدا؟  
جلس أمامها وهو يقول:

- هو اللي كلمني بنفسه وقال لي أسيب المستشفى وأجي.  
رفعت حاجبها في استنكار وهي تقول:

- هو اللي قال لك تيجي؟! إزاي يعني يسبب منصور بيه لوحدته في المستشفى؟  
مط شفتيه قبل أن يقول:

- ماعرفش حاجة، أنا لتيته بيكلمني وبيقول لي يا رأفت تعال دلوقتي حالا المكتب.  
فقالت في قلة الكثرات:

- غريبة.

ثم أعادت نظرها إلى الملفات في وجه متجهم وهي تتعاشى النظر إليه أو الحديث معه. عندما ظهر أمامها وهي مشحونة بكل تلك الأفكار والمشاعر السلبية أحست بتفوق نحوه انعكس على وجهها ونبرتها.

دق برفق على المكتب ليجذب انتباهها، رفعت رأسها وعندما نظرت في عيونه أدركت أنه سيتقمص الآن تلك الحالة التي يكون فيها رقيقا معها، سيرز اهتماما بها وسيقول لها تلك الكلام اللعينة التي تستحوذ على قلبها وتملؤه بتلك السعادة، التي سرعان ما تنقلب بعد ذلك إلى سحق وكرهية لنفسها وللعالم كله.

قال في رقة مسيلا عينيه:

- مالك؟ شكك مش عاجيني.

خفضت عينها نحو الملفات مرة أخرى وقالت وهي تستميت لتسيطر على مشاعرها وأعصابها:

- مافيش، شوية إرهاق من الشغل.

فقال وقد ازداد صوته رقة:

- طب ابقى خدي بالك من نفسك. عشان مافيش حاجة في الدنيا كلها تستاهل إن وشك مايبقاش مستريح وجميل.

نظرت نحوه نظرة خاطفة قبل أن تحني عينها وترفع رأسها وتخفضها في صمت وهي تدعو الله بكل قلبها أن يحدث شيء يمنع تماديه فيما يفعله. ويبدو أن الله قد استجاب لها. ففي تلك اللحظة فتح الباب الخشبي وتتابع خروج أعضاء مجلس الإدارة في بذلهم الأنيقة وعلى وجوههم إرهاق شديد من أثر الاجتماع الطويل.

نهض رأفت وليديا احتراماً لهم وعندما خرج هاشم أسرع رأفت يهتف قائلاً:  
- صباح الخير يا مستر هاشم.

فنظر نحوه هاشم في عينين نصف مغمضتين وقال ساخراً:

- صباح الخير إيه بقي؟ قول مساء الخير.

- آسف، إيه أخبار مجلس الإدارة؟

فرقع هاشم كتفيه وقال مقتضباً في تعب:

- كلام كلام كلام.

- طب مستر شفيق أخباره إيه؟

قابتسم هاشم لأنه أدرك أن رأفت يسأل ليعلم هل سينفعل عليه شفيق أم لا فقال وهو يستدير ليخرج من الغرفة:

- ماتقلقش مش متعصب، ده هو اللي عصبنا.

نظر رأفت وليديا إلى بعضهما البعض في حيرة من هذه الإجابة، لكنهما سرعان ما أفاقا عندما سمعا صوت شفيق من خلال جهاز النداء:

- ليديا.

- أيوه يا مستر شفيق.

- رأفت جه ولا لسه؟

- جه يا فتدم.

- طب خليه يدخل.

- حاضر.

نظرت ليديا نحو رأفت الذي أغلق أزرار سترته وأخذ نفسا عميقا قبل أن يفتح الباب ويدخل الغرفة.

كان شفيق لا يزال جالسا على رأس مائدة الاجتماعات يقرأ في بعض الأوراق بوجه هادئ ورائق على عكس ما توقع رأفت، مما جعله يطمئن وهو يجلس بجانبه وهو يقول:

- مساء الخير يا ريس.

فنظر نحوه شفيق من خلف النظارة وهو يقول:

- مساء النور يا سي رأفت.

- خير يا ريس طلبتني ليه؟ أنا استغرقت لما قلت لي أسيب المستشفى.

- ومش هترجع هناك ثاني خلاص.

فرفع رأفت حاجبيه في دهشة وهو يقول:

- ومنصور بيه هتسيبه لوحده في المستشفى؟

فحرك رأسه نافيا وهو يقول:

- لا طبعا، فيه واحد ثاني من رجالتي هياخد مكانك في المستشفى عشان أنا محتاجك في الشغل اليوميين دول.

فعد رأفت حاجبيه وهو يتساءل:

- ليه يا مستر شفيق؟ إيه اللي حصل في مجلس الإدارة؟

فقال شفيق دون أن يرفع عينيه من على الأوراق:

- كام قرار كده مالمش لازمة وجمعية عمومية غير عادية.

فانسعت حدقتا رأفت وهو يردد مندهشا:



- جمعية عمومية؟

فقال شفيق وقد بدأ الضيق يكسو وجهه:

- أيوه يا رأفت. المهم دلوقتي تقوم تروح تنام وترجع بعد الأيام اللي فاتت دي وبكرة الصبح من

النجمة تبقى عندي هنا في الشركة. مفهوم؟

- حاضر يا ريس. اللي تؤمر بيه، سلام.

نهض رأفت واتجه نحو الباب فاستوقفه شفيق قائلا:

- رأفت خد ليديا وصلها في سكتك. الوقت اتأخر وأتوبيس الشركة فاتها.

وقف رأفت مصدوما لحظة ليستوعب الكلام ثم قال مغلوبا على أمره دون أن يلتفت خلفه:

- حاضر يا ريس.

شعر بحنق شديد نحو شفيق الذي ورطه فيما أراد تجنبه اليوم. كلما أحس أنه سينقلب إلى هذا

الشخص الرقيق الحنون معها يستमित ليمنع نفسه من فعل ذلك ولسوء حظه يجد ما يدفعه

ليستمر.

إنه يستطيع أن يتجاهلها ويكون قاسيا على مشاعرها كما يفعل معظم الوقت، لكنه لا يعلم لماذا

تأتي عليه لحظات ضعف يجد نفسه فيها قد انقلب إلى إنسان رقيق، يهمس لها بكلمات جميلة

يعلم أنها تمس قلبها برقة وتزلزلها بعنف عندما يكف عن قولها بعد ذلك.

ها هي جالسة خلف مكتبها تداري ما بداخلها بجفاء لا يليق بها ولا مبالاة مصطنعة لا تستطيع

إتقانها من تنسم براءتها، مما يدل على أن كرامتها مجروحة وقلبيها يتزف بسببه.

فليؤجل التفكير حتى يخلو إلى نفسه ولينتبه الآن إلى تلك المهمة السخيفة، فليحاول السيطرة على

ما يقوله ويفعله حتى لا يصيبها إلا أقل ضرر منه.

- يلا عشان هاوصلك.

رفعت عينها في برود ثم أرختها وهي تقول في جفاء:

- متشكرة. أنا هاروح لوحدي عشان لسه عندي شغل.

فقال ليحسم الموقف:

• ما فيش حاجة اسمها لوحك، مستر شفيق قال لي أروحك في سكتي، يلا بدل ما أخليه هو اللي يقول لك بنفسه.

وكما حنق هو على شفيق حنقت هي عليه وعلى راقته وعلى نفسها، شعرت بهم ثقيل يطبق على صدرها ولن يتزاح حتى تصل إلى منزلها والله وحده يعلم مدى الأذى الذي سيتلقاه قلبها حتى تلك اللحظة.

في هدوء ودون أن تنظر نحوه لملت حاجياتها في حقيبتها ووضعها على كتفها، نهضت ومرت من أمامه دون أن تعبره أي التفاتة، تصارع حتى تحافظ على ثباتها وتجاهلها قدر المستطاع.

سار خلفها مضطرباً، إنه يعلم نفسه، حتما سيؤذيها، ويعلمها جيداً، لن تصمد كثيراً، طالما تمنى أن تصمد أمامه وألا ترق له حتى يتخلص من عذاب ضميره.

(١٦)

عندما انتصفت الخامسة كان قد مضى على عودة يارا إلى المنزل ثلاث ساعات، استبدلت ملابسها وأخرجت كل ما ابتاعته من السوق ونظمتها في الثلاجة، ما عدا كيس شاورمة طهته وصنعت منه سندوتشات أكلتها وأعدت كوب شاي استعدادا لعصرية هادئة تريح بها أعصابها وتتجاوز كل ما حدث لها في الأيام الماضية.

توقفت أمام باب الشقة عندما سمعت صوت الجرس، وضعت الكوب على المائدة وفتحت الباب، اندهشت قليلا عندما وجدت أمامها رجلا يرتدي زيا رسميا عليه شعار شركة بريد خاصة وفي يده صندوق ودفتر عليهما نفس الشعار.

- أي خدمة؟

فقال الرجل مبتسما:

- أنسة يارا منصور عبد السلام أبو بلاط؟

- أيوه أنا.

- طرد لحضرتك.

نظرت نحوه في دهشة شديدة، بالتأكيد هناك خطأ، عادة لا يصل لها سوى خطابات البنك أو فواتير المحمول، حتى الخطابات العادية لا تصل لها، فكيف إذا يبعث لها أحد بطرد؟ ولكن كيف يمكن أن يكون هناك خطأ وقد ذكر اسمها كاملا وصحيحا.

تساءلت والدهشة تملأ وجهها:

- طرد؟ ليا أنا؟

- أيوه يا فندم، الشركة بتبلغ حضرتك أسفها عشان الطرد اتأخر، هو كان مبعوت مستعجل بس للأسف حصل مشاكل في مواعيد الطيران فاتأخر شوية.

كلما يتحدث هذا الرجل تزداد دهشها. طيران! إذا فالطرد قادم من خارج مصر، نعم لها أصدقاء كثيرون مقيمون بالخارج لكنها لم تطلب من أي أحد منهم أي شيء ولم تتحدث معهم منذ فترة.

أفاقته على صوت الرجل وهو يبسط أمامها إحدى صفحات الدفتر قائلا:

- ممكن حضرتك تمضي لي هنا على إيصال الاستلام؟



أه طبعاً.

ولمعت حيث أشار لها واستلمت الطرد، أغلقت الباب وقيل أن تنظر إلى ما بين يديها رن جرس هائلها المحمول، وضعت الطرد على مائدة الصالون وأخرجت الهاتف من جيبتها، زفرت عندما نظرت إلى الشاشة ووجدت اسم "كريم". ها قد بدأ وربما يصل الحال إلى ما حذرتها منه داليا وهو ما لا تريده.

أولاً يا كريم.

بارا، إزيك؟

الحمد لله، إنت كويس؟

أه تمام، قولي لي إنتي في البيت؟

ارتابت لحظة قبل أن تقول:

أبوه.

طلب كويس، قدامك ساعة تلبسي وتجهزي عشان هاعدي عليك الساعة ستة ونص بالضبط.

فعدت حاجبها مستنكرة وهي تتساءل:

ليه هنروح فين؟

صحابي يا ستي أول ما عرفوا إني رجعت من بلجيكا قرروا يعملوا لي قعدة كده في Blue Nile وأنا

مش هاروح إلا وإنتي معايا.

إنت بتهزرو يا كريم؟ بتقول لي قبلها بساعة؟

فقال ضاحكاً:

والله العظيم أنا لسه عارف من نص ساعة بس.

فتعلمت في ضيق، إنها تتذكر أصدقاء كريم من أيام الجامعة، ليسوا سينين لكنها لا تحبهم ولا

ترتاح معهم.

يا كريم، أنا صحابك دول، مش متعودة عليهم خالص.

فقال في حماس:

حرام عليكى تولى طيبين قوي وهتاخدي عليهم بسرعة وبعدين...

لم تستمع إلى ما تبقى من كلامه عندما لمحت ما كان مكتوباً على الورقة الملصقة على الطرد. أحسنت أن قلبها سيتوقف من الصدمة التي تلقتها. أصابها دوار جعلها تفقد الشعور بما حولها وتسمرت عينها على الطرد وقد أخذ صدرها يعلو ويهبط.

بصعوبة ازدردت ربقتها وقالت في صوت مبحوح:

- كريم لو سمحت أقفل دلوقتي.

فقال في نبرة متوجسة:

- فيه حاجة يا ياراً؟

- ماعلش يا كريم مش هاقدر أنكلم دلوقتي. لازم أقفل.

- طب قلتي إيه؟ جاية ولا لا.

فقال في عصبية:

- مش عارفة يا كريم، كلمني بعد نص ساعة وهابقي أقول لك.

أنهت المكالمة دون أن تستمع إلى رده. أحسنت أن جسدها يرتعش رعشة خفيفة فجلست في هدوء ومدت يدها المرتعشة في ببطء وفتحت الورقة على آخرها. فظهرت البيانات أمام عينها واضحة بما لا يدع مجالاً للشك.

مكان الإرسال: عنوان أحد فروع الشركة في لندن.

اسم المرسل: ربما منصور عبد السلام أبو بلاط.

اسم المرسل إليه: ياراً منصور عبد السلام أبو بلاط.

أحسنت أن عقلها توقف عن العمل. ثلاث دقائق وهي تحمق في الورقة مشدومة غير قادرة على استيعاب ما يحدث حولها. الكلمات تتراقص أمام عينها والأحداث تتوالى وتتداخل بسرعة لا قبل لها بفهمها أو إدراكها.

بصعوبة أخرجت نفسها من حالة التبلد التي أصابها. أفاقته ومدت يدها ببطء وفتحت غطاء الطرد الكرتوني.

وجدت أمامها غطاء آخر، لونه أسود، فأدركت أنه يوجد بالداخل صندوق آخر غير واضح لأن حجمه أقل من حجم صندوق الطرد بقدر قليل مما جعل حوافه تلتصق بجدران الصندوق الكرتوني.

بصعوبة شديدة مدت أصابعها واستخلصت الصندوق الآخر ووضعت أمامها مباشرة: صندوق أسود من الكرتون المقوى، به لمعان خفيف مما يدل على أنه من الصناديق التي عادة ما توضع بها الهدايا.

عقدت أصابعها مستندة بكوعها على فخذيها وضغطتها ضغطة خفيفة لتتخلص من التوتر الذي شعرت به قبل أن تمد يدها في تردد وترفع غطاء الصندوق.

بالداخل كان يوجد أشياء غريبة ومتناقضة، أول ما لفت نظرها كان ipad حديثا جدا، تأملته بحيرة وهو بين أصابعها، ضغطت على الزر الذي يضيء الشاشة فوجدت أمامها في الخلفية صورة، يبدو أنها كانت في حفل أو عيد ميلاد، زينات وأضواء وفي وسطها وقف ثلاثة أشخاص ينظرون نحو العدسة مبتسمين في سعادة حقيقية. فتاتان وفتى، وقفت إحدى الفتاتين في المنتصف وعلى جانبيها الأيمن وقفت الفتاة الأخرى وعلى الأيسر وقف الفتى.

لم تحتج يارا إلى أكثر من دقيقة لتدرك أن من تقف في المنتصف هي ربما، ترتدي ثوبا رماديا جميلا وعلى رأسها تاج لامع، يبدو أنها كانت صاحبة عيد الميلاد، تنظر نحو العدسة بعينين صافيتين مثل عيني يارا، كأنما رسمهما نفس الرسام، وعلى شفتيها ابتسامة جميلة رائقة تشبه ابتسامة يارا. عجباً! هل حقا كانت تشبهها إلى هذه الدرجة؟

انتقلت ببصرها نحو الفتى والفتاة، لا تعرفهما، يبدو أن الفتاة صديقة ربما ومن نفس عمرها، بيضاء ذات شعر بني فاتح وملامح مختلفة: عينان عربيتان واسعتان وأنف وفم صغيران بهما مسحة غربية. أما الفتى فيشبه الفتاة بدرجة لا بأس بها، يمكن أن يكون أخاها، نفس الفم وشكل العينين ولونيهما والشعر الذي تركه غير حليق تماما ومموجا Curly كما يقولون عنه. يبدو عليه أنه أكبر في العمر. ربما كان في نفس سن يارا أو يصغرها بعام أو عامين، يملأ عينيه وابتسامته مرح لا يخلو من رزانة وثقة بالنفس.



جذبت السهم الموجود على الشاشة لتفتحتها لكن ظهرت أمامها لوحة أرقام مما يدل على أنه لتفتح ال iPad يجب أن تقوم بإدخال رقم سري هي لا تعرفه.

مطت شفتها مستنكرة وتولد إحساس الفضول بداخلها لمعرفة محتوى هذا الجهاز المتنوع عنها لكنها سرعان ما تجاوزت هذا الإحساس لتتفرغ لباقي ما في الصندوق. وضعت ال iPad جانبا وأخرجت ثاني شيء من الصندوق. لم يكن سوى بطاقة معايدة مما يرسلونها في أعياد الميلاد. على غلافها رسوم ملونة وبداخلها لا يوجد سوى جملة واحدة "Happy Birthday Monica" مكتوب بخط جميل على كل مساحة البطاقة.

وضعت يارا البطاقة جانبا وقد بدأ يساورها إحساس باليأس من أن تفهم أي تفسير لما يحدث الآن مدت بصرها في الداخل فوقع على مفكرة جلدية لونها كعلي. فتحت أول صفحة فوجدت بها ثلاث سطور:

"الباب الأزرق"

CH93 0076 2011 6238 5295 7

٣٠٥

خطر في بالها أنه يمكن أن يكون الرقم الثالث هو الرقم السري لل iPad. بيد أرعشتها السردة ضغطت الزر وجذبت السهم ثم وضعت الأرقام ولكن خاب أملها عندما وجدت أنه ليس الرقم الصحيح. جربت أن تكتبه بالعكس ولكن لم تجد إلا النتيجة نفسها. وازداد ضيقها عندما فتشت باقي صفحات المفكرة فلم تجد شيئا.

ألقت المفكرة بجانب بطاقة المعايدة وهي تزفر وقد بلغ ضيقها مداها. ثم مدت يدها وأخرجت آخر ما كان في الصندوق. حقيبة صغيرة من القטיפقة السوداء مما يوضع فيها الحلبي الفضية والذهبية عند شرائها. فتحتها وأخرجت ما كان بداخلها فلمعت بين أصابعها سلسلة ذهبية. نشرتها أمام عينيها في الهواء. كانت غاية في البساطة والرقية. وفي آخرها تدلت قلادة على شكل ثمرة بيضاوية متوسطة الحجم والأبعاد من الذهب الأصفر مطعمة من كل النواحي بفصوص بنية صغيرة لامعة. ضغطت على زر ال iPad ونظرت إلى الشاشة مرة أخرى فتأكدت من أن ما لاحظته كان صحيحا: ربما ترتدي هذه السلسلة في الصورة.

وضيقت كل شيء أمام عينيها وأخذت تحملق فيهم بدمشة وبلاهة وضييق. دهشة من أن تكون تلك الأخت المجهولة قد بعثت إليها بطرد فيه تلك الأشياء الغريبة المتناقضة التي لا يوجد بينها رابط والتي يبدو أيضا أنها كانت أشياءها الخاصة جدا، وبلاهة ناتجة عن عدم قدرتها على استيعاب ما يحدث وكأن كل ما يحدث ليس إلا حلما لن تلبث أن تفيق منه. وضييق من إحساسها بأن ذكاءها يقف عاجزا أمام هذا اللفز الغامض، غير قادر على تفسير الأحداث أو حتى إعطاء معنى أو إيجاد رابط بين كل تلك الأشياء التي أرسلتها ربما التي رحلت آخذة معها سرها إلى القبر.

أغمضت عينيها وأمسكت برأسها التي أخذت تدور وتلتفت في مائة اتجاه. إن ظلت هكذا طوال الليل فيمكن أن تصاب بالجنون خاصة وأنها وحدها ولا يوجد من يشاركها هذا الغموض. فتحت عينيها على صوت جرس هاتفها، لم يستطع كريم أن ينتظر نصف ساعة، هتف في دهشة قائلا:

- إيه يا يارا مالك؟ هو إيه اللي حصل؟

تجاهلت أسئلته وقالت مقتضبة في برود:

- كريم أنا حاجي معاك، إنت متعدي عليا إمتي؟

فقال وقد عادت السعادة تملأ صوته:

- ساعة بالظبط وهابش عندك.

- ماشي. وأنا هاكون جاهزة.

أنهت المكالمة وهي تشعر بصواب ما ستفعله، لتخرج فتهدي أعصابها وترتاح وتصبح قادرة على استيعاب الموقف وإعادة التفكير، بدلا من أن تظل تتحدث مع نفسها طوال الليل حتى يختل عقلها.

تركت كل شيء مكانه على مائدة الصالون، أحمت أنها بذلت في ربع الساعة الماضي مجهودا ذهنيا قاتلا جعلها حتى غير قادرة على ترتيب الأشياء أو إعادتها إلى الصندوق. كل ما استطاعت أن تفعله قيل أن تدخل لترتدي ملابسها هو أن تأخذ كوب الشاي البارد وتسكبه في حوض المطبخ.

(١٧)

لم يكن ظلام شوارع القاهرة أثقل من الصمت الذي امتلأت به السيارة الشاهين الخضراء التي أخذت تشق طريقها في الزحام حاملة بداخلها رأفت خلف عجلة القيادة وليديا بجانبه. خلف أقنعة الجمود والتجهم التي وضعها كلاهما كان يوجد عاصفتان من المشاعر المتناقضة. منذ أن انطلقت السيارة وليديا تتظاهر بانشغالها بمتابعة الشوارع والسيارات من النافذة. وتخفي خلف ملامحها الباردة المتجهمة الصراع الذي نشب بداخلها بين إحساس السخط الذي تشعر به نحوه بسبب إهماله لها ولمشاعرها وجهله أو تجاهله لكل ما تفعله من أجله. والسعادة التي ملأت قلبها لمجرد إحساسها بأنها تجلس بجانبه في سيارته. لطالما تمنت أن تجلس في هذا المقعد وخاتم الزواج في يمانها أو يسراها منطلقين معا دون أي عائق لحيهما.

وخلف قناع الانشغال بالقيادة ومتابعة الطريق. كان رأفت يختلس نحوها نظرات خفية سريعة تدفعه لها معركة حامية بين رغبته في التظاهر بتجاهلها وعدم فهم مشاعرها كما يفعل دائما. وتلك الحالة التي تنتابه بين كل فترة وأخرى. تلك الحالة التي تجعله فجأة رقيقا وحنونا معها. يلقي بالكلمات الجميلة وهو يعلم جيدا أنها تمس قلبها في صميمه فيعطها أملا كاذبا هو أكثر الناس دراية بأنه لن يحققه لها في يوم من الأيام. كلما شعر بتلك الحالة تقترب منه حاول مقاومتها بكل ما أوتي من قوة حتى لا يتمادى في جرحها وتعذيبها. ولكنه دائما ما يفشل وتتهار مقاومته ويصبح إنسانا أنانيا ضعيفا أمام رغبته في التماذي في تلك الحالة التي تشعره بلذة سادية سرعان ما يندم عليها.

قال ونفس النيرة الحنون تملأ صوته:

- ليديا.

قالت دون أن تحيل عينها عن النافذة:

- نعم؟

- إنني متأكدة إنك مرهقة بس من الشغل؟

التفتت نحوه وتساءلت في نفس النيرة الجافة:

- قصدك إيه؟





- يعني، حاسن إنك متضايقه من حاجة.
- عادت تنظر من النافذة وعلى شفقتها ابتسامة ساخرة وهي تقول:
- لا ماتلقش أنا مش متضايقه ولا حاجة.
- بسط شفقيه وهو ينظر نحو الطريق قبل أن يقول:
- أسابي حسيت إنك ممكن تكوني متضايقه مني.
- فرمته بنظرة مندهشة غير مصدقة وتساءلت ساخرة:
- وهاتضايق منك ليه؟ هو إنت عملت حاجة تضايق!؟
- ما هو أنا بأسأل عشان مش عارف، ده مجرد إحساس.
- عادت تنظر نحو الطريق وهي تقول في لهجة لا تخلو من معنى خفي يفضح ما بداخلها:
- لا ماتلقش، أنا مش مضايقة منك، إحساسك غلط.
- أدرك أن تلك الطريقة لن تجدي معها، لاح لخطاره أنه ربما تكون تلك هي فرصته ليتراجع ويتوقف عن تلك الخطيئة التي يرتكها. لكن إحساسه بالزهو من أنه إذا واصل إلحاحه قليلا سوف تنهار مقاومتها وتذوب أمامه كما يحدث دائما جعله يحدو طريقا آخر للوصول إلى غايته.
- طنط سميرة عاملة إيه؟
- كويسة.
- مش هتسأليني عن ماما أنا كمان؟
- زفرت وقلبت شفقتها قبل أن تقول في ضيق:
- يا رافت أنا باشوف طنط أنجيل على الأقل مرة كل أسبوع في قداس الأحد أو الجمعة.
- فقال متذكرا:
- أه صحبيح ده أنا نسيت.
- صيمتت قليلا لتستجمع شجاعتها وقالت ساخرة وإن امتزجت تلك السخرية ببعض من المرارة:
- نسيت إني باشوقها ولا نسيت القداس أصلا؟































































































































(٢٧)

لم يمنعها أحد أو يسألها عن وجهتها، لا تعلم إن كان يحيى قد طلب منهم أن يسمحوا لها بالدخول مباشرة كلما حضرت دون أن يستأذنه أم أنهم قد اعتادوا مجيئها إليه؟ لم يشغل هذا السؤال بالها سوى الدقائق التي استغرقتها لتصل أمام باب غرفة مكتبه. طرقت طرقة خفيفة قبل أن تفتح الباب في بطاء، تضاءلت ابتسامتها عندما وجدت الغرفة خالية، ألم يحضر اليوم؟ كيف؟ إنها متأكدة من أنه يحضر إلى مكتبه يوم السبت. هل هو موجود وذهب إلى مكان ما وسيعود بعد قليل؟ هل تنتظره؟ ولكن أين يمكن أن تنتظره؟ هي بالطبع لن تقتحم الغرفة وتجلس فيها هكذا. كما أنه يمكن أن يكون قد عاد مبكرا اليوم أو لم يأت من الأساس، أنتظره هكذا دون أن تكون متأكدة من أنه سيعود إلى مكتبه؟

أفاقته من حيرتها عندما فتح باب الغرفة المجاورة لغرفة مكتب يحيى قبل أن تخرج منها سيدة ثلاثينية أنيقة يبدو أنها تعمل هنا أيضا. دون تفكير أسرعت يارا لتجذب انتباهها هاتفة في صوت متردد:

- لو سمحتي من فضلك.

التفتت السيدة نحوها وقالت محاولة إخفاء اندهاشها:

- أقدم.

- هو الأستاذ يحيى مش موجود في مكتبه النهارده؟

ارتاحت قسماتها قليلا وهي تجيبها قائلة:

- لا يحيى ماجاش النهارده.

- غريبة، أنا عارفة إنه بييجي مكتبه يوم السبت.

- أيوه مضبوط بس النهارده الذكرى السنوية لوفاة والده وهو عادة بيأخذ اليوم ده إجازة ويروح هو وطنط المقابر.

هتفت يارا في اندهاش غير مبرر:

- طنط؟

قابتسمت السيدة وهي تقول في تباسط:



- أبوه طنط مامته.

فاستدركت يارا متفهمة:

- أه عشان كده قافل موبايله.

- هو في اليوم ده دايمًا بيقتل موبايله ومايفتحيهوش خالص حتى بعد ما بيرجعوا البيت، بيقتل

قافله لحد تاني يوم.

قلبت يارا شفتها وهي تهتف في ضيق شديد:

- طلب وبعدين؟ أنا كنت محتاجاه في موضوع مهم جدًا.

فاتسعت ابتسامه السيدة وهي تقول:

- إنني يارا أبو بلاط مش كده؟

فألبت يارا ضيقها لتضع ابتسامه صغيرة على شفتها بينما استطرذت الأخرى قائلة:

- أنا شفتك لما جيتي قبل كده، وكمان يحيى حكى لنا عنك. أنا رباب، مكتبي هنا جنب مكتب يحيى

بس أنا أقدم منه بشوية.

لم تعرف يارا بم تجيب فاكتفت بابتسامها الغافنة وهي تقول مجاملة:

- تشرقنا يا قندم.

- هو إنني عاوزه في موضوع ضروري قوي يعني؟

فعدت الحماسة تكسو نبرتها وهي تقول:

- ضروري جدًا، ماقيش أي وسيلة ممكن أوصل له بيها؟

فقطت رباب شفتها وهي تقول مفكرة:

- عن طريق موبايله مااعتقدش، أنا حتى ماعرفش نمرة بيته، ماعرفش غير عنوان البيت.

تساءلت يارا في استنكار:

- عنوان البيت؟!

- أبوه فاكراه من ساعة ما روحت أعزي طنط لما والد يحيى اتوفى. أصله عنوان سهل قوي. لو

الموضوع بتاعك ده مهم قوي مايستحملش التأجيل أنا ممكن أدبكي العنوان وتعدني تشوفيه في

البيت.





نظرت يارا نحوها في اندهاش شديد ثم تساءلت عاقدة حاجبها في استنكار:

- البيت، إزاي يعني؟!

فأجابتها رباب بديرة متفهمة:

- أنا فاهمة إنتي بتفكري في إيه، بس هو مش عايش لوحده، معاه طنط مامته وكمان واحدة بتشتغل عندهم. يا ستي كأنك بتزوري والدته. وكأنك ليه؟ إنتي فعلا ممكن تزوجي تزوجها عادي جدا. اللي أنا عارفاه إن والدك صديق عيلة يحيى جدا حتى بعد ما والده اتوفى لسه علاقته بهم وثيقة. يعني طبيعي إنك تبقى قريبة منهم زيه. وأنا لولا عارفة الموضوع ده وعارفة إن يحيى مش هيتضايق ماكنتش أعرض أديكي العنوان أبدا.

همت يارا بالحديث لكنها صممت بعدما لم تجد ما تقوله. وجدت نفسها فجأة تتأرجح بين الرفض والقبول بينما استطردت رباب وهي تلتفت عائدة لقرعة مكتبها:

- بصي أنا أصلي مستعجلة ولازم أمشي فهادخل أجيب لك العنوان مكتوب في ورقة وإنتي ابقي فكري وخدي القرار على مهلك.

تركها دقائق فريسة لغيرتها وتردها قبل أن تخرج وتعطيها ورقة بها العنوان، تناولتها يارا وهي تشكرها ساهمة ثم استدارت وخرجت في خطوات بطيئة وعقل مزدحم بخواطر متناقضة حول هذا الذي حدث بسرعة غير مألوفة في الدقائق القليلة الماضية ووضعها وجهها لوجه أمام تلك الفكرة الغريبة.

عندما قرأت اللافتة المعلقة على باب الشقة "مراد صالح" وجدت نفسها تعود مسرعة وتفتح باب المصعد وتخرج ممسطة حمدت الله أنها كانت قد نسيته في حقيبتها منذ يومين وتمشط شعرها وتأمل وجهها في المرآة جيدا حتى اطمأنت إلى شكلها. قبل أن تعود في خطوات مترددة وتمد أصابع يدها المرتعشة وتضغط على جرس الباب. انتظرت لحظات وهي تحاول السيطرة على صدرها الذي أخذ يعلو ويهبط بسرعة وعلى قلبها الذي أخذ يدق بعنف حتى فتح الباب وظهرت أمامها امرأة خمسينية ممتلئة ترتدي جلابية وطرحة ويبدو من سمرة وجهها وهيبتها أنها تعمل في المنزل.

قالت يارا في صوت حاولت قدر المستطاع أن تضبطه وتخفي منه توترها:

- مساء الخير. أستاذ يحيى موجود؟

- أبوه، تقول له مين؟

- يارا، يارا منصور.

- اتفضلي.

دخلت يارا وهي تحني رأسها في تهنّب وإن استطاعت أن تلمح الشكل العام للشقة من طرف عينها. كان يوجد أمامها مباشرة المطبخ وعلى يمينها دھليز يفضي إلى الجزء الداخلي للشقة بينما أشارت المرأة إلى ناحية اليسار حائة إياها على التقدّم وهي تقول:

- اتفضلي من هنا.

تقدّمت في صالون أنيق يقع في مواجهة الدهليز مباشرة، وتقع على يساره في الداخل قليلا مائدة الطعام وخلقه توجد شرفة تركت مفتوحة وقد أخذت ستانرها البيضاء تتطاير في خفة أمام خيال شخص يقف في الداخل.

سمعت صوتا نسانيا يهتف متمسانلا من خلف الستائر:

- مين يا أم حمدي؟

- دي ضيفة جاية للأستاذ يحيى يا هانم.

ثم التفتت نحو يارا وقالت مبتسمة:

- بعد إذن حضرتك هاخش أبلغه.

ذهبت المرأة بينما التفتت يارا نحو الشرفة على صوت حفيف الستائر التي ظهرت من خلفها امرأة لم تشك يارا في أنها والدهة يحيى، ليس فقط للشبه الذي يجمع بينهما ولكن أيضا بسبب شكلها الأنيق وهيبتها الراقية.

كانت ترتدي عباءة بيضاء حريرية ذات زخرفات ذهبية رقيقة، وتضع على كتفها شالا ذهبيا يتناسب مع خطوط العباءة ومع شعرها الكستنائي الذي تخللته خصلات ذهبية وبيضاء والذي كانت تعقبه خلف رأسها مما جعل التجعّدات البسيطة المنتشرة حول عينها وقمها ورقبتها تظهر واضحة.

أحسّت يارا أنها تذوب في خجلها عندما تقدّمت منها المرأة خافية استنكارها خلف ابتسامتها وهي تقول:

- أهلا وسهلا.

ازدردت يارا ريقها وقالت في صوت خجول:

- أهلا يا فتدم، أنا يارا منصور أبو بلاط.

حلت الدهشة محل الاستنكار على وجهها وهي تقول وقد اتسعت ابتسامتها:

- معقول إنتي يارا اللي قلبتي الدنيا من كام أسبوع؟ أهلا أهلا يا حبيبي اتفضلي.

جلست يارا على طرف الأريكة بينما جلست السيدة على طرف الأريكة الملاصقة لها وهي تقول:

- أنا عايدة الجوهري، والدة يحيى.

- أهلا يا فتدم تشرقنا.

ثم صمتت يارا قليلا قبل أن تقول وقد ازداد حرجها:

- أنا أسفة إني جيت كده فجأة ومن غير معاد.

فاتسعت ابتسامتها عايدة وهي تقول في عتاب:

- معقول تقولي كده؟ ده بيتك ووالدك منصور بيه كان صاحب مراد جوزي الله برحمه وزى أخوه.

هو منصور بيه عامل إيه دلوقتي؟ لسه تعبان؟

صدمت يارا من السؤال، فهي لم تكن تملك إجابة مفصلة عن حالة والدها لذا قالت مقتضبة:

- لسه مافاقش من الغيبوبة، ربنا معاه.

فزفرت عايدة قبل أن تقول:

- يا رب.

ثم استطردت وهي تقول معتذرة:

- والله يا بنتي أنا كنت عاوزة أحي عزاء ربنا الله يرحمها قوي، بس يحيى منعني وقال لي إني مش

هالاتي حد أعرفه هناك عشان أعزبه وكمان عشان أنا كنت تعبانة ساعتها مشوية صحيا.

فأسرعت يارا تقول:

- ألف سلامة على حضرتك، كأنك جيتي وزيادة.

فعادت عايدة تبتسم وهي تقول:

- كان زماني عرفتك من ساعتها، بس أعمل إيه كله بسبب الولد ده.



قالتها وهي تشير أمامها نحو يحيى الذي كان يقف أمامهن وهو لا يكاد يصدق عينيه. منذ أن أبلغته أم حمدي بأن هناك ضيفة تنتظره اسمها "يارا منصور" وهو يكذب نفسه ويكذب أذنيه، حتى عندما اقترب قليلا من الصالون وسمع صوتها وهي تتحدث مع والدته قال لنفسه أن ما يحدث بالتأكيد هي تهيؤات صورها له عقله الذي أصبح لا يتوقف عن التفكير فيها، وعندما وجدها جالسة أمامه كاد أن يكذب عينيه. أحقا هي من براه أمامه، جالسة في منزله ومع والدته. أيمن أن يحدث هذا حقا؟ هل ما يحدث الآن بداية تحقيق هذا الحلم الذي بدأ براوده؟

نظرت يارا نحوه مبتسمة من تلك الدهشة التي بدت على وجهه وهي تراه لأول مرة يرتدي شيئا غير البذلة الرسمية، بتطلونا رياضيا وتي شيرت أبيض وشيشب منزل.

قالت عائدة مبتسمة في استنكار:

- مالك تمنعت كده ليه يا ولد إنت؟ تعالى سلم.

أفاق من دهشته وتقدم وهو يقول محاولا مداراة توتره خلف ابتسامة:

- لا أصلي ماصدقتش لما أم حمدي قالت لي، أهلا يا أنسة يارا.

صاقتها قبل أن يجلس بجانب والدته وقد بدأ توتره يهدأ عندما قالت يارا مبتسمة:

- أنا أسفة يا أستاذ يحيى إني جيت من غير معاد.

فأسرع يقول ناغيا:

- لا لا ماتقوليش كده يا أنسة يارا، البيت بيتك.

فقاطعت عائدة الحديث وهي تقول في ضيق:

- هو إيه ده اللي أستاذ وأنسة؟ إحنا مش في الخارجية. هنا ماحدثش يتقال له أي ألقاب غيري أنا.

إنت تقول لي ماما وإنتي تقولي لي طنط. غير كده كل واحد يتنده باسمه. مفهوم؟

فابتسمت يارا مدارية خجلها بينما قال يحيى ضاحكا:

- مفهوم يا فتندم، بس هو حضرتك هتسيبي ضيفتنا كده من غير ما تشرب حاجة؟

- تشرب ده إيه يا ولد إنت هو إحنا بخلا؟ يارا هتتغدا معنا.

فأسرعت يارا تقول وقد غلها الحرج:

- لا لا يا طنط مافيش داعي ماتتعبيش نفسك. دول هما كلمتين ماقولهم لأستا... ليحبي وهامشي على طول.

فتمضت عايذة وهي تقول حاسمة:

- وماله؟ كلوا وبعدين اتكلموا براحتكوا. ماتعطلينيش بقي.

ثم نظرت نحو يحيى وقالت في حسم لطيف وهي تشير نحو مكانها:

- ولد، تعالى اقعد هنا، اوعى تهرب منك لحد ما أحضر الغدا.

فتزحزح يحيى ليجلس مكانها وهو يقول ضاحكا:

- تمام يا فتدم.

ذهبت عايذة نحو النافذة التي تربط الصالة بالمطبخ وانهمكت في تحويل الأطباق نحو مائدة الطعام

بينما التفت يحيى نحو يارا وهو غير مصدق هذا المجلس الذي يجلسه، ثم قال متعمسا:

- إيه المفاجأة الحلوة دي؟

فقالت يارا مبتسمة وهي تخفي حجلها:

- أصلي رحمت لك مكتيك ومالقتكش وكنت عاوزاك في موضوع مهم جدا. فراححت زميلتك رباب اللي

في المكتب اللي جنبك إدتني العنوان.

- ده أنا لازم بكرة أشكرها بقى على الجميل اللي عملته فيا ده.

فضحككت وقد ساورتها دهشة من جرأته التي بدأت تظهر الآن فقط، ساد بينهما صمت للحظات

حاول كل منهما استغلاله لتخفيف توتره وإخفاء تلك المشاعر التي اضطربت فجأة بداخلهما حتى

بدأت يارا الحديث قائلة:

- اللي حصل لي من حوالي ساعتين كان شديد قوي عليا لدرجة إنه خلاني أحتاج أنكلم مع حد بائق

فيه وأستشيريه، وهو برضو اللي خلاني أدور عليك وأجيلك.

فتساءل يحيى في قلق:

- إيه اللي حصل لك؟

فتمضت يارا تقص عليه كل ما حدث منذ أن وجدت شفيق أمامها وحتى وضع بطاقته على المائدة

قبل أن يذهب، ويحبي يستمع في اهتمام حتى أنهت حديثها فقال وقد بدت الدهشة على وجهه:



- هي حاجة غريبة فعلا، خصوصا وإنك بتقولي إن ماكانش فيه بينك وبين والدك أي علاقة وإنه عمره ما شافك ولا قابلك، فإزاي بقى يكتب في وصيته إنه عاوزك إنني تمسكي مجلس إدارة مجموعة شركاته في حالة عدم قدرته؟

ثم صهمت قليلا قبل أن يتساءل:

- طلب إنني إيه اللي مضايقتك في الموضوع؟

- اللي مضايقتني حجم المسؤولية الضخمة اللي اتورطت فيها، إنت أكيد عارف يعني إيه أبو بلاط جروب، حجم أعمالها ورأس مالها ومشاريعها، مسؤولية ترعب.

فابتسم يحيى وهو يقول:

- بس إنني قدها يا يارا.

بدا وقع اسمها مجرداً من الألقاب غريبا على أذنيها وإن لم يغفل من رنين لذيذ أخفى يحيى تأثيره وهو يستطرد:

- طريقتك في مباشرة استلام ربما الله يرحمها ودفنها وعزاها وإصرارك على تنفيذ الصبح بأي تمن، يقول إنك بجانب خيرتك في البيزنس عندك ما يؤهلك عشان تشيلاني مسؤولية زي دي. كمان أنا متأكد إن الأستاذ شفيق وكل أعضاء مجلس الإدارة هيساعدوكي ومش هيسيبوكي تفرقي المجموعة يعني.

فزفرت يارا في حيرة قبل أن تقول:

- الحاجة الوحيدة اللي مخلياني مش عاوزة أرفض أو أتهرب هو الكلام اللي شفيق قاله عن الناس الغلابة اللي حطت فلوسها في الأسهم والموظفين اللي هيتندوا، دول ناس ماقدرش أحسن إنني ممكن أساعدهم وماعملش حاجة.

فابتسم يحيى وهو يقول:

- مش باقول لك إنك قدها.

ابتسمت يارا وقالت مازحة لتداري ما اعتورها من خجل:

- تفكر؟

قاوماً يحيى برأسه وهو يقول في نبرة لم تغل من جدية:

- أفنكر جدا.

جاء صوت عابدة يدعوها للغداء فتنهض يحيى ومد يده لها قائلا:

- يلا نتغدا دلوقتى وانسى كل اللي مضايقتك، يلا.

ابتسمت ومدت يدها ووضعها في يده والتي ظل يحيى متشبثا بها وكأنه لا يصدق أنه يمسكها في يده. حتى وصلا عند المائدة حيث جلست عابدة على رأسها بينما جلست يارا إلى يمينها ويحيى إلى يسارها.

كان الغداء أجمل من العادة، ليس فقط لأن الطعام كان لذيذا أو لأن الأحاديث والضحكات لم تنقطع طيلة فترة تناولهم للطعام، ولكن أيضا لهذا الدفء الذي سرى سريعا بين ثلاثتهم بسبب ما انقاهم من مشاعر. لأول مرة منذ زمن طويل وربما أيضا منذ أن ولدت تشعر يارا بمعنى دفاة أسري كهذا، أن تتناول طعامها مع ناس يهتمون بها ويتحدثون معها وكأنهم يعرفونها منذ زمن، أن تأكل على مائدة طعام وليس مائدة المطبخ أو في المكتب، أن تجد من يضع في طبقها مزيدا من الطعام ويلح عليها حتى تأتي عليه كله بدون أن تترك شيئا منه. لقد أدركت أنها تفتقد الكثير في حياتها مما زاد إحساسها بجمال تلك اللحظة التي وجدت فيها ما هي محرومة منه وأكثر. أما يحيى فقد كان لشدة سعادته لا يزال لا يصدق أن ما يحدث الآن حقيقة وليس بخيال، إنه أكثر مما حلم به بكثير، أقصى ما كان يتمناه هو أن تودعه يارا في مكتبه أو يدعوها إلى تناول القهوة، أما أن يجدها فجأة في منزله، تتناول الطعام معه ومع والدته وقد ألقت المنزل والأحاديث وكأنها تقطن هنا منذ زمن فهو ما لم يجرو حتى على أن يحلم به. أحيانا يصبح الواقع أجمل من الخيال عندما يفاجئنا بالإطاحة بتحفظات ظلت تنغص علينا أفكارنا ومشاعرنا.

وعابدة هانم كان وجهها مشرقا وقد انهمكت في الحديث والضحك وهو شيء عادة لا تفعله يوم ذكرى وفاة زوجها.

بعد الغداء جلس يحيى مع يارا في نفس الصالون حيث قدمت لهما أم حمدي القهوة، بينما تركتهما عابدة ودخلت لتجري معادلة تليفونية. نظري يحيى نحو يارا متفحصا ملامحها قبل أن يقول في ثقة لم يعلم من أين أتته:

- مش عارف ليه حاسس إن فيه سبب ثاني ورا مجيك النهارده.

بوغنت يارا بالحقيقة التي ألقاها في وجهها قبل أن تبتسم نصف ابتسامة لتداري توترها وتومي برأسها موافقة، وضع يحيى فتجاناه على المائدة قبل أن يقول متعمسا عندما وجد نفسه قد فهمها دون أن تتحدث:

- إيه بقى السبب ده؟

فكالت يارا محاولة السيطرة على توترها:

- النهارده الصبح فتعت ال facebook واتفرجت على البروفايل بتاع ربما الله يرحمها. وأنا بأقلب لغيت صورة لها مع صاحبيتها اللي اسمها مكتوب على الكارت "مونيكا"، وفجأة جات لي فكرة مجنونة شوية بس مالحقش أجربها عشان شفيق جه.

- إيه هي الفكرة دي؟

صممت قليلا قبل أن تقول:

- فكرت إنه يمكن تكون ربما بعنت الكارت بتاع عيد ميلاد مونيكا عشان تقول لنا إن عيد ميلاد مونيكا ده هو ال passcode بتاع ال ipad.

نظر يحيى نحوها مندهشا من ذكائها، الفكرة منطقية جدا وربما تكون بالفعل رسالة من ربما، قال ولا تزال الدهشة تملأ عينيه:

- هايل، دي فكرة ذكية جدا، لازم تجربها أول ما تروحي.

فأسرعت يارا تخرج ال ipad من حقيبتها وهي تقول:

- لا لا، أنا جيبته معايا أهو عشان نجرب هنا.

لم يتناول يحيى ال ipad ونظر إليها مليا كأنه يقرأ أفكارها قبل أن يتساءل في خيئ:

- يارا إنتي ماجربتيش فتتحيه عشان شفيق جالك ولا عشان خفتي؟

عقدت الدهشة لسانها عندما صدمها بالحقيقة، ظل قلبها يدق بعنف والأفكار تتلاحق في رأسها، كيف استطاع أن يفهمها بتلك السرعة والدقة؟ كيف استطاع أن يدرك ما نفذته هي بباعث من عقلها الباطن؟ وعندما طال صمتها أوما يحيى برأسه بعدما أدرك أنه قد أصاب بتخمينه قبل أن يستدرك قائلا:



- خفتي تفتعيه وتقلي في فتلاقي حاجة عكس الصورة اللي كنتي راسماها في خيالك زمان لربما فيزيد إحساسك بالذنب. مش كده؟

أومات برأسها مستسلمة ومبتسمة نصف ابتسامة لتداري الألم الذي نشب بداخلها، قبل أن يمسك يحيى بيدها وهو يقول مثبتا عينيه بداخل عينها:

- الهروب مش وسيلة يا يارا، لو فيه حاجة غلط عملتها حتى ولو كانت جوا دماغك بس يبقى لازم تعرفها بنفسك ويكل شجاعة. مافيش حد غيرك هيجرب يفتح الipad.

قالها وهو يمسك بيدها الأخرى ويضعها على الزر ثم ترك يديها وابتسم لها مشجعاً. أخذت نفساً عميقاً لتهدئ من تلاحق وجيب قلبها واستجمعت كل شجاعته قبل أن تضغط على الزر. أضاءت الشاشة أمامها بنفس الصورة التي بدت فيها ربما وهي تقف بين أعز صديقاتها والرجل الذي تحبه، جذبت السهم فظهرت أمامها لوحة الأرقام، وبهد حاولت السيطرة على ارتعاشها كتبت تاريخ عيد ميلاد مونيكا الذي كانت قد حفظته في الصباح، ٢٦١٠، وما إن استقرت آخر نقطة في آخر خانة حتى انفصل أسفل الشاشة عن أعلاها وبدت القائمة الرئيسية أمامها.

كتمت يارا صرخة فرح كادت أن تفلت منها بينما ابتسم يحيى سعيداً بانتصار فكرتها، ثم تناول من يدها الipad وأخذ يقلب فيه مسرعاً ربما تسترد يارا أنفاسها قبل أن تتساءل في لهفة:

- لقيت حاجة؟

فحرك يحيى رأسه ناظراً وقال دون أن يرفع عينيه من على الشاشة:

- لا، كلها لعب وصور وإنترنت.

ثم صمت قليلاً وهو متمك قبل أن يستدرك قائلاً:

- استخي كده، فيه فولدر أدوب.

ضغط يحيى عليه فظهرت أمامه صفحة بها قائمة أسماء وبجانها أرقام، أخذ يقرأها وملاحظه تزداد دهشة واستنكاراً، حتى اضطرت يارا أن تستحبه في قلق قائلة:

- فيه إيه يا يحيى؟ إيه اللي مكتوب؟

فحرك رأسه قبل أن يقول مستنكراً وهو لا يزال مأخوذاً من الدهشة:

- حاجة غريبة جدا، الفولدر ده عبارة عن لسته أسامي لشخصيات عامة ومعروفة عالميا، رجال سياسة ورجال أعمال من دول مختلفة وكل واحد مكتوب جنبه جلسيته ورقم حساب بنكي.

فصمتت يارا مفكرة في حيرة قبل أن تتساءل:

- إنت يعني تعرف الناس دول؟

- أه طبعا أعرفهم، أولا لأنهم مشهورين دوليا، وثانيا لأنني قابلت بعضهم في مناسبات دبلوماسية بحكم شغلي وكمان من أيام ما كان بابا الله يرحمه بيشتغل في أوروبا.

- طب وتفتكر ده معناه إيه؟

فرقع يحيى كتفيه في حيرة وهو يقول:

- مش عارف، بصراحة الموضوع غريب جدا. إيه اللي يجيب أسامي ناس مهمة زي دول على ال iPad بتاع بنت صغيرة زي ربما؟ إيه ممكن تكون علاقتها بيهم؟ والأهم من كده، إزاي هي قدرت

توصل لمعلومات حساسة عنهم كده زي أرقام حساباتهم؟

صمتت يارا مفكرة ثم ترددت قليلا قبل أن تتساءل في نبرة متقطعة:

- تفتكر، الناس دي ممكن يكون ليا علاقة بمنصور بيه؟

فأجابها دون تردد:

- أه طبعا، والدك من أهم رجال الأعمال في الشرق الأوسط والبيزنس بتاعه منتشر في العالم كله، فطبيعي إنه يكون ليه علاقات تجارية أو اجتماعية مع الناس دول. ده مش شيء غريب.

فصمتت يارا قليلا قبل أن تتساءل مسرعة:

- طب تفتكر أرقام الحسابات دي ممكن يكون واحد فيهم هو اللي معايا في النوتة؟

- مش عارف، معاكي النوتة؟

أسرعت يارا تخرج المفكرة الكعالية من حقيبتها، ومضت دقائقي وهما يطابقان الأرقام على الشاشة بالرقم المكتوب فيها دون أن يصل إلى شيء. زفرت يارا قبل أن تقول:

- ولا واحد فيهم، بس واضح طبعا إن معظم الحسابات دي في سويسرا زي رقم الحساب اللي في النوتة، محمد جوز داليا صاحبتني قال لي إن الحساب ده سويسري، ممكن بقى يكون رقم حساب

واحد هي مالحقثش تكتبه أو رقم حساب منصور بيه شخصيا.



أغلق يحيى ال iPad وهو يقول:

- ممكن طبعا. بس صعب إننا نتأكد من أي حاجة لأن القوانين على سرية حسابات البنوك في سويسرا قوية جدا.

ثم أعطاه إياه وهو يقول:

- المهم إننا دلوقتي اتأكدنا إن وجودك في مؤسسة أبو بلاط مهم جدا للفترة اللي جاية.

فعدت يارا حاجيها مستنكرة وهي تتساءل:

- إشمعني؟

- عشان لو اللي ربما قصدته لما بعنت لك الطرد ده ليه علاقة بالناس دي اللي هما أصلا لهم

علاقة بمنصور بيه، يبقى أكيد وجودك هناك هيساعدنا جدا عشان نفهم.

فلوت يارا شفتها قبل أن تقول في ضيق:

- هو أنا ناقصة؟ ده أنا من غير أي حاجة مرعوبة.

فربت على يدها وهو يقول مبتسما:

- ماتقلقيش. إن شاء الله مافيش حاجة. وأنا مش هاسيبك.

ابتسمت قبل أن تنظر في ساعة معصمها وتنهض وهي تقول في دهشة:

- ياه الوقت أتأخر قوي. أنا لازم أمشي. ممكن تنده لي طنط أسلم عليها.

فنهض وقد بدا الضيق على وجهه لكنه قال مستسلما بابتسامة:

- حاضر.

غاب في الداخل دقائق قبل أن يعود خلف عايذة هانم التي قالت مبتسمة:

- معقول يا يارا هتمشي على طول كده؟

- ماعلش بقى يا طنط يادوب. الوقت أتأخر وأنا لازم أروح.

فقبلتها عايذة على وجنتها وهي تقول:

- خلاص يا حبيبي. عاوزه أشوفك كتير بقى.

- أكيد يا طنط إن شاء الله. بعد إذنك.

- مع السلامة يا حبيبي. مش عاوزه يحيى يوصلك؟

- لا لا شكرا أنا معايا عربيتي، باي باي.

انجهت يارا نحو باب الشقة وخلقها يحيى الذي استجمع شجاعته وسألها وهي تنتظر المصعد:

- ماشوفك تاني إمتي؟

لرثعت يارا كتفها وهي تقول مبتسمة:

- مش عارفة، بكرة وبعده هابقى مشغولة في تحضير نفسي وتظبيط الأجازة، ومن أول يوم التلات

هاكون في الجروب، بس أكيد هنتكلم في التليفون.

فقال مستسلما:

- أكيد.

دخلت المصعد ونظرت نحوه نظرة أخيرة وهي مبتسمة في ارتباك قابتمسم لها قبل أن تغلق الباب

وتضغط الزر.

هبط المصعد بينما استندت هي على الحائط بكتفها وشردت ببصرها في الركن الأسود أسفل المرأة

وهي تضغط بأسنانها على بطن سبابتها محاولة السيطرة على نفسها ومنع ابتسامتها من الاتساع.

منذ نصف ساعة والأستاذ هاشم يجلس أمام مكتب ليديا التي كانت تتظاهر بالاستماع إلى ما يقول بينما هي مهمكة في عملها. أما في الحقيقة، فليديا لم تكن مصغية إليه ولا حتى مهمكة في العمل. كل ما كان يشغل بالها منذ أن عادت اليوم بعد أجازة طويلة هو كيف ستلقى رأفت لأول مرة بعد ما حدث بينهما؟ هل تتجاهله أم تتعامل معه بجفاء أم من الأفضل أن تتعامل معه بمنتهى الطبيعية لأنها تعلم جيدا أن هذا هو ما سيحدث في النهاية. لكن لا، تلك المرة مختلفة عن سابقتها. لأول مرة يصرخ في وجهها هكذا ويضع كرامتها تحت قدميه بتلك الطريقة. كل هذا لا يعني أنها يمكن أن تثور عليه وعلى حبه بداخلها، إنها أضعف من ذلك، لكن أيضا تلك المرة مختلفة، حتى وإن عادت بعدها إلى طبيعتها فإن ما حدث بينهما سيترك بداخلها شرخا مؤلما لن تداويه الأيام.

كانت منشغلة بخواطرها ومنصرفه بها عما حولها بينما كان هاشم مسترسلا في حديثه:

- اللي أنا بجد مش فاهمه ليه شفيق أصررتب كويس عشان نعمل جمعية عمومية واتفق مع رئيس الشؤون القانونية إنهم يخبوا موضوع الوصية ده لحد ما يطلع قدام كل الناس في الجمعية؟ ثم صمت قليلا قبل أن يقول في ضيق وحيرة:

- ما هو لو كان وانا الوصية دي في اجتماع مجلس الإدارة كان زمان كل حاجة مشيت طبيعي وقانوني من غير ما نحتاج نعمل جمعية عمومية، وبارا جت ومسكت مجلس الإدارة من غير كل وجع الدماغ ده؟

ثم تحولت نبرته إلى العصبية وهو يقول في غيظ:

- ليه عمل فينا كده؟

هدأ قليلا عندما لم يجد أحدا يجيبه ثم تساءل في ضيق:

- هو الراجل اللي مع شفيق جوا ده هيخلص إمتي؟ أنا زهقت.

فمطت ليديا شفيتها قبل أن تقول في أسف:

- أنا بجد أسفة يا مستر هاشم، بس حضرتك عارف إن الراجل اللي جوا ده من أهم العملا عندنا وماقدرش مهما حصل أقطع عليهم الاجتماع.

لغزير هاشم قبل أن يقول مستسلما في ضيق:

- عارف عارف.

عندئذ دخل رأفت الحجرة وحياهما ميتسما قبل أن يجلس على المقعد المواجه لهاشم، أجابت

لهديا تحيته مغممة دون أن ترفع رأسها عن الملفات بينما أجابه هاشم متهمًا:

- أهلا، أهلا بحضور المساعد.

فعمد رأفت حاجبيه وقال ميتسما في ارتياب:

- آه، التريقة دي رينا يستر منها.

فقال هاشم في نفس النبرة المتهمكة:

- ماهو دايمًا بيسترها معاك إنت والرئيس بتاعك وإحنا اللي بتضيع ما بينكم.

فحملك رأفت بعينيه من الدهشة وقال في ارتياب:

- اوعى يا مستر هاشم تكون فاكر إني كنت أعرف حاجة عن موضوع الوصية ده قبل الجمعية

العمومية؟

فنظر هاشم نحوه غير مصدق دهشته أو ما يقوله، بينما استطرد رأفت مدافعا بحماس:

- طب بأمانة رينا أنا ما كنت أعرف حاجة عن موضوع الوصية ده، واندشت زيكوا بالضبط.

فغزير هاشم في ضيق وهو يقول:

- ماتفكرنيش، ده إحنا شكلنا في الجمعية العمومية كان يكسف، أول ما الوصية طلعت قدامنا

كلنا فتحنا بقنا من الدهشة وإحنا مش مصدقين الموقف اللي الرئيس بتاعك حطنا فيه.

فقال رأفت مدافعا عن نفسه:

- وأنا مالي يا مستر هاشم بس؟ مش حضراتكوا أعضاء مجلس إدارة وليكوا في الشركة دي زي

مستر شفيق؟ خلاص دي حاجة بينكوا وبينه بقى.

فضحك هاشم نصف ضحكة وقال متهمًا:

- أعضاء مجلس إدارة ولينا فيها آه، إنما حد يقدر يقول له تلت التلاتة كام وكل حاجة في إيده؟

انقلب تهكمه إلى ضيق وهو يتهمز قائلا في عصبية:

- أنا زهقت وماشي، هابقى آجي تاني بعدين.



التفت هاشم وخرج من الغرفة في خطوات عصبية وراقت يتبعه بعينيه ميتسما من عصبيته حتى اختفي.

نظر رافت نحو ليديا التي لم ترفع عينها من على الملفات، محاولة بكل ما لديها من قدرة أن تسيطر على ملامحها وتملأها بالتجهم واللامبالاة.

تنحى رافت قبل أن يقول متلطفًا:

- صباح الخير يا ليديا.

أجابت مقتضبة دون أن ترفع عينها:

- صباح النور.

فتجراً قليلاً قبل أن يقول متردداً:

- أنا أسف يا ليديا، أنا عارف إنك متضايقه مني عشان اتعصبت عليكي، بس أصلي كنت مضغوط

جدا من الشغل وكل حاجة كانت فوق دماغى فغصب عني طلعته عليكي. أنا بجد متأسف.

فتململت قليلاً عندما أحست في نبرته رقة وندما حقيقها، لكنها تمالكت نفسها وقالت وقد خففت من حدة صوتها:

- ماحصلش حاجة، أنا مش متضايقه.

فاقترب بوجهه قليلاً وهو يقول ميتسما:

- بالأمانة؟

اضطربت ودق قلبها بعنف لكنها تمالكت نفسها بصعوبة وهي تقول بايتسامه مسرعة:

- بالأمانة ما فيش حاجة.

وقبل أن يقول رافت أي شيء آخر أو حتى يعود إلى الابتسام، نهضت ليديا مسرعة لتتفادى تكرار

تلك الحالة التي تصيبه والتي تجعله رقيقاً وحنوناً معها قبل أن تحدث المشاكل والمشاحنات مرة أخرى.

خرجت متعلقة بأنها يجب أن تقوم بإيصال بعض الملفات إلى مكاتب أخرى، بينما بقي رافت وحده

منتظراً شفيق أن ينهي اجتماعه وهو يضحك بداخله من هروبها لأنه لم يكن ينوي أن يفعل شيئاً مما خطر ببالها.



(٢٩)

عندما دخلت داليا حجرة المكتب في الصباح نظرت مندهشة نحو يارا التي كانت مهمكة في العمل

أمام شاشة الكمبيوتر، ثم تساءلت في تعجب:

- ده إيه اللشاط ده على الصبح؟!

ثم استطرقت وهي تجلس خلف مكتبها:

- إيه اللي جابك بدري كده النهارده؟

أجابتها يارا دون أن ترفع عينها عن الشاشة:

- أصلي عاوزه ألحق أخلص كل اللي ورايا قبل ما أخذ الأجازة، مش عاوزه حد يتدبس في شغلي.

- وهتلحقي تطبني الأجازة؟ إنت ماقدامكيش غير النهارده وبكرة بس؟

فرفعت يارا حاجبها وهي تقول متعجبة:

- أظبط إيه؟ ده أنا من غير ما أعمل أي حاجة لقيت الHR مظبط الأجازة لك تمام. واضح إن

شفيق ده واصل قوي وعامل حسابه على كل حاجة.

فأخرجت داليا سيجارة وهي تقول مبتسمة لتمامها:

- أيوه بقى، هتبقي رئيسة مجلس إدارة وماحدث هيعرف يكلمك

فابتسمت يارا نصف ابتسامة وهي تقول:

- بتفري على إيه؟ ده أنا حاسة إني هاموت من الرعب.

فنفثت داليا دخان السيجارة مفكرة قبل أن تقول معترفة:

- إنتي عندك حق تخافي، الموضوع مش بسيط، بس مش لدرجة ترعبي يعني. إنتي عندك خبرة

ويتشغلي وفاهمة ومش هتفريقي. وفي الآخر اسمه إيه شفيق ده هيبقى يساعدك.

فقالت يارا في نبرة مستسلمة:

- ربنا يستر بقى.

سادت بينهما ثوانٍ من الصمت قبل أن يقطعها صوت داليا وهي تضحك في شرود، فنظرت نحوها

يارا وهي تساءل في اندماش:

- بتضحكي على إيه؟



فكفت عن الضحك وقالت وهي لا تزال مبتسمة:

- باضحك عشان فرحانة بنفسي وبفراستي.

- فراستك؟

- أيوه.

ثم نهضت في ثقة ودارت حول مكتبها واستندت نصف جالسة على مقدمته، ثم أخذت نفساً من السيجارة قبل أن تقول في خيلاء:

- إنتي مش فاكرة لما كنا قاعدين هنا بعد عزا ربما، وقلت لك إن الموضوع ده مش هيخلص على كده وإن أكيد رينا شايل لك بقية؟ وأدي يا ستي كلامي طلع صبح. في الأول الطرد وبعدها الوصية ورناسة مجلس الإدارة.

فتألمتها يارا في حيرة عندما أدركت صدق فراستها وتلبنها بما حدث، بينما اقتربت منها داليا وهي تقول:

- مالك تنعتي كده ليه؟ لعلمك بقى اللي بيحصل دلوقتي ده لمصلحتك.

فعقدت يارا حاجبها في استنكار وتساءلت في حيرة:

- لمصلحتي إزاي يعني؟

أطفأت داليا السيجارة وهي تقول في حماس:

- بقى مش عارفة إزاي؟! أبوكي اللي كان بيتكسف يقول إن عنده بنت تانية غير بنته اللي من الهانم اللبنانية، دلوقتي كل الناس بقت نعرف إنك بنته من ست تانية اتجوزها قبل ما يفتي، وكمان بقوا عارفين شكلك بعد ما شافوكي في عزا ربما. والمجموعة اللي كنتي زمان مابتعديش حتى من قدامها، دلوقتي هتبقى رئيسة مجلس إدارتها وتعرفي كل كبيرة وصغيرة فيها. يا هيلة ده رينا بيرد لك حقت واعتبارك.

فلوحت يارا بيدها في استهانة وهي تقول مبتسمة في سخرية:

- إنتي هتقول لي نفس الكلام اللي قاله كريم؟

فعقدت داليا حاجبها وهي تتساءل في ضيق:

- ليه؟ هو المحروس كان قال لك إيه؟

كتمت يارا ضحكها من سخريه داليا وهي تقول ميئسة:

- المحروس قال لي إن موضوع رئاسة مجلس الإدارة ده تعويض ليا عن حرمانى طول عمري من إني أتباهى بانتسابي لاسم أبو بلاط، ومن إني أعرف كل حاجة عن ثروة أبويا اللي ماكانش بينويني منها غير ملاليم. تصوري، كل الفلوس اللي كانت بتتبع لي بيقول عليها ملاليم.

فمطت داليا شفيتها قبل أن تقول:

- هو أنا ماباطيش الواد ده، بس المرة دي هو عنده حق.

فاتسعت حدقتا يارا في دهشة بينما استطردت داليا قائلة في حماس:

- أيوه عنده حق، إني فاكرة إن الكام ألف اللي كان بيعتهم لك واللي لما اتكوموا سنة ورا سنة في البنك لحد ما دخلوا على مليون وشوية والهدايا والعربية دول بييجوا حاجة جنب ثروته؟ ده ملياردير.

زفرت يارا في ضيق قبل أن تقول:

- يا داليا أنا مش عاوزه أعرف حاجة عن ثروته ولا عاوزه أتباهى باسم أبو بلاط، أنا مستريحة جدا في حياتي دي، أنا عاوزه أعرف، مادام هو كان بيتكسف متي وعمره ما عرفني حاجة عن فلوسه، إيه اللي خلاه يكتب الوصية دي؟

فضمطت داليا شفيتها في حيرة وهي عائدة لتجلس خلف مكتبها مرة أخرى قبل أن تقول:

- هي بصراحة حاجة غريبة أنا مش قادرة أفهمها، بس على العموم سواء عرفنا ليه أو ماعرفناش ده مش هيغير حاجة من الواقع، من أول بعد بكرة إني هتبقى المسؤولة عن أهم كيان اقتصادي في مصر.

فأسرعت يارا تقول في عصبية:

- يا داليا بلاش المسميات الكبيرة دي عشان أنا بجد باترعب.

فلوحت داليا بيدها وقالت في استهانة:

- يا بت ماتخافيش، خليكي جامدة كده.

ثم صممت قليلا قبل أن تقول في تخابث:

- وبعدين رننا يغلي لنا رجال وزارة الخارجية اللي بيساعدونا ويساندونا معنويا.

حاولت يارا أن تداري ابتسامتها وهي تتظاهر بالانشغال في شاشة الكمبيوتر. على الرغم من أن تلميحات داليا المستفزة قد ازدادت في الفترة الأخيرة لكن يارا لم تكن تحتاج إليها لتدرك أن وجود يعنى بجانبها في تلك الظروف هو الشيء الوحيد الذي يهون عليها كل ما يحدث لها. ويدفعها للمواجهة دون خوف لأنها تعلم أنه سيكون بجانبها دائما.

ولم يكن هذا هو الشيء الوحيد الذي أدركته. بل إنها بدأت تلتفت لكثير من الأشياء التي كانت تجهلها أو تتجاهلها بعد أن زارته في منزله. منذ أن وجدت نفسها تحاول منع ابتسامتها من أن تتسع وهي في المصعد.



وقفت تتأمل شكلها في الملابس الرسمية في المرأة وقد بلغ توترها مداه عندما أحست أن موعد ذهابها إلى المجموعة لأول مرة قد أزف، لم تنم طوال الليل، كلما دخلت الفراش أخذت تتقلب في قلق وقلها يخفق فتنهض وتفتح خزانة ملابسها كأنها تنتقي الملابس التي ستذهب بها في اليوم التالي، فتخرج طاقما وتضعه على المقعد قبل أن تدخل الفراش مرة أخرى. ظلت على تلك الحال طوال الليل حتى أعدت نحو ستة أطقم استغنت عنهم كلهم عندما نهضت في الصباح، واكتفت بسروال جينز وبلوزة بيضاء وسترة رسمية كحلية مثل لون الحذاء ذي الكعب العالي والحقيبة.

نظرت في ساعة معصمها عندما أدركت أنها قد تأخرت على السائق الذي أرسله لها شفيق، فسوت شعرها الفاحم المنسدل حول وجهها وملابسها، وألقت على نفسها نظرة عامة وهي ترتدي سلسلة ربما الذهبية التي أصبحت لا تخلعها وهي تزفر زفرة حاولت أن تتخلص بها من توترها، قبل أن تتناول حقيبتها وتغادر شقتها في خطوات ثابتة.

عندما خرجت من باب العمارة اندهشت من تسكن السيارة التي بعثها لها شفيق، سيارة سوداء لم تر في فخامتها من قبل. فتح لها السائق الباب مبتسما فردت له الابتسامة في اقتضاب وركبت في المقعد الخلفي، فأغلق الباب وقفز مسرعا في المقعد الأمامي للسيارة وانطلق بها مسرعا.

اخترقت السيارة الشوارع والأعين كلها ترمقها في اندهاش وانهاش بطريقة ضايقت يارا، حتى أنها حمدت الله أن زجاج النافذة أسود فبسه لا يراها من خلاله أحد من هؤلاء المحققين بها.

وعندما وصلت أمام باب المجموعة وجدت جماعة من الموظفين على رأسهم شفيق ينتظرونها، مما أخافها من كل تلك العيون التي ستلتهمها في فضول ودهشة، لكنها تماكنت نفسها وهبطت في هدوء وثبات بعد أن ارتدت النظارة السوداء. أقبل عليها شفيق وحيها بحرارة وقادها خلال الأروقة، التي أطلت من أبوابها الرؤوس المحدقة في فضول لم يحمها منه سوى النظارة ورأسها التي أحتتها متفادية كل ما حولها، حتى دخلت مكتب منصور بك وأحست أنها بأمن من عيون الناس، فتنفست الصعداء وخلعت النظارة وأخذت تهدي من روعها قبل أن تلتفت وتدرج رويدا رويدا ما حولها.



عندما هدأت قليلا أشار شفيق نحو المكتب إيدانا لها بأن نتقدم لتجلس خلفه، انتابتها حالة من الخوف والتردد شحذت كل قواها لتتغلب علها وهي تتقدم مستمينة لتحافظ على ثباتها، حتى وصلت خلف المكتب وجلست على المقعد. لم تعلم كنه الشعور الذي أحست به في تلك اللحظة. خوف ممزوج بالأم وسخرية من تلك الحياة التي دارت ملابساتها فأجلستها على المقعد الذي كان يجلس عليه هذا الرجل الذي حرص على إبعادها عن حياته طيلة الوقت.

انتهيت على صوت شفيق الذي أشار نحو ليديا ورافت وهو يقول مبتسما:

- دي ليديا سكرتيرة منصور بيه ومديرة مكتبه، وده رافت النائب بقاعي. هيكونوا أقرب اتنين ليكي في الفترة الجاية وتحت أمرك وهيساعدوكي في كل حاجة.

فنتظرت نحوهما يارا وهي تقول مبتسمة:

- عارفاهم وشفتهم قبل كده. ليديا في العزا ورافت في المستشفى.

فقال شفيق متذكرا:

- أبوه صبح. على العموم هما هيفضلوا معاكي بقية الأسبوع ما عدا الخميس عشان الخميس الجاي خميس العهد وهما هيبقى عندهم قدام.

فأسرعت ليديا تقول مبتسمة في خبث:

- لا يا مستر شفيق ماتقلقش. أنا بس اللي هاغيب عشان رافت ما يروحش القدام.

فرمقتها رافت في غيظ وهم بأن يرد عليها، ولكن شفيق رماه بنظرة محذرة أوقفته قبل أن يلتفت نحو يارا ويسترسل شارحا برنامج اليوم:

- بعد شوية هيبجي أعضاء مجلس الإدارة عشان نتعرفي عليهم، وبعدها هيبجي الباشمهندس حسن أيوب عشان يديكي فكرة عامة عن شركات المجموعة وأعمالها، وبعدها هتسلمك ليديا مجموعة ملفات مهمة عشان تطلعني عليها.

فأشارت يارا برأسها دون أن تجد ما تقوله، بينما استأذنها شفيق وخرج هو وليديا ورافت لاستدعاء أعضاء مجلس الإدارة للمقابلة.

وما إن خلت إلى نفسها حتى ألقط برأسها إلى الخلف وأغمضت عينها محاولة تمالك نفسها والاستعداد للمقابلة القادمة. "أين أنت يا يحيى؟" ألم تقل لي إنك ستزورني في المكتب في أول يوم في

المجموعة؟ في حالتي تلك لن أكذب على نفسي أو أنكر ما بداخلي، أنا في أشد الحاجة إليك بجانبتي". أفأقت على صوت ليديا وهي تقترب في هدوء متنحفة لتنيها إلى وجودها قبل أن تقول:

- أنسة يارا، أستاذ يحيى.

فانتفضت يارا مسرعة وقاطعتها متسائلة في لهفة:

- وصل؟

- لا، ده بعث لحضرتك دي.

وناوتها عليه سواد مستطيلة أخذتها يارا محاولة إعادة الهدوء إلى ملامعها، بعد أن أدركت ما ظهر عليها من لهفة وتسرع، فتحتها في هدوء، كان بداخلها قلم جاف فضي لامع رقيق، ابتسمت وقلها يغشق في سعادة بسبب تلك الهدية، كيف يستطيع أن يعلم بالضبط ما يمكن أن يسعدها؟ ولكن في تلك اللحظة بالذات لا شيء في الدنيا يغني عن وجوده بجانبها ولا حتى مساعدها بتلك الهدية الرقيقة والمناسبة للموقف.

أغلقت العلبة ونحتها جانبا عندما سمعت طرقا انفتح على إثره الباب، ودخل شفيق وخلفه أعضاء مجلس الإدارة في بذلاتهم الأنيقة وعطورهم الفواحة، فهضت يارا مدارية توترها بابتسامة، وتجاوزت المكتب وتقدمت حتى وقفت أمامهم مباشرة، حيث بدأ شفيق بتعريفها بهم عن طريق ذكر أسمائهم ومراكزهم في المجموعة، وبارا تصافحهم وتوترها يزداد كلما أدركت أهمية مركز كل واحد فيهم حتى وقف أمامها آخرهم مبتسما بوجه بشوش يختلف عن الابتسامات المتكلفة التي رسمها كل من قبله فعرفه شفيق قائلا:

- و أخيرا وليس أخرا الأستاذ هاشم فتح الله المدير التنفيذي للمجموعة ومدير مصنع منتجات الألبان الخاص بالمجموعة في ستة أكتوبر.

فصافحها مبتسما ومداريا تأثره وهو يقول:

- نورتي شركتك ومليتي مكان أبوكي.

فابتسمت في توتر واضطراب وهي تقول في صوت خافت:

- شكرا يا أستاذ هاشم.

فاستطرد هاشم متسائلا:

- تعرفي إنك شبه قوي؟

ألجمت الصدمة لسانها ولم تعرف بم تعجب. عندما رأت منصور بك في المستشفى أدركت مدى الشبه الذي يجمع بينهما، لكنها حاولت التهرب من تلك الفكرة مثلما اعتادت التهرب من أي شيء يربطها به، وكادت أن تنسى حتى أتى هاشم بنظرته الأبوية وابتسامته الجميلة ليذكرها في يوم ينقصها فيه كل شيء إلا التوتر والخوف.

قطع شفيق الصمت مجيباً هاشم بدلاً منها ومنبهاً الحديث في نفس الوقت:

- أكيد طبعا خدت بالها، على العموم لسه قدامنا وقت طويل عشان نتعارف أكثر.

فصافحها هاشم مرة أخرى قبل أن يستدير ويخرج مع كل الأعضاء الآخرين ثم التفت نحوها شفيق وقال:

- بعد إذتك هاروح أستدعي الباشمهندس حمن أيوب المساعد الفني لمنصور بيه، عشان يديكي فكرة عامة عن المجموعة وأعمالها.

خرج شفيق بينما عادت يارا وارتمت على المقعد وقد بلغ اضطرابها مداها، أكان اليوم ينفصك يا هاشم لتتكأ جروحها وتذكرها بوالدها وأختها والشبه بينهم وكل تلك الأشياء التي تثير مشاعرها وتوترها.

جاء صوت ليديا عبر الجهاز قائلة:

- آنسة يارا، الأستاذ يحيى وصل.

فانتفضت يارا وضغطت الزر وهي تقول مسرعة:

- خليه يدخل بسرعة.

أخيراً وصلت يا يحيى، وفي الوقت المناسب تماماً، نهضت يارا في توتر واقتريت في خطوات مسرعة نحو يحيى، الذي تقدم نحوها مبتسماً وهم باللقاء التحية لكنها قاطعته قائلة في عصبية بعد أن التفت في منتصف الغرفة:

- اتأخرت ليه يا يحيى؟ حرام عليك.

فابتسم وهو يقول في استغراب:

- أنا ماتأخرتتش، أنا مارحتش الشغل لحد دلوقتي عشان أعرف أجي لك.



- فهدأت قليلا قبل أن تقول معتذرة:
- أنا أسفة، أصلي متوترة قوي من الصبح وكنت محتاجة حد جنبي.
- فاتسعت ابتسامته أمام رقتها قبل أن يتساءل:
- هو القلم ماوصلش؟
- فاستدارت واتجهت نحو المكتب وهي تقول:
- لا وصل.
- عجبك؟
- فجلست خلف المكتب وهي تقول:
- جدا، أنا مش هاستخدمه وهاحتفظ بيه كده زي ما هو.
- فجلس أمام المكتب وهو يقول معترضاً:
- لا من فضلك، القلم ده لازم تستخدميه وتمضي بيه القرارات المهمة بس.
- فحدقت في وجهه ثواني قبل أن تتساءل مستنكرة:
- أمضي قرارات مهمة؟
- أيوه طبعا، إنتي دلوقتي رئيس مجلس الإدارة والوحيدة صاحبة الحق في إنك تمضي على القرارات المهمة والمصيرية كمان، إنتي مستقلة نفسك ولا إيه؟
- فابتسمت في اضطراب وخوف من هذه الحقائق التي واجهها بها. انتهت على صوت شفيق الذي دخل الغرفة ونظر نحو يحيى مندهشاً ثم قال بابتسامة:
- أستاذ يحيى، أهلا وسهلا.
- فنهض يحيى ورد التحية مبتسماً بينما التفت شفيق نحو يارا وأشار إلى رجل كان يسير خلفه قائلاً:
- الباشمهندس حسن أيوب، المساعد الفني لمنصور بيه.
- فأحى الرجل رأسه ليأرا مبتسماً والتي حيثه قائلة:
- تشرفنا يا باشمهندس.
- أهلا يا هانم.
- فقال شفيق وهو يشير نحو مائدة الاجتماعات:

- اتفضلوا.

فتململ يحيى قليلا قبل أن يقول في صوت خفيض:

- طب أنا هامشي بقي.

فنظرت نحوه يارا في فزع وقالت متوسلة:

- لا يا يحيى أرجوك ماتمشيش، أنا محتاجك جني جدا دلوقتي.

- أيوه بس إنتوا هتجتمعوا دلوقتي وهتستغلوا.

- ده مش اجتماع، ده هيعمل عرض سريع عن شركات المجموعة وأعمالها. ما فيش لا شغل ولا

أسرار.

فجاء صوت شفيق من خلف المائدة وهو يقول:

- واقف ليه يا أستاذ يحيى؟ اتفضل، اتفضلي يا يارا.

فنظرت يارا نحوه بنظرات متوسلة لم يستطع أن يصمد أمامها، خاصة بعد أن جاءت دعوة شفيق

نافية لأي حرج. ابتسم واتجه نحو المائدة التي جلست يارا على رأسها وقد ملأها ارتياح غريب

عندما أذعن يحيى لطلبها ولم يذهب، بينما جلس شفيق على يسارها ويحيى على يمينها. أنزل

المهندس حسن الشاشة البيضاء وقام بتخفيف الإضاءة، قبل أن يضغط على جهاز العرض

المسيماي، فتتابعت الصور والرسومات البيانية أمامهم بينما بدأ هو شرحه قائلا:

- في منتصف الثمانينات أنشأ منصور أبو بلاط شركة استيراد وتصدير، برأس مال حوالي ستة

مليون جنيه. على مدار حوالي خمسة وعشرين سنة وبفضل اجتهاد منصور بيه وحكمته في الإدارة

والاستثمار، توسعت الشركة وأنشئت شركات جديدة في مجالات مختلفة. ودلوقتي الشركة

المتوسطة تحولت إلى مجموعة كبيرة تتكون من ستة وعشرين شركة ومصنع، برأس مال يتراوح

حوالي ما بين خمسة ونص وستة مليار دولار.

صممت المهندس حسن ليلتقط أنفاسه واتسعت «هدقتنا يارا من هول الأرقام التي تسمعها بينما

استطرد حسن قائلا:

- المجموعة تتكون من التالي: شركة الاستيراد والتصدير الأساسية طلبها، مصنع منتجات الألبان

والشركة الخاصة بيه، مصنع المنتجات الورقية والشركة الخاصة بيه، شركة مقاولات، شركة



ملاحة لنقل البضائع بحريا، شركة سمسرة وتداول أوراق مالية، مصنعين لمنتجات البلاستيك، مصنع ملابس جاهزة والشركة الخاصة بإدارة سلسلة محلات الملابس، سلسلة مطاعم، مصنع وشركة منتجات إلكترونية، مصنع منتجات زجاجية، مصنع مستحضرات تجميل والشركة الخاصة بيه، شركة سياحة، مصنع حدايد وبويات والشركة الخاصة بيه، شركة نقل بضائع برنا بتخدم باقي شركات المجموعة، مصنع أسمنت، شركة لإدارة مراعي الأبقار والدواجن اللي بتورد للمطاعم والمصانع، مصنع كيماويات، وأخيرا وكالة إعلان ضخمة.

صمت المهندس حسن مرة أخرى، بينما نظري يحى نحو يارا نظرة مشجعة بعدما أحس بالخوف الذي أخذ يملؤها كلما تقدم الرجل وزاد في الشرح. جاهدت لترسم ابتسامة على شفثها لتطمئنه قبل أن تلتفت نحو حسن الذي استكمل:

- معظم الشركات والمصانع ماشيين بخطوات ثابتة حسب الخطط الموضوعية، وبعد الاجتماع حاجيب لحضرتك الملف الخاص بكل شركة، وفيه ستلاقي أهم أعمال لكل شركة على حدة في الخمس ستين اللي فاتوا والخمس ستين الجايين. مافيش حاليا مشاكل مهمة إلا في مكانين بس. ضغط حسن على الزر لغير الصورة قبل أن يسترسل قائلا:

- أولا، كنا بدأنا مشروع مشترك بين شركة النقل البري وشركة منتجات الألبان لتغيير نظام نقل وتخزين المواد الخام والمنتجات، لأن طبعا صناعة الألبان من أكثر الصناعات الحساسة والتي بتحتاج معاملة خاصة في النقل والتخزين. المشروع ده بيتضمن استخدام نظام متكامل يربط بين تلاجت متنقلة في عربيات النقل وتلاجت ثابتة في المخازن، وكان منصور بيه اتفق مع شركة أوروبية لتنفيذ المشروع. الوفد الخاص بالشركة دي كان هيوصل الأسبوع اللي فات بس طبعا كل حاجة اتأجلت بسبب اللي حصل ومعاد حضورهم اتأجل للأسبوع اللي جاي. أهم حاجة إننا نخلص المفاوضات ونبدأ تنفيذ المشروع في أسرع وقت ممكن عشان كل تأخير بيخسرنا وببضيع علينا فرص ربح وتوفير نفقات.

صمت حسن مرة أخرى لتغيير الصورة المعروضة ثم استأنف حديثه قائلا:

- تانيا، قبل اللي حصل منصور بيه كان بيعمل مفاوضات مع عدة بنوك للحصول على قروض بقيمة ستة وعشرين مليون دولار لتمويل المرحلة الثانية من مشروع مدينة الشرفة السكنية في

القاهرة الجديدة. طبعاً كل المفاوضات دي توقفت ولازم ترجع تاني بسرعة لأن المشروع شبه متوقف.

صمت حسن بعد أن انتهى كلامه ونظر نحو يارا التي كانت - على غير المتوقع - ممتعة الوجه، تملأ الدهشة والاستنكار ملامحها وكأن الكلام قد توقف في حلقها، ازدردت ريقها بصعوبة وتساءلت بصوت مبحوح:

- حضرتك قلت.. المدينة السكنية اسمها إيه؟

فقطب المهندس حسن في استنكار من هذا السؤال الذي لم يتوقعه ولا يتناسب مع خطورة ما قال. لكنه تمالك نفسه مسرعاً وقال في هدوء:

- الشريفة.

نظر يحيى نحو يارا في قلق مما بدا عليها من اضطراب ازداد عن المعقول، لكنها لم تلتفت إليه واستطردت متسائلة:

- ماعلش استعملي، بس هو مين اللي كان بيختار أسامي المشروعات؟ مديرين الشركات واللي ماسكين الmarketing؟

فرقع حسن كتفيه وهو يقول:

- يعني، على حسب المشروع، بس المشروع ده بالذات منصور بيه هو اللي اختار اسمه بنفسه.

فصمتت يارا وقد تحولت قسماً وجهها من التوتر والاضطراب إلى تفكير عميق اختلط بحزن وحيرة، لم تلتفت إلى ما حدث بعد ذلك ولكنها وجدت نفسها بمفردها مع يحيى بعد أن خرج شفيق وحسن من الغرفة. نظر يحيى نحوها في قلق ثم تساءل:

- مالك يا يارا؟ إيه اللي حصل لك وغيرك فجأة كده؟

فازدردت يارا ريقها لتبل حلقها الجاف قبل أن تتساءل في حيرة:

- إنت سمعت اللي قال له الباشمهندس حسن؟ منصور بيه هو اللي اختار اسم المدينة السكنية.

فمط يحيى شفثيه مستغرباً وهو يتساءل:

- طب وفيها إيه؟

فحركت رأسها وهي تقول في تأثر:

- إنت عارف شريفة ده يبقى إيه؟ يبقى اسم أمي الله يرحمها.  
بدا يحيى مأخوذاً مما سمعه لكنه قال محاولاً التظاهر باللامبالاة:

- طب وفيها إيه؟ يمكن صدفة؟

فاحتدت قليلاً وهي تقول وقد التمعت الدموع في عينها:

- صدفة لدرجة إنه هو اللي يختار الاسم بنفسه؟! إيه؟ هو نسينا لدرجة إنه نسي اسم أول واحدة

اتجوزها؟

فقال يحيى في هدوء:

- أو يمكن تكونوا على باله وعمره ما نسيكم.

فنظرت باراً نحوه مأخوذة من هذا الافتراض. ثم سرعان ما حل الهم محل كل شيء آخر فوق

ملامحها وهي تمسك رأسها بيديها وتمتد على المائدة قائلة:

- أنا حاسة إني مش فاهمة أي حاجة.

- وأنا حاسس إنك مضايقة نفسك زيادة عن اللازم.

فنظرت نحوه بعينين نصف مغمضتين وهي تتساءل:

- إنت شايف إن اللي أنا فيه ده ما يستاهلش المضايقة؟

فابتسم نصف ابتسامة وهو يقول:

- بصي، هو أنا لما بأحط نفسي مكانك بالآتي إن عندك حق تتضايقي وتختاري. بس لما بارجع ثاني

مكانني بأحسن إني متضايق لما بأشوفك عاملة كده.

تسحبت يده فوق المائدة حتى تناول يدها ووضفط عليها برفق وهو يقول:

- ربحي نفسك شوية يا يارا. مش كل شوية تلمي دماغك بمليون حاجة تضايقك وتتهك أعصابك،

حتى لو فيه حاجات طلعتك من تحت الأرض أجلي التفكير فيها وركزي في الشغل والمجموعة وبس،

لحد لما تلبتي نفسك هنا وبعدين نبتدي ندور على حاجة نحل بيها لغز الصندوق ده. غير كده

أرجوكي ماتتهكيش نفسك. اتفقنا؟

فابتسمت وهي تقول مستسلمة:

- اتفقنا.



فتح الباب بفتنة فانفصلت أيديهما في سرعة وانتابتهما حالة توتر خوفا من القادم. لكن ليديا لم تكن قد رأت شيئا ولم تلتفت إلا إلى الملفات الثقيلة التي تحملها والتي وضعتها على المكتب خلفهما وهي تقول:

- الملفات التي يعتمها الباشمهندس حسن يا أنسة يارا.

فقال يارا مدارية اضطرابها:

- شكرا يا ليديا.

خرجت ليديا بينما عاد يعي فأمسك بيد يارا ونهض وهو يجذبها ويتجه بها نحو المكتب حتى أجلسها خلفه، ثم ابتسم وهو يقول متصنعا الحزم:

- سيادتك وراكي شغل كثير قوي. أفكر لازم تبدي فيه دلوقتي حالا عشان تلحقي تخلصي، وأنا هاوصي ليديا وأنا خارج تبعت لك شفشق لمون عشان تهدي أعصابك.

ابتسمت من مازحته لها بينما اتسعت ابتسامته، قبل أن يلتفت ويتجه نحو الباب وقبل أن يخرج استدار وهو يقول:

- هابقى أكلمك بالليل.

فحركت رأسها موافقة قبل أن تعود وتنظر إلى ما بين يديها من أوراق، بعد أن خرج يعي وتركها مشحونة بأمل جديد وقوة تدفعها لمواصلة ما بدأته سواء في المجموعة أو في أمرهما.

(٣١)

انخرطت يارا طوال أول يومين في أعمال المجموعة ومشاريعها، دأبت مجتهدة على فهم كل كبيرة وصغيرة في العمل ودراسة المشاريع والقرارات والملفات، أرادت أن تستوعب العمل على قدر ما تستطيع حتى إذا ما بدأت في اتخاذ القرارات والمشاركة في المفاوضات والاجتماعات تكون ذات خلفية جيدة وقاعدة بيانات تجعلها قادرة على السير في الطريق الصحيح، حتى لا تسبب في أي أذى قد يصيب هذا الصرح العملاق.

وكان شفيق ورافقت وليديا يساعدها بجد واجتهاد ويشيرون لها كل ما هو غامض عليها أو جديد بالنسبة لها، حتى بدأت تعتادهم وبالذات ليديا، تلك الفتاة الرقيقة المهذبة المتعاونة التي يمتلئ وجهها بالبشاشة وتمتلئ عينها بالحزن، وعلى الرغم من قصر فترة تعاملها معها لكن يارا وجدت نفسها تثق في ليديا ثقة كاملة، حتى أنها فكرت فيما كآول من متبدأ بالاستعانة به في تلك المجموعة لمعرفة المزيد عن الأسماء الموجودة بالقائمة وسلاقتهم بمنصور بك، كما أنها أصبحت تعتمد عليها في كثير مما يخص العمل حتى أنها شعرت بقرآن شديد يوم الخميس حين تغيبت ليديا لحضور قداس خميس العهد.

كانت جالسة وحدها في المكتب تطالع بعض الأوراق حين رن جرس هاتفها المحمول برقم لا تعلمه، ضغطت على الزر ووضعت الهاتف على أنها سمعت صوتا نسانيا تالفه بقول في تودد:



- صباح الخير يا يارا.

- صباح النور.

- أنا عابدة مامت يحيى. مش فاكرا ني؟

فأسرعت يارا تقول في سعادة وقد تذكرت نبرة الصوت الأرستقراطية الناعمة:

- لا إزاي يا طنط بس؟ طبعا فاكرا حضرتك. عاملة إيه؟

- أنا كويسة الحمد لله. المهم إنتي عاملة إيه؟ يحيى قال لي إنك شايطة حمل تقيل قوي.

فأبتسمت يارا وهي تقول مستحضرة تشجيع يحيى لها وثقته في قدراتها:

- ماتخافيش يا طنط أنا قدها.

- أنا برضو قلت كده.



ثم صمنت لحظة قبل أن تقول في حماس:

- قولي لي وراي حاجة يوم الاثنين؟

فهمت يارا متذكرة في استنكار:

- الاثنين؟

- أيوه يوم شم النسيم.

فأسرعت يارا تقول بعد أن تذكرت:

- آه صح ده هيبقى شم النسيم. لا يا طنط ماعتديش حاجة اليوم ده.

- ولا هتوزي قرايب ولا صحاب أو أي حد؟

فقالته يارا مدارية حزنها:

- لا خالص يا طنط. هابقى لوحدي.

فازداد حماس عايدة وهي تقول:

- لا مش هتبقى لوحدك. إنني هتيجي تقضيه معانا أنا ويحيى هنا في البيت.

فترددت يارا قليلا قبل أن تقول:

- بس.. أنا خايفة أضايقكوا وإنتوا هتبقوا عيلة مع بعض.

- لا هتضايقينا ولا هتبقى عيلة ولا حاجة. السنة دي بناتي الاثنين مش هيقدرنا ييجوا هما

واجوازاتهم وولادهم عشان يقضوا شم النسيم معانا. فبدل ما أنا ويحيى نبقى لوحدنا وإنني تبقى

لوحدك نقضي اليوم ده مع بعض. ولا إنني مش عاوزة؟

فانتفضت يارا وهي تقول مسرعة:

- أنا؟ أبدا والله. هو أنا أطول؟ خلاص أنا معاكم الاثنين الجاي.

- كلام نهائي؟

فابتسمت يارا وهي تقول:

- كلام نهائي.

أنتهت المكالمة وأغلقت الهاتف وهي في قمة السعادة. كم أحببت هذا البيت منذ أن دخلته. أحببت

جوه العائلي الدافئ. أحببت ربته السيدة الجميلة الوقورة الأرسقراطية التي تعاملها كأنها ابنتها أو

أكثر. وأحببت أن تقضي معها في هذا البيت أطول وقت ممكن. وازدادت سعادتها ومعها خفقان قلبها عندما أدركت أنها ستقضي اليوم كله مع يحيى. هذا اليوم الذي منذ أن توفيت والدتها وهي عادة ما تقضيه بمفردها سيختلف هذا العام. وبدلاً من الجلوس وحدها واجترار الذكريات الأليمة ستقضي الوقت في جو عائلي جميل مع يحيى، الإنسان الوحيد الذي أصبحت تثق فيه وتشعر بالراحة والأمان بجانبه.

انتهيت على جرس هاتفها مرة أخرى، مطت شفيتها في تهلل عندما قرأت اسم كريم على الشاشة ثم فتحت الخط فجاءها صوته قائلاً في مرح:

- صباح الخير على أجمل رئيسة مجلس إدارة في الدنيا.

ابتسمت في تكلف مرتابة من تلك الرقة وهي تقول:

- صباح النور يا كريم.

فانطلق يقول دون أن يترك لها فرصة للحديث:

- يلا بقى اعلمي حسابك على داي يوز يوم شم النسيم. هنطلع على الفيلا بتاعة مروان في العين السخنة نقضي اليوم كله ونرجع بالليل.

أحست بشيء من الضيق من نبرته التقريرية تلك، أحست أنه يأمرها ولا يأخذ رأيها، أخفت ضيقها وقالت في حسم:

- لا يا كريم ماعلش مش هاقدر آجي.

فهتف مزعجاً:

- ليه؟

ترددت قلها قبل أن تقول:

- أصل قرايب ماما عزموني عندهم اليوم ده وأنا قبلت العزومة.

فقال في استخفاف:

- اعتذري لهم.

فازداد ضيقها من استهتاره وقالت في عصبية:

- ماقدرش يا كريم، خالة ماما ست كبيرة وزي جدتي هتزعل لو مارحتش، عشان أنا بقى لي كثير ماشفتهاش ولا حتى اتصلت بها.  
فقال مهادنا:

- طب خلاص ماتتعصبيش، نبقي نعوضها في وسط الأسبوع.  
- لا ماينقعث بيبقى عندي شغل، خليها في الويك إند.  
- خلاص ماشي.

ثم صمت قليلا قبل أن يقول في رقة:

- ولو إنك متوحشيني.

فقال في صبر نافذ:

- ماعلش يا كريم أنا لازم أقفل عشان عندي مقابلة مهمة.

- خلاص ماشي، هابقي أكلمك ثاني.

- طيب. سلام.

أنهت المكالمة في عصبية دون حتى أن تسمع رده، لكن ما إن وضعت الهاتف المحمول على المكتب حتى هدأ غضبها وتحول الضيق إلى ابتسامة على شفيتها كادت أن تتحول إلى ضحكة. وجدت نفسها في غاية الاندهاش، كيف استطاعت أن تختلق تلك الكذبة بهذه السرعة وتنفذها دون تردد أو اضطراب أو خوف كأنها بالفعل ستزور أقارب والدتها الذين لم يسألوا عنها في الحقيقة منذ سنوات؟ ألتلك الدرجة لا تريد أن تقضي اليوم مع كريم؟ أم.. أم أنها خافت من أن يضيع هذا اليوم دون أن ترى يحيى؟ نهضت واتجهت في خطوات وثيدة ومفكرة نحو النافذة الكبيرة، وما إن وصلت عندها حتى كانت ابتسامتها قد اتسعت إلى أقصى مدى، فقد أدركت أنها ليست في حاجة إلى تفكير لتعلم الإجابة، إنها تعلمها جيدا منذ اللحظة التي ضبطت فيها نفسها وهي تقارن بين يحيى وكريم، أو ربما من قبل ذلك بكثير. لا تعلم، كل ما تعلمه حقا هو أنها تعلم الإجابة جيدا وليست متضايقة أو متدهشة منها.



(٣٢)

كانت ليديا تقف مستندة بمرفقها على حافة النافذة المطلة على الشارع. تراقب باب العمارة في ضيق وضجر بينما هواء الليل يعبث بشعرها البيتي الناعم. عندما جاءها صوت والدتها ووالدة رافقت من نافذة الغرفة المجاورة التي كن يجلسن فيها يحتسين القهوة وقد ارتفع صوتهن وخرج واضحا إلى الشارع. قبل أن يعود من النافذة الأخرى إلى أذني ليديا:

- هورأقت ليه ماجاش لحد دلوقتي يا أنجيل؟

- هو أنا عارفة له حال أبدا. أهو رجع إمبارح بالليل من الكنيسة بدل ما بيعي ياكل معنا أكل لوحده بسرعة ودخل أوضته. ولما رجعت من عندك الفجر بعد ما خلصنا أكل لقيته نايم. ولما صحيت لقيته قاعد على الكمبيوتر. وقال لي قال إيه هيجصلي على هنا بعد ساعتين وأديه ماجاش لحد دلوقتي. أنا متأكدة يا سميرة إنه لسه قاعد على الزفت الكمبيوتر اللي مايبسيهوش طول الوقت.

- ماعلش يا أنجيل يا حبيبيتي. تلاقيه قاعد بيرغي مع صحابه على النت.

- طب ما يرغي معاهم في التليفون ولا يخرج معاهم. لأ يا سميرة لأ. أنا قلبي مش مطمئن.

- ليه بس؟ هو قال لك حاجة خوفتك؟

- لأ. بس ده ابني وأنا عارفاه. لما بيبقى عامل عملة أو مخبي حاجة قلبي بيعبس.

- اهدي بس كده وروقي. رافقت ده زينة الشباب. وبكرة حاله يتصلح. إنتي مش فاكرة ابن جارتنا.

انصرفت ليديا عن متابعة الحديث متضايقه. إن ما تقوله أنجيل صحيح. إنها تشعر بمثل ما

تشعر به. هذا الاختلاف الذي بدأ يطرأ عليه لا يخفى عليها على الرغم من أنه يكاد يكون لم يغير

من طريقة معاملته لها. إنها أيضا تشعر بارتياح لا تعلم له سببا. وجاء اليوم ليؤكد تلك الظنون.

طيلة قداس العيد لم يلتفت نحوها وكأنها غير موجودة بالمره. وبعد عودتهم من الكنيسة لم يأت

مع والدته ليتناول طعام العيد معهم ولم يعد معها في الصباح. وما هي الساعة تقرب من الثامنة

مساء وهو لم يأت بعد. قضى العيد كله وحده في المنزل.

جذب نظرها صوت في الشارع حيث ألقت رافقت وهو يفلق باب سيارته ويعبر الشارع متجها نحو

باب العمارة. أحست في تلك اللحظة بمدى الفتور الذي اعترأها. فتور لو نطق لتساءل في سخرية

"بعد إيه؟" وعلى الرغم من ذلك لم تستطع أن تمنع قلبها من أن يخفق خفقته المعتادة كلما رأت رأفت واقفا في صالة منزلهم. التي وقفت هي في نهايتها دون أن تتقدم خطوة واحدة بينما كان والدها يرحب به ويدعوه للجلوس قبل أن يلتفت نحوها ويحثها قائلا:

- ماتيجي يا ليديا تسلمي على رأفت.

تقدمت في خطوات متناقلة وهي تنظر نحوه بينما كان هو يتظاهر بتأمل صورة العذراء على الجائط. قالت مقفمة:

- كل سنة وإننت طيب يا رأفت.

ألقي نحوها نظرة سريعة وهو يقول:

- وإنني طيبة.

ثم عاد يتأمل الصورة وكأنها غير موجودة بالمرة. لم يجذب نظرتها الحزينة سوى صوت والدها الذي طلب منها إعداد الشاي وإحضار الحلوى "الفطاري". دخلت المطبخ وقامت بإشعال النار ووضع البراد المملوء بالماء وإعداد صينية الأكواب والحلوى بأصابع آلية. وهي تحاول بكل قوتها أن تتغاضى عن إحساس الألم الذي أخذ يلشب بداخلها. وبعدما وضعت الصينية أمامها ترددت لحظة قبل أن تستدير وتدخل غرفتها وترتمي على الفراش.

لماذا يعاملها بهذا الجفاء؟ لم يحدث شيء مؤخرا يستدعي منه كل ما يفعله هذا؟ أيمن أن يكون غاضبا بسبب الملاحظة التي ألقتها أمام يارا وشقيق عن عدم حضوره للقداس؟ إنها تعلم أنها كانت مزحة سخيفة ولكنها لم تستطع أن تكتم غيظها ورغبتها في إيذانه مثلما أذاها حتى لو كان قد اعتذر لها بالفعل. فضلا عن أن تلك المزحة لا تستدعي هذا الرد العنيف منه وكل تلك القسوة في المعاملة. إن أفضل ما تفعله هو أن تظل في غرفتها حتى يرحل. حتى تجنب نفسها الحرج والألم الذي يصيبها به بسبب لامبالاته وقسوته. لكنها عادت وأشفقت من فكرة أن يمر العيد وأن يذهب رأفت دون أن يتعداها معا أو يقول لها كلمة حلوة تسعد بها. لكنها أيضا لا تستطيع أن تخرج وتجلس معه هو ووالدها وهو لا يزال يعاملها بتلك الطريقة. إن أفضل حل هو أن تخرج وتتظاهر بمراقبة الشارع من النافذة كما كانت تفعل منذ قليل. حتى إن حانت فرصة مناسبة يجد لديه القدرة على الحديث معها دون أن تهين نفسها وكرامتها مرة أخرى. غمرها ارتياح من تلك الفكرة



وتنهضت لتطمئن على شكلها في المرأة، قبل أن تخرج وتتجه نحو النافذة وتتظاهر بمراقبة الشارع، بينما كل حواسها كانت دائرة مع حديثهما خلف ظهرها.

وبعد فترة قصيرة استأذن والدها وذهب إلى المرحاض تاركا أمامه فرصة مناسبة ليبدأ حديثا معها. مرت الدقائق بطيئة ثقيلة وهي تختلس نحوه نظرات قلقة مضطربة منتظرة أن يناديها أو يتقدم في أي لحظة ويتجه نحوها. ولكن بدلا من ذلك ظل رأفت جالسا مكانه كالتمثال. صامتا شاردا في صورة العذراء التي لو نطقت لحنته على الرأفة بتلك الفتاة المسكينة التي استهلكت قلبها ومشاعرها في حب لم تذق فيه يوما سعيدا مثل الفتيات الأخريات.

و عندما سمعت صوت حفيف ملابس والدها وهو عائد من الداخل انتابها حالة غضب مؤلمة. أدركت أن تلك الفكرة لم تكن إلا شكلا آخر من أشكال إهانة نفسها بنفسها ودهس كرامتها وجرح مشاعرها التي أصبحت لا تعتمل أكثر من ذلك.

استدارت وعادت إلى غرفتها في خطوات عصبية قبل أن ترمي بنفسها على الفراش في عنف أوجع ضلوعها. ظلت محمقة في السقف والأفكار تدور برأسها، كل ما قالته طنط أنجيل صحيح. رأفت ليس رأفت الذي تعلمه جيدا، ليس فقط بسبب إهماله لها، فهذا شيء على الرغم من إيذانه لها قد اعتادته. ولكن هناك شيئا آخر في نظرة عينيه وشروده وانصراف ذهنه عن العمل في الأيام الماضية. ولكن ما السبب؟ الحب مثلا؟ وعاد قلبها ليتقلص بداخلها ولكن عقلها رفض الفكرة رفضا تاما. إذا كان يحب حقا، فأين هي تلك التي يحبها؟ إنها تكاد تكون معه في كل مكان يرتاده، العمل والكنيسة. كما أن كل معارفهما يعلمن مشاعرها نحوه ولن تجرؤ إحداهن على الإقدام على فعلة كنتك. لا لا، إنها فكرة غير مبررة ولا دليل عليها.

وجدت عقلها يعود إلى نقطة البداية، ما سبب هذا التغير!

لا تعلم كم مضى من الوقت قبل أن تنتبه على صوت والدتها وهي تهتف من الخارج قائلة:

- تعالي يا ليديا سلمي على طنط أنجيل ورأفت عشان ماشيين.

و عندما خرجت من الغرفة كانت أنجيل تنتظرها في منتصف الصالة لتودعها، بينما كان رأفت قد سبقها ليقوم بتشغيل السيارة وتسخينها.

(٣٣)

عندما فتح يعقوب باب الشقة أطلت يارا بوجهها إلى الأمام وهي تقول مبتسمة:

- كل سنة وانت طيب.

فرد بابتسامة مماثلة:

- وإنني طيبة.

- اتفضل.

قالتها وهي تمد له يدها بعلبة حلوى تناولها ووضعها على الـ "كونسول" المواجه لباب الشقة وهو يقول:

- ماكانش ليه لازمة.

فدخلت الصالون وهو يتبعها وهي تقول:

- إزاي بس؟ أمال سنحلي بييه بعد الغدا؟

- أه. ده إنني جاية ورأسمة على غدا بقى؟

فجلست وهي تقول لترد الممازحة:

- وإنك مالكة؟ هو إنت اللي عزممتي؟ طنط عايدة هي اللي عزممتي وأنا جاية عشانها.

فجلس وهو يرفع حاجبيه ويقول في غيظ:

- بقى كده؟ بقى إنني جاية عشان طنط عايدة بس؟

فابتسمت من غيظه وهي تقول:

- أيوه طبعاً، ده أنا عشان طنط عايدة سبت فسحة حلوة جدا.

- فسحة؟ فين؟

فترددت قليلاً قبل أن تقول:

- في العين السخنة، مع صحاب الجامعة القدام.

فصمت قليلاً عند سماع تلك الجملة قبل أن يتساءل مداراً فضوله الممزوج بالقلق:

- و صحاب الجامعة دول أنا أعرف حد فهم؟

حركت رأسها موافقة وقالت وهي تتكلف ابتسامة:

- كرم اللي شفته في المطار.  
فحرك رأسه صامتاً في محاولة للتظاهر بالطبيعية قبل أن يقول:  
- ومارحتيش ليه؟ ماينحبيش البحر؟  
فصمتت قليلاً مفكرة قبل أن تقول في نخابت:  
- كنت باحبه زمان، أو كان بيتهيا لي إني باحبه.  
- وبعدين؟  
- وبعدين اكتشفت إنه مالهوش أمان. النيل آمن بكثير. أمال أنا جيت عندكوا ليه النهارده؟  
فقال متمادياً في الخبث:  
- بس إحنا بلكونتنا مابتبعش على النيل.  
فرفعت كتفها وهي تقول مبتسمة:  
- ومين قال لك إني جاية عندكوا عشان أدخل البلكونة؟  
ابتسم وقد حلت به ظمأئينة بعد هذا الحديث المراوغ، انتها على صوت عايده وهي مقبلة من  
الداخل وقد فتحت ذراعها ليارا قائلة:  
- أهلاً أهلاً يا يارا. كل سنة وانتي طيبة.  
فقبلتها يارا وهي تقول في سعادة:  
- و حضرتك طيبة.  
جلسوا بنفس ترتيب المرة السابقة وبعي يقول مبتسماً:  
- تصوري يا ماما. يارا بتقول إنها جات النهارده عشان حضرتك إنتي بس وأنا مش مهم.  
- أيوه طبعاً أمال إنت فاكر إيه؟  
فرقع حاجبيه وهو يقول لوالدته مندهشاً:  
- بقى كده؟ يعني خلاص إنتوا الاتنين اتفقتوا عليا؟  
فقالت عايده مؤكدة:  
- أيوه.  
فضحك ثلاثهم قبل أن تهض عايده وتتجه نحو المطبخ وهي تقول:



- خليكوا هنا لحد أما أخلص تحضير الفطار مع أم حمدي.  
فقالت يارا في بساطة:

- طيب حضرتك هاتي لنا البيض عشان نلحق نخلصه.

فالتفتت عابدة نحوها وهي تتساءل في استنكار:

- تخلصوه إزاي يعني؟

فترددت يارا من نظراتهم المستنكرة قبل أن تقول متعجبة:

- هو إحنا مش هنلون البيض؟ أنا جيت الألوان معايا.

ضحك الاثنان ضحكات ممزوجة باندھاش ثم قالت عابدة وهي تستدير مرة أخرى:

- هابتعت لك البيض المسلوق مع أم حمدي.

لم يكن يحيى قد كف عن الضحك عندما تساءلت يارا في ارتباك وحياء:

- هو فيه إيه؟ هو أنا قلت حاجة غلط؟

فكف يحيى عن الضحك وإن ظلت الابتسامة على شفتيه وهو يتأملها قليلا قبل أن يقول:

- بالعكس، ده هو ده العيد الوحيد اللي قضيته صح.

أحضرت أم حمدي طبق البيض المسلوق وانشغل كلاهما بتلونه. في لحظات تحولا إلى طفلين يختلسان النظر إلى بعضهما ليسرقا أفكارا في نقش البيض وتلونه. وخاصة يحيى الذي اتهمته يارا بأنه يقلد رسوماتها بينما دافع هو بحرارة عن نفسه بحجة أنه لا يستخدم نفس الألوان التي تستخدمها هي. وعندما بقيت بيضة واحدة تشاجرا عليها حتى اتفقا على أن يرسم كل منهما على وجه مختلف ثم يهديا تلك البيضة إلى عابدة لتأكلها.

جلسا على مائدة السفرة مثل المرة السابقة. وتناولوا الإفطار وقد أضفت يارا بوجودها وبيضا الملون جوا مرحا وجميلا على اليوم الذي كاد أن يكون مثل أي يوم عادي لا يميزه أي شيء.

بعد الإفطار استأذنت عابدة وغابت بالداخل بينما التفت يحيى نحو يارا وهو يقول:

- تعالي بقى نخلي أم حمدي تعمل لنا كبايتين نسكافيه نشرهيم بمزاج في البلكونة.

- طب مش نستنى طنط؟

- لا طنط مش متطلع من جوا قبل ساعتين على الأقل.



- إشمعني؟

فابتسم يحيى وهو يقول:

- حضرتك طبعا عارفة إن كل شم نسيم لازم يجيبوا فيلم "أميرة حيي أنا" صح؟

- صح.

- ماما بقى من ساعة ما دخلت الفيلم ده زمان في السيتما مع بابا الله برحمه وهو كل ما يبجي في

التليفزيون لازم تقعد تتفرج عليه. بتقول إنه بي فكرها بذكريات حلوة.

فابتسمت يارا في تأثر قبل أن تقول في حماس:

- طب ماتبجي تتفرج على الفيلم معاها.

فنظر نحوها في استنكار وهو يقول:

- إحنا منضيع الوقت في أفلام ولا إيه؟ إحنا ورانا كلام مهم.

فتساءلت يارا في استنكار:

- كلام إيه؟

فتململ يحيى قليلا وهو يفكر في إجابة قبل أن يقول:

- كلام في موضوع ربما. إنتي نسيتي ولا إيه؟

- لا مانسيتش بس أنا كان قصدي إننا مانسبش طنط لوحدها.

فقال في صبر نافذ:

- لا ماتلقبش. هي بتحب تتفرج على الفيلم ده وهي قاعدة لوحدها. بلا بقى.

فابتسمت في خبث وهي تقول:

- طيب حاضر.

سبقته نحو الشرفة بينما ارتفع صوته وهو يهتف:

- يا أم حمدي. اتنين نسكافيه وحياتك بس في مجات. بلاش الفناجين بتاعت ماما دي.

عندما استقرا في الشرفة على مقعدين متجاورين من ال"بامبو" ذي الأخواص البنية المتشابكة

سألها عن عملها في المجموعة. فمضت تروي له كل ما يحدث باستفاضة وهو يسمعها باهتمام.

حتى انتهت من كلامها فصمت قليلا لهفكر قبل أن يقول مشكلا كلامه في صيغة سؤال:

- طب مش بيتهيا لي لازم نبدأ بقى نشتغل على الأسامي اللي في اللسته؟

- ما أنا بدأت فعلا. استغليت فرصة الأجازة وجبت عنهم معلومات كتيرة قوي من على جوجل.

فلوح يحيى بيده وهو يقول:

- لا أنا ماقصدش البحث الخارجي، ده أمره سهل، أنا قصدي البحث الداخلي جوا المجموعة عن علاقة الناس دي بمنصور بيه وبربما.

فعقدت حاجبها وهي تتساءل مندهشة:

- فتتكر ممكن الأقي علاقة بين ناس زي دول وبين ربما؟

فمط شفتيه قبل أن يقول:

- لازم ندور في كل الاتجاهات.

فحركت رأسها موافقة على كلامه قبل أن تقول:

- خلاص، أنا هابتدي من بكرة أدور وهاستعين بليديا، أنا خلاص بقيت بائق فيها جدا وهي كمان بقت بتحبني قوي، بقينا شبه اصحاب.

- كويس قوي، ليديا محل ثقة وبقى لها كتير بتشتغل مع منصور بيه يعني هتفيدك جدا. بس برضو، ليديا مش كفاية، أنا عاوزك تحطي في جيبك كل مكتب منصور بيه وعشان ده يحصل لازم تكسي رأفت.

اتسعت حدفتا يارا في دهشة وهي تتساءل مستنكرة:

- رأفت، ده المساعد بتاع شفيق ودراعه اليمين وكل أسرارهم مع بعض، إزاي عاوزني أثق فيه؟!

- بغض النظر عن إن أنا مش فاهم إنتي ليه مايتحببش شفيق، بس الموقف غير ما إنتي متخيلة خالص.

- إزاي؟

- أولا شفيق من الشخصيات اللي مايتسمحش لأي إنسان مهما بلغت ثقته فيه إنه يعرف كل حاجة عنه وإنه يبقى مساعد مقرب ليه بالدرجة اللي إنتي فاكرها، يعني العلاقة بين رأفت وشفيق مش زي ما إنتي متخيلة. ثانيا بقى وده الأهم إن رأفت إنسان أمين جدا، هو أه حلنجي ومالهوش حال ثابت بس في الآخر تقدرني تستأمنيه على الأسرار وإنتي متطمنة حتى من ناحية شفيق.

فصمتت قليلا لتمعن التفكير فيما قال قبل أن تقول مستسلما:

- ماشي. إنت أدري بيم، بس أنا برضو هاجل الخطوة دي شوية وهاكتفي بليديا في الأول. وضعت أم حمدي النسكافيه أمامهما وذهبت، ارتشقا منه في صمتت قبل أن يقول يحيى محاولا التذكر:

- ناقص إيه تاني؟ النوتة الكحلي. ماعرفتيش فيها أي حاجة؟

فهزت رأسها نافية وهي تقول:

- ولا أي حاجة، ولا باب أزرق ولا حتى الأرقام دي فهمت بتاعة إيه.

فاستطرد يحيى قائلا في حماس:

- مش يمكن الرقم الثاني ده يكون رقم خزانة المكتب؟

- لا، رقم خزانة المكتب شفيق قالهولي، ٠٠٢٠٩، عيد ميلاد ربما.

بدا شيء من الحزن على وجهها دارته بانسامة لاحظها يحيى الذي رمق السلسلة الذهبية حول عنقها وهو يتساءل:

- طب والسلسلة؟

اضطربت قليلا قبل أن تتساءل وهي تمسك بثمرة جوز الهند الذهبية:

- مالها؟

فتردد قليلا قبل أن يقول:

- كنت من زمان عاوز أسالك، ليه ماخلتيش الجواهرجي يحاول يفتح الدلاية؟

صمتت بارا قليلا وهي تضغط شفتيها مفكرة قبل أن تقول محاولة مداراة ما يعتلج بداخلها من مشاعر:

- بص يا يحيى، ندى قالت لي إن السلسلة دي جايبها لها نادر في عيد ميلادها. نادر ده هو الرجل اللي كانت ربما بتعبه. معنى كده إن أي حاجة جايبها لها كانت بالنسبة لها أعلى حاجة في الدنيا. هي بقى اختارتني أنا قبل ما تموت بساعات عشان تستأمني على الحاجة الغالية دي، وثقت فيا على الرغم من إنها ماكانتش تعرفني. عشان كده أنا لازم أكون قد الأمانة دي وأحافظ عليها، وزي ما هي وثقت فيا أنا كمان هاتق فيها وفي إن أكيد مفتاح الكوكونت هيمظهر في الوقت المناسب.

(٣٤)

كان شفيق قد أبلغهم بأنه سيتأخر في الصباح قليلا. فوجدت يارا أنها فرصة مناسبة للتحدث مع ليديا خاصة وأنهما كانتا وحدهما في المكتب.

كانت تطلع على بعض الأوراق أمامها وهي تسترق النظر نحو ليديا. التي كانت تقف بجانب المكتب متجبهة وقد بدا على وجهها آثار تفكير مهموم:

- مالك يا ليديا؟

اختلج جفناها بتوتر من السؤال وهي تقول مقتضبة:

- مافيش يا أنسة يارا.

- حاسة إنك متضايقه من حاجة.

- بالأمانة مافيش حاجة صدقيي. أنا بس مانتمش كويس.

أمالت يارا رأسها وقد أدركت أنها لن تتقوه بشيء ثم قالت:

- ماشي يا ليديا. أنا بس عاوزاكي تعرفي إن لوفيه عندك أي مشكلة أو عاوزه تتكلم مع حد. أنا

دايما هايقي موجودة عشان أسمعك وأساعدك. إنتي بالنسبة لي يا ليديا زي أختي اللي عمري ما شفتها.

فابتسمت ليديا في امتنان قبل أن تقول:

- أنا عارفة والله يا أنسة يارا. ربنا يعلم قد إيه أنا حبيتك بجد.

ترددت يارا قليلا قبل أن تتوكل على الله في سرها وهي تقول:

- مادام كده بقى. أنا عاوزه أطلب منك طلب يا ليديا.

- أو مربي يا أنسة يارا.

فقالت يارا في شبه توسل:

- بس أرجوكم يا ليديا. الموضوع ده لازم يشغل سر بيبي وبينك مهما حصل. مافيش إنسان واحد

يعرف عنه حاجة ولا حتى شفيق ولا رأفت.

فقالت ليديا وقد بدا الاهتمام في عينيها:



- عيب يا أنسة يارا، أنا بقى لي خمس سنين باشتغل مع والدك عمر ما في سر طلع برا، اتظمني وقولي لي إيه الموضوع ده وربنا يقدرني وأعرف أساعدك.

سرى شيء من الاطمئنان في دماء يارا دعمته ثققتها الشديدة في ليديا، قدمت يدها وأخرجت ورقة من حقيبتها بسطتها على المكتب أمامها وقالت وعيناها تنتقلان بين الأسماء المكتوبة وبين وجه ليديا:

- الورقة دي فيها أسامي شخصيات دولية مهمة ومشهورة، سياسيين على رجال أعمال، كل اللي أنا عاوزاه منك هو إنك تجيبي لي كل المعلومات الممكنة عن علاقة الناس دي بأعمال المجموعة وشركاتها وبمنصور بيه، بس في منتهى السرية والتكتم. حتي الموظفين مش لازم يعرفوا.

كانت ليديا تقرأ الأسماء باهتمام قبل أن تقول دون أن ترفع عينها:

- أنا أعرف ناس كتير من دول. الاسم الأول والرابع دول رجال أعمال عندهم شركات في أوروبا وبتتعامل معاهم في الاستيراد والتصدير، والاسم الثاني والسابع والتامن دول كانوا دايمًا بيحضروا حفلات الشغل اللي كان منصور بيه بيعملها واللي كنت أنا باحضرها.

فنظرت يارا نحوها في استنكار وهي تتساءل:

- طب وياقي الأسامي التمانية؟

- لا ماعرفهمش، عمرهم ما عدوا عليا خالص.

فزمت يارا شفقتها مفكرة قبل أن تقول:

- طب الحفلات اللي إنتي قلتي عليها دي كانت كلها حفلات شغل؟

- أيوه.

- يعني عمر ما منصور بيه ما عزمهم في حفلات خاصة؟

فحركت ليديا رأسها وهي تقول معتذرة:

- لا ماعرفش طبعًا يا أنسة يارا. أنا ماكنتش أعرف حاجة غير عن حفلات الشغل وبس.

فحركت يارا رأسها مستدركة أن هذه هي الإجابة الواقعية لسؤالها قبل أن تقول:

- طيب خلاص، شوفي لي بس تفاصيل الشغل اللي بيلنا وبين الاسمين اللي قلتي عندهم شغل

معانا، ومش هاوصيكي على السرية زي ما اتفقنا.

فابتسمت ليديا وهي تقول مؤكدة:

- ماتخافيش، اديني بس نص ساعة وكل المعلومات هتكون عندك.

خرجت ليديا من الغرفة وتركت يارا تتقلب على جمر الانتظار الذي لم ينقذها منه سوى صوت جرس هاتفها. ابتسمت عندما رأت اسم يحيى على الشاشة قبل أن تجيب:  
- ألو.

- سيادة رئيسة مجلس الإدارة عندها خمس دقائق فاضيين؟

- في العادي لأ، إنما عشان خاطرك أفضي نفسي مخصص.

- يعني أطلع؟ أنا أصلي في أول الشارع عندك.

فقالت يارا في حماس:

- بجد؟ لا طبعاً أطلع بلا.

أغلقت الهاتف وأخذت تسوي شعرها وملابسها بيدين مسرعتين قد أرعشهما السعادة. كم من الوقت قضته منذ يوم شم النسيم وهي تتذكر كل تفاصيل هذا اليوم الجميل. لم تشعر في حياتها بسعادة كتلك التي شعرت بها في هذا اليوم. كانت تسمع صوت خطواته بالخارج عندما تذكرت التعليقات التي كانوا يلقونها عندما لعبوا الطاولة بعد الغذاء وأدركت كم حقا كانت تفتقده عندما دخل الغرفة وأصبح أمامها. صافحته محاولة إخفاء سعادتها ودعته للجلوس في الصالون الصغير الموضوع بجانب مائدة الاجتماعات. قصت له كل ما حدث مع ليديا وهو يسمعها باهتمام حتى ختمت كلامها قائلة:

- بس ليديا ماتعرفش أي معلومات عن إن كان بيعزمهم في حفلات خاصة ولا لأ.

صمت يحيى مشكراً قبل أن يقول:

- شيء طبيعي إن ليديا ماتبقاش عارفة. لو عاوزة فعلاً تعرفي معلومات عن حياة منصور بيه الشخصية يبقى مافيش قدامك غير الناس اللي كانت قريبة منه زي شفيق مثلاً. فانتفضت يارا عند سماع اسم شفيق قبل أن تقول في شبه عصبية:

- شفيق لأ يا يحيى. أنا مابانتش فيه ومش شاخاطر وأقول له أي حاجة عن موضوع ربما والصندوق أو حتى الملح تلميح يخليه يشك فيا ويحطني في دماغه.

فمط يحيى شفثيه قبل أن يقول متضايقا من عنادها:

- خلاص، يبقى مافيش قدامنا غير هاشم.

فعددت حاجبها في تعجب وهي تتساءل:

- هاشم فتح الله؟ مدير مصنع الألبان؟

- أبوه، هاشم كان قريب شوية من منصور بيه أكثر من باقي أعضاء مجلس الإدارة وممكن يساعدك جدا.

فصممت يارا قليلا قبل أن تتساءل في حيرة:

- يعني أروح أحكي له وأخذ رأيه؟

- لا طبعاً، أنا بائق في هاشم إنما بلاش المخاطرة بسرعة كده. حاولي توقعيه في الكلام من تحت لتحت.

فلوحت يارا بيدها وهي تقول في تدمر:

- يا يحيى إنت فاكرنى باشتغل زيك في الخارجية وباعرف ألعب بالكلام؟ أكيد هيكشفني.

فقال في عصبية من استسلامها:

- إنتي مستهونة بنفسك ليه؟ جربي، مش هتخسري حاجة. وفي الآخر أكيد هاشم مش هيغليكي

تقولي بالعافية حاجة إنتي مش عاوزه تقولها، لا دي أخلاقه ولا إنتي عيلة صغيرة.

انقطع حديثهما عندما دخلت ليديا التي لوحت بملف في يدها وهي تقول:

- آنسة يارا دي أوراق مهمة لازم حضرتك تطلعي عليها. هاسيها لك على المكتب.

- لا لا، هاتها هنا يا ليديا.

فبدا على وجه ليديا شيء من التوتر وهي تقول لتبعث بإشارة خفية إلى يارا:

- الورق مش مستعجل، خليه على المكتب أحسن لحد أما تخلصي مع أستاذ يحيى.

فأبتسمت يارا وهي تقول:

- هاتي يا ليديا، أستاذ يحيى يعرف كل حاجة عن الموضوع بتاعنا، مافيش سرتخبه عليه.

أبتسمت ليديا لتخفي حرجها وهي تتقدم نحوهما. تناولت يارا الملفات وقبل أن تفحصها سمعت

ليديا وهي تقول:



- دي أكثر حاجة أنا قدرت أوصل لها، وعلى فكرة أنا كمان عرفت إن الاتنين رجال الأعمال واتنين من السياسيين جاينين حفلة بكرة.

فتساءلت يارا في استنكار:

- حفلة إيه؟

- حفلة استقبال للوفد اللي جاي عشان صفقة تلاجات مصنع الألبان. هو حضرتك ماتعرفيش عنها حاجة؟

فبهزت يارا رأسها وهي تقول في ضيق:

- لا ماحدش قال لي حاجة عن أي حفلة.

- علي العموم مستر شفيق وصل مكاتبه تحت وكلمنا عشر دقائق وميطلع عشان يقول لك على الحفلة. خدوا بالكوا ليطب فجأة وانتوا بتقروا في الملفات بعد اذلكوا.

التفتت ليديا وخرجت من الغرفة بينما قال يحيى وهو يبتعد بفحص بعض الأوراق مع يارا:

- قلت لك البنت دي جدعة ومش هتطلع السريرا منها حصل.

- ماشي يا حضرة المعلل النفسي. وكو بس في الورق قبل ما شفيق بيحي قضايا يضع دقائق وهما يفحصان الورق بعناية قبل أن تقول يارا في بأس وهي تعيد الأوراق إلى الملف:

- مافيش أي حاجة مفيدة، كلها صفقات عادية وشغل عادي.

- عرفتي ليه بقى قلت لك إنك لازم تكسبي رأفت في صفك؟ ليديا مهمة جدا إنما ماتعرفش كل حاجة. أنا بيتيمالي لو استعاننا برأفت ممكن يجيب لنا معلومات ليديا ماتعرفش عنها حاجة.

لم تجب يارا. أسرعت لتغني الملف في درج مكتبها وعندما عادت إلى مجلسها بجانب يحيى دخل شفيق الذي نظر نحو يحيى في اندهاش تحول إلى ارتياح من وجوده المتكرر، لكنه سرعان ما أخفى كل ذلك وقال مرحبا:

- أهلا أهلا يا أستاذ يحيى. منور المجموعة.

نهض يحيى وصافح شفيق مبتسما وعندما جلس مرة أخرى التفتت يارا نحو شفيق وتساءلت في شبه هجوم:





- إيه موضوع حفلة بكرة ده يا أستاذ شفيق؟ معقول يبقى فيه حفلة وأنا ما عرفش؟

فأسرع شفيق يقول مدافعا عن نفسه:

- والله يا يارا معاد الحفلة لسه متأكد بس من نص ساعة، ما هو ماكائش ينفع أقول لك قبل ما

أتأكد من معاد وصول طيارة الوفد النهارده. أول ما أتأكدت جيت أهو عشان أقول لك.

فهدأت يارا قليلا قبل أن تتساءل:

- وإيه المطلوب مني بالضبط في الحفلة دي؟

- ولا أي حاجة، دي مجرد حفلة بسيطة للتعارف بينك وبين الناس دي وما فيناش أي شغل. كل

المطلوب منك إنك تروحي بكرة بدري تجيبي فيستان سواريه شيك، وتطلعي على سرايا منصور بيه

في المربوطية تطلعي الكوافير وتلبسي وتنشيك وتترلي الحفلة ولا شهرزاد في زمانها.

امتألت نظرات يارا بالذعر وهي تتساءل في صوت مبجوح:

- إنت قلت الحفلة هتعمل فين؟!

- في سرايا منصور بيه في المربوطية.

فاسترقت نظرة سريعة متوترة نحو يحيى قبل أن تقول في تململ:

- ليه؟ ما نعملها في أوتيل فايف ستارز أحسن؟؟

فرفع شفيق سبابته وهو يقول في حزم وإصرار عجيبين:

- لا، الحفلة دي هيحضرها كبار رجال الأعمال والسياسيين في العالم. الناس دي في حفلاتها بتحب

تحس بالخصوصية وبإن مافيش حد ممكن يسمع الكلام اللي هما بيقلوه.

نظر يحيى وبارا نحو بعضهما في ارتياح بينما استكمل شفيق مكسبا نبرته الطبيعية ليغطي على

حماسه المفاجئ:

- وكم ان يا يارا عشان الناس دي مش لازم تحس بأي تغيير عن زمان، كفاية غياب منصور بيه

وتوليكي إنتي المسؤولية وهما ما يعرفوش عنك أي حاجة. عشان كده كل حاجة لازم تفضل زي

زمان حتى الأكل اللي هيتقدم مش هيتغير، والناس اللي بتشتغل في سرايا منصور بيه متعودين على

نظام الحفلات دي أكثر حتى من الناس اللي بتشتغل في أحسن أوتيلات في مصر. إحنا مش عاوزين

أي حاجة تأثر على الشغل.

صمتت يارا مغلوبة على أمرها وقد بدا القلق على وجهها، بينما توجه شفيق بحديثه نحو يحيى قائلا في تودد:

- طبعاً حضرتك يا أستاذ يحيى مش محتاج عزومة.

فابتسم يحيى وهو يقول مجاملاً:

- أكيد طبعاً يا أستاذ شفيق.

- هنستناك بكرة.

فقال يحيى شبه معتذر:

- ماحاول، بس ماوعدكش.

التفت شفيق نحو ليديا التي دخلت الغرفة في تلك اللحظة متسانلاً:

- ليديا، فين رأقت؟

ارتعشت يداها وهي تضع بعض الأوراق على مائدة الاجتماعات وقالت وهي تفض بصرها مقتضية:

- اتصل من شوية وقال إنه مش جاي النهارده عشان بيحدد رخصة عربيته.

زم شفيق شفتيه في استنكار وهو يخرج هاتفه المحمول ويعبث بأزراره قائلاً:

- رخصة عربيته إيه؟ هوده وقته؟

وضع الهاتف على أذنه وانتظر قليلاً قبل أن يرفعه وهو يقول في سخط:

- وكمان قافل موبايله، رأقت متغير اليومين دول. عاوز يتعدل عشان يركز.

ثم التفت نحو يارا ويحيى مستأذناً قبل أن يخرج من الغرفة. مارا من خلف ليديا التي تبعته بطرف

عينها الملتصعتين من أثر دموع كبتها منذ أن ذكرها شفيق برأقت وبذلك الحالة التي أصبح عليها

والتي أصبح الكل يلحظونها.

استأذنت وخرجت مسرعة لتداري أهلها بعيداً عن أعين الناس، بينما التفتت يارا نحو يحيى

وتساءلت في استنكار:

- إيه بقى ماوعدكش دي إن شاء الله؟ إنت مش ناوي تيجي الحفلة ولا إيه؟

- دي حفلة شغل، آجي أعمل إيه؟

فقالت في عصبية:

- تيجي عشان كل اللي سمعته. مش كفاية إن فيه ناس مهمين زي دول هيبقوا موجودين، لأ وكمان الحفلة منتعمل في بيت منصور بيه، يعني أعصابي هتبقى مشدودة من كل ناحية وهابقي محتاجة حد جنبي.

فتأملها عابسا قبل أن يقول في نبرة شبه معاتبة:

- مش لازم أنا اللي أبقي جنبك، فيه ناس كتير ممكن يقفوا جنبك اليوم ده.

فعمدت حاجبها وهي تتساءل مستنكرة:

- ناس؟ ناس مين؟

فصمت قليلا قبل أن يقول في استفزاز:

- زي كريم مثلا.

ظلت صامئة لوهلة من أثر الصدمة، لم تتوقع منه هذا الهجوم الواضح على كريم مما يجزم بأنه أصبح بالفعل يعتبره غريمه، لكنها لم تكن مهيأة لتسعد بتلك الغيرة التي لولا ما هي فيه لرقص قلبها مسعدة بها. كانت تحتاج إليه بجانها موجها كل انتباهه لألمها واحتياجها إليه تاركا كل اعتبارات أخرى جانبها حتى يأتي وقتها المناسب.

ضغطت شفيتها لتكتم ألمها وهي تقول مستسلمة:

- خلاص يا يحيى، لو مش عاوز تيجي بلاش.

همت بالتهوض لكنه أمسك بيدها لتظل جالسة وهو يقول مسرعا:

- استني يمس.

شعر بندم شديد لما سببه لها من ألم. جاهد ليبتسم وهو يقول محاولا مصالحتها:

- لو إنتي عاوزاني آحي، هاجي.

نظرت نحوه في لوم وقد ترقرقت الدموع في عينها من أثر الضغوط التي تشعر بها وهي تقول:

- ولو إنت عندك ذرة شك واحدة في إني عاوزاك تيجي وإني هابقي محتاجك إنت بالذات اليوم ده وماجتش. يبقى إنت مش يحيى اللي أنا أعرفه.

اتسعت ابتسامته وقد شعر بأنه يقترب من استرضائها ثم تساءل في خبث:

- وإيه شكله ده يحيى اللي إنتي تعرفيه؟

غضبت بصرها لتغفي ارتباكها ودموعها وهي تقول:

- يحيى اللي أعرفه يبقى ابن مراد صالح وعائدة الجوهري، اللي باعتبره أكثر راجل شهيم قابلته في حياتي.

خفق قلبه بعنف عند سماع تلك الكلمات. كان على استعداد في تلك اللحظة أن يعترف لها بكل ما يشعر به نحوها، تناول يدها بين يديه. نظرت نحوه فانسعت ابتسامته وهو يقول مثبتا عينيه بداخل عينها اللتين انسابت دموعهما:

- يحيى، ابن مراد صالح وعائدة الجوهري، واللي يارا منصور أبو بلاط شايفاه أكثر راجل شهيم قابلته في حياتها، هيبقي الحفلة حتى لو اضطرر إنه يرمي الدنيا كلها اليوم ده. وده بس عشان يبقى جنبك لأن زي ما إنتي محتاجاه هو كمان محتاجك.

ابتسمت ابتسامة مبللة بدموعها بينما تركت أصابعه تتخلل أصابع يدها وتضغط عليها بركة.



ظننت يارا أن شقيق كان يبالغ عندما قال "سرايا منصور بك". ولكن عندما دخلت السيارة من الباب الحديدي الكبير أدركت أن كلمة "سرايا" هي أقرب ما يكون إلى الحقيقة. قطعت السيارة الممر الطويل في عدة دقائق مارقة وسط حدائق لم تستطع عيناها أن تجد لها آخرًا. تمتلئ بعرائش من الياسمين والقرنفل والفل والورد البلدي وأنواع أخرى من الورد المختلفة مقسمة إلى مربعات متداخلة الألوان، اتحدت مع نقاط المياه على وريقاتها تحت ضوء الشمس.

دارت السيارة نصف دورة واسعة حول نافورة ضخمة تتراقص مياها في خفة تتناسب مع جو الحديقة. ثم وقفت أمام الدرج الرخامي لباب السرايا الداخلي مباشرة، حيث وجدت فجأة رجلا يرتدي بذلة سوداء وقفازا أبيض يفتح لها الباب وينحني في أدب شديد.

هبطت محاولة السيطرة على تلك الرعشة التي انتابتها، كلما فكرت أكثر في حقيقة أن هذا المنزل هو المنزل الذي كان يعيش فيه هذا الأب الذي ظل مجهولًا وبعيدًا عنها وعن قلبها طيلة عمرها والذي كانت تعيش فيه أختها ربما كلما عادت إلى القاهرة.

عندما دخلت فوجئت بهذا الاتساع الرهيب الذي كان ينتظرها، على اليمين واليسار عدد لا نهائي من الصالونات الواسعة ذات الألوان الداكنة الراقية والسجاجيد والثريات الضخمة ذات الجواهر الشفافة المتدللية اللامعة. أمامها مباشرة كان يوجد مائدة من رخام زيتي معرج، تحمل تمثالًا برونزيًا لامرأة من العصور الوسطى ترتدي ثوبًا طويلًا وقبعة وتستند على مظلة وتضع يدها الأخرى على صدرها وقد أغمضت عينها كأنها تتلقى خبرًا سيئًا بثبات وقوة، خلف هذا التمثال كانت أرضية من الرخام تمتد حتى باب زجاجي كبير يطل على حمام السباحة الذي تمتد بعده الحديقة الضخمة على مرمى البصر، وأمام جزء من هذا الباب كان يقع بيانو أسود كبير وقد ارتفع غطاؤه وظهرت أوتاره الذهبية غاية في الجمال والفخامة.

كان ينتظرها في الداخل عدد كبير من الخدم لم تستوعبه يارا في البداية من كثرتهم، خدم وطباخون وسفريجية ومشرقون على الحدائق وحمام السباحة والنظافة وسانقون وعلى رأسهم كانت هناك امرأة أربعينية غاية في الأناقة والرزانة، استقبلتها بابتسامة رانقة وهي تقول مرحبة:

- أهلا وسهلا أنسة يارا، أنا كريمة المشرفة على البيت، اتفضلي.

تقدمت يارا نحو الدرج الرخامي العزلوني الذي يقع على يمين التمثال البرونزي، وصعدته بخطوات حاولت أن تجعلها ثابتة، وأن تسيطر على مشاعرها المتداخلة بسبب وجودها داخل منزل منصور بك من دهشة وذهول وحزن وسغرية، وكثير من المشاعر الأخرى التي طالما تشابكت وتعقدت بداخلها بسبب هذا الأب الغائب طيلة عمره سواء بإرادته أو رغما عنه بسبب الغيبوبة.

قادتها كريمة حتى أدخلتها غرفة نوم واسعة مؤنثة على الطراز الحديث بأخشاب فاتحة اللون وستائر ومقابض سوداء لامعة. وبعد أن فرغت من تأملها للغرفة بعناية فاجأتها كريمة قائلة:  
- دي أوضة منصور بيه.

انتفضت يارا في زعر عند سماعها، أحقا تلك هي غرفته الخاصة؟ أهذا هو الفراش الذي كان ينام عليه مع زوجته الثانية؟ وتلك هي المقاعد التي طالما جلس عليها؟ كأنها تراه في كل ركن يحاصرها ويرمقها بازدياد لاقتهاها خصوصيته في عدم وجوده. قالت متوسلة في صوت متلجلج:  
- هو أنا ماينفمش أغير هدومي في حنة تانية؟

- لا لا طبعاً يا يارا هانم، ده مستر شفيق موصيني إني مادخلكيش غير أوضة منصور بيه شخصياً  
عشان تعرفي تاخدي راحتك وتستريعي قبل الحفلة.

سمعا طرقتا على الباب دخلت على إثره فتاة تعمل في المنزل وهي تحمل ثوب يارا وحقيبة حاجياتها، حيث اتجهت بهما نحو الباب الذي يفصل الغرفة الكبيرة عن غرفة الملابس الملحقة بها فدخلت وخرجت بعد دقائق بدون ما كانت تحمله. أشارت لها كريمة فخرجت من الغرفة تماماً بينما التفتت هي نحو يارا وقالت مبتسمة:

- حاجة حضرتك موجودة جوا في ال dressing room، خدي راحتك ولو عزتي حاجة اظلي رقم ١ على التليفون الداخلي اللي جنب السرير، وأنا أول ما يوصل الكوافير هاطلعه لحضرتك.  
انسحبت في هدوء تاركة يارا تتعبط في موجات من الحيرة والضيق، وكأن حوائط تلك الغرفة تضيق وتضغط على ضلوعها فتسحقها بقوة وعنف. هل وقفت ربما يوماً في موضعها هذا؟ هل دخلت إلى غرفة الملابس تلك لتلتقي لوالدها ما يرتديه؟ هكذا وجدت نفسها تفكر وقد عاد إليها إحساس الذنب المخلط بالحنين لتلك الأخت المجهولة. تقدمت في خطوات بطيئة مستظلمة نحو الغرفة التي تعوي كل ملابس منصور بك وأحذيته الثمينة القيمة. فتحت الباب الجرار الذي كانت

الفنائة قد تركته مواربا ولكن بدلا من أن تتقدم وتدخل لتفحص ما كانت تتوق لرؤيته تسمرت مكانها في ذهول ودهشة. وهي تحملق نحو آخر الغرفة الصغيرة وكأنها تحولت إلى تمثال تمتلئ ملامحه بالفزع والخوف. بيد مرتعشة أخرجت هاتفها المحمول من جيبيها وطلبت يحيى وقد فقدت السيطرة على أعصابها بشكل مخيف. وعندما سمعت صوته على الناحية الأخرى لم تستطع أن تقول سوى جملة واحدة:

- يحيى، أنا لقيت الباب الأزرق!

عندما هبطت يارا مرة أخرى إلى الطابق الأول - مرتدية ثوبا كحليا بسيطا وقد أخفت ذراعها العاريتين بشال من نفس اللون ذي حواف لامعة وعقصت شعرها بشكل رقيق وغير متكلف - كان معظم المدعوين من العاملين بالشركة والمصنع قد حضروا. وكان الخدم قد أعدوا كل ما هو لازم للحفل الذي لم يتبق على بدايته سوى حضور أعضاء الوفد الأوروبي الذين سيعقدون الصبفة مع شركة ومصنع الألبان.

كانت تبحث بعينين قلقتين عن يحيى وسط المدعوين. عندما فاجأها شفيق الذي وقف أمامها مبتسما. قبل أن يتناول يدها ويلثمها كما لو كان لوردا إنجليزية رقيق المقام ثم قال:

- سمو أميرة عيلة أبو بلاط. أنا فخور بيكي.

ابتسمت في ارتباك من تلك المجاملة الغربية على أذنها. شكرته بصوت خافت مبحوح من أثر ما في قلبها من وجل واضطراب. طلب منها أن تستعد لأن أعضاء البعثة اقترب موعد وصولهم. قبل أن يتركها ليستكمل ترتيبات الحفل.

ظلت ثابتة مكانها أمام الدرج الرخامي. تتلهى بمتابعة سلوك المدعوين من أعضاء مجلس الإدارة وكبار الموظفين. حتى وقع بصرها على هاشم الذي كان واقفا بمفرده بجانب البيانو الأسود الكبير يتأمل الحديقة من الباب الزجاجي.

تذكرت كلام يحيى عندما نصحتها بمحاولة إيقاع هاشم في الكلام لمعرفة المزيد عن حياة منصور بك الخاصة. لأنه كان يعتبر نسبيا الأقرب إليه بعد شفيق. أخذت نفسا عميقا ورسمت ابتسامة على شفتيها وهي تتقدم نحوه في خطوات ثابتة تخفي بها تردددها. انتبه من شروده عندما أصبحت بجانبه فرمقتها بابتسامة ممزوجة باندهاش وهو يقول:



- أهلا يا يارا، إيه الجمال ده؟

فابتسمت في حياء وهي تقول:

- شكرا يا أستاذ هاشم، إيه اللي موقفك لوحدك كده؟

- أبدا، بارح أعصابي وباستعد للأحداث والمجاملات السخيفة اللي هتبدأ أول ما الوفد يوصل.

فمالت متظاهرة بالبراءة:

- إيه ده؟ هو حضرتك ماتعرفش أعضاء الوفد؟

- أعرفهم، بس أصلي أنا بطبيعتي ماباحبش جو مجاملات وكلام البيزنس ده.

- غريبة، أنا كنت فاكرة إن الناس دي يبقوا أصحابك وأصحاب شفيق ومنصور بيه.

فرفع كتفيه في لامبالاة وهو يقول:

- يمكن يكونوا أصحاب شفيق ومنصور ربنا يقومه بالسلامة، إنما هما مش أصحابي.

فصمت قليلا محاولة ترتيب الكلام لتصل إلى ما تريده، ثم تساءلت في شيء من التهور:

- بس حضرتك كنت صاحب منصور بيه، وأكد كنت بتحضر الحفلات الخاصة اللي كان بيعملها

لأصحابه، وتعرف إذا كان هو ببيعزهم في الحفلات دي ولا لا؟

فضم هاشم شفطيه نحو اليمين قليلا وهو يتأملها في ارتياب قبل أن يتساءل:

- يارا إنتي عاوزه تعرفي حاجة معينة؟

فارتبكت قليلا من سؤاله المفاجئ لكنها تماكنت نفسها وهي تقول:

- أنا؟! لا أبدا، أنا بس بادردش مع حضرتك.

فمط شفطيه متظاهرا بتصديقها قبل أن يقول:

- علي العموم أنا ماكنتش باحضر حفلات منصور الخاصة ولا كنت أعرف عنها أي حاجة، بعد إذنك.

ابتعد بضع خطوات قبل أن يلتفت نحوها ويقول:

- يارا، لو عاوزه تعرفي أي حاجة مكتبي مفتوح لك في أي وقت عشان نتكلم بصراحة ووضوح.

ظلت متسمة مكانها ترمقه في ذهول وهو يبتعد عنها، ولكنها أفاقته على صوت يحيى الذي جاء

ليقف بجانبها وهو يقول مداعبا:





- أنا لو كنت أعرف إنك هتبقى بالجمال ده ماكنتش جيت النهارده.

فانتهيت مفزوعة قبل أن تلتفض قائلة:

- يعنى! إنت أتأخرت كده ليه؟

- كان عندي شغل. المهم قولي لي، أنا شفتك بتكلمي هاشم. وصلتي معاه لحاجة؟

فقالت في عصبية ممزوجة بسخط:

- لا. قعدت تقول لي وقعيه في الكلام ولفي ودوري. أديه خد باله إنني بالف وأدور وباتكم بشكل غير

مباشر وأخرجني كمان.

فضحك قبل أن يقول:

- إنتي اللي غشيمة أعمل لك إيه بقى؟

- أيوه أنا غشيمة. قلت لك وماصدققتيش.

فابتسم وهو يقول في رقة:

- غشيمة بس زي القمر. قولي لي عرفتي تفتحي الباب الأزرق؟

فهزت رأسها نافية وهي تقول في خيبة أمل:

- مقبول بالمفتاح، وكريمة قالت لي إن ماحدث كان يعرف مكان المفتاح غير منصور بيه ولا حتى

شفيق يعرف. بس أنا عرفت منها إن الدولاب ده موجود جواه خزانة منصور بيه الخاصة.

لمعت عينا يعنى وهو يقول في دهشة:

- الخزنة الخاصة؟ دي أكيد فيها حاجات مهمة جدا.

- أيوه طيعا، أنا قلبي حاسس إن الخزنة دي فيها حل لغز الصندوق.

- ممكن جدا، بس أنا بافكر في حاجة تانية.

- إيه هي؟

تردد قليلا قبل أن يقول:

- تفتكري الخزنة دي هي اللي رقمها مكتوب في النونة الكحلي؟

ثم صمت لحظة قبل أن يقول:

- اللي هو يبقى تاريخ عيد ميلادك.

نظرت نحوه وهي تعض على شفيتها دون أن تجد ما تقوله. اضطرب قلبها عندما واجهها يحيى بهذا الاحتمال الذي حاولت أن تتغاضى عنه، حتى لا تعود مرة أخرى إلى دوامة الحيرة التي تضربها بعنف كلما قارنت أفعال منصور بك المتضاربة مع الصورة التي ظلت طيلة عمرها ترسمها في مخيلتها. كان يحيى يبادلها نظرتها وهو يعلم ما يدور بداخلها، لذا أسرع يقول ليصرف تفكيرها عن تلك الحيرة:

- المهم دلوقتي نلاقي طريقه عشان ترجعي ثاني الفيلا ونحاول نفتح الباب ده. مؤقتنا سيبي أي حاجة فوق في الأوضة كأنك نسيتهيا عشان تلاقي حجة ترجعي بيها. بس سيبي الحاجة دي في مكان مستخفي بدل ما حد من الخدأمين يلاقيا ويرجعوهالك من غير ما تيجي ثاني. فتساءلت يارا في حيرة بعد أن سمعت هذا الاقتراح:

- أبوه بس حتى لورجعت ثاني الفيلا إزاي هاعرف أفتح الباب من غير مفتاح؟ هاكسره يعني؟

- يا ستي سيبي الحاجة دي مؤقتنا لحد ما نفكر براحتنا ونلاقي حل.

أومأت برأسها في صمت وقد بدأت تقتنع بهذا الحل المؤقت، ثم انتهت على صوت شفيق الذي كان يقترب نحوهما في خطوات مسرعة وهو يهتف في اضطراب:

- بلا يا يارا، الوفد وصل ولازم نطلع نستقبله.

ثم التفت نحو يحيى وهتف مسرعا في استعجال:

- أهلا يا أستاذ يحيى، ماعلش أنا أسف لازم أخد يارا منك شوية.

ابتسم يحيى مجاملا ابتسامه لم يرها شفيق قبل أن يذهب مسرعا، بينما التفت يحيى نحو يارا التي كان وجهها ممتقها في خوف واضطراب وهي تتساءل في صوت متلجلج:

- إنت مش هتيجي معايا؟

فنفى ذلك بحركة من رأسه والابتسامه لا تزال على شفيتها قبل أن يقول:

- هتروحي لوحدك وأنا هافضل مستنيكي منا.

تشجعت قليلا وإن ظل شيء من الخوف بداخلها حاولت التغلب عليه والتظاهر بالثبات والقوة وهي تتبع شفيق وتقف بجانبه أمام باب الفيلا، بينما اصطفت السيارات السوداء القارئة وبدأ أعضاء الوفد يهيئون منها ويتقدمون نحو الباب فيصافحانهم واحدا واحدا ويدعوانهم للدخول

مرحبين، حتى فرغا فدعاها شفيق للدخول مرة أخرى والاندماج في الحفل والتعرف على أعضاء الوفد لتسهيل أعمال الصفقة فيما بعد. قبل أن يتركها وينشغل في الجلوس مع أعضاء الوفد والانخراط في مجاملات وضحكات تتخللها أحاديث خفية بصوت منخفض لا يعلم أحد عما تدور. عادت لتقف بجانب يحيى، بينما جلست فتاة فرنسية شقراء أمام البيانو وانطلقت أصابعها تلعب موسيقى كلاسيكية هادئة. أخذت تصدح في أنحاء الصالة الكبيرة التي انتشر فيها السفرجية يحملون صواتي عليها كاسات الشمبانيا وأطباق فواكه البحر والأشكال المختلفة من الكانابينه والساليزون، بينما انشغل النصف الآخر من الخدم في تحضير مأدبة العشاء في الخارج بجانب حمام السباحة.

بدأ المكان غربياً عنها، بدأ هؤلاء الأشخاص - الذين ورد أسماء بعض منهم في القائمة - معتادين بشدة على المكان، يأكلون ويشربون ويضحكون ويتحدثون بأريحية وطبيعية شديدة، يتنقلون وكأنهم يعرفون المكان ويعفظونه عن ظهر قلب أو كأنهم يعيشون فيه منذ زمن. ما معنى كل هذا؟ أهو طبيعي أم دليل على شيء ما؟

انتهت على صوت يحيى وهو يشكر الخادم الذي يعمل صينية الشمبانيا قيل أن يتصرف، فنظرت نحوه في دهشة وهي تتساءل قائلة:

- إنت مش متشرب؟

فرقع كتفيه في بساطة وهو يقول:

- لا، ليه؟ هو إني بتشربي؟

- لا ماياشريش، بس كنت فاكراك بتشرب.

فبعد حاجبيه مستنكراً وهو يتساءل:

- يارا، إنتي دخلتي بيتي وشفتينا عايشين إزاي. يبقى إزاي تخيلتي إني ياشريب؟

فقالت وقد بدأت تشعر بالإحراج:

- عادي يعني، ممكن تكون بتشرب بالليل أو في الحفلات بس.

فأجابها في حسم:



- لا، لا بالليل ولا في حفلات ولا في أي حرة. أنا ماباشربش ووالدي كمان الله يرحمه ماكانش بيشر، وزي ما إنتي اتربتي أنا كمان اتربيت.

تحول حرجها إلى غيظ وهي تتساءل في حيرة:

- إنت إنسان غريب، بجد غريب.

فتساءل مندهشا وغير مصدق لهذا الرأي:

- أنا غريب؟! إيه الغريب فيا؟!؟

أخذت الحيرة تزداد على ملامحها بينما الكلام يخرج مندفعاً من فمها:

- مش عارف إيه الغريب اللي فيك؟ ولد على بنتين وكمان الصغير، اتربيت في أوروبا وقعدت سنين

الجامعة في إنجلترا، دلوقتي بتشتغل في الخارجية، وعلى الرغم من كل ده، إنت تطلع بالشكل ده.

فاتسعت ابتسامته وهو يقول متلذذا برويتها مفتاظة هكذا:

- إيه هو الشكل ده؟ ولا يعني عشان طالع مختلف عن ناس كتير طالعين من نفس بيتي وانعرضوا

لنفس ظروف في؟ طب ما إنتي كمان زي، إنتي كمان محسوبة على ناس وفتة إنتي مش شهبها. أنا كمان

استغربتك أول ما شفتك ولحد دلوقتي ساعات باستغرب اختلافك عن أي واحدة في ظروفك

وطالعة من نفس البيئة اللي حواليني.

- أيوه بس فيه فرق، أنا آه محسوبة على البيئة دي بس من غير ما أكون عشت فيها وفي تفاصيلها

طول عمري زيك.

- صدقي يا يارا لو فكرتي فيها كويس هتلاقي مافيش فرق كبير قوي، إحنا الاتنين طالعين مش شبه

بيلتنا الكبيرة لأن إحنا الاتنين بيناتنا الصغيرة أوبيوتنا حرصوا على إنهم يحموننا منها.

ثم صمت قليلاً قبل أن يستطرد في شيء من الجرأة وعيناه تتأملان عينها بشغف:

- وهي دي أجمل حاجة بيننا. مش بس إن إنتي شهبها وأنا شهبك، لا، إنما كمان عشان إحنا شبه

بعض في جو مختلف عننا إحنا الاتنين. كل واحد طلع في الجو ده حاسس بغربة، حاسس إنه

لوحده ومش شبه كل اللي حواليه. عشان كده طبيعي جداً إحساس الراحة اللي حاسيته دلوقتي

ده، كأن كل واحد ما صدق لقي حاجة كان تقريبا ينس من إنها ممكن تكون موجودة أصلاً في

دنيته اللي براها غريب ومختلف عن كل اللي جواه.



كانت تستمع إليه وتبادلته نظراته وهي مأخوذة باندهاشها ومشاعرها الثائرة. كيف استطاع أن يصف حقيقة ما بداخلها بتلك الدقة رغم أنها هي نفسها لم تكن تعي تلك الحقيقة بكل هذا الوضوح؟ وكيف يمكن أن يعشق القلب شيئا بهذا العنف كما يعشق قلبها عينيه في تلك اللحظة حتى أنها تود لو تستطيع أن تقفز وتفرق فيهما.

التفتا مسرعين عندما قاطع شفيق نظراتهما فجأة قائلا وقد جاء ليقف أمامهما:

- إيه يا أستاذ يحيى الجماعة يبسالوا عليك، كل اللي يعرفوك وكمان اللي كانوا يعرفوا مراد بيه الله يرحمه كويس. إنت مش هتروح لهم ولا إيه؟

حاول يحيى أن يتخلص من اندهاشه من الجرأة التي لا يعلم كيف وأنته ليقول ما قاله لها وهو يجيبه قائلا:

- لا هاروح طبعاً يا أستاذ شفيق بس كنت مستني شوية.

ثم التفت شفيق نحو يارا وتساءل متعجباً:

- وإنتي كمان هتفضلتي واقفة كده؟ أمال احنا عاملين الحفلة دي ليه؟

قارتبكت قليلاً وهي تقول:

- حاضرياً أستاذ شفيق حاجي على طول.

بدا أن شفيق لن يذهب من أمامهما بدون يحيى الذي تركهما وتحرك نحو مجلس الوفد في صالون بعيد قليلاً عنهم، وعندما ابتعد بضع خطوات التفت وغمز ليارا مبتسماً. وكأنه يعدها بتكملة الحديث الذي قطعته شفيق وحرمة من لذة رؤيتها وهي تتلعثم مرتبكة أمام نظراته التي أصبح يوقن بأن لها تأثيراً الآن.

ابتسمت يارا وقلها يخفق وهي تضغط أصابع يديها المتشابكة في ارتباك، قبل أن تنفك وترتخي وقد انصرف نظرها بعيداً عن يحيى نحو شفيق، الذي ابتعد عنها في خطوات غاضبة متجها نحو رافت الذي كان قد وصل في تلك اللحظة فقط. كانت تتابعهما بتركيز وشغف وقد أمسك شفيق بذراع رافت وضغط بقوة، وهو يقول بصوت خافت يملؤه غيظاً وغضباً مكبوتاً:

- ما لسه بدري يا سي رافت. اتأخرت كده ليه؟

تلجلج رافت قليلاً وهو يقول:

- ماعلش يا ريس، أصل.. والدتي كانت تعبانة شوية وكان لازم أوديتها للدكتور.  
صمتت شفيق قليلا ليكتم غيظه بعدما أيقن أنه لن يستطيع إيلامه على هذا السبب، ثم قال  
محاولا إنهاء الحوار لصالحه:

- اسمع يا رأفت، إنت بقى لك كام يوم كده مش مضبوط ومش مركز، وأنا ما باعملكش حاجة. بس  
ما تفتكرش إني ما أفضل ساكت لك كتير. أحسن لك تتعدل وترجع تاني تركز في شغلك.

فغض رأفت بصره متعاشيا النظر نحو شفيق وهو يحرك رأسه علامة الفهم والموافقة، ترك شفيق  
ذراعه في عصبية وابتعد عنه متجها نحو مجلس الوفد الأجنبي ويحى وقد عاد وجهه إلى ارتياحه  
وابتسامته.

دارت الأفكار بسرعة في رأس يارا دون أن تحرك عينها من على رأفت، تلك الفرصة مناسبة جدا  
للتقرب من رأفت ومحاولة كسب ثقته، حتى تستطيع بعد ذلك أن تطلب منه أن يساعدها ويمدها  
من داخل الشركة بالمعلومات التي لا تعلم ليديا عنها شيئا والتي فشلت هي شخصيا في استخلاصها  
من هاشم.

أخذت قرارها في ثوان واتجهت في خطوات ثابتة واثقة نحو رأفت، الذي ما إن رآها أمامه حتى  
أصابته دهشة شديدة حاول إخفاءها خلف ابتسامة باهتة وهو يقول:  
- أهلا يا أنسة يارا.

بادلته يارا الابتسامة وهي تقول:

- أهلا يا رأفت، ممكن أكلك خمس دقائق على انفراد؟

عقد حاجبيه في دهشة من هذا الطلب الغريب غير المتوقع لكنه أخفى الدهشة مسرعا وهو يقول  
مبتسما:

- أكيد طبعاً.

تقدمته نحو الباب المفضي إلى حمام السباحة، الذي كان الخدم يتحركون حوله مثل خلية النحل  
متهمكين في إعداد العشاء، حتى أنهم لم يلتفتوا إلى يارا ورأفت عندما توقفا أمامهم مباشرة وقد  
بدأت يارا الحديث قائلة في تودد:

- رأفت أنا مش عاوزاك تزعل من أستاذ شفيق، إنت عارف إن هو قلبه على الشغل قوي ومايستحملش غلطة.
- أجابه محاولا إخفاء حيرته من اهتمامها المفاجئ:
- لا ماتقلقيش، أنا مستحيل أزعل من الرئيس أبدا، ده زي أبويا بالضبط.
- اندهشت يارا قليلا من تلك الإجابة لكنها استكملت حديثها قائلة:
- كويس قوي، قول لي بقى إنت ليه متغير اليومين دول؟ أنا صحيح ماعرفكش كويس بس كل اللي يعرفوك ملاحظين إن حالك مش كويس بقى لك شوية. أقدر أعرف إيه السبب؟
- فتلعثم قليلا قبل أن يجيب:
- لا أبدا، بس أصبل والدتي تعبانة شوية اليومين دول وضغطها عالي وأنا قلقان عليها قوي.
- فضمت يارا حاجبها في تأثر وهي تقول:
- سلامتها ألف سلامة، لو محتاجة أي حاجة في العلاج أو في أي حاجة تانية قول لي وأنا إن شاء الله هاقدر أساعدها وأجيب لها كل اللي هي عاوزاه.
- لا ماتقلقيش، الحمد لله التأمين الصحي مغطي كل التكاليف وماعدناش أي مشاكل. شكرا على اهتمامك.
- همت يارا بالحديث عندما قاطعها شفيق الذي وقف أمامها متوترا وهو يقول في نبرة قلقة:
- إنتي فين يا يارا؟ تعالي بسرعة عشان فيه ضيف مهم وصل ولازم نطلع نستقبله.
- فعدت حاجبها وهي تتساءل مستنكرة:
- ضيف مين ده؟
- مستر ألكس روبينسون.
- اتسعت حدقتها في دهشة شديدة وهي تقول في صوت مضطرب متلجلج:
- ألكس روبينسون هنا في الحفلة؟
- أيوه، إيه ماتعرفيوش؟!
- فايتسمت ابتسامة صفراء وهي تقول ساهمة وقد تذكرت شكل هذا الاسم في القائمة على ال iPad:
- إزاي بقى؟ هو فيه حد في العالم كله مايعرفيوش؟ بس هو إيه اللي جابه النهارده؟

فقال شفيق في صبر نافذ وقد ازداد اضطرابه:

- صديق والدك في زيارة لمصر عرف اللي حصل له فجه عشان يسأل عليه. ممكن بقى نطلع  
تستقبله ونبقى نتناقش بعدين.

لم ينتظردا والتفت خارجا في خطوات عصبية. بينما لم تجد يارا بدا من تمالك أعصابها واتباعه  
نحو الخارج. حيث مرت في طريقها من أمام عيني ليديا اللتين كانتا تراقبان من خلف دموعهما  
المكبوتة كل ما حدث منذ أن وصل رأفت متأخرا وحتى الآن دون أن يشعر بها أحد أو يعيرها أي  
اهتمام.



(٣٦)

يا للسخرية! اليوم يعطها شقيق أجازة لتستريح وتستعد لحضور ذكرى مرور أربعين يوماً على وفاة ربما بعمر مكرم في المساء. دون أن يعلم أن اليوم أيضاً هو عيد مولدها. أليس هذا شكلاً من الأشكال الكثيرة التي يسخر بها القدر منها ومن كل ما في حياتها. يوم عيد ميلادها هو أيضاً يوم أربعين يوماً، أربعون يوماً. هل حقاً مر أربعون يوماً على وفاة ريسا؟! ومر أقل منهم على هذا اليوم الذي استلمت فيه هذا الصندوق الأسود. ومنذ أن بدأت تلك الدوامة العجيبة تطحن حياتها دون أن تصل إلى نتيجة. لا نتيجة ترضي فضولها في معرفة سر هذا الصندوق ومحتوياته ولا نتيجة تفسر لها أي لغز من ألغاز منصور بك. التي أصبحت تعيشها كل يوم منذ أن دخلت المجموعة وأصبحت تعرف الكثير عن عمله وحياته الشخصية.

كانت مستلقية على الفراش. تحلق في سقف الغرفة كأنها تشاهد على ملمسه الأبيض كل أفكارها مجسدة وملونة. مثل ألوان العباءة الحريرية التي اختارت أن ترتديها بعد أن عادت من عند مصفف الشعر لتخلق في يومها أي شيء يشعرها بعيد مولدها. منذ سنوات. منذ وفاة والدتها. وهي تحتفل بعيد مولدها كل عام تقريبا بمفردها. لا يهتف بها سوى داليا وبعض الأصدقاء القدامى الذين يتصادف أن يتذكروا ويتصلوا بها. لذا عادة لا تشعر باختلاف بين هذا اليوم وأي يوم آخر. اللهم إلا الاحتفال الصغير الذين يقيمونه لها في الصباح في العمل إن لم يتصادف أن يكون هذا اليوم أجازة.

ولكن. هذا العام مختلف. يوجد ناس آخرون في حياتها يمكن أن يجعلوا هذا اليوم مختلفاً. إنها تعلم جيداً أن كريم لن يلمس عيد مولدها. سيتصل بها ويبالغ في الاحتفال ويطلب منها أن تخرج وتقضي اليوم معه وسيحضر لها هدية قيمة. إنها متأكدة أن كل هذا سيحدث كأنها ترى أمام عينها كل ما سيفعله وتسمع بأذنها كل ما سيقوله. كريم لم يتغير. ربما يكون قد هدأ قليلاً بعد ما حدث له. لكنه لا يزال يحتفظ بتلك الشخصية المغرورة التي لا تستطيع أن تستوعب فكرة أن يضيع منها شيء تملكه أو كانت تملكه. إنها خبيثة بدخائل نفسه وقادرة على التعامل معه وإيقافه في الوقت المناسب لذا هي مطمئنة إلى أنها لن تقضي معه اليوم ولن تتمكن من احتلال عيد

مولدها، سنتحجج بأن داليا ستمر عليها بعد العمل في منزلها قبل أن تذهب لحضور أربعين ربما في المساء. شعرت بارتياح يفمرها ولا مبالاة عجيبة نحو كل ما سيفعله كريم وكان يؤثر فيها في الماضي. و.. ويحيى؟! وانقيض قلبها عندما مر الاسم بخاطرها، هل مر حقا أم كان موجودا منذ بداية اليوم؟ كان موجودا، تحاول أن تخفيه في عقلها الباطن وتتجاهله، وكلما أعنت في تجاهله كلما ازداد إلحاحه وكلما ازداد الخوف بداخلها، الخوف من أن تترك قلبها يتمنى وخيالها يحلم دون أن تجد نتيجة فيخيب أملها وتتحطم أحلامها، وعلى الرغم من المقاومة العنيفة بدأ أمل لذيذ يدغدغ قلبها. هل يمكن أن يتذكر يحيى عيد مولدها؟ ليس هذا بمستحيل، ألم تقل له أثناء أحد أحاديثهما أن الرقم الموجود في النوتة الكحلية ٣٠٥٠ هو يوم عيد مولدها؟ أليس هو من فكر في أنه ربما يكون يوم عيد مولدها هو الرقم السري لخزينة منصور بك الشخصية؟ إذا من المتوقع جدا أن يتذكر يحيى، إن كان مهتم حقا لأمرها سيتذكر، حاولت أن تنهر نفسها على هذا التفكير، أن تثور على أفكارها التي تحوم بلا سبب حول يحيى وتتمنى منه أن يأتي بأفعال لا يمرر لها.

ولكنها فشلت، فشلت فشلا ذريعا واعترفت أمام نفسها وبكل بساطة أنها فشلت في أن تثور على نفسها، واعترفت أيضا وبكل بساطة بأنها تتمنى أن يتذكر يحيى عيد مولدها وأن يفعل من أجلها أي شيء، أي شيء سلتشعر به وكأنه أجمل شيء في الدنيا، واندهمت عندما أحست أن تليقونا صغيرا وكلمة رقيقة من يحيى سيكونان أجمل عندها من كل ما سيفعله كريم. أفاقته على صوت جرس الباب، من يمكن أن يزورها الآن؟ داليا لن تأتي قبل الساعة الرابعة، نهضت متثاقلة وخطت خطوات بطيئة وهي لا تزال غارقة في أفكارها حتى وصلت عند الباب وفتحته، و.. وارتجفت من الصدمة.

يحيى، واقفا أمامها، مبتسما في ثقة واطمئنان كأنه رأى على وجهها ما توقعه بالضبط، يحمل بين يديه كعكة، كعكة عيد مولدها، جذبت عينيها من عليه بصعوبة ونظرت نحو عابدة هانم التي كانت تقف بجانبه مبتسمة في حنان، أول مرة تراها وهي ترتدي الحجاب، حجاب وقور وهادئ يليق بزوجة دبلوماسي ووالدة دبلوماسي، كم تحب تلك المرأة.

بذلت مجهودا حتى تستطيع أن تتغلب على دهشتها وتقول في صوت متلجلج من أثر الدهشة:

- أهلا، أهلا وسهلا، إيه المفاجأة الحلوة دي؟

تقدمت عائدة وقبلتها على وجنتها وهي تقول مبتسمة:

- كل سنة وإنني طيبة يا يارا.

- و حضرتك طيبة، اتفضلوا.

أغلقت يارا باب الشقة ولحقت بهما في الصالون، حيث كان يحيى واقفا وهو لا يزال يحمل الكعكة مبتسما ومادنا في ثقة عجيبة وبجانيه عائدة التي تساءلت والابتسام لا تزال على وجهها:

- هه، تميتي كام سنة بقى يا ست يارا؟

ابتسمت يارا في خجل وقد ظننت أنها لن تتعرض لهذا السؤال الذي يحرج معظم السيدات قبل أن تقول:

- سبعة وعشرين سنة.

- ياه ده إنني صغيرة قوي، الأستاذ ده هيتم في سبتمبر اللي جاي تلاتين سنة بحالهم، هو واخواته عمالين يكبروا وبيكبروني معاهم.

فقالت يارا ممازحة:

- لا يا طنط هما يكبروا براحتهم إنما حضرتك زي ما إنني، اتنين وتلاتين سنة.

ضحكت عائدة ضحكة صافية قبل أن تلتفت نحو يحيى وتقول في تعجب:

- مالك يا ولد واقف ساكت كده ليه؟ حط العلية هنا على الترابيزة وخش ساعد يارا وجيب معاها الأطباق والشاي، على بال ما أتفرج على الصور اللي محنونة على الترابيزة الصغيرة دي. يلا.

التفتت يارا واتجهت نحو المطبخ وهي تشعر بخطوات يحيى خلفها وقلها يرتجف، كل قطعة في جسدها ترتجف، من الفرحة، لا، إنها ليست فرحة عادية، إنها سعادة غير طبيعية، غير منطقية، هل يمكن حقا أن يحدث ما هو أجمل مما حلمت به، عادة تكون الأحلام أجمل من الحقيقة، ولكن تلك هي المرة الأولى التي يكون فيها الواقع أروع من الأحلام بكثير.

ضغطت زر السخان الكهربائي وتركت الماء يسخن بداخله قبل أن تتجه نحو الضلفة لتحضر الأطباق والأكواب. رفعت كعبها عن الأرض ووقفت على أطراف أصابعها لتستطيع أن تمسك الأطباق العالية، أحست كأنها تطير وهي تشعر بحفيف ثوبها حول قدميها المرتفعتين عن الأرض وتشعر بقلها يرتجف وهي تراه بطرف عينيها وهو يتأملها مبتسما.



قالت مبتسمة دون أن تنظر نحوه محاولة إخفاء خجلها بانتقاده بأي شكل:

- واقف عمال بيتفرج ومايساعدش، مع إنه ممكن يمد يده ويطع الشوك والمعالق من الدرج اللي جنبه.

لحظت بطرف عيني ابتسامته وهي تتسع، لكنه لم يمد يده ولم يخرج شيئا، اقترب ببطء حتى أصبح أمامها مباشرة، حاولت السيطرة على يديها حتى لا ترتجفا لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تلتفت وتنظر نحوه، اتسعت ابتسامته وهو ينظر بداخل عينيها وتساءل في بساطة:

- مبسوطه؟

فوجئت بالسؤال، آخر شيء كان يمكن أن تتوقعه هو أن يسألها أحد هذا السؤال العام الشامل كأنه يلخص كل اهتمامه بها في كلمة واحدة. "مبسوطه؟"، وعلى الرغم من أن السؤال كان غريبا ومفاجئا لكنها كانت تعلم إجابته، ولم تتردد في أن تعلن تلك الإجابة بنفس البساطة التي سألها بها، أومأت برأسها مبتسمة وهي تقول مؤكدة في بساطة صادقة:

- جدا، مبسوطه جدا.

اتسعت ابتسامته في براءة طفولية، سعادة صادقة ملأته فاندفع يخرج أدوات المائدة بحماس ويساعدها في إعداد الشاي والأطباق. لقد وصل إلى ما يريد، أراد أن يفاجئها ففاجأها، أراد أن يسعدا فأصبحت الآن كأنها تطير من السعادة، أراد أن يتأكد من أنها تشعر بمثل ما يشعر به وتؤكد، تأكد عندما رأى تلك النظرة في عينيها، لم يكن يعلم أنه يمكن أن يتأكد من شيء من مجرد نظرة، هو الذي لا يأخذ طوال عمره إلا بالدلائل الواقعية والمادية يجد نفسه فجأة يشعر بيقين من مجرد نظرة رآها في عيني يارا، يارا، الوحيدة التي استطاعت أن تحرك شيئا بداخله ظل طوال عمره لا يعلمه.

حملت صينية الشاي وحمل الأطباق وخرجوا إلى الصالون، حيث كانت عائدة جالسة وقد اتسعت ابتسامتها بعدما رأت وجهيها مستبشرين ومبتسمين، أسرعرت تقول ممازحة في خبث:

- ماعلش يا يارا إحنا طبيننا عليكي فجأة، بس أنا ماليش دعوة، يحيى هو اللي أصر، لو كنا بقى عملنا لك قلق صفي حسابك معاه هو مش أنا.



ابتسمت يارا وقلبيا برقص، إن عابدة تستخدم تلك المزحة لتفهمها أن يعنى هو من أعد المفاجأة، هو من تذكر عيد مولدها وهو من فكر في إعداد كل شيء، نظرت نحوه فوجدته ينظر نحوها وكأنه يؤكد أفكارها بعينيه وابتسامته.

نزع عينيها عنه بصعوبة بعدما سمعت صوت جرس الباب، استأذنت وتركهم يصبون الشاي ويقطعون الكعكة وذمبت لتفتح الباب والابتسامه لا تزال فوق شفتها، فتحت الباب فاختمت الابتسامه من على شفتها، امتلأت عيناها بنظرات الذعر، كريم! يقف مبتسما وكأنه يملك الدنيا بتلك المفاجأة التي ظن أنها ستسعددها، انطلق يقول في حماسة واندفاع:

- يارا، كل سنة وإنتي طيبة يا حبيبتي، يلا بقى خشي البسي وسيبي لي نفسك النهارده خالص، هاضبطك.

لم تستطع أن تتحدث أو حتى تبسم، كأن الصدمة ألجمت لسانها وألجمت أطرافها، فقدت حتى القدرة على التفكير فيما يمكن أن يحدث، كل ما أرادته هو أن يخفي كريم الآن كأن لم يكن وأن تعود لتجلس مع يعنى ووالدته كأن شيئا لم يحدث.

بصعوبة شديدة رسمت ابتسامه صفرأ على شفتها وقالت في صوت خافت مبجوح:

- أهلا يا كريم.

التفتت نحو الصالون فاصطدمت عيناها بنظرات يعنى، الذي أدرك ما يحدث بمجرد أن سمع صوت كريم، اختمت الابتسامه من على وجهه وحل محلها ضيق وغيظ حاول أن يخفيهما بإدارة عينيها بعيدا عنها، لكنه فشل، فشل الطفل الذي بداخله في أن يخفي مشاعره، فشل في أن يتظاهر باللامبالاة لأنه في الحقيقة مهتم جدا بها وبما يحدث.

تقدم كريم خطوة ونظر إلى داخل الشقة حيث كانت يارا تنظر شاردة، وما إن وقعت عيناها على يعنى حتى تحولت ابتسامته المتحمسة إلى ابتسامه خبيثة كأنه يتسم بظرف واحد من طرفي شفتيه وعيناها تسألان في وقاحة عن سبب وجود يعنى هنا.

لم ينقذ الموقف سوى عابدة هانم التي أدركت ما يحدث فأسرعت تقول في لباقة وذكاء لتحتوي الحرج الذي طغى عليهم:

- أهلا يا ابني، اتفضل، اتفضل معانا.

تقدم كريم في خطوات هادئة واثقة كأنه قبل الدعوة ليتحدى يحيى ووالدته، وحتى ليتحدى يارا التي خطت خلفه ببطء وقد شحبت وجهها وفقدت السيطرة على عقلها الذي عجز عن التفكير فيما يمكن أن تفعله أو تقوله. فخللت صامته واجمة تكاد تكون غير قادرة على ابتلاع ريقها لتبلل حلقها الجاف.

استطاعت عايدة أن تدرك كل ما يحدث بسرعة فائقة. أشققت على يارا وهي تراها في هذا الموقف السخيف فأسرعت تقول في بساطة وهي لا تزال محتفظة بابتسامتها الهادئة:

- إيه يا يارا؟ مش تعرفينا؟

خطفت يارا نظرة سريعة نحو يحيى ثم غضبت طرفيها وهي تقول مسرعة لتخفي توترها:

- كريم، كان زميلي في الجامعة. وده يحيى ووالدته عايدة هانم. أكيد فاكريحي يا كريم؟

نظر كريم نحوها نظرة ساخرة من هذا التعريف الساذج الذي عرفته به، زميلها، فقط؟ أنسيت أنها كانت تحبه وأنه كان يوما ما خطيبها؟ قال والسخرية لا تزال تحتل عينيه ونبرة صوته وهو ينظر نحو يحيى في شبه تحد:

- أه طبعا فاكره، من ساعة ما شقته في المطار وأنا فاكره كويس.

ثم التقت نحو يارا وقد عادت الحماسة تملأ صوته الذي ارتفع متحديا وهو يقول:

- أنا كنت جاي آخدك ونروح نقضي عيد ميلادك في الحسين وخان الخليلي. عامل لك بروجرام هائل، بس ماكنتش أعرف إن عندك ضيوف، علي العموم أنا هاسبقك على هناك وإنتي خلصي وحصليتي.

هنا وقبل حتى أن تفتح يارا فمها لتعجب أو تعترض، هنا فقد يحيى أعصابه. ألقى بالمعلقة على المائدة وهو يقول في عصبية وقد قشل تماما في إخفاء الضيق أو السيطرة على الغيظ الذي ملأ ملامحه:

- لا مالهوش لازمة يا أستاذ كريم. إحنا أصلا كنا ماشيين دلوقتي. حتى عشان يارا تروح معاك وتلحق البروجرام من أوله. يلا يا ماما.

نهضت عايدة وهي تنظر في دهشة شديدة نحو ابنها الذي لم تره من قبل في تلك الحالة، بينما انطلق يحيى كالطفل الغاضب نحو باب الشقة دون أن ينتظر ردا أو اعتراضا من أحد. أسرعت يارا

خلفه وأمسكته من ذراعه حتى يتوقف ويتحدث معها، توقف على مبيض دون أن ينظر نحوها بينما كانت هي تكاد تأكله بنظراتها المتوسلة وهي تقول محاولة فعل أي شيء لتصالحه قبل أن يذهب في حالته تلك:

- يحيى استنى، إنت، قصدي، أنا هاشوفك النهارده بالليل في أربعين ربما صح؟

فقال مقتضبا دون أن ينظر نحوها:

- أيوه طبعاً.

قالت وهي تكاد تستعطفه بنظراتها لينظر نحوها وترى عينيه:

- وهتيجي بكرة المكتب طبعاً عشان تحضر الاجتماع اللي هاعمله لرأفت وليديا زي ما اتفقنا مش

كده؟

جاهد ليرفع عينيه وينظر نحوها نصف نظرة وهو يقول:

- هو إنتي لسه مصممة على إنك تقولي على موضوع الصندوق وكل حاجة لرأفت وليديا؟

فاندفعت تقول متحمسة وقد أحست أن بابًا للحديث قد انفتح مرة أخرى:

- أيوه طبعاً، بعد اللي حصل في الحفلة ده مافيش حل غير كده.

- وهو إيه اللي حصل يعني؟

- إيه اللي حصل؟ أعضاء الوفد اللي كانوا قاعدين كأنهم في بيتهم وأملاكهم بطريقة غريبة، الخزنة

اللي مش عارفين إزاي هتفتحها وتعرف اللي فيها حتى بعد أنا ما عملت نفسي نسيبت حلقي هناك.

بلاش كل ده، بدمتك إنت هو معقول إن واحد زي الكس روبينسون بمكانته السياسية الدولية يعني

حفلة معمولية عشان صفقة تلاجات؟! ويقعد طول الوقت مع شفيق على جنب يتهامسوا ويتوددوا

بحجة إنه بيتظمن على صحبة منصور بيه.

فصمت يحيى مفكراً ثم قال وقد بدا عليه الاقتناع:

- مش معقول طبعاً.

- خلاص، يبقى مافيش قدامي حل ثاني غير إنني أشرك معايا في السر بتاعي الناس الوحيدة اللي

كانت قريبة من منصور بيه، واللي عارفة وقاهمة في الشغل اللي الأسماء اللي في اللسته مشاركة

فيه منصور بيه يمكن يقدروا يساعدوني، أنا صحيح جربت ليديا قبل كده وماعرفتش تساعدني



بس هي ما كانتش تعرف الموضوع كله. يمكن لما تعرفه ويبقى كمان معنا رافت. يمكن نقدر توصل  
لحاجة.

ظل يحيى صامتا وقد بدا عليه أنه بدأ يقتنع بمنطقها. تشجعت يارا وابتمست وهي تقول في رقة:  
- ماتقلقش. أنا حاسبها ما كويس. أنا بس عاوزاك جنبي.

نظر إليها وابتمس في سخرية كأنه يتساءل عن مدى صدق احتياجها له. قال مستسلما:  
- حاضر. هاجي.

ثم استدار وخرج مسرعا وهو يقول وقد عادت العصبية تملأ صوته:  
- يلا يا ماما.

أقبلت عايذة نحو يارا مبتسمة وقالت في حنان وهي تربت على كتفها:

- ماعلش. هو يحيى كده لما بيتعصب بس بيفك بسرعة صدقيني. كل سنة وإنني طيبة يا حبيبتي.  
أكيد هاشوفك قريب.

جاهدت يارا لتبتسم وهي تقول مخفية الألم الذي شعرت به:  
- أه طبعاً يا طنط. أكيد إن شاء الله.

خرجت عايذة بعد أن قبلت يارا التي أغلقت الباب. والتفتت نحو كرم وقد تملكها غيظ عنيف  
من هذا الذي أفسد عليها أجمل مفاجأة حدثت لها في حياتها. أحست أنها تريد أن تنشب أظافرها  
في وجهه ورقبته حتى تستريح وتفرغ حنقها وتهدأ. قال وهو يقترب منها في نبرة ساخرة:  
- ماكنتش أعرف إنك إنني ويحيى اتعودتوا على بعض للدرجة دي.

كظمت غيظها وقالت دون أن تكثرث بالإجابة عليه كأنها لم تسمعه وهو يتحدث:  
- كرم أظن إنت واخذ بالك إن أنا عايشة لوحدي وإن إنت لازم تنزل دلوقتي حالا.  
فقال محاولاً إخفاء حنقه:

- يا سلام! وإشمعني يحيى بقى؟

فانفعلت وهي تقول وقد استفزتها طريقته:

- أولاً يحيى كان معاه والدته. ثانياً بقى يعني إيه إشمعني دي إن شاء الله؟

عض بأسنانه على شفتيه ثم قال في برود:



- ماشي، بلاش إشمعنى. على العموم أنا جاي أخدك عشان تقضي عيد ميلادك مع بعض. عامل لك قسحة حلوة في الحسين وخان الخليلى. أنا هانزل استفاكي في العربية على بال ما تغيري هدومك.

توجه نحو باب الشقة لكنها استوقفته وهي تقول في نبرة شبه متحديّة:

- ماعلش يا كريم مش هاقدر أخرج النهارده.

الثفت نحوها وهو يقول في نبرة متحفزة:

- ليه؟

- عشان داليا متعدي عليا بعد الشغل وزمانها على وصول ولازم أستناها. وبالليل هاروح الأربعين

بتاع ربما في عمر مكرم. ماعلش بقى نبقى نعوضها بعدين.

لوى كريم شفتيه محاولا كبت غيظه قبل أن يقول في تحدّي:

- ماشي، خلها بعدين، بس ماتنسيش. إحنا لينا خروجة مع بعض. سلام.

خرج وأغلق الباب خلفه في عنف، ليفعل ما يشاء، ليغتنظ أو ليمنت، يجب أن يقف عند الحدود

التي سترسمها له حتى لا يصور له عقله أنه سيستطيع في يوم ما أن يسترد يارا أو أنها ستفكر في

العودة إليه أو إلى حبه مرة أخرى.

ألقت بنفسها في عنف على مقعد الصالون وقد ملأها غيظ عنيف نحو كريم، ليتها لم تقابله مرة

أخرى، ليتها لم تعرفه طيلة حياتها، كأن مطارق من حديد تضرب في صدرها الذي يغلي من شدة

الحقن عليه. كورت قبضتها وأخذت تضرب بعنف على يد المقعد وتعض على إبهام اليد الأخرى وهي

تتخيل كيف كان يمكن أن يمضي اليوم لو لم يأت كريم ويفسد تلك السعادة التي كانت تملأ

مترتها.

لكنها شردت للحظة، لحظة واحدة تذكرت فيها نظرة يحيى المليئة بالضيق والغضب والغيظ، خف

ضرب يدها على المقعد وكفت عن الضغط بأسنانها على إبهام يدها الأخرى، وأبتسمت، ابتسمت

عندما أدركت أن تلك النظرة الغاضبة لم تظهر في الواجهة إلا لتخفي في الداخل شيئا واحدا،

الغيرة.

(٣٧)

كانت يارا تطرق بأصابعها في توتر فوق السطح الزجاجي للمكتب حين قاطعها يحيى قائلا في حدة:  
- يا شبيخة كفاية بحق، اهدي شوية. وترتيني.

فكفت يارا عن النشروهي تقول في توتر:

- مش قادرة يا يحيى، هاموت من القلق.

- قلقانة ليه؟ مش إنتي اللي فكرتي وقررتي إنك تقولي لرافت وليديا على كل حاجة عشان يعرفوا يساعدوكي؟

- أيوه أنا اللي أخذت القرار ومقتنعة بيه تماما، بس برضولسه مش قادرة أستوعب فكرة إنتي بكل بساطة أفنتي السرالي أختي اتمنتني عليه وأقوله لناس غريبة.

- أولا إنتي بتعملي كده عشان تحققي هدف نبيل اللي هو إنك تضحكي ربما عاوزه منك إيه، إنتي مابتقوليش على الموضوع ده لأي حد تقابليه وخلص.

ثم استطرد متسائلا في تعجب:

- و بعدين ما إنتي جيتي وقلتي لي ولسه بتقولي لي على كل حاجة وأنا غريب عنكم. ضميرك مايبانبكيش ليه؟

فمضت يارا شفتها وهي تقول في استخفاف لهذا السؤال:

- يا يحيى إنت حاجة تانية خالص.

ابتسم ساخرا من نفسه التي أصبحت لا تفهم شيئا، كلامها هذا يسعده ويجعله يشعر بزهو وأطمئنان لأنها تعتبره إنسانا مختلفا وله عندها مقام أعلى من كل الناس. لكن تلك السعادة لا تلبث أن يشوبها سخط وضيق كلما تذكرت تلك المواقف المتقطعة التي يحتل من خلالها كريم جزءا في حياتها خاصة موقف البارحة. هذا الموقف الذي شعر بعده أنه يكره كريم كما لم يكره أحدا من قبل، والذي بسببه احتل الضيق وجهه والتكلف نبرة صوته وطريقة تعامله مع يارا اليوم لكنها لم تلتفت إلى ذلك بعد، توترها واهتمامها بموضوع ربما جعلها تنصرف عن كل ما عداه حتى يحيى. لا يهم، سيظل على طريقته تلك حتى ينتهي اجتماع اليوم ويفرغ عقلها قليلا مما فيه، ستلتفت إليه وتحاول مصالحته، حينئذ سينتخلى قليلا عن تلك الطيبة التي يتعامل بها معها، والتي

بسببها يتعذب قلبه وهو مشتت بين حقيقة وجود كريم في حياتها وبين لحظات قربها منه والتي يكاد يجزم فيها بأنها تحبه كما يحبها، يحبها؟ أحس بقلبه يخفق وعقله يستنكر أنه نطق بتلك الكلمة بكل بساطة حتى ولو كان ذلك بينه وبين نفسه فقط.

سمعا نقرأ على الباب دخل على إثره رأفت وخلفه ليديا ميتسمين ابتسامات صفراء تخفي توجسا من هذا الاستدعاء الغريب في جو من التكتّم والسرية، اقترب رأفت وهو يقول ولا تزال الابتسامة على شفتيه:

- صباح الخير.

تقدمت يارا نحوهما وهي تقول:

- صباح النور، أتأخرتوا ليه؟

فقالت ليديا محاولة إخفاء ضيقها:

- ماعلش، أصل رأفت أتأخرشوية النهارده.

ثم أخفضت صوتها مستطردة كأنها تهمس لنفسها لتذكرها بما يحدث:

- كالعادة.

لم تسمعها يارا التي اتجهت مسرعة نحو مائدة الاجتماعات وهي تقول في استعجال:

- طيب، ليديا لو سمحتي اقفلي الباب وتعالى بسرعة.

أغلقت ليديا باب الغرفة واتجهت لتجلس بجانب رأفت على يمين يارا التي جلست على رأس المائدة، بينما جلس يحيى على يسارها في مواجهة رأفت. التفتت يارا نحو رأفت وتساءلت محاولة تخفيف

توترها وفتح مجال للحوار:

- مامتك عاملة إيه يا رأفت؟ لسه تعبانة؟

عقد رأفت حاجبيه مستنكرا سؤاها عن والدته، كاد أن يسألها من أين تعرفها لتسأل عنها لكنه

سرعان ما تذكر هذا الحديث الذي دار بينهما يوم الحفل حين ادعى أنه تأخر ليصحب والدته

للطبيب لأنها تمر بمشاكل صحية، قال محاولا إخفاء توتره:

- لا، كويسة، بقت كويسة الحمد لله.

- طب الحمد لله.



صمت كلاهما بينما استرق رأفت نظرة سريعة بطرف عينه نحو ليديا ليري أثر كذبتة عليها لكنها كانت جامدة، ملامحها ثابتة لا توحى بشيء اللهم إلا شبح ابتسامة ساخرة متألمة تؤكد لها أنها كانت على حق عندما أحست أن رأفت أصبح متغيرا وغريبا.

عقدت يارا أصابع يديها واستندت بمرفقها على المائدة محاولة للممة أفكارها وتخفيف توترها قبل أن تقول بنبرة جادة:

- طبعاً إنتوا مستغربين من إن أنا طلبت أقعد معاكم النهارده، خصوصاً وإن أنا أكدت عليكم إن الاجتماع ده يبقى سرى وماحدش يعرف عنه حاجة، وكمان اخترت معاد يكون شفيق فيه مش موجود في المجموعة.

صممت يارا لتتأكد من نظرات الاهتمام والتركيز في أعين رأفت وليديا قبل أن تستطرد قائلة:

- بس قبل ما أتكلم في الموضوع الأساسي اللي أنا جايباكم عشانه عاوزه أنيكم لأنه موضوع مهم جداً، تقريبا سر ماينفعش أقوله لأي حد، وأنا اخترتكم أنتم بالذات لأنني في الفترة القصيرة اللي أنا قعدت فيها هنا في المجموعة حسيت إنكم أقرب الناس ليا وأكثر اتنين وققوا جنبي وساعدوني إني أفهم الشغل بسرعة وأتعود على المكان، ومش هابالغ لو قلت إنكم أكثر اتنين أنا بائق فيهم هنا في المجموعة وعارفة إنكم هتبقوا قد الثقة دي.

لمعت أعينهما في زهو وأسرع رأفت يقول في حماس:

- العفويا أنسة يارا ده واجبنا.

وأكملت ليديا قائلة:

- و ثقتك دي شرف لينا تأكدي إننا هتكون قداما، والموضوع ده أيا كان مش هيخرج برانا مهما حصل.

ابتسمت يارا ونظرت نحو رأفت نظرة ذات معنى وهي توجه نحوه سؤالها:

- وشفيق؟

عقد رأفت حاجبيه مستنكراً قبل أن يقول مدافعا كأنها أمانته بسؤالها:

- ولا حتى مستر شفيق يا أنسة يارا، ما دام حضرتك أمنتيني على سر يبقى عمري ما هاطلعه برا مهما حصل.



فقالآت يارا في رقة بعدما أأست أنه شعر بالإهانة بسؤالها:

- أنا عارفة طبعاً يا رأفت، أنا بأسال بس عشان أنا عارفة إنك تبقى مساعد شفيق وما بتخبيش عليه حاجة.

- أيوه أنا المساعد بتاعه وما ياخبيش عنه حاجة في حدود الشغل، إنما عمري ما هاروح أقول له على سر أنا عارف إن هو مش المفروض يعرفه.

فابتسمت يارا في رضا وهي تقول:

- وأنا باثق فيك يا رأفت، وفيكي يا ليديا وعارفة إنكم قد الثقة دي.

وصممت يارا لحظات تستجمع شجاعتها لتبدأ في الحديث الأهم. استرقت النظر نحو يحيى الذي كان لا يزال صامتا يكسي وجهه بطبقة من التحفظ وشيء من الضيق كجزء من الخطة التي وضعها بينه وبين نفسه كأنه يعاقبها على ما حدث إلبارحة. أوما لها إيماءة خفيفة كأنه يأذن لها أن تفتي سرها الخطير. وأخيراً، تحدثت يارا، حكّت عن كل شيء بمنتهى الصراحة منذ أول يوم أناها فيه شفيق ليطلب منها أن تستلم جثة ربما وتشرف على دفنها مروراً باستلامها للطرد وكل الاستنتاجات والاكتشافات التي توصلنا إليها وحتى اللحظة التي قررت فيها أن تصارحها بكل شيء، حتى يكون لديهما كل المعلومات التي يمكن أن يستخدمها ليساعدها في اكتشاف أي شيء أو أي تفسير لما يحدث، وفي النهاية بسطت أمامهما نسخة من قائمة الأسماء الموجودة على ال iPad والتي كانت ليديا قد اطلعت عليها من قبل.

طوال تلك الفترة لم تتوقف أعين رأفت أو ليديا عن الاتساع في ذهول مما يسمعانه وتركيز شديد لكل كلمة تقال، الحديث كان غربياً ومشوقاً جداً حتى أنهما في بعض اللحظات كانا ينسيان الحرج الذي يشعران به نحو بعضهما البعض ويتبادلان النظرات في ذهول واستنكار كأن كلا منهما يستنجد بالأخر ليساعده على تصديق ما يسمعه.

صممت يارا وأخذت تتأمل رأفت الذي أخذ يفحص الأسماء في القائمة بشغف شديد واهتمام. رفع رأسه فوجد كل الأعين تنظر نحوه في ترقب، شعر بخوف من المسؤولية التي وضعت على عاتقه وبعض من الزهول لأنه أصبح محط اهتمامهم، تمنح قليلاً كأنه يستعد لإلقاء خطبة قبل أن يقول:

- الملفات اللي ليديا جابتها لك فعلا ممكن مايكونش لها لازمة، فيه أسامي هنا بيشتغلوا مع المجموعة من زمان من قبل حتى أنا وليديا ما نتعين هنا. ده فيه شغل كان معاهم ابتدا وخلص قبل ما إحنا نحط رجلينا في المجموعة أصلا. التدوير على الشغل ده وتقاصيله له سكك ليديا ماتعرفهاش إنما أنا ممكن أقدر أوصل لها.

لمعت عينا يارا ببارقة من الأمل وهي تقول في حماس:

- كودس قوي، يا ريت يا رأفت تجيب لنا أي معلومات أو تفاصيل ممكن تفيدنا، وبرضو لازم تخلي ليديا تساعدك.

تململ رأفت قليلا قبل أن يقول في نبرة متقطعة:

- أه، طبعا، أكيد هاحتاج مساعدتها لأن ليديا كمان بصفتها سكرتيرة منصور بيه من حوالي خمس سنين لها في الشركة مصداقية تخليها تقدر تجيب أرقام الحسابات اللي بتحول لها فلوس شغلنا مع الناس دي عشان نقارنها بأرقام الحسابات اللي موجودة في اللسنة.

فالتسمت عينا يارا وهي تقول في سعادة بعدما بدأت تشعر بأنها أصابت عندما استعانت بهما ليساعدها:

- أيوه صبح، دي خطوة مهمة جدا.

قطعت ليديا صمتها متسائلة:

- طب والخزنة اللي موجودة في الدولار الأزرق في الفيلا، هتعلمي فيها إيه؟

فأسرعت يارا تجيبها قائلة:

- لا دي سيبيا لي، أنا لسه جاية لي النهارده فكرة هتخليني أعرف أفتحها وأشوف اللي جواها من شبر ما حد يحسن.

فأسرع رأفت يتساءل في شغف:

- إزاي؟

- هاتكم كريمة في التليفون وأقول لها إن الدولار الأزرق اللي أنا شفته في أوضة منصور بيه عجيبني وعاوزة أعمل واحد زيه، وأستاذتها في إني أروح وأخذ معايا نجار عشان يرفع المقاسات ويدرسه. كودس، بس في الحقيقة أنا مش هاخذ معايا نجار، أنا هاخذ خبير فتح خزن.

نظرا نحوها في استنكار بينما تساءلت ليديا في تعجب:

- وده هتجيبه متين؟

- فيه واحد أعرفه كان زميلي في الجامعة اسمه كريم.

رفع يعى رأسه في حركة آلية سريعة عندما سمع الاسم بعدما ظل معظم الجلسة خافضا رأسه في ضيق دون أن يشارك بكلمة واحدة. نظر نحو يارا في دهشة وقد أصابته صدمة أتت على آخر ما بداخله من بارقة أمل. إن يارا تضع خططا تشرك فيها كريم ولا تطلعها عليها. ظلت النظرات

الذاهلة واضحة في عينيه وهو يستمع إليها وهي تستطرد وقد تركزت كل نظراتها نحو ليديا ورأفت:

- كريم ده بيشتغل مع والده في استيراد الخزن وصيانتها من زمان. عشان كده أنا هاطلب منه إنه

يديني خبير من اللي بيشتغلوا عندهم يكون شاطر وأمين.

تحولت نظرات الدهشة إلى نظرات شك في أعينها بينما علق رأفت قائلا:

- هي خطة مش منطقية قوي وفيها مجازفة كثير. بس واضح إننا ماقدامناش غيرها.

توجهت ليديا نحو يعى وهي تتساءل لتحثه على الكلام:

- إيه رأيك يا مستريحي؟

التفت يعى نحوها وكأنه يفيق من غيبوبة. بعدما ظل لدقائق محمقا نحو يارا في ذهول وقد غاب

تقريبا عن كل ما حوله وغرق في أفكاره. تمالك نفسه وأعاد إلى ملامحه تحفظها وهو يقول

مقتضيا:

- خطة كويسة.

أسرعت يارا تقول لتنهى الحديث:

- أهم حاجة لازم نبقى عارفينها هي إننا فريق واحد مقسوم نصين. رأفت وليديا جوا المجموعة وأنا

ويعى برا المجموعة. اللي يوصل لحاجة لازم يبلغ الباقيين بس في الآخر إحنا فريق واحد بيننا سر

لازم مايخرجش برا أبدا.

وأما الجميع برأسه موافقا بينما نهضت ليديا وهي تقول معتذرة:

- ماعلش أنا لازم أخرج دلوقتي عشان فيه ناس عندها مواعيد مع حضرتك لازم أكون في

استقبالها.



نهض رأفت أيضا وهو يقول:

- أنا كمان هاقوم أخلص الشغل اللي ورايا عشان أعرف أركز بعد كده في الموضوع بتاعنا.  
 خرج الاثنان بعدما وعداها بالسرية الشديدة حتى على أهل بيتيها وعلى العمل بحماس لاكتشاف  
 أي شيء قد يوصلهم إلى حل لهذا اللغز الغامض. ما إن خرجا حتى نهض يحيى مسرعا كأن عقربا  
 لسعه. واتجه نحو الباب كأنه يهرب منها أو من أي محاولة للحديث معه. فبعدما كان يريد هذا  
 الحديث حتى يجعلها تفهم ما بداخله أصبح غير قادر بالمرة حتى على النظر إليها.  
 نظرت يارا نحوه في دهشة وهي تتساءل:

- رايح فين؟ ما تقعد شوية.

أجابها مقتضبا وهو يفتح باب الغرفة دون أن ينظر نحوها:

- لا ماعلش أصل ورايا شغل كثير قوي في الوزارة ولازم أمشي. مع السلامة.

خرج مسرعا. هاربا منها. وتركها تفرق في دهشتها من الأسلوب الذي اتبعه طيلة الجلسة وفي وقت  
 ذهابه. تركها تفرق في ندمها لأن موضوع ربما والاجتماع مع ليديا ورأفت شغلاهما عن مصالحته  
 بعدما حدث البارحة في منزلها مع كريم.



كان مستلقيا في اليوم التالي على فراشه وقد أمسك بيده علبة صغيرة من القطيفة السوداء. يفتحها ليتأمل ما بداخلها ثم يغلقتها ثم يفتحها مرة أخرى ليتأملها ثم يغلقتها وهكذا دواليك، حتى أصبحت تلك الحركة آلية تقوم بها أصابعه فقط. بينما شرد عقله وعاد إلى هذا اليوم الذي ارتدت فيه يارا هذا الخاتم ونسيته في أصبعها حتى نهها إليه مسيو فايز الجواهرجي فخلعته. ورفضت أن تبتاعه على الرغم من إعجابها به إعجابا بدا واضحا جدا في نظراتها وهي ترتديه وهي تخلعه. يومها عاد مرة أخرى في المساء وابتاع الخاتم تحت ابتسامة مسيو فايز اللئيمة ونظراته التي توحى بأنه يفهم كل شيء. لا يعلم يحيى لماذا عاد وابتاع هذا الخاتم؟ وقتها لم تكن مشاعره واضحة نحوها ولم يكن هناك مبرر يجعله يفكر في أن يشتري لها شيئا، لكنه وجد نفسه يعود إلى المحل مرة أخرى وهو يدعو الله ألا يكون أحد قد ابتاع الخاتم. ولدهشته الشديدة أحس أن مسيو فايز كان قد خبأ الخاتم بعيدا عن أعين الزبائن كأنه كان يعلم بفراصة التاجر أنه سيعود لibtاعه هو بعينه. فبمجرد أن دخل يحيى وطلب الخاتم وقبل أن ينتهي من وصفه كان مسيو فايز قد فتح الخزانة وأخرجه في علبته السوداء وسلمه له وعلى شفثيه ابتسامة انتصار وثقة.

لا يعلم لماذا ابتاعه؟ كان متأكدا أن الخاتم قد أعجبها وأسرلب الأنثى الساكنة بداخلها، والتي لا تستطيع أن تقاوم إعجابها بالمجوهرات الجميلة الثمينة مهما كانت إنسانة بسيطة لا تهتم بالمظاهر أو باقتناء البضائع الغالية البراقة. لكن تأكده من ذلك لم يكن سببا كافيا ليدفعه إلى شرائه لها. كان بداخله إحساس يؤكد له أنه سيأتي يوم سيهدبها فيه هذا الخاتم. يوما سيصنع به لها مفاجأة ستدمع لها عينها. لذا ابتاعه لها دون حتى أن يفكر في سبب هذه السعادة التي كانت تملؤه كلما تخيلها وهي عاجزة عن إخفاء مشاعرها المتناقضة عندما ترى الخاتم أمامها وتعلم أنه التفتت إلى شيء بسيط قد لا يلتفت إليه أي إنسان يحيها.

و جاء اليوم، وأخرج الخاتم والسعادة تكاد ترفعه عن الأرض وتطير به. وذهب إليها حتى باب بيتها لتكتمل المفاجأة التي أراد أن يرى أثرها على وجهها. وقبل تلك اللحظة بدقائق، قبل أن يخرج الخاتم ويتلذذ بنظرتها وهي تراه وتفاجأ به وتحاول كبت مشاعرها ودموعها فتفشل وتترك لهما العنان. قبل كل ذلك بدقائق فسد كل شيء. أفسده كرم هذا الذي كلما تذكره أحس أنه يريد أن

يحطم كل ما حوله ليثار لكبيراته التي تأبى أن تشعر ولو حتى مجرد شعور أنها تتنازع مع أحد على شيء حتى ولو كان هذا الشيء هو الحب، الحب الذي لم يجبره سوى الآن. رجل في الثلاثين من عمره، سافر والتحق بأصعب الأعمال وتعامل مع الناس بكل الطوائف والجنسيات وتحمل أثقل المسؤوليات وأثبت أنه شخصية قوية ثابتة لا يؤثر فيها شيء، رجل هكذا يأتي اليوم الذي يجد نفسه فيه في منتهى الضعف وقلة الحيلة، يفكر ويتصرف كالمراهقين. لماذا؟ لأنه لم يجرب الحب من قبل، ليس لديه أية خبرات ولا يعلم ماذا يجب عليه أن يقول أو يفعل في تلك المواقف ولا يجد من يسأله أو يستشير، وحتى إن وجد أحدا فإنه سيخجل من أن يسأل نفس الأسئلة التي يسألها طلاب الثانوي وهو رجل ناضج معترم.

كان مستغرقا في أفكاره حتى أنه لم يسمع صوت الطرق على باب غرفته، ولم يشعر بصوت حفيف عباءة عايدة هانم التي دخلت في خطوات رشيقة ووقفت أمام الفراش تتأمله مبتسمة، وفي عينيها نظرة نكاد تزغرد من السعادة وقد اختلط بها حنان وتأثر الأم التي استيقظت ذات يوم لتفاجأ بابنها الصغير وقد صار رجلا كبيرا، انتبه على نبرتها المازحة وهي تقول:

- أحمدك يا رب، حققت لي أمي التي بقي لي سنين بادعي لك بها.

اعتدل يحيى في جلسته مسرعا وقال هو يغلغ العلبة السوداء محاولا إخفاءها في قبضته بحركة فضحت ارتباكها:

- أمنية؟ أمنية إيه دي يا ماما؟

فقال في خبث وهي تتقدم نحو الفراش بخطوات وثيدة:

- أصل أنا كان نفسي طول عمري، أشوف واحد كده وهو قلقان ومشغول وبيفكر، اوعى كده اتأخر خليني أقعد.

فالتبا وهي تزحجه لتجلس على حافة الفراش وتضم حواف شالها الفستقي اللون. أفرغ لها يحيى مساحة وهو يقول ساخرا:

- وشفتيه خلاص الحمد لله؟ استريحتي؟

- جدا، استريحتي على الآخر.

اتسعت عيناه في دهشة سرعان ما تحولت إلى شيطان وهو يقول:

- بقى كده؟ ماشي يا ماما، استريحي براحتك وبلاش أنا.
- صهمنت محاولة كبت ابتمامها، وقع بصرها على يده القايبضة على العلبة السوداء فقالت في تعجب:
- مش عيب الهدية تفضل معاك لحد دلوقتي؟ مش كفاية إن إنت مشيت يوم عيد ميلادها من غير ما تديها لها.
- لوى شفتيه في ضيق وهو يقول:
- ماما لو سمحتي ماتفكرينيش باليوم ده.
- أجابته في عصبية لا تخلو من نبرة حانية:
- جرى إيه يا ولد إنت؟ هو كان إيه اللي حصل يعني؟ اثبت كده واركز، ماتخليش واحدة تعمل فيك كده.
- فاعتدل في جلسته وهو يقول وقد اعتراه استفزاز شديد:
- يا سلام، ما الواحدة دي إنني بتحبها جدا، تنكري؟
- لا مانكرش، أنا باحيا وعاجباني وداخلة دماغي، بس برضو عاوزاك تعقل وتركز يا سيادة السفير.
- فصمت شاردا ببصره نحو الأمام وقال دون أن يحيل عينيه كأنه يرى أمامه إلهاما يصفه ويغشى أن يضيع من أمام عينيه:
- تفتكري يا ماما، لو واحدة كانت بتحب واحد زمان، وسابوا بعض، وبعدين قابلته تاني بعد كام سنة. تفتكري ترجع له ولا لا؟
- فصمت قليلا مبتسمة وقد فهمت مقصده ثم قالت:
- علي حسب.
- فالتفت نحوها وتساءل مستنكرا:
- إزاي يعني؟
- فقالت والثقة تملأ كل حرف تقوله:
- يعني واحدة في شخصية بارا وطريقة تفكيرها ممكن أه ترجع له، بس في حالة واحدة.
- فانتفض جالسا وهو يتساءل دون أدنى محاوله لإخفاء ما اعتراه من خوف وقلق:



- إيه هي؟

- لو كانت هي اللي سابته زمان وحاسة إنها ظلمته، إنما لو كان هو اللي سابها، لو عمل إيه، عمرها ما هتسامحه ولا هترجع له حتى لو عاملته كويس لما قابلته تاني بعد كام سنة صدفة في المطار.

زم شفتيه مفكرا في حيرة، من أين له أن يعرف ماذا حدث، بينهما منذ سنوات ليستنتج إن كانت ستعود إليه أم لا؟ رسم ابتسامه على شفتيه وقال مازحا ليستفزها وهو يضحك مرة أخرى:

- إنما أنا شايفك بتحبيها وبتدافعي عنها ومبسوطة بيبا، أمال فين شغل الغيرة والحماوت والحاجات دي؟

اختفت الابتسامه من على وجهها ومالت قليلا نحوه وهي تقول شبه هامسة:

- عاوز الحق؟ أنا ماسكة نفسي بالعافية، مش قادرة أتخيل إن فيه واحدة مهمما كانت كويسة ومهمما كنت باحيا تقدر تاخذك مني، بس اللي مصبرني ومسكتني إن يارا طيبة وبنيت حلال ودخلت قلبي على طول.

ابتسم متأثرا بكلامها وتناول يدها ولثمها بأمتنان وحب. دق جرس هاتفه المحمول فالتفتت عابدة وتناولته من على "الكمودينو" وألقت نظرة سريعة على الشاشة قبل أن تقول مبتسمة:

- اتفضل يا سيدي كلم، دي يارا.

انتفض جالسا وقلبه يدق بعنف لكنه سرعان ما تذكر خطته التي بدأها منذ يومين، تظاهر بالهدوء وهو يتناول المحمول من والدته وأجاب في نفس التبرة الباردة المتحفظة:

- أيوه يا يارا.

اندهشت عابدة عندما وجدت الهدوء يضيع من على ملامحه وهو يستمع إلى يارا، عقد حاجبيه في استنكار وقلق وهو يقول:

- اهدي بس، اهدي عشان أفهمك.

استمع إليها لدقيقة قبل أن يهتف في ذعر:

- إيه؟! مش معقول! طيب خلاص أنا جاي لك. إنتي فين؟ فيلا منصور بيه، طيب مسافة السمكة وهابقي عندك.

قفز من على الفراش وأسرع يستبدل ملبسه في لهجة بيتنا هتفت عابدة متسائلة في قلق:



- فيه إيه يا يحيى؟ يارا مالها؟

قال دون أن بكف عن ربط أزرار قميصه في سرعة:

- حاجة شربية قوي حصلت يا ماما، الخزنة اللي في الدولاب الأزرق اللي حكيت لك عنها، اتسرقت!

انتفضت عابدة واقفة وهي تهتف في ذعر:

- إيه؟! مش ممكن! مش دي الخزنة اللي قلتوا إن لما تفتحوها متفهموا كل حاجة؟ اتسرقت إزاي

طيب وإنت قلت لي إن مافيش حد يعرف مكانها غير منصور بيه وشقيق؟

قال وهو يرتدي سترة البذلة مسرعا:

- ماعرفش يا ماما، أنا مش قاهم حاجة زيك. أديني رايح ليارا في فيلا منصور بيه عشان البوليس

والتحقيق هناك.

خرج مسرعا وعابدة خلفه، تناول مفاتيحه من أمام باب الشقة وفتحها واتجه مسرعا نحو المصعد

الذي كان بالصدفة موجودا في الطابق، فتح الباب ودخل وقبل أن يفلقه سمع صوت والدته وهي

تهتف في قلق:

- ابقى طمني بالتليفون يا يحيى.

- حاضريا ماما.

قالها ثم أغلق الباب وضغط الزر فانطلق المصعد هابطا في بضع ثايات تاركا له الفرصة ليتأمل نفسه في

المرأة. اندمش حين رأى وجهه وهو يحاول محاولات فاشلة لكبت ابتسامته، فعلى الرغم من قلقه

على يارا ودهشته مما حدث لكنه لم يستطع أن يمتنع شعورا شريرا بالسعادة يملؤه، فخطه يارا

لفتح الخزنة التي كان كريم سيشارك فيها لن تتم.

(٣٩)

جلست منكمشة في أحد الصالونات القريبة من غرفة المكتب التي جلس بها وكيل النيابة وكتبه يستقبلان الشاهد تلو الشاهد في جو مشحون بالاضطراب والحرج. حاولت جاهدة السيطرة على تلك الرعدة التي أصابتها منذ أن أبلغها شفيق بالخبر وطلب منها في عصبية لم تعتدها منه أن تحضر فوراً إلى الفيلا لأخذ أقوالها.

أخذت الأفكار السوداء تنخر في رأسها مثل السوس وقد اعترها شعور رهيب بالاضطهاد من الدنيا ومن فيها، لماذا كل هذا النحس يصاحبها في حياتها ولا يريد أن يتركها في حالها؟ عندما سمعت الخبر أصابها ذهول طغى على كل شيء بداخلها. أصابتها حالة من النكران لكل ما سمعته كأنه لم يحدث. اتصلت بيحيى على أمل أن يستطيع هو أن يعينها على التصديق، لم تفق من تلك الحالة إلا الآن عندما وجدت نفسها وسط الأحداث في فيلا منصور بك، أفاقت لتجد الضباط والعساكر منتشرين في كل ركن في المنزل. المحقق احتل غرفة المكتب ليستكمل التحقيق. شفيق يتحرك في كل مكان بسرعة كالجنون وقد فقد ولأول مرة قدرته على السيطرة على أعصابه وردود فعله فبدأ خير دليل على مثل "اتق شر الحليم إذا غضب"، أفاقت لتدرك أن الخزينة الموجودة في "الدولاب الأزرق" والتي كانت تخطط لفتحها بعد يوم أو يومين، تلك الخزينة التي تحوي حل اللغز الذي أرهقها دون جدوى أو نتيجة، تلك الخزينة سرقت، أصبحت خاوية من كل دليل كان يمكن أن يعالج حيرتها وتخطبها في هذا العالم الجديد عليها، وهامي ذي تجد نفسها فجأة وسط معمعة جريمة سرقة حدثت في مكان لم يمر أسبوع على وجودها فيه، تكاد تموت من الرعب كلما طرأت في مخيلتها فكرة أن تتجه أصابع الاتهام نحوها وتجد نفسها فجأة متورطة في سرقة خزنة منصور بك، أه يا منصور بك، ألا تكف عن إيدائي حتى وأنت راقد في غيبوبة خطيرة بين الحياة والموت؟ تفرقت دمعتان في عينيها عندما احتلها شعور قاتل بالضعف وقلة الحيلة أمام تداير القدر الذي لا ينفك يخيب آمالها ويحطم كل خططها ويسلب منها راحتها واطمئنانها.

انتهيت على صوت هاتفها المحمول، ظهر اسم يحيى على الشاشة مبشراً بوصول من يستطيع حقا أن يساعدها ويعيد إليها بعضاً من الأمل، أجابت في صوت أكثر هدوءاً من المكالمات الماضية:

- أيوه يا يحيى، ماجيتش ليه لحد دلوقتي؟

- أنا واقف قدام باب القبلا بس البوليس مش عاوز يدخلني.

- خلاص مش مهم، أنا بقيت كويسة، لو تقدر استناني نص ساعة ياخدوا أقوالي وهاطلع لك على طول.

- أيوه طبعا أقدر، أنا مستنيكي في العربية.

ثم تردد قليلا قبل أن يسأل في قلق:

- إنتي بجد بقيتي كويسة؟

- آه والله ماتقلقش.

أسرعت تنهي المكالمة عندما وجدت شفيق يقترب منها في عصبية:

- مع السلامة دلوقتي عشان تقربا جه دوري. سلام.

عندما أنهت المكالمة كان شفيق يقف أمامها وهو يقول محاولا كبت العصبية والغیظ اللذين احتلا كل تصرفاته منذ الصباح:

- اتفضلي يا يارا، حضرة وكيل النيابة عاوزك.

ازدردت ريقها في محاولة لتمالك أعصابها، نهضت في هدوء واتجهت نحو غرفة المكتب في خطوات حاولت مستميتة أن تملأها ثقة. طرقت الباب بأصابع ثابتة قبل أن تفتحه وتدخل وهي تحاول الحفاظ على مظاهر الهدوء والثقة على وجهها.

كان وكيل النيابة يجلس خلف مكتب منصور بك، وعلى الرغم من الهيبة التي كانت تحيط جسده الضخم في بذلة بنية أنيقة وقد أضفى شاربته المنمق احتراماً من نوع خاص لا يمتاز به إلا رجال الشرطة والنيابة عندما يطلقون شواربهم، لكنه بدا ضئيلاً جداً مقارنة بمكتب منصور بك الذي لم يعلم بالطبع مهما وصل إلى مناصب أن يجلس على مكتب مثله مصنوع من خشب الأبنوس اللامع، وقد زينته نقوش ذهبية رقيقة تتلاءم مع نقوش الستائر والسجادة والصالون الصغير الموضوع في جانب الغرفة، والذي امتلأت ماندته القصيرة - مثلها مثل المكتب نفسه - بتحف وكرسيات صغيرة تتناسب مع جو الغرفة العام وتتناسب مع بعضها البعض وكأنها أوجدت في الطبيعة كما هي موضوعة الآن بهذا النظام وتلك الرقة.



بجانبيه، على طرف المكتب، كان كاتباً بسيطاً قد سحب أحد مقاعد الصالون وجلس عليه، وقد وضع أمامه الأوراق وأمسك بيده القلم استعداداً لكتابة أي كلمة تخرج من أي فم في تلك الغرفة حتى ولو كان سعلة بسيطة.

رفع وكيل النيابة عينيه عما أمامه من أوراق حيث ألقى على ياراً نظرة سريعة قبل أن يقول وهو يعيد نظره إلى الأوراق:  
- اتفضلي.

إحساسها بأن فخامة غرفة مكتب والدها تطغى حتى على هيبة هذا الذي يبدو أن له مقاماً كبيراً يشعر به هو شخصها قبل أن يشعر به من حوله أعطائها ثقة عجيبة في نفسها، وشعوراً بالفخر امتزج مع استنكارها بأن ثمة فخرها قد اعترأها بسبب منصور بك فقط لأنه والدها. تقدمت في ثبات وجلست على المقعد أمامه، لم تهتم بالالتفات نحوه حتى فرغ هو مما في يده ورفع بصره وقال في نبرة روتينية مولياً كل اهتمامه إياها:

- الاسم والسن ومحل السكن والوظيفة، من فضلك.

- ياراً منصور عبد السلام أبو بلاط، سبعة وعشرين سنة، ساكنة في ١٣٥ شارع عبد العزيز فحيمي مصر الجديدة، حالياً رئيس مجلس إدارة مجموعة شركات أبو بلاط.

كانت مولية كل اهتمامها إلى الثقة التي نطقت بها الكلام حتى أنها لم تلتفت إلى نظرات الريبة التي حدجها بها وكيل النيابة قبل أن يتساءل في شك:

- إنني تبقي رئيسة مجلس إدارة مجموعة أبو بلاط كلها؟

فأومات برأسها وهي تجيبه بنفس الثقة:

- أبوه يا فندم، مؤقنا بموجب وصية منصور بيه لعد أما يخف ويقدر يرجع يدير أعماله بنفسه، لو حضرتك تحب تطلع على الوصية ومحضر الجمعية العمومية أنا ممكن أطلب من أستاذ شفيق إنه يجيبهم لك.

أسرع يقول وقد أحس أن الحديث بدأ يأخذ منعطفاً بعيداً عن الجريمة:

- لا مافيش داعي، خليتنا في قضيتنا أحسن. قولني لي يا ياراً، إمتى كانت آخر مرة جيتي فيها الفيلا

منا؟



- من يومين، في الحفلة التي عملتها المجموعة للوفد الأجنبي التي جاي يعقد صفقة تلاجيات لحفظ ونقل منتجات مصنع الألبان الخاص بالمجموعة، ودي كانت أول وآخر مرة أحي فيها الفيلا.
- عقد الرجل حاجبيه مستنكرا وهو يتساءل:
- هو معقولة برضو يبقى منصور بيه والدك وماتزوريش فيلته ولا مرة لحد أما يبقى عندك سبعة وعشرين سنة؟
- قالت وقد عاودها الملل الذي تشعر به كلما اضطرت لشرح علاقتها بوالدها لمن لا يعرفون عنها شيئا:
- آه معقولة، لو كان والدي مطلق والدي من حوالي خمسة وعشرين سنة ومنقطع عنها وعني أنا كمان بشكل نهائي.
- لم بيد عليه أنه شعر بالحرج لأنه جعلها تقول مثل هذا الكلام الموجه، صمت مفكرا للحظات قبل أن يزيح بعض الأوراق ويخرج من تحتها القرط الذي تركته يارا في غرفة خلع الملابس كذريعة لتعود مرة أخرى إلى الفيلا كما نصحتها يحيى.
- عندما رأت قرطها في يده شعرت برعشة تسري في جسدها وتذكرها باحتمال اعتبارها متهمة في تلك الجريمة مهما بدا ذلك غير منطقي على الأقل حتى الآن. لكنها سرعان ما استرجعت ثباتها وثقتها وهي تسمعه يسأل في خبث:
- تعرفي الحلق ده يا يارا؟
- أيوه، ده الحلق بتاعي، كنت نسيتته هنا في ال dressing room يوم الحفلة.
- أعاد كلماتها في بطاء مستفز كأنه يستوعبه:
- نسيتيه.. يوم.. الحفلة. أيوه بس ده إحنا لقيناه في حته غريبة جدا، عارفة فين؟
- تظاهرت بالبراءة وهي تتساءل وكأنها لا تعلم:
- لا، فين؟
- لقيناه تحت حته مش ملزوقة كويس في الموكيت التي في أرضية أوضة اللبس.
- قالت ببساطة جاهدت لتظهرها أمامه:
- عادي، ممكن يكون وقع مني وزبيحته يرجلي من غير ما آخذ بالي فوق في الحته الغربية دي.

تأملها في ربة محاولا سير أغوارها، أو ما برأسه متظاهرا بتصديقها قبل أن يسألها في تعجب:

- ناسياه بقى لك أسبوع، أسبوع وماخدتيش بالك إن الحلق ضايح منك؟

ارتبكت قليلا، لكنها تغلصت من نوترها بسرعة بالضغط على أصابعها وهي تقول مرتجلة إجابة منطقية:

- ما هو أنا أصلي، ما باليسر حلقان إلا في المناسبات، عشان كده ماخدتش بالي إنه ضايح مني إلا من يومين، وقلت إنى هابقى أكلهم مدام كريمة عشان أستأذنها إنى آحي أخده بس نسيت وانشغلت في شغل المجموعة.

قالتها وحمدت الله في سرها أن السرقة تمت قبل أن تتصل بكريمة وتطلب منها أن تأتي مع النجار لتأخذ مقاسات الخزانة الزرقاء كما كانت الخطة التي وضعها، لو كانت السرقة تأخرت قليلا بعد أن تنفذ جزءا من خطتها لكان موقفها الآن حرجا جدا، وكيل النيابة يشك فيها لمجرد أنها تأخرت في السؤال عن قرطها، ماذا إذا كان سيقعل لو كانت نفذت جزءا من الخطة.

سمعا طرقا على الباب دخل على إثره عسكري أدى التحية لوكيل النيابة، قبل أن يعطي له ورقة مطوية أدى بعدها التحية مرة أخرى قبل أن ينصرف ويغلق الباب خلفه.

فتح وكيل النيابة الورقة وأخذ يقرأ فيها باهتمام، قبل أن يضعها أمامه ويضرب عليها في عصبية مكبوتة، وهو يضغط بيده الأخرى على عينيه في ضيق كأنه يحاول إخراج الإرهاق من رأسه، التفت نحو الكاتب وقال في ضجر:

- اكتب يا ابني، وقد بلغنا في ساعته، اثبت الساعة دلوقتي، أن خبير الخزن قد تمكن من فتح الخزانة المعنية ووجدها خالية من كل الأوراق والمقتنيات التي ادعى شفيق شوقي الشناوي بوجودها داخل الخزانة مما يؤكد حادثة السرقة التي تم الإبلاغ عنها، ومن الجدير بالذكر أن رقم الخزانة الذي اكتشفه الخبير هو ٣٠٥.

التفتت يارا نحوه في ذهول عند سماع الرقم، لقد كان يعنى محقا في تخمينه، تاريخ عيد ميلادها الذي هو نفس الرقم المكتوب في مفكرة ربما هو الرقم السري لفتح خزانة منصور بك الشخصية.

انتابها مشاعر مختلطة ومتناقضة لم تجد وقتا لتفسيرها وتحليلها، اضطرت أن تعود مرة أخرى إلى أسئلة المحقق الذي قال:

- ماعلش يا أنسة يار. ترجع لموضوعنا. أنا شايف إنك مش فاهمة قوي وأنا عاوز أفهمك عشان تفكري معايا وتساعديني في حل القضية دي.

لقد ظن وكيل النيابة أن ذهولها بسبب الكلام الذي أملاه على الكاتب منذ دقائق. تظاهرت بأنها متجاربة معه فاستطرد قائلاً:

- إمبراح قبل العجر بساعة تقريبا واحد من الخدامين كان معدي بالصدفة في دهليز الدور الثاني. سمع حركة غريبة في أوضة منصور بيه. دخل بالراحة فشاف في الضلمة خيال واحد بيقل الخزنة وكان هيقفل الدولاب تاني لولا إنه حس بوجود حد في الأوضة. وقبل الخادم ما يعمل أي حاجة جري ونط من الشباك اللي كان مفتوح وهرب.

نظر وكيل النيابة إليها صامتاً منتظراً منها أن تعلق على ما قاله، ولما لم تقل شيئاً بادر هو متمسكاً:

- تعرفي ده معناه إيه؟

نظرت إليه دون أن تعلم ماذا يجب عليها أن تقول. تساءلت في بلاهة:

- معناه إيه؟

حاول المحقق إخفاء دهشته من تلك البلاهة التي حلت عليها وهو يقول:

- كذا معنى. أولاً الجاني قفل الخزنة وكان هيقفل الدولاب كمان عشان يأخر اكتشاف السرقة أطول وقت ممكن. ده لولا إن كان فيه حد معدي بالصدفة كان ممكن ماكتشفش السرقة لحد لما منصور بيه يقوم بالسلامة ويفتح الخزنة بنفسه. ثانياً، الجرامي ده معترف جداً لأنه قدر إنه يهرب من غير ما يتمسك أو حتى حد يشوف وشه. على الرغم من أن الفيلا كبيرة جداً والشباك اللي نط منه نسبياً عالي. كمان الخزنة اتفتحت من غير أي عنف كأن اللي فتحها هو مالكها أو يعرف أرقامها ومن غير ما يسلب عليها أي بصمات.

كانت يارا تنظر نحوه وهي غارقة في ذهولها كأنه يتحدث بلغة أجنبية عجز عقلها عن استيعابها وقهملها. كل تلك الحقائق أنت معا في جملة واحدة كصدمات متتالية فوق رأسها أفقدتها القدرة على التفكير في تفسير منطقي لكل ذلك. عاد وكيل النيابة إلى القبة الجادة التي يلقي بها أسئلته وهو يقول:



- تفتكري بقى مين من اللي يعرفوا مكان الخزنة - اللي هما بالمناسبة مايزدوش عن أربعة خمسة - يقدر يعمل خطة زي دي أو بأجر واحد محترف زي ده؟ وإيه هي مصطلحته في كده؟ خصوصا وإن شفيق بيه قال إن الخزنة ماكانش فيها غير ورق شغل مش مهم قوي، يعني ولا كان فيه فلوس ولا حتى مجوهرات.

مضت دقائق من الصمت حاولت يارا خلالها أن تعيد تشغيل مخها الذي كان قد توقف عن العمل، بشيء من الصعوبة قالت ولا يزال الدهول يحتل وجهها وعينها:  
- ماعرفش.

ضغط وكيل النيابة شفتيه محاولا الحفاظ على صبره الذي بدأ ينفد. ثم قال متصنعا البساطة:  
- طيب خليي أعيد السؤال بشكل مختلف.

استمر التحقيق مع يارا لمدة ساعة على تلك الوتيرة دون أن يصل إلى شيء، ساعة استنفدت فيها كل قوتها وثباتها وأعصابها حتى إذا طلب منها التوقيع على أقوالها وقعت وخرجت في خطوات مسرعة وهي تكاد لا تصدق أنها تغلصت من هذا الكابوس. أبطأت خطواتها قليلا حتى توقفت قريبا من باب الفيلا الذي كان مواربا، ومن خلفه ارتفع حديث يدور بين شفيق وكريمة وقد بدا في حركة ظلها أن الحديث به شيء من الحدة. كان شفيق يقول محاولا خفض صوته وكنم عصبيته:  
- برضو ماكانش المفروض تتصرفوا من غير ما تقولوا لي يا كريمة، إزاي تبلغوا البوليس من غير ما تاخذوا رأيي؟

- وهي دي فيها رأي يا أستاذ شفيق؟ خزنة منصور أبو بلاط الخاصة اتسرقت ومن جوا فيلته، إزاي مانبلغش؟

- يا ستي هو أنا قلت إننا مش هنبلغ؟ أنا كنت هابلغ وهاتصرف بس بمعرفتي، مش آجي الفيلا الصبح آلاقي فيه فيلق احتلها والنيابة بدأت التحقيق وأنا آخر من يعلم.  
- لو كان هو ده اللي مضايق حضرتك فاحنا أسفين يا أستاذ شفيق. بس أنا بصراحة شايفة إن الموضوع مايتاهلش من حضرتك كل العصبية دي، الولد اللي شاف الحرامي بلغ البوليس حتى قبل ما يرجع لي ومع ذلك أنا ماشايقتش.  
سمعت شفيق يزفر في ضيق وهو يقول:



- مش فاممين، ماحدش فيكم فاهم أي حاجة.

فتح شفيق الباب فجأة في عصبية، تفاعاً بوجود يارا أمامه فهداً قليلا، بينما أخفت هي اضطرابها خلف تحية سريعة ألقتها وهي تجتاز الباب مارقة بجانبها دون أن تنظر نحوهما، وكأنها خافت أن يتهماها بأنها كانت تتلصص عليهما. اجتازت الحديقة شبه راكضة كأن خروجها من الفيلا هو آخر خطوة تتخلص بها من هذا الكابوس المحير الذي أصبحت تعيش فيه، ما إن رأت أمامها سيارة يعنى حتى ألقى نفسها بجانبه في إعياء. نظر إليها في قلق من وجهها الشاحب ودموعها المكبوتة، في صوت خافت ضعيف قالت وهي تضغط على نفسها لتتجاوز إرهاقها وتتكلم:

- عاوزه أشرب قهوة، حالا.

(٤٠)

لم يفتح فمه بكلمة واحدة طوال الطريق، تاركا لها الفرصة لتريح أعصابها وتغمض عينيها اللتين لم تفتحهما مرة أخرى حتى أحست أن السيارة قد توقفت تماما، عندئذ فتحت عينيها وخرجت من السيارة متناقلة كأنها فقدت حتى قدرتها على المشي.

جلسا على أول مائدة فارغة، طلب يحيى اثنين قهوة تركية ثقيلة دون أن يعطي فرصة للنادل ليعطي لهما القائمة. نظر نحوها منتظرا منها أن تتحدث لكنها ظلت صامتة كأن الفترة التي قضتها مغمضة العينين طوال الطريق لم تكن كافية لتخفف إرهاقها. ظلت ساهمة دون أن تنطق بكلمة واحدة وقد بدت الدموع المكبوتة واضحة في عينيها منذرة بانتهيارها القريب. أحضر النادل القهوة وقام بصيها في الفنجائين: أمسكت بفنجانها وأخذت ترتشف منه بسرعة وفي عصبية كأنها مدمن لم يتناول المخدر منذ فترة ووجده أمامه فجأة بكمية كبيرة، أفرغته كله في ثوان وأخذت تعبت بالفنجان نحو اليمين واليسار وهي شاخصة ببصرها نحو قاعه كأنها تحاول قراءة مستقبها بين بقايا البن، بينما هي في الحقيقة كانت تحاول السيطرة على نفسها وبذل محاولة أخيرة لكبت انفعالها ودموعها، لكنها فشلت، لم تستطع التظاهر بالثبات أكثر من ذلك. وضعت الفنجان في عنف على الطبق حتى كادت أن تكسره ورفعت نحو يحيى وجها منهارا خطت الدموع فيه خطين لامعين وانطلقت الكلمات متدافعة من فمها يقطعها نسيج البكاء:

- لا لا لا، أنا خلاص مش قادرة، أنا عاوزة أفهم، أنا مش فاهمة حاجة، أنا مش فاهمة الراجل ده عاوز متي إيه؟ الراجل اللي المفروض إنه أبويا ده عاوز متي إيه؟ طول عمره راميني، عمره ما فكر يشوفني ولا حتى يكلمني في التليفون أو يتظمن عليا، طول عمري عايشة يتيمة زي اللي أبوهم ميت ويمكن أكثر لاني عارفة إن أبويا عايش ومش سائل فيا، وخلص اتعودت على كده، اتعودت على إنني يتيمة ماليش أب. ليه فجأة يقتحم حياتي بالطريقة دي؟ ليه فجأة الأقي نفسي مسؤولة عن استلام ودفن أخت عمري ما شفتها ولا عرفت عنها أي حاجة؟ ده أنا حتى ما عرفش لما كانت بتعيب تصلي كانت بتروح الجامع ولا الكنيسة؟ ليه بعد كل السنين دي اللي كنت راسمة فيها في خيالي صورة عن الأب ده والأخت دي اكتشف حاجات تلخبطني وتخليني مش فاهمة أي حاجة، فجأة اكتشف إن أختي اللي كنت فاكرة إنني مش في بالها أصلا ولا عمرها متفكر فيا كانت فعلا بتفكر فيا

وبنتكلم عني وعاوذة تشوفي. لا وكمان تبعت لي قبل ما تموت بساعات صندوق فيه حاجاتها الشخصية. حاجات ملخبطة كل ما افتكراي قريت أحل لغزها وأربطها ببعض الأقي نفسي بارجع لنقطة البداية. ده حتى لئون الصندوق الأسود لوحده لغز مش قادرة أفسره زي ما أنا مش قادرة أفسر هي ليه بعنت لي الحاجات دي. عاوذة تقول لي إيه وليه اختارتي بالذات من دون الناس كلها؟ ثم صممت قليلا لتمسح دموعها بكتا كفيها قبل أن تستطرد في نفس العصبية:

- و متصور بيه ده كمان. بعد ما رمانني كل السنين اللي فانت دي وبعد ما أمي ماتت بحسرتها عليه وقهرتها بسبب أنه سابنا ونسينا كأننا ماكناش في حياته أصلا. بعد كل ده. اكتشف إنه كان عامل وصية موكلني فيها بإدارة كل أعماله وقلوسه. وانه عامل رقم خزنته الخاصة على تاريخ عيد ميلادي. وانه بيبيي مدينة سكنية ضخمة مسميها باسم أمي. أمي اللي طلقها وسابها تربى له بنته لوحدها كأنها prostitute استمتع بها شوية ورمى لها قرشين وسابها. إيه؟ هو الراجل ده كان فاكرا ولا ناسينا؟ الراجل ده عاوز مني إيه؟

قالت آخر جملة وهي تضرب بكتا كفيها على المائدة في عصبية. فالتفت يحيى حوله في توتر بعدما أحس أن الأنظار بدأت تتجه نحوهما وقال متوسلا:

- يارا اهدي أرجوكي. الناس بتبص علينا.

مسحت دموعها مرة أخرى وهي تنظر حولها في خجل بعدما أدركت أن صوتها قد ارتفع أكثر من اللازم. بينما استطرد هو محاولا أن يكون رقيقا حتى يستطيع أن يقوم بتبسيط الموقف في عينيها:

- ياستي إذا كان على موضوع الصندوق فماتلقيش. الخزنة ماكانتش آخر أمل لينا. لسه فيه حملة التدوير والتفتيش اللي هنعملها في المجموعة وإن شاء الله تيجي بفايدة.

زفرت في ضيق قبل أن تقول:

- يا يحيى الموضوع مش موضوع خزنة وصندوق. الموضوع ليه علاقة بحياتي كلها. أنا طول عمري لوحدي. حتى لما كانت ماما عايشة كنت أنا وهي لوحدا. لا قرايب أب ياخدوا بحسنا ولا قرايب أم يهتموا بينا. ماما ماكانش عندها أخوات وكل قرايبها التانيين كانوا بيخافوا مننا. مش قادرين ينسوا إن أنا بنت الملياردير منصور أبو بلاط حتى لو كان الملياردير ده مالوش أي وجود في حياتنا من أصله. كنت أنا وماما عايشين ببعض وبعض. المشاكل العادية كان ممكن تبقى كبيرة بالنسبة لنا



- بس كنا بنعديها، دلوقتي المشاكل كبرت، بقت أكبر مني وأنا لسه لوحدي.
- أجهشت في بكاء لم تستطع كبته كأنها تنزف من كل جراحها دموعا تتساقط من عينها، اقترب يحيى ببطء وأمسك بيدها الموضوععة قريبا منه على المائدة وهو يقول في عتاب رقيق:
- إنني مش لوحديك يا يارا ولو بعد كل ده حاسة إنك لوحديك يبقى ملوش لازمة كل اللي أنا باعمله. خلصت يدها من يده برفق لتمسح دموعها وهي تقول متململة:
- يا يحيى أنا مقدره كل اللي إنت بتعمله، والله أعلم من غيرك كنت هاقدر أستحمل ولا لا. بس إنت برضو ساعات بتقلب كده وأرجع تاني أحس إنني لوحدي.
- عاد يجذعه إلى الخلف وهو يتساءل مندهشا:
- باقلب لوحدي أنا من غير داعي؟
- فتحسست وهي تقول:
- أبوه، تقدر تنكر إن رد فعلك يوم عيد ميلادي كان over ؟
- نظر إليها في غيظ قبل أن يمد يده في هدوء ويخرج العلبة القטיפية السوداء ويضعها مفتوحة على المائدة دون أن ينبس بكلمة.
- نظرت إلى الخاتم في وجوم وقد اتسعت حدقتها في دهشة شديدة، اختلطت بداخلها مشاعر كثيرة عجزت عن أن تضمها أو حتى أن تظهرها على وجهها، ظلت تحملق في الخاتم دون أن تنطق بكلمة كأنها فقدت القدرة على النطق، كل ما كانت تدركه في تلك اللحظة هو أن قلبها كان يدق بعنف كاد أن يفتك به دون أن تجد له سببا معدا.
- اقترب بوجهه منها وهو يقول بنبرة واثقة:
- عرفتي بقى ليه أنا رد فعلي كان كده؟ عشان سي كريم بتاعك بوظ لي المفاجأة دي.
- ضغطت يشقتها العليا على السفلى لكبت ابتسامتها، ثم قالت بنبرة جادة تخفي خجلها وسعادتها:
- أولا كريم مش بتاعي، ثانيا أنا كمان ما كنتش أعرف إنه هيبجي، أنا كمان اتفاجئت زيك والله.
- رفع ذراعيه في الهواء وهو يقول في نبرة اختلط فيها الجد بالمزاح:
- ماليش فيه، أنا اللي ليا إن مفاجاتي باظت.
- أفلتت منها ابتسامتها وهي تقول:



- ولا باظت ولا حاجة.

ثم نظرت إلى الخاتم وقد عادت الدهشة تكسو وجهها مرة أخرى وهي تتساءل:

- بس إنت إزاي بجد خدت بالك إن الخاتم ده بالذات كان عاجبي؟

فعاد إلى الخلف واستند على المقعد وهو يقول في نبرة تمتلئ بالفخر:

- عشان تعرفي بس، أنا صحيح طيب بس مش سهل خالص.

ضحكاً قبل أن يخفضها بصرهما وقد عاد الارتباك ليظهر على وجهيها مرة أخرى، تغلب يحيى على

ارتباكها والتقط الخاتم ومد يده الأخرى نحوها، ترددت قبل أن تمد يدها اليمى وتضعها في يده،

وضع الخاتم في أصبعها ونظر إليه في إعجاب وقال ممازحاً:

- يا سلام، الله على ذوقى.

فسحبت يدها وهي تقول متصنعة الغيظ:

- نعم؟ ذوقك ده إيه؟ الله على ذوقى أنا.

تأملها بعينين تفيضان بالسعادة ثم قال في رقة:

- كل سنة وإنى طيبة.

جاهدت لترفع عينها الخجلتين نحوه وهي تقول مبلسة:

- وإنت طيب.

ثم ترددت قليلاً قبل أن تقول في امتنان حقيقي:

- شكراً.

- العفو.

قالها في بساطة كأنه فعل شيئاً واجباً لا يستحق عليه شكراً منها. خيم عليهما صمت تخللته

ابتسامات دون أن يجدا ما يقولاته.

وفجأة دق جرس هاتفها المحمول الموضوع بينهما على المائدة وظهر اسم كريم على الشاشة، زفر

يحيى كأنه يقول "مافيش فائدة" ثم نهض واتجه ليدفع الحساب بينما نهضت يارا خلفه وهي تقول

في نبرات ضاحكة:

- يا يحيى، استنى بس، هو اللي اتكلم أهو أنا مالي؟

(٤١)

دخلت يارا مكتبها في خطوات مسرعة مضطربة بسبب استعجالها ووصولها المتأخر. وخلفها دخلت ليديا وهي تخطو مسرعة محاولة اللحاق بها وهي تهتف من بين أنفاسها اللاهثة:

- صباح الخير يا أنسة يارا.

- صباح النور يا ليديا. إيه فيه حاجة؟

- هو موضوع سرقة الخزانة ده صحيح؟

رفعت يارا عينها من على الأوراق التي كانت تبحث فيها وهي واقفة خلف المكتب. ثم زفرت قبل أن تقول مخفية ضيقها:

- أيوه صحيح. الخزانة اللي في الدولار الأزرق اتسرقت.

عادت يارا إلى أوراقها بينما قالت ليديا في نبرة حائرة:

- معقول. طب إزاي؟

ثم تحولت نبرتها إلى التوسل وهي تقول وعيناها تمتلآن بالصدق:

- صدقي يا أنسة يارا. بأمانة ربنا. لا أنا ولا رأفت طلعلنا كلمة واحدة برا. ولا حتى لأقرب الناس لينا.

فنظرت يارا نحوها وهي تقول مبتسمة في لطف:

- يا ليديا أنا عمري ما شكيت فيكي إنتي ورأفت. أنا لو بافكر بالطريقة دي ماكنتش من الأول وثقت فيكم وقلت لكم على كل حاجة.

فأجابتها ليديا في شيء من الخجل بسبب تسرعها:

- أنا أسفة يا أنسة يارا. أنا ماكانش قصدي.

اتسعت ابتسامة يارا وهي تقول وقد رفعت رأسها مرة أخرى عن الأوراق:

- ماتأسفنيش يا ليديا. أنا مش عاوزاكي تنأسفي. أنا عاوزاكي بس تفهمي إن أنا بقيت دلوقتي

معتمدة عليكو ١٠٠% بعد ما الفرصة الثانية في إني أقهم واللي هي الخزانة طبعاً ضاعت. عشان

كده عاوزاكي إنتي ورأفت تركزوا وانتم بتدوروا في المجموعة. ماتسيبوش خرم إبرة. ليه علاقة

بالأسامي اللي في اللسته إلا وتجيبوا كل حاجة عنه بالتفصيل.

قبل أن تجيب ليديا دق جرس هاتف يارا المحمول فأخرجته من حقيبها وضغطت زر الإجابة. قبل أن تضعه على أذنها وتسنده بكتفها لتترك يديها ظليقتين تعبتان وترتبان الأوراق وهي تتحدث:  
- أيوه يا يحيى، لزيك؟ أنا كويسة الحمد لله، لا لا ماتجيش المكتب. أنا هاقضي النهارده كله في مصنع الألبان عشان متعمل جولة وغدا واجتماع هناك للوفد الأجنبي. لا خلاص هابقى أكلّمك بالليل لما أرجع. سلام.

أغلقت الهاتف ووضعته في حقيبتها وهي تقول:

- ماعلش يا ليديا قطعتم كلامك، كنتي متقولي إيه؟

تقدمت ليديا ووقفت ملاصقة لها ثم بسطت أمامها ورقتين متقابلتين وهي تقول شارحة:

- بصي حضرتك، دي أرقام الحسابات اللي إحنا بتتعامل من خلالها مع الشركات اللي بعض الأسهمي اللي في اللسته ملاكها أو مساهمين فيها. أنا جبتها كلها وقارنتها بأرقام الحسابات اللي كانت في نسخة اللسته اللي إنتي سببتها معايا بس الماقيتش ولا واحدة مطابقة لي في اللسته.  
تأملت يارا الورقتين باهتمام قبل أن تقول:

- مجهود رائع يا ليديا، بس بصراحة أنا كنت متوقعة النتيجة دي.

- فعلا؟ إشمعني؟

- مش عارفة ليه كان عندي إحساس إن أرقام الحسابات اللي على الipad أرقام حسابات شخصية مالباش دعوة بشغل الشركات والبيزنس العادي. بالذات وإنما في سويسرا وتحت قوانين عنيفة جدا على السرية في البنوك زي ما قال يحيى. المهم إنني كنت حاسة إنها مش هتبقى زي الأرقام اللي عندنا وبتتعامل معاهم بيها على الأقل التعاملات المؤتقة.  
بدت الحيرة على وجه ليديا وهي تزم شفيتها مفكرة قبل أن تتساءل:

- طب ويعدين؟

فأجابتها يارا في بساطة:

- ولا قبيلين، مافيش قدامنا دلوقتي غير المعلومات اللي رأقت قال إنه هيجيبها. دي أملنا الوحيد.  
سمعا صوت خطوات تقرب من باب الغرفة، فأسرعت يارا تغلق الملف الذي يحتوي على قائمة الأسماء وأرقام الحسابات وتطويره. ثم أعطته لليديا التي أمسكته كأنه ملف عادي من ملفات



العمل، عندما دخل شفيق بوجه عايس يكشف عما يعتوره من ضيق وعصبية ونفاد صبر. شيء لم يعتده أحد من قبل، أن يبدو على وجه شفيق ما بداخله، وهو ما لاحظته يارا، منذ سرقة الخزينة وشفيق عاجز عن العودة إلى شخصيته الطبيعية التي كان لا يستطيع أحد أن يعرف ما بداخلها من مشاعر.

حاول أن يبدو هادئا وهو يقول:

- صباح الخير يا يارا، جاهزة ولا إيه؟ إحنا لازم نكون في المصنع بعد ساعة بالكثير والعربيات مستنيانا تحت.

- آه أنا جاهزة يا أستاذ شفيق، أنا بس كنت يادور على شوية ورق مهمين وجبتهم خلاص.

قالتها وهي تلوح له بملف يمتلئ بأوراق كانت قد أعدته أثناء حديثها مع ليديا، أو ما شفيق برأسه ثم التفت نحو ليديا قائلاً:

- كويس، ليديا لو سمحتي اندهي رأفت وقولي له يسبقنا على تحت.

شحب وجه ليديا قليلا واضطربت وهي تقول في نبرة متقطعة:

- رأفت.. رأفت لسه ماجاش يا مستر شفيق.

قطب شفيق حاجبيه مستنكرا وهو ينتظر في ساعة يده، قبل أن يرقع وجهها مكفها يتطاير الشرر من عينيه وصباح غاضبا:

- نعم! سلامته لسه ماجاش لحد دلوقتي؟! ليه؟ فاكر نفسه شغال في عزية أبوه؟ يتأخر ويكروت

في الشغل زي ما هو عاوز؟ يظهر إن قرصة الودن اللي قرصتها له مش كفاية.

تبادلت ليديا ويارا نظرات قلقة بينما صمت شفيق قليلا ليتمالك أعصابه قبل أن يقول وهو يلوح بأصبعه مهددا:

- ليديا، لما يبجي الزفت ده قولي له ياخذ عربية من عربيات الشركة ويحصلنا على المصنع بأسرع ما

يمكن وإلا هارفده، أقسم بالله العظيم هارفده.

بدا الذعر على وجه ليديا وهي تسمع تلك الكلمات بينما أسرعت يارا قائلة:



- ماعلش يا أستاذ شقيق، بلاش رأفت بيعي المصنع النهارده. أصل أنا طلبت منه يجيز شوية ملفات وأوراق مهمين عشان يشرح لي فيهم حاجات أنا مش فاهماها وهيحتاج يقعد في الشركة يحضرهم النهارده.

صمت شقيق قليلا وهو يضغط بأسنانه على شفته السفلى كأنه يضع فيها انفعالاته ثم قال مستسلما:

- ماشي، بلاش بيعي النهارده المصنع. أنا هابقى أعرف شغلي معاه بعدين، بلا يا يارا لو سمحتي. التفت وخرج من الغرفة في خطوات عصبية دون أن يلتظر ردا، تناولت يارا حقيبتها مسرعة ودارت حول ليديا التي كانت لا تزال واقفة في مكانها كالتمثال وقد تملكها خوف شديد على رأفت بعدما رأت كل هذا الانفعال على وجه شقيق والتهديد الذي لفظه منذ قليل، أمسكت بذراع يارا لتستوقفها وهي تقول متوسلة والدموع تلمع في عينيها:

- أنسة يارا، أرجوكي تهدي مستر شقيق، لحسن يرفد رأفت بجدة. ابتسمت يارا التي كانت قد بدأت تلاحظ وتفهم مشاعر ليديا نحو رأفت والظلم الذي تتعرض له في المقابل.

قالت في نبرة مطمئنة وهي تربت على يدها التي تمسك بها ذراعها:

- ماتخافيش يا ليديا، ماحدش هيقدر يرفد رأفت وأنا موجودة، المهم قولي له يركز في شغله وفي موضوعنا.

سحبت يارا ذراعها بلطف وأسرعت لتلحق بشقيق مؤثرة تجنب إغضابه أكثر من ذلك خاصة في هذا اليوم الهام. بينما ظلت ليديا متمسرة مكانها في وسط الغرفة وقد زال عنها إحساس الخوف وحل محله إحساس بالسخط، السخط على نفسها التي تأبى في بعض اللحظات أن تتوقف عن هذا الحب المريض الذي يملؤها وتعجز عن التخلص منه. أليس هذا الحب هو سبب خوفها عليه وذعرها من مجرد التفكير في إمكانية خسارته لعمله وحرمانها من رؤيته كل يوم حتى إن كانت رؤيته تسبب لها ألما ويأسا يزدادان بمرور الأيام؟

(٤٢)

عندما دخل رأقت غرفة الاستقبال كانت ليديا واقفة خلف مكتبها تقوم بترتيب بعض الأوراق. كان وجهه متجهما يظهر ضيقا واضحا كأنه قد خرج لتوه من مشاجرة شوارع خاسرة، ريقته مسرعة ثم سألته دون أن تكف عن متابعة ترتيب الأوراق محاولة إظهار لا مبالاتها وتجهمها:  
- أتأخرت كده ليه؟ كان المفروض تروح معاهم جولة مصنع الألبان، ده مستر شفيق مش طايقك.  
زفر قبل أن يقول في عصبية:

- كان ورايا مشوار مهم أتأخرت فيه شوية، إيه الدنيا خربت؟ هيعلق لي المشنقة؟  
نظرت ليديا نحوه في دهشة من كلامه، استنكرت لامبالاته واستهتاره بما قالتة عن غضب شفيق الذي دائما ما يرتعب منه رأقت ويخشى إغضابه، حاولت إخفاء دهشتها والتظاهر بالطبيعية وهي تقول:

- لا مش هيعلق لك المشنقة، بس لولا الأستاذة يارا مانعاه كان زمانه بجد رفدك.  
لوح بيده في استهتار وهو يقول:  
- أحسن، خلييني أخلص.

أزداد استنكار ليديا بعدما وصل استهتار رأقت إلى تلك الدرجة، إنه لا يستهتر فقط بغضب شفيق، ولكنه يستهتر بعمله كله، بوظيفته التي لا يملك سواها، بل إنه يجد في الرفد خلاصا له، ماذا ورايك يا رأقت؟ ما هذا الشيء الذي غيرك وجعلك تبدو شخصا آخر في عيون كل من يعرفونك؟ ما الذي يجعلك تستهتر بكل ما في حياتك وكأنه يعني شخصا آخر سواك؟ علام تستند في استهتارك هذا؟ أي أرض صلبة تضمنتها وأنت تكاد تحطم أرضك التي تقف عليها الآن؟  
أفاقت على صوته وهو يقول محاولا إخفاء عصبيته ونفاد صبره:  
- شو في لي أي عربية توصلني المصنع.

- مافيش داعي تروح، أستاذة يارا طلبت من مستر شفيق يسمح لك ماتروحش معاهم النهارده وتقعدي في الشركة بحجة إنك هتجهز ملفات مهمة تشرحها لها لما تيجي.

زم رأقت شفتيه مفكرا وقد بدأ يبدأ قليلا ثم قال:

- وده طبعا عشان أخلص حاجات الموضوع الثاني مش كده؟

- أيوه طبعاً.

صمت قليلاً قبل أن يقول وهو يهيم بمغادرة الغرفة:

- طيب، أنا هاروح دلوقتي عشان ألق أخلص قبل ما يرجعوا من المصنع. أول ما يوصلوا إديني خير عشان آحي.

خرج رافقت بينما ظلت عيننا ليديا عالقتين بالباب. لم تستطع أن تتخلص من تلك الأفكار التي أخذت تنشب بأظافرها في عقلها وقلها، عقلها هذا الذي أحست أنها ستفقدته من كثرة التفكير والحيرة، وقلها الذي لم يعد يقوى حتى على أداء وظيفته الحيوية. لم يعد يقوى على الخفقان الطبيعي ليوضح الحياة في عروقها بعدما أصبح كالمخرق المهبلطة من كثرة الألم الذي تعرض له.

أفاقت على صوت جرس هاتفها، اسم "أنجيل" والدة رافقت على الشاشة جعل قلبها ينبض بشدة، ليس من عاداتها أن تتحدث إليها بلا سبب هكذا وسط الأسبوع، تلك المكالمة غير طبيعية ولن تنتهي على خير، هكذا هتف لها قلبها وهي تضغط على الزر بأصبع مرتعش وتضع الهاتف على أذنها وهي تقول في محاولة للتظاهر بالمرح:

- ألو، إيه المفاجأة الحلوة دي يا طنط؟

أناها صوت أنجيل ضعيفا ومرهقا وهي تقول محاولة أن يبدو صوتها طبيعيا هي الأخرى:

- إزيك يا ليديا يا بنتي؟ عاملة إيه؟

- الحمد لله، حضرتك كويسة؟

- الحمد لله يا بنتي، ربنا كبير.

صوت أنجيل لا يبعث على الاطمئنان وليديا لن تتحمل أي صدمات أخرى اليوم، تساءلت في توجس:

- خير يا طنط؟

أخذت أنجيل شهبقا في محاولة لهدئة نفسها قبل أن تقول في نبرة متوسلة:

- ليديا أنا كنت عاوزه منك خدمة، ممكن تعدي عليا في البيت ضروري؟

أزداد القلق بداخلها لكنها تظاهرت بالطبيعية وهي تقول:

- آه طبعاً يا طيط حاضِر، بس ممكن بكرة عشان أنا ورايا شغل كتير النهارده؟



- ماشي يا حبيبي، بس عشان خاطرني ماتنا خريش عن بكرة.

- حاضريا طنط ماتلقيش.

ازداد صوتها حماسا وهي تقول كأنها تذكرت شيئا فجأة:

- آه، ليديا اوعي رأفت يعرف حاجة عن الموضوع ده، تعالي في وقت هو مايقاش موجود فيه

وماتقوليلهوش أي حاجة. سامعاني؟

ازدرت ليديا ريقها بصعوبة وقد ازداد وجيب قلبها وأحست أنه سيتوقف بعدما سمعت هذا

الطلب الغريب، هذا الطلب الذي يؤكد أن كل ما تشعر به صحيح وأن تلك المكالمات لن تنتهي على

خير، هناك كارثة ستحل بها غدا عندما تذهب لزيارة والدته رأفت، لم تستطع أن تبذل مجهودا

لتبدو طبيعية. قالت في صوت ضعيف معاولة إنهاء المكالمات بسرعة:

- حاضريا طنط، ماتلقيش.

قالت أنجيل في صوت خائف بعدما أحست انخفاضاً في نبرة ليديا:

- مش هاوصيكي يا ليديا، اوعي.

أحست بضيق في تنفسها وهي تقول معاولة إنهاء تلك المكالمات اللعينة بأي طريقة:

- حاضريا طنط حاضر، مع السلامة.

لا تعلم إذا كانت قد أغلقت الخط قبل أن تسمع صوت والدته رأفت وهي تنهي المكالمات أم لا، لقد

تعهدت أن تسرع في إنهاء المكالمات لتستجمع شتات نفسها قبل أن تتهارت تحت ضغط أنجيل عليها

وضغط تلك المكالمات التي بذلت كلتاها فيها مجهودا جبارا للتظاهر بالطبيعية على الرغم من أنهما

لا تحتاجان إلى هذا التظاهر، فليديا هي الوحيدة التي تشعر بما تشعر به والدته رأفت وهي الوحيدة

التي تعلم مثلها أن هناك شيئا غريبا يجعل رأفت شخصا آخر غير هذا الذي تحبه، مسكينة والدته

رأفت، صوتها كان يدل على مدى الألم والقلق اللذين تشعر بهما. ولكن ليديا لم يكن لديها الوقت

ولا المجهود الكافيان لتفكر في أي معاناة أخرى سوى معاناة نفسها، إنها تشعر باقتراب المصيبة،

العاصفة التي ظلت رياحها تندر بقدمها الوشيك منذ أيام طويلة، ستهب غدا وتقتلع في طريقها

آخر أمل في نفسها وآخر شريان يغذي قلبها، مثلما يشعر المحكوم عليه بالإعدام باقتراب موته،

نفس الشعور تشعر به ليديا، لقد صدر حكم الإعدام، والتنفيذ غدا.



جولة مقتضبة ومبتورة، غير ما تخيلته يارا وما اقترن في ذهنها بما يجب أن تكون عليه جولة في واحد من أضخم مصانع المجموعة لإتمام صفقة ضخمة مع شركة أوروبية رأس مالها مليارات. لم تستغرق الجولة كلها سوى نصف ساعة، كلما مر الوفد من أمام جزء في المصنع ألقوا عليه نظرة سريعة بلا مبالاة شديدة كأنهم غير مكترئين بمعرفة ما يدور في المصنع الذي سيضعون فيه ملايينهم، أو كأنهم قاموا بتلك الجولة مرات ومرات من قبل فأصبحوا يعرفونه عن ظهر قلب. كانت يارا تعتمد على تلك الجولة لمعرفة المزيد عن المصنع وحركة الإنتاج فيه لكن أتى الواقع مخيبا لكل الآمال، بدا كأن الجميع يقومون بأداء تمثيلية فاشلة لإتمام شكليات ليس إلا، أعضاء الوفد وشفيق والموظفون والمهندس المكلف بالشرح والإجابة على الأسئلة حتى هاشم بدا كأنه يعلم أن ما يحدث لا يتعدى أن يكون مسرحية سخيفة فلم يكف نفسه حتى عناء التمثيل مثل الباقين وبدا مستخفا وضجرا طوال فترة الجولة.

بعد ذلك التقى الجميع حول مائدة الإفطار التي كانت قد أعدت خصيصا للوفد الأوروبي. تناولت يارا طعامها في صمت، لم تتبادل سوى كلمات مقتضبة مع بعض الموظفين بينما انهمك شفيق وأعضاء الوفد في أحاديث جانبية مثل تلك التي أملاها حفل استقبال الوفد في فيلا منصور بك. انتهى الغداء ودارت فناجين الشاي والقهوة وبدأ الجالسون يتحركون في حرية ويتبادلون أماكنهم. نهض هاشم من مكانه واقترب في بطء حتى جلس بجانبها مباشرة. التفتت نحوه فوجدته ينظر نحوها مبتسما في ثقة، حاولت أن تغطي ارتباكها بابتسامة مفتعلة بينما بدأ هو الحديث متسانلا والابتسامة لا تزال على شفثيه:

- شكك زهقانة.

تلجلجت قليلا قبل أن تقول وهي تفرك أصابعها:

- مش حكاية زهقانة. بس بصراحة الجولة كانت مخيبة لتوقعاتي، أنا تخيلت إنني هاقهم حاجات كثيرة قوي عن المصنع والصفقة، بس للأسف الجولة ماأضافيتليش أي حاجة. فابتسم هاشم في سخيرة وهو يقول في صوت منخفض:

- ما هي أصلا ماكانش ليا لازمة.

نظرت يارا نحوه مندهشة من تلك الصراحة المفرطة. إذا فشحورها حقيقي وتلك الجولة لم يكن لها أهمية. وهاشم يعلم ذلك لذا لم يكلف نفسه عناء التظاهر بالاهتمام. ولكن إذا كان حقا يعلم كل ذلك لماذا أتى ورافق الوفد؟ لماذا لم يفعل شيئا؟ حاولت أن تفتح فمها لتساءل عن مقصده أو تقول أي شيء لكن هاشم تدارك كلامه بسرعة وتساءل وقد أعاد الابتسامه إلى وجهه:

- برضو مش ناوية تيجي تقعدني معايا في مكنتي شوية؟

رسمت يارا ابتسامه على شفتيها وهي تتذكر حديثها معه يوم الحفل وقالت مراوغة:

- ما احنا قاعدين أهويا أستاذ هاشم.

اتسعت ابتسامته من مراوغتها قبل أن يقول:

- إنتي فاهمة قصدي كويس يا يارا، ماعتقدش إنك لحقتي تنسي كلامنا يوم الحفلة.

ساد الصمت لثوان حاولت يارا خلالهم أن تخفي ارتباكها بينما استطرد هاشم منها الحديث:

- علي العموم إنتي عارفة مكان مكنتي ومواعيدي في المجموعة. أنا مستنيكي.

نهض وتركها غارقة في حيرتها. هاشم يعرف شيئا. بل إنه يعرف الكثير ولا يكف عن محاولات إغرائها لتستعين به وهي لا تستغل هذه الفرصة لا تعلم لماذا؟ لقد أكد لها يحيى أن هاشم محل ثقة وأنه كان أقرب الناس لمنصور بك بعد شفيق. وحتى بدون أن يؤكد يحيى ذلك. إنها تشعر به. منذ أن قابلته عندما خطت داخل المجموعة لأول مرة كان استقباله مختلفا. استقبالا حانيا ذكرها بإحساس الأبوة الذي لم تجربيه من قبل. إن هاشم كله هكذا بكل ما يفعله أصبح يمثل في مغيبتها نموذجا للأب الذي ليس له وجود في حياتها. لا تعلم لماذا تشعر نحوه بثقة وإعجاب وإحساس لم تشعر به من قبل. ولكنها أيضا لا تعلم لماذا هي مترددة في الاستعانة به؟ هل لأنه على الرغم من كل شيء كان قريبا من منصور بك وبشبهه؟ نعم إنها تشعر أنه يشبهه. ليس فقط في الشكل بل أيضا في الشخصية. إنها لم تقابل منصور بك من قبل وعلى الرغم من ذلك يوجد بداخلها هاتف يؤكد لها أن منصور وهاشم وجهان لعملة واحدة. أيمن أن يكون ذلك سبب تجنبها له؟ لأنها ترفض أن تصدق أن منصور بك يشبه هذا الرجل الطيب الحاني أم لأنها تجد صعوبة في الوثوق بكل من كانوا أصدقاء أو قريبين من هذا الأب الغائب الذي تسبب في الكثير من مآسي حياتها مثلما تفعل مع شفيق؟ أو ربما تكون خائفة من أن يكون هاشم سببا في اطلاعها على

ما هي متخوفة من معرفته؟ من أن يقول لها أنها كان لها وجود في حياة منصور بك وربما؟ منات الأستلة تزدهم وتضطرب بداخلها ولا تعلم لها إجابة، كل ما تعلمه هو أنه على الرغم من خوفها لكن هاشم أصبح قريبا جدا من دخول تلك الدوامة التي تدور فيها هي ويحيى والتي لم يمر الكثير على انضمام ليديا ورأقت لها.

عندما استقلت السيارة عائدة إلى مقر المجموعة أخرجت هاتفها واتصلت بيحيى الذي أجاها مندهشا:

- هو إحنا مش اتفقنا ماتكلمينيش إلا لما جولة المصنع تغلص؟

فابتسمت وهي تقول في نبرة ساخرة:

- ما هي خلصت وأنا في العربية أهو وراجعة الشركة.

هتف مندهشا:

- معقولة؟! بالسرعة دي؟!

- تصور.

صمت مفكرا لثوان قبل أن يقول:

- طب ما تعدي عليا في مكنتي؟

- لا ماينقشش ورايا شغل مهم، ماتحصلني إنت على هناك؟ عاوزه أحكي لك على حاجات كتيرة

وكمان احتمال يكون رأقت عرف يعمل حاجة في موضوعنا.

تساءل مستنكرا:

- هنقعد نتكلم في موضوع ربما وشفيق موجود؟

فقالت في محاولة لإخفاء مقصدها حتى لا يفهم السائق:

- لا ماتقلقش، مش هيبجي على طول.

أجاها مستسلما:

- طيب ماشي، هاخلص شوية حاجات كده وأحصلك.

- ماشي بس ماتتأخرش. باي باي.

- مع السلامة.



(٤٣)

تعاملت ليديا وحاولت أن تبدو طبيعية وهي تتلقى الأوامر من يارا التي ما إن دخلت غرفة المكتب حتى قامت بفتح اللاب توب وانشغلت بتصفح البريد الإلكتروني، بينما أخذت تتناقش في بعض شؤون العمل مع ليديا التي أخذت ترد بإجابات مقتضبة وهي شاردة في مقابلة الغد، حتى انتهت على صوت يارا وهي تتساءل في قلق:

- ليديا، مالك؟ شكلك مش كويسة.

أحسنت أنها تبذل مجهودا جبارا لترسم ابتسامة صفراء على شفيتها وهي تجيب:

- مافيش يا أستاذة، أنا كويسة.

قلبت يارا شفيتها في ضيق وهي تقول في نبرة حانية:

- يا ليديا أنا قلت لك قبل كده، لو حاسة إنك متضايقه أو عاوزه تتكلمي مع حد في أي وقت

ماتترديش إنك تهجي تتكلمي معايا، أنا باعتبرك زي أختي، وهاكون مبسوطه إنني أسمع لك.

أجابتها مبتسمة وهي تحاول إخفاء إرهاقها وانتهاء الحوار:

- أكيد طبعاً يا أستاذة، أكيد، بعد إذنك.

استدارت وخرجت في خطوات بطيئة وهي تستमित لتعافظ على توازنها، لا يهمها أن تبدو طبيعية،

فليبدأ بأسرها وإحباطها واضحين على وجهها، إن ما لديها من مجهود ذهني بالكاد يكفيها لتبقى

متوازنة.

زفرت يارا في ضيق وهي ترى أمامها ليديا الرقيقة الوديدة في تلك الحالة المزرية دون حتى أن

تستطيع مساعدتها، ولكنها سرعان ما انشغلت واستفرقت في العمل المتراكم أمامها على الشاشة

قبل أن تنتبه على صوت طرق على الباب دخل يحيى على أعقابها وتقدم نحو مكتبها مبتسما

كعادته، رمق الخاتم في أصبعها ثم جلس وهو يقول والابتسامة لا تزال على شفيتها:

- بس سيبك إنني، الخاتم برضو عامل شغل.

ابتسمت وقالت دون أن تحول عينها من على شاشة اللاب توب:

- كنت خايفة يضيع مني في المصنع، بس قلت خلاص هاليسه وأبقى أحافظ عليه.

عقد حاجبيه وهو يتساءل مستنكراً:





- نعم، يضيع منك، ده أنا كنت أفركك.

نظرت نحوه وهي تقول لتستفزه بابتسامتها:

- نعم، تفرجتي؟ ليه بقى إن شاء الله؟

فقال مجيبا استفزازها:

- إنتي عارفة الغاتم ده بكام؟

- عارفة، أنا لو هاحافظ عليه مش هاحافظ عليه عشان تمنه، وإذا كان على الفلوس فأنا ممكن

أجيب منه خمسة ستة دلوقتي حالا.

فاقترب قليلا وهو يقول مبتسما في خبث:

- أمال هتحافظي عليه ليه؟

فابتسمت مدارية خجلها وقالت وهي تضغط على زر جهاز النداء:

- هابق أقولك بعدين، يا ليديا.

- أيوه يا أستاذة.

- تعالي ثانية لو سمحتي.

بعد ثانيتين دخلت ليديا بنفس الحالة دون أدنى تحسن. التفتت يارا نحوها وهي تتساءل في قلق:

- هو رأفت ماجاش يا ليديا ولا إيه؟

زفرت ليديا محاولة السيطرة على نبرتها وهي تقول:

- لأ جه وحكيت له على اللي حصل، وراح يخلص الموضوع بتاعتنا وقال لي أدي له خبر لما تيجوا.

- طيب خليه يبجي بسرعة عشان تلحق نقعد مع بعض شوية قبل شفيق ما يخلص جولته في

مصنع البلاستيك.

- حاضر.

خرجت ليديا لتنفذ ما طلب منها بينما انهمكت يارا في سرد كل ما حدث في جولة مصنع الألبان

وانطباعها عنها وعن ما قاله لها هاشم ويحى يستمع في اهتمام، وقبل أن يقول لها أي شيء دخل

رأفت وخلقه ليديا.

هتف رأفت وهو يلتقط أنفاسه:

- مساء الخير.

- مساء النور.

قالاتها معا قبل أن ينفرد يحيى بالحديث متسائلا:

- إيه يا رأفت، وصلت لحاجة؟

اتسمعت عينا رأفت وهو يهتف في حماس:

- حاجات يا أستاذ يحيى، ده أنا لقيت كمية ملفات وصفقات وشغل، كتير قوي، وكلهم ليهم علاقة بالأسامي اللي الأستاذة يارا وريتها لنا.

اعتدلت يارا في جلستها وقالت وقد انتقل حماسه إليها:

- هايل، كويس يا رأفت، إنت وليديا بتلبتوا لي إني كنت صح لما قررت أقول لكم على كل حاجة وأطلب مساعدتكم.

تساءل يحيى في استعجال:

- المهم، فين الحاجات دي؟

- شيلتهم في مكتبي، خفت يكون فيه حد هنا ويشوف أو يعرف أي حاجة.

فهمت يارا وقد بلغ حماسها مداه:

- ماتخافش يا رأفت مافيش حد مبيجي قريب، روح جيبهم عاوزين نقرأهم.

فقال رأفت في نبرة أسفة:

- ماعتقدش إنه ينفخ، دول حاجة وأربعين ملف، مستحيل نقرأهم النهارده كلهم.

فاستكمل يحيى قائلا:

- و مستحيل كمان نسيبهم هنا لا في مكتب منصور بهه ولا في المجموعة كلها، إحنا لازم نشوف

مكان نشيلهم فيه يكون أولا بعيد عن هنا عشان السرية ويكون أمان نتظمن على الحاجة فيه ونعرف نتجمع فيه ونفحصهم.

سأه صممت بدت أفكار التفكير على وجوههم خلاله فهل أن تلساهل يارا:

- ماينفخش نشيلهم عندي في البيت؟

فقال يحيى مسرعا:

- لا ماينفعلش طبعا، إنتي عايشة لوحديك يعني صعب نجيك كل شوية ونقعد عندك بالساعات.  
ثم شرد قليلا قبل أن يقول في نبرة يانسة كأنه يتحدث مع نفسه:
- ولا حتى عندي، لو اضطررنا نتأخر يوم وإحنا بنراجع في الحاجة ليديا ماينفعلش تتأخر عندي، هتروح إزاي من غير عربية؟ ولا حتى ينفع تروح مع رأفت متأخر كده.
- بدا الموقف معقدا لا حل له خاصة بعدما صمت الجميع وقد بدت آثار الضيق وأضححة على وجوههم، فجأة قطعت ليديا الصمت قائلة في حماس لم يستطع أن يمحو ما بها من حزن وإن لمعت عيناها قليلا:
- عندي يا أستاذة.
- نظر الجميع نحوها في اندهاش بينما تساءلت يارا مستنكرة:
- عندك فين يا ليديا؟
- في بيتي. مكان أمان ممكن نشيل فيه الحاجة وإحنا مطمئنين وممكن نتجمع فيه براحتنا، وحتى لو اتأخرنا مافيش مشكلة هتحصل لي لأنني هابقى في بيتي.
- صممت قليلا ثم استطردت بعدما وجدت آثار التردد على وجوههم:
- ماتقلقوش، مافيش حد عندي في البيت هيعرف حاجة عن موضوع ربما. أنا هاقول إنه شغل مهم وهاعرف أغلوش.
- نظرت يارا نحو يحيى كأنها تستنجد به ليحسم الموقف، بعد ثوان من الصمت حسم يحيى الموقف قائلا:
- خلاص، هنشيل الحاجة عندك يا ليديا ومن هنا ورايح اجتماعاتنا هتكون عندك، حتى عشان نبقى براحتنا مش قاعدين طول الوقت خايفين أي حد يدخل علينا.
- ابتسمت ليديا بعدما نجحت في إقناعهم بينما التفت يحيى نحو رأفت قائلا:
- بعد الشغل تاخذ الحاجة وتودها على بيت ليديا وإحنا هنسبقك على هناك. إحنا لازم نبدأ شغل النهارده.
- ثم التفت نحو ليديا وهو يتساءل:
- إنتي ساكنة فين يا ليديا؟



- شيرا.

- كويس، بعد الشغل روجي بيتك عادي زي ما بتروحي كل يوم، وأنا وبارا ورافت هنعصلك على هناك.

- وأنا هابقي أوصف لحضرتك بالضبط وأكتب لك كمان العنوان في ورقة بالتفصيل.  
- ولرافت كمان.

ابتسمت ليديا في ألم وهي تقول دون أن تنظر نحو رافت:

- لا ماتقلقش يا أستاذ يحيى، هو عارف بيتنا كويس قوي.

انتصفت الثامنة عندما كان قد مضى ساعتان على جلوس يحيى وبارا في صالون منزل ليديا، فرحت والدة ليديا بهما وأمضت الساعتين في تقديم المشروبات والحلوى، وقد اندمجوا كلهم في أحاديث مرحة ولطيفة حاولت ليديا قدر الإمكان أن تضغط على نفسها وتشارك فيها مراعاة لآداب الضيافة من ناحية ومن ناحية أخرى لأنها كانت بالفعل سعيدة لوجودهما في منزلها، ولولا ما يعاني منه قلبها لاستمتعت بتلك السعادة كما ينبغي.

بدأ كلاهما يشعر بالإحراج خاصة بعد أن تأخر رافت ومعه الملفات التي يجلسون هنا من أجلها، كانت يارا تنظر في ساعة معصمها عندما هتفت والدة ليديا في نبرة معترضة:

- بتبصي على الساعة ليه؟ ما إحنا قاعدين براحتنا أهو.

ابتسمت يارا وهي تقول محاولة إخفاء حرجها:

- إزاي بقى يا طنط؟ ده إحنا تقلنا عليكم قوي.

- لا ماتقوليش كده، ده حضرتك وأستاذ يحيى متوريننا.

ابتسم كلاهما وهما يشعران بصدق السعادة التي تشعر بها والدة ليديا والتي بدت واضحة في نبرة صوتها والتمتع عينها.

تهضت ليديا لتفتح باب الشقة، ليدخل رافت حاملا مجموعة ضخمة من الملفات المليئة بالأوراق، فنهض يحيى مسرعا وحمل بعضها وهو يتساءل في ضيق:

- كل ده تأخير يا رافت؟



- ماعلش يا أستاذ يحيى. مستر شففيق ماسابنيش أمشي إلا لما أخلص كل الشغل اللي ورايا، أنا قلت أقصر النشر وأعمل له اللي هو عاوزه عشان مايركزش معايا الفترة اللي جاية.

تقدمتهم ليديا نحو مائدة الطعام وهي تحبهم قائلة:

- تعالوا خطوا الحاجة هنا على السفرة.

وضع كلاهما الملفات على المائدة بينما ألقى والدة ليديا تحية مقتضبة على رأفت وذهبت دون حتى أن تسمع رده، مضى كل منهم بفحص الملفات بشغف بينما هتفت يارا في دهشة:

- إيه كل ده يا رأفت؟ دول كتير قوي.

- ما أنا جببت كل حاجة لقيتها لها علاقة بالأسامي اللي في اللسته حتى ولو من بعيد.

- وإزاي عرفت تخرجهم من المجموعة بالسهولة دي؟

- يا أستاذة أنا ليا طرقي برضو جوا المجموعة وأعرف أخلص حاجات كتير قوي. ده كفاية إن كل

الموظفين عارفين إني مساعد مستر شففيق وحضرتك عارفة وضعه في المجموعة.

قلبت يارا شففتها دون أن ترفع عينها من على الأوراق وهي تقول:

- عارفة. المهم بس ماقيش أي حاجة عن موضوع الملفات ده يوصل له.

- لا ماتلقيش، أنا عامل حسابي.

فهتف يحيى قائلا في ضيق:

- كفاية رغي بقى وركزوا، خليتنا نلحق نخلص أي حاجة النهارده.

اندمجوا في قراءة وفحص الأوراق، خاصة يارا التي بدت كأنها انفصلت عن العالم واستغرقت في

قراءة كل حرف بتمعن شديد محاولة الوصول إلى أي خبط يمكن أن يفسر لها أي لغز من الألغاز

الكثيرة التي تملأ حياتها، تفاصيل مشروعات مشتركة مع شركات من جنسيات مختلفة يمتلك فيها

بعض من تلك الأسماء أسهما، الصفقات تتراوح ما بين أواخر الثمانينيات والتسعينيات عندما كان

الفاكس هو وسيلة الاتصال الأساسية وحتى الآن حيث طبعت الرسائل الإلكترونية وتم حفظها مع

الملفات، هذا بالإضافة إلى محاضر اجتماعات وتقارير زيارات للوفود المختلفة أو زيارة منصور بك

وشفيق لتلك الشركات بالخارج وعقود وأوراق وتفاصيل مختلفة، كلها أوراق عمل تبدو طبيعية

جدا لصفقات من المنطقي أن تقوم بها مجموعة ضخمة مثل أبو بلاط جروب، لا شيء يثير الريبة

اللهم إلا صفة أو اثنين لم يتم حتى النهاية دون سبب واضح وإن كان هذا لا يبدو أن يكون خيطا كافيا يمكن أن يقودهم إلى شيء. عندما أشار عقرب الساعة إلى الحادية عشرة مساء قاموا بوضع كل الملفات في إحدى ضلقات الخزنة الخشبية الموجودة بجانب مائدة الطعام، وإغلاقها بمفتاح أعطته ليديا ليارا حتى تظمنن إلى أن أحدهم لن يطلع على شيء بدون علمها، ودعوا ليديا التي وجدت أخيرا القرص لتتفرد بقلقها وأحزانها محاولة تهيئة نفسها لمقابلة الغد.

عاد وأفتت إلى منزله وجلس أمام شاشة الكمبيوتر يفرغ شحنات الضيق في خانة الشات الزرقاء على الfacebook، أما يحيى فقام بتوصيل يارا حتى باب منزلها محاولا بطريقة غير مباشرة مستخدما أحاديث عامة إلهاءها عن اليأس الذي عاد ليتسرب إلى نفسها بعد أن بدا أن تلك الملفات لن تقودهم إلى شيء.

ربع ساعة. خمس عشرة دقيقة وهي واقفة كالمثال أمام باب منزل رأفت. ضغطت على نفسها ودخلت الشارع ثم تحملت أكثر وصعدت الدرج ثم. ثم توقف الزمن، وتحجر كل ما فيها: عقلها وعيناها وجسدها كله. لم تستطع أن ترفع يدها وتدق الجرس ولم تمتلك حتى الشجاعة الكافية لتستدير وتهرب من هذا الموقف بكل ما فيه.

انتهت على صوت خطوات أحدهم وهو يمرق من خلفها ويستكمل صعود الدرج، أدركت مدى حرج وقتها تلك التي يمكن أن تظل ملازمة لها لساعات إن لم تفعل شيئا، أخذت شهبقا طويلا واستجمعت فتات شجاعتها لتضرب الجرس. انتفض جسدها عندما سمعت صوته يرن داخل الشقة ولكنها أسرعرت تتمالك نفسها عندما سمعت صوت خطوات والدة رأفت وهي تقترب من الباب. رسمت ابتسامة على شفيتها عندما وجدت أنجيل أمامها وقالت في نبرة حاولت أن تبدو مرحة:

- مساء الخير يا طنط.

- أهلا يا ليديا، ادخلي يا حبيبي ادخلي.

خطت ليديا داخل الشقة وهي تسترق النظر نحو والدة رأفت في ارتياب. كما توقعت، أنجيل تخفي كارثة بداخلها، ألم شديد بدا واضحا على وجهها الشاحب وعينها المظلمتين وصوتها الضعيف المرهق، حتى خطواتها، بطينة وضعيفة كأنها خارجة للتو من حالة إغماء شديدة.

جلستا معا على الأريكة المواجهة للباب وكل واحدة تستमित لتحافظ على قناع الطبيعية الذي تضعه على وجهها، وإن كانت والدة رأفت أقل حرصا من ليديا على ذلك فبدا واضحا كم إرهاقها وهي تسألها عن أحوالها وأحوال أسرتهما وعملها.

كانت ليديا تجيب في توجس وقلبا يدق بعنف، منتظرة اللحظة التي سينفجر فيها البركان المستعر بداخل أنجيل والذي بدا واضحا أنها لن تتحمل إخفاؤه أكثر من ذلك، عندما انتهت كل الأسئلة المفتعلة والإجابات المكررة صممت أنجيل للحظة كأنها تسترجع الكلام من ذاكرتها، قبل أن ترفع رأسها وتقول بنفس النبرة الواهنة:

- ليديا أنا جاييكي هنا عشان عاوزه أسألك سؤال مهم جدا. جاوبيني عليه بصراحة أرجوكي.



ازدردت ليديا ريقها لتغني توترها قبل أن تقول:

- خيرا طنط؟

صمتت أنجيل للحظة أخرى بدت كأنها دهر بالنسبة لليديا ثم ضغطت على شفتيها قبل أن

تسأل:

- هورافت، مسافر قريب تبع الشغل؟

بدا السؤال غربيا على أذني ليديا. أمذا هو السؤال الذي أحضرتها من أجله؟ أين الكارثة التي

توقعها؟ لا لا يمكن، إن الألم الواضح على وجه والده رأفت يدل على أن هذا السؤال ما هو إلا

بداية العاصفة. عقدت ليديا حاجبيها وهي تجيب في نبرة مستنكرة:

- لا يا طنط خالص. أصلا كل السفريات متأجلة اليومين دول بسبب اللي حصل لمنصور بيه

والظروف اللي إحنا فيها، وحتى من غير الظروف دي. رأفت ماكانش هيسافر في أي حنة قريب تبع

الشغل.

تساءلت أنجيل وهي تنظر في عيني ليديا كأنها تتوسلها أن تمد لها خيط نجاة:

- متأكدة يا ليديا؟

- أيوه يا طنط متأكدة.

أبعدت أنجيل وجهها وهي تومئ كأنها كانت متأكدة أن تلك هي إجابة السؤال، وإن بدا للحظة أنها

أوهمت نفسها وأعطتها أملا كاذبا أن ليديا يمكن أن تجيب إجابة أخرى تنقذها بها، التمعت

الدموع في عينها وهي تضغط بأسنانها على شفتها السفلى لتكبت ألمها بداخلها حتى بدا كأنها

ستترف من كثرة الضغط.

كانت ليديا تراقبها وهي تتقلب على جمر من نار، ما معنى هذا السؤال؟ ولماذا يبدو على وجه والده

رأفت كل هذا الألم بسبب إجابتها تلك؟ كانت قد قررت ألا تسأل عن شيء حتى تخبرها أنجيل

بنفسها لكنها لم تستطع أن تتعمل أكثر من ذلك، لم تستطع أن تراعي حالتها وتلتظر حتى يعود

وجهها إلى طبيعته أو أن تبدأ هي الحديث، تساءلت في نبرة متقطعة:

- خيرا طنط؟ ليه بتسألني السؤال ده؟



التفتت أنجيل نحو ليديا وتأملتها بشدة. كأنها اكتشفت للتو أنها الوحيدة التي تشاركها إحساسها برأفت وهي الوحيدة التي يمكن أن تفهم ألمها وتقسمه معها، تعاملت لتنهض وهي تقول في صوت ضعيف:

- استيني ثانية واحدة.

دخلت غرفة رأفت لثوانٍ قبل أن تخرج وهي تخفي شيئا بين يديها لم تستطع ليديا أن تستوضحه، قبل أن تجلس أنجيل مرة أخرى بجانبها وتمد يدها به نحو ليديا التي تحجرت نظرتها الذاهلة عليه وقد أحست أن قلبها سيتوقف من تدافع دقاته.

كانت والدة رأفت تمسك بيدها جواز سفر، جواز سفر لم تشك ليديا للحظة أنه لرأفت وقد بدأت بعض الخيوط تتشابك أمام عينها وعقلها، عقلها الذي لا يزال يرفض ملامح الكارثة التي بدأت تتضح أمامها.

مدت يدا مرتجفة وتناولت الجواز، فتحتة ببطء فباغتتها صورة رأفت في أول صفحة، تأملت عينيه وقد اختلطت بداخلها عشرات المشاعر المتناقضة، لماذا يا رأفت؟ أحست أنها ستفتح قمها وتسال الصورة عسى أن تجد لديها إجابة؟ سببا واحد يبرر كل هذا الألم الذي تشعر به منذ أول يوم أحبته.

- لقيته مغيبه وسط حاجته وأنا باروق أوضته، عمره ما سافر برا قبل كده ولا احتاج لجواز سفر، تقدري تقولي لي هو عمل الباسبور ده ليه ما دام زي ما قلتي مش هيسافر قريب تبع الشغل ولا حاجة؟

كان صوت أنجيل يتردد في خلفية ذهنها بعيدا جدا، ما رآته في ثاني صفحة - والذي لم تلتفت إليه والدة رأفت - جعلها غير قادرة حتى على استيعاب ما يحدث حولها وما يقال بجانبها، كأنها فقدت صلتها بالعالم كله، لم تعد ترى أمامها سوى الصورة اللامعة لتأشيرة الولايات المتحدة الأمريكية وبجانها صورة رأفت مرة أخرى، كأنه يعمن في تعذيبها.

تأشيرة لمدة ثلاثة شهور، لماذا يا رأفت تريد الذهاب إلى أمريكا؟ ماذا ستفعل هناك؟ ولماذا لم تخبر أحدا؟ ألهذا السبب بدوت متغيرا طيلة الفترة الماضية؟ ألهذا السبب تمهل عمك وتستهتر بحياتك وتبدو وكأنك شخص آخر غيرك؟ عندما كنت تقول أنك ستتأخر لأنك ذاهب لتجديد رخصة

السيارة كنت تكذب، كنت تتأخر لتقف هناك في طابور طويل على كورنيش جاردن سيتي منتظرا تأشيرة يحلم بها الملايين، ولكن لماذا تعلم أنت أيضا بها، ماذا تريد بالرحيل؟ وهل حقا ستبقى هناك ثلاثة أشهر فقط؟ لا، قلها لا يصدق ما تقوله تلك التأشيرة، رأفت ينوي الرحيل بلا عودة، رأفت لن يعود.

نظرت نحو أنجيل التي كانت لا تزال تتحدث، لم تهتم ليديا بكلامها قدر ما اهتمت بتلك النظرة في عينيها، تلك النظرة التي تؤكد أن قلب الأم بداخلها يشعر بنفس الشعور، رأفت لا ينوي العودة مرة أخرى.

كانت ليديا لا تزال تنظر داخل عيني أنجيل عندما أنهت كلامها، نظرت نحو ليديا محاولة فهم تلك النظرة الشاردة على وجهها منتظرة منها أي إجابة على كل ما قالتها، انتهت ليديا لتدرك أنها يجب أن تتحدث، أن تتغلب على ألمها وتتحدث وتبتسم وتحاول أن تختلق أي سبب تبرر به ما فعله رأفت وتقنعها به، وتظل تفعل ذلك حتى تصدقها أو تتظاهر بتصديقها لأنها تعلم أنها مهما فعلت لن تستطيع إقناعها بما ليست هي مقتنعة به، تحاملت لتبتسم وهي تقول متظاهرة بالتبسيط:

- يا طنط ماتكبريش الموضوع، مش يمكن يكون رأفت عامل لك مفاجأة وعامل الباسبور ده عشان تسافري إنتي وهو تقعدوا عند راجي كام يوم في اليونان؟ ولا إنت ماوحشكيش ابك الكبير؟ ابتسمت أنجيل في مرارة وهي تقول:

- يا سلام؟! وماعمليش ليه أنا كمان باسبور؟ ولا هو ناوي يسافر لوحده؟

ارتبكت ليديا قليلا قبل أن تقول محاولة اختلاق أي كذبة:

- ما هو أكيد كان ناوي يعمل لك باسبور إنتي كمان بس ظروف الشغل عطلته.

أدارت أنجيل وجهها والابتسامة المريرة لا تزال على شفتيها، إنها تعلم جيدا أن ليديا تقول أي شيء لتخفف عنها وتخفف عن نفسها، استندت بكوعها على فخذيها وهي تمسك رأسها بكفها بعدما أحست بارتفاع ضغط الدم، هتفت ليديا في قلق:

- مالك يا طنط؟

رفعت أنجيل رأسها في وهن وقالت وهي تتحامل لتتهض:

- ثانية يا ليديا، هأخش أخذ دوا الضغط.

- آجي أساعد حضرتك؟

- لا مافيش داعي. استليني بس دقيقة واحدة.

اختفت أنجيل داخل الشقة بينما عادت ليديا تتأمل جواز السفر وقد عاد الألم الذي حاولت إخفائه أمام أنجيل يزحف على وجهها مرة أخرى. انتفضت عندما سمعت صوت خطوات على الدرج تبعها صوت مفاتيح. إنه رأفت. لا تريد أن تراه ولا تريده أن يراها. لا تتحمل أي مواجهة معه كما أنه لا يجب أن يعلم أنها تحدثت مع والدته في شأن جواز سفره. دون أن تفكر ألتقت بجواز السفر على الأريكة وأسرعت تختئ داخل غرفة الصالون المظلمة بينما تركت الباب مواربا حتى تستطيع أن ترى ما سيحدث في الخارج.

دخل رأفت وأغلق الباب خلفه. تقدم داخل الصالة في خطوات بطيئة ثم توقف فجأة عندما لمح جواز السفر ملقى على الأريكة. ثبت مكانه وقد امتزجت آثار الدهشة والخوف على وجهه. لقد خباه جيدا بين حاجياته حتى لا تجده والدته. ما الذي أتى به إلى هنا؟ مد يدا مرتجفة والتقطه والذهول لا يزال يحتل وجهه. لا يوجد سوى تفسير واحد لا يريد أن يتخيله. التفت عندما أحس بحركة خلفه ليجد نفسه واقفا وهو يحمل الجواز بين يديه أمام والدته. كأنه متهم ضبطت متلبسا بدليل إدانته. لم تنطق بحرف. اكتفت بالابتسامة المبررة على شفيتها والنظرة الثاقبة في عينيه. عينيه اللتين زاغتا من هول الصدمة. لم يتخيل أن تعرف والدته شيئا الآن ولم يستعد للدفاع عن نفسه أو قول أي شيء. أحس كأنه قد تلقى ضربة مبرحة على رأسه أفقدته قدرته على التفكير أو حتى الاستيعاب.

أخيرا فتح فمه. بدأ يتمالك نفسه ويزدرد ريقه ليبلل حلقه الجاف. ظل للحظات فاتحا فمه دون أن يدري ماذا يجب عليه أن يقول. ولكن أمام نظرة والدته لم يسعه سوى أن ينهار ويقول الحقيقة. قال وعيناه تمتلآن بالتوسل:

- صدقيني يا ماما. بالأمانة. أنا كنت ناوي أقول لك على كل حاجة. بس في الوقت المناسب.

عقدت أنجيل يديها أمامها وهي تقول في استغفاف:

- كنت ناوي تقول لي على إيه بالضبط؟

تردد قليلا قبل أن يقول:



- على إني.. مسافر.

- ما أنا عرفت، مسافر فين بقى إن شاء الله؟

صمت قليلا قبل أن يقول وهو يغض بصره:

- أمريكا.

عقدت أنجيل حاجبها وهي تهتف مستنكرة:

- أمريكا؟! مسافر تعمل إيه في أمريكا؟!

بدا الارتباك واضحا على وجهه قبل أن يستسلم قائلا:

- مهاجر.

تلقت أنجيل الصدمة بثبات، بدا الألم على وجهها للحظة واحدة ثم أخفته مسرعة. وإن لم تستطع أن تمنع نفسها من الجلوس على طرف الأريكة بعد أن أحست أنها يمكن أن تسقط مغشيا عليها، استفزه صمتها، نظراتها وحدها كانت كافية لتشعره بأنه متهم ومذنب. انطلق يدافع عن نفسه وقد أوجعه اتهام أمه الصامت الذي يعلم جيدا أنها محقة فيه:

- بتبصي لي كده ليه؟ أبوه مهاجر، رايح أشوف لي حنة ثانية أعيش فيها عيشة عدلة. أحس إني بني آدم حر ومحترم. عايش من غير ضغط نفسي وظلم بسبب دين أو رأي أو شغل وقلوس أو حتى بسبب زحمة شوارع ورشاوي وقرف، أروح في بلد أشتغل وأخد على قد شغلي وأعيش وأتبسط، ماحدش يضطهدني أو ياكل حقي. ما إنتي شايمة ابنك راحي، ماهو كمان من ساعة ما راح اليونان مارجهش. عارفة ليه؟ عشان لقي عيشة أحسن وحياة أنضف، ما تردي عليا، ولا إنتي عاجباكي عيشتنا دي؟

كان صدره يعلو ويهبط من فرط الانفعال بينما كانت أنجيل تتابعه بعينين ماتت بهما كل المشاعر. ساد الصمت لثوان قبل أن تقول في ثقة وتحدي:

- اوعى تكون فاكرا إنك بالكلمتين الفارغين دول هتغليني أصدق إنك عاوز تسافر عشان العربة والظلم وكلام الكتب ده. إحنا عيشتنا كويسة وأحسن من ناس ثانية كتير، إنت وأخوك اللي اتتمردتوا من ساعة أبوكم ما مات ومابقاش فيه حد يملى عينكم. طب هنفرض إن إنت كلامك



صح، تقدر تقول لي الأمريكان هيدوك إقامة ليه؟ هيرضوا بيك ليه؟ هتفيدهم بيايه؟ لا إنت أحمد زويل ولا مجدي يعقوب عشان حتى يدوك تأشيرة يومين على بعض.

صمت قليلا قبل أن يقول شبه متحدي:

- أنا خلاص خدت فيزا بتلات شهور.

اتسعت حدقتها في دهشة وهي تتلقى هذا الخبر الجديد، تساءلت مستنكرة:

- تلات شهور، طب وبعد التلات شهور ما يخلصوا كنت هتعمل إيه؟ كنت هتكسر الفيزا وتعيش

تغسل صحون وتسلك بلاعات لحد لما يقبضوا عليك في يوم وبرحلوك زي المجرمين.

بدا أنه لا مفر من الاعتراف بكل شيء. هكذا كان يفكر في صمت قبل أن يقول غاضبا بصره:

- لا ما أنا.. كنت عامل حسابي على كل حاجة.

نظرت نحوه في استنكار مطالبة بالمزيد، بينما أخذ رأقت نفسها طويلا ليخفف من تدافع دقات قلبه

قبل أن يشرح في صوت متردد:

- أنا بقى لي ست شهور باكم واحدة أمريكانية على النت، اتعرفت علما على ال facebook وحبينا

بعض واتفقنا على الجواز. كنت عامل حسابي أول ما أوصل أمريكا أتجوزها وأخذ الجنسية

وأشتغل مع أبوها. أبوها عنده سلسلة محلات لبس وإكسسوارات في لوس أنجلوس. هاعيش

معاهم وأشتغل معاه وشوية شوية ممكن أشاركه في شغله ويبقى عندي المشروع بتاعي في أمريكا

وأخلف عيال ياخدوا الجنسية وأعيش بقى عيشة عدلة، وكنت هابعت أجيبك تعيشي معايا. أول

ما أظبط أموري كنت...

كان يتحدث في حماس عندما نهضت أنجيل فجأة وصفعته على وجهه، صمت والذهول يحتل

ملامحه بينما استرسلت هي في صوت مبجوح وقد امتألت عينها بالدموع:

- اخرس، إنت أناني مابتفكرش غير في نفسك، حتى البننت اللي إنت بتكلمها على النت دي، إنت

مابتعجاش، إنت عاوز تستغلها وتستغل فلوس أبوها، فكرت وخططت ولا كان لك أم ليا حقوق

عليك، ولا كاني مابقاش ليا غيرك في الدنيا.

اندفع يقول وهو يدافع عن نفسه بكل ما أوتي من قوة:

- ما أنا قلت لك إني كنت هابعت أجيبك تعيشي معايا.

- طب وافترض أنا ما وافقتش؟ كنت هتعمل إيه؟

صمت، أحدى رأسه دون أن ينطق بكلمة. لم يستطع أن ينطق بشيء، فالإجابة التي يملكها لا يقوى على النطق بها، ابتسمت في مرارة بينما تأكد لديها كل ما كانت تشعر به بقلب الأم بداخلها، قالت محاولة التمسك بثباتها وكبت دموعها:

- شفت بقى إنك أناني، إنت قلت بينك وبين نفسك أنا هاقول لأمي تيجي معايا، وافقت خير وبركة. ما وافقتش مش مهم. إنت كده ولا كده مسافر، وأنا بقى مش هاموت لو فضلت لوحدي، ما أنا ليا أهل وجيران هياخدوا بحسي. المهم إن خطتك العبقرية تلتنفذ ومستقبلك اللي إنت رأسه توصل له مهما كان التمن، يا أترمي هنا لوحدي يا أضطر أسافر معاك وأسيب بلدي وبيتي. ارتفعت نبرة صوتها وهي تقول في إصرار وثبات عجيبين:

- طب وغلالة أبوك يا رأفت، أبوك اللي لو كان عايش ماكانش زماني مقهورة القهرة دي بسببك إنت وأخوك، ما أنا سايبه البلد دي ولا خارجة من البيت ده إلا عشان أتدفن جنبه. سافر يا رأفت. روح عيش العيشة الحلوة جنب السنيورة الأمريكية، مع ستين ألف سلامة.

التفتت ودخلت غرفتها وأغلقت الباب في عنف، انتفض بسبب صوت الباب، ظل واقفا لدقائق ثابتا في وسط الصالة كأن الدنيا قد توقفت من حوله وتوقف هو أيضا معها، لقد انكشف كل شيء قبل موعده، كارثة لم يحسب لها حسابا من قبل أو حتى يتوقع حدوثها، لقد اكتشف للتو أنه مجرم، أجرم في حق أمه وحق نفسه، وأكثر ما يوجعه هو أن كل اتهام اتهمته به والدته صحيح، صحيح جدا حتى ولو لم يعترف هو من قبل بذلك. إنه بالفعل أناني، لا يفكر إلا في نفسه. والدليل على ذلك أنه لا يزال يريد أن يستكمل مخططه حتى بعد ما حدث، لقد هيا نفسه من قبل أنه لا معالة من وجود ضحايا، لكنه لن يتراجع، تلك هي فرصة عمره، لن يتركها تضيع، حتى ولو دهس قلبه وقلب أعز الناس لديه في الطريق.

بخطوات بطيئة منهكة ورأس منكسة دخل غرفته وأغلق الباب خلفه.

ساد الصمت في الصالة لحظات قبل أن يفتح باب الصالون وتظهر ليديا، شاحبة ومنهكة. كأنها تحولت إلى شبح أوزاد عمرها خمسين سنة في تلك الفترة القصيرة التي رأت وسمعت خلالها كل ما حدث. استندت على الحائط وهي تضع يدها على صدرها الذي أحست أن هناك سكبنا مغرورة به.



منا بين ضلوعها حتى اخترق قلبها مباشرة وتركها ذاهلة غير قادرة على استيعاب الدنيا حولها أو حتى قادرة على أخذ شهيق يساعدها على التمسك بالحياة.

بدأ صدرها يعلو ويهبط بشدة وقد أخذت تصدر صوت نشيج متقطع وجسدها كله ينتفض، كأن هناك ستارا أسود أسدل أمام عينيها يمنعها من التفكير أو حتى التصرف بإرادتها، كأنها منقادة، كأن الألم الذي بداخلها هو ما يتحكم فيها الآن وليس عقلها، ركضت، فتحت الباب وهبطت الدرج ركضا حتى كادت أن تسقط، عندما أصبحت في الشارع لم تعرف إلى أين تتجه، وجدت نفسها تركض مرة أخرى بلا هدف محدد ودون أن تدرك حتى شكل الشوارع والبيوت حولها، كأنها أول مرة تخطو في تلك المنطقة التي ولدت وعاشت فيها طيلة حياتها، ركضت وركضت وركضت منقادة بألمها وبأسها، ركضت وصوت نشيجها يلفت الأنظار نحوها، يتأملها الناس في استنكار بينما لا ترى هي أي شيء من خلف دموعها سوى بأس يستفحل ودنيا تنهار.



(٤٥)

عندما فتحت والدة ليديا الباب ورأت يارا أمامها هتفت في وجه شاحب وهي تتعلق بذراعها وتجذبها إلى الداخل:

- أستاذة يارا، الحقيقي.

اختفت الابتسامة من على وجه يارا وأسرعت تدخل وتغلق الباب خلفها وهي تنسأل في قلق:

- خيرا طنط سميرة؟ فيه إيه؟

- ليديا، من ساعة ما رجعت دخلت أوضتها وقفلت على نفسها بالمفتاح، مش عاوزه تفتح لي ولا ترد عليا.

ربتت يارا على كتفها وهي تقول:

- طب اهدي يا طنط ماتخافيش. إنتي ماتعرفيش هي مالها طيب؟

- ماعرفش أي حاجة وهاموت من القلق.

ثم صمنت للحظة قبل أن تهتف في عصبية وهي تلوح بيديها في غيظ:

- الله يقطع الحب وسنينه، يعني هو اللي خلق رأفت ده ماخلقش غيره؟

بوغتت يارا بصراحة والدة ليديا في الإقصاد عن مشاعر ابنتها، ولكنها تماكنت نفسها مسرعة وقد أدركت أن حالتها السيئة هي ما جعلها تقول هذا الكلام بتلك الصراحة المفرطة، قالت محاولة تهدئتها:

- ماتخافيش يا طنط، هي أوضتها فين؟

أشارت سميرة نحو باب على اليمين وهي تقول:

- أهيه.

اقتربت يارا في ببطء ثم طرقت على الباب طرفتين خفيفتين قبل أن تهتف في تردد:

- ليديا، افتحي. أنا يارا.

مرت لحظات قبل أن تسمع صوت المفتاح وهو يدور في القفل. مدت يارا يدها وفتحت الباب ثم

التفتت نحو والدة ليديا وقالت ملاطفة لتمنحها من الدخول:

- ماعلش يا طنط، سيبيني أدخل لها لوحدي.



لراجعت سميرة مستسلمة والقلق لا يزال يملأ ملامحها، دخلت يارا وأغلقت الباب بهدوء. كانت لهديا جالسة على فراشها وقد أعطت ظهرها للباب، تقدمت يارا نحوها في ببطء حتى أصبحت أمامها مباشرة. لم تستطع أن ترى وجهها الذي كانت قد أحنته وقد السدل شعرها وغطى كل ملامحها. جلست يارا على ركبتيها حتى تستطيع أن ترى وجهها. عندما وضعت يديها على ذراعي لهديا رفعت وجهها الذي كان لا يزال شاحبا ومنهكا وقد رسمت فيه الدموع خطوطا سوداء.

هتفت يارا في فزع وهي تضغط على ذراعها:

- مالك يا لهديا؟

لم تستطع أن تتحدث، فقط عادت إلى البكاء مرة أخرى بينما أسرعت يارا لتجلس بجانبها وتدعها تدفن رأسها في صدرها لتفرغ دموعها كلها في حضنها.

أخذت يارا تربت عليها وقد ملأ صوت بكاء لهديا ونشيجها أذنها وأخترق عقلها، اخترق عقلها وعاد به خمسة أعوام إلى الخلف، لقد ذكرتها لهديا بنفسها، كانت مثلها ضعيفة ومهزوزة، نفس ما يحدث الآن حدث من خمسة أعوام. لا تعلم ماذا فعلت بل لهديا ولكنها تعلم جيدا ماذا فعلت كريمة بها. تتذكر تلك الأيام. بكل تفاصيلها تمر الآن أمام عينها مثل شريط السينما عندما بكت مثل لهديا وانهارت وانتابها نوبات ضيق التنفس. وأحسست أن الدنيا قد انتهت عندما تركها كريمة، ولولا وجود أمها بجانبها لما استطاعت أن تعبر تلك المحنة. السؤال الذي يلح عليها الآن ولا تعلم له إجابة: هل لا يزال هذا الضعف يسكنها أم أن ما مرت به جعلها قوية وقادرة على اجتياز أي محنة جديدة؟ هل هي قوية الآن كما تتخيل أم أنها لم تواجه أي مشكلة أخرى لتختبر مدى قوتها وتحملها؟ ماذا إن تركها يحيى أو ظلمها، هل ستتهار مثلما انهارت منذ خمس سنوات ومثلما تنهار لهديا الآن بين يديها؟

انتهت على صوت يحيى ورافقت في الخارج، بينما انتفضت لهديا واقفة وهتفت صارخة في عصبية:

- مش عاوزه أقابله، مش عاوزه أشوفه.

نهضت يارا، أمسكت بذراعها في رفق وأجلستها مرة أخرى وهي تقول محاولة تهدئتها:

- حاضر. ماتخافيش. اقعدى بس واهدي كده وأنا هاطلع أقول لهم يمشوا.

عندما خرجت من الغرفة كان يحيى ورأفت واقفين في منتصف الصالة. بعدما فتحت لهما والدة ليديا ودخلت دون أن تنطق بكلمة. خاصة بعدما رأت رأفت أمامها. نظر يحيى نحو يارا نظرة مستفسرة بينما كان الضيق لا يزال يحتل وجه رأفت من أثر ما حدث بينه وبين والدته منذ قليل. حاولت يارا أن تتظاهر بالطبيعية لتحافظ على كرامة ليديا خاصة أمام رأفت وهي تقول:

- ماعلش يا جماعة مش هتقدر تكمل قراية ملقات النهارده عشان ليديا تعيانة شوية. عندها برد وسخنة ولازم تاخذ دوا وتنام.

سادت لحظة من الصمت قلب يحيى. فيها شفتيه في ضيق بينما أحس رأفت أنها فرصة يفر بها من العمل اليوم. فهو لا يتحمل حتى أن يتحدث مع أحد. إن حالته سيئة لدرجة تجعله يريد أن يجلس وحده لأطول فترة ممكنة ولم يترك منزله ويأتي إلى هنا إلا لأنه فقط قد وعد يارا ويحيى. أما في غير ذلك فهو لا يريد حتى أن يترك غرفته.

تحرك نحو الباب وهو يقول:

- طيب. ما دام كده بقى أنا هامشي. عندي شوية ظروف ولازم أبقى في البيت. حضرتك جاية بكرة المكتب؟

- ماعرفش. المفروض إن أنا وأستاذ شفيق عندنا meetings بكرة في ثلاث بنوك عشان قروض مشروع الشريفة ومش عارفة إذا كنت هالاتي وقت أعدي على المجموعة ولا لا. على العموم لو احتجت حاجة هابقي أكلك.

أوما رأفت برأسه دون أن ينطق بكلمة قيل أن يفتح الباب ويخطو خارج الشقة. ولكنه توقف فجأة قبل أن يغلِق الباب خلفه. لا يعلم لماذا فعل ذلك لكنه وجد نفسه يلتفت نحو يارا ويتساءل في تردد:

- يعني... هي ليديا كويسة؟

أخفت يارا دهشتها من هذا التصرف وتكلفت الابتسام وهي تقول:

- أه ماتلقش. دول شوية الفلونزا مش أكثر.

أوما مستسلما قبل أن يختفي ويغلِق الباب الذي ظلت يارا محدقة نحوه دون أن تفهم شيئا. هل رأفت تعلم أن ليديا في حالة سيئة بسببه؟ وإن كان يعلم فلماذا لا يفعل شيئا؟ وما هو السبب في

كل ما يحدث الآن؟ هل واجهها وجرحها عن قصد؟ أم أنه فعل شيئا أضرها دون أن يدري وهو بالفعل لا يدرك ما هي فيه؟ أفاقت على صوت يحيى وهو يتساءل:

- هتيجي أوصلك ولا جاية بعيريتك؟

أسرعت تقول:

- لا توصلني ده إيه؟ أنا عاوزاك تزوح الصيدلية اللي جنب بيتي. إن شاء الله هتلاقي الصيدلي اللي اسمه أشرف هو عارفني كويس. قول له إنك من طرفي وقول له يدي لك منوم يريح ليديا لبكرة الصبح. أو يدي لك المهدئ اللي كنت أنا باخده. مش فاكدة اسمه أصلي آخر مرة خدته كان من أربع سنين. المهم هات أي حاجة تنيمها لبكرة وخلص.

نظر يحيى نحوها في استنكار بعدما سمع هذا الكلام الغريب. يارا كانت تأخذ مهدئات. لماذا؟ تسأل ميديا استنكارا آخر:

- منوم ليه؟ إنتي مش بتقولي إن ليديا عندها برد؟

دفعته نحو باب الشقة وهي تقول في نفاذ صبر:

- هابقي أقول لك بعدين. بس يلا بسرعة روح هاته وماتتأخرش.

ذهب يحيى بينما أخذت يارا تبدل محاولات عديدة لتهدئة والدة ليديا والتخفيف عنها وإقناعها بأن ابنتها على ما يرام. وبعد مضي نحو ساعة حضر يحيى حيث أعطاهما الدواء وقال في اقتضاب محاولا إخفاء استنكاره مما عرفه من الصيدلي:

- الراجل بيقول لك المهدئ اللي كنتي بتاخديه ده قوي ومايبيتصرفش إلا بروشته. وإداني بداله المهدئ ده بيقول لك خفيف ومالهوش آثار جانبية. إديلها كبسولتين.

أخذت يارا العلبة ومعها كوب ماء. ودخلت مرة أخرى إلى غرفة ليديا حيث أقنعتها بتناول القرصين ثم ظلت بجانيها حتى اطمأنت إلى أنها هدأت واستسلمت للنوم.

خرجت من الغرفة وأغلقت الباب في هدوء بينما أقبلت نحوها سميرة متلهفة فهدأتها يارا قائلة:

- ماتلقبش يا طنط هي كويسة. خدت المنوم ونامت ومش هتصحى قبل بكرة الصبح. خليا تريح على الآخر. معاهما أجازة مفتوحة. وأنا إن شاء الله هاعدي أنطمن عليها بكرة.

كانت الدموع تتزلق من عيني سميرة وهي تقول في امتنان:



- شكرا يا أستاذة يارا. أنا مش عارفة أقول لك إيه؟

ابتسمت يارا وهي تقول في تأثر:

- ماتقوليش حاجة. ليديا زي أختي. تصبجي على خير.

كان يحيى يتابع حديثهما دون أن يجد ما يقوله. أحس أن موقفه محرج للغاية لذا استراح عندما سمع تلك الجملة التي أذنت بالرحيل، ألقيا التحية على والدة ليديا وخرجا من الشقة في هدوء.

علي الدرج رن جرس هاتف يارا المحمول وما إن رأت اسم كريم على الشاشة حتى أحست أنها ستلقي بالجهاز في بئر السلم لتتخلص منه. إن ما حدث الآن مع ليديا نكأ بداخلها جراحا قديمة وأعاد إليها واحدة من أسوأ ذكريات حياتها والتي كان كريم بطلها الأساسي. لذا أحست أنها لن تتحمل أن تتحدث معه أو حتى ترى اسمه على شاشة هاتفها في تلك اللحظة. أخرست الجرس دون أن تجيب بينما رمق يحيى ما فعلته هي في صمت دون أن ينطق بكلمة.

كان الوقت متأخرا ولم يكن أي منهما مستعدا للحديث لذا لم يتحدثا كثيرا قبل أن تستقل يارا سيارتها وتذهب. بعدما اطمأن على رحيلها استقل يحيى سيارته وانطلق بها في شوارع القاهرة وقد عادت الحيرة تأكله وتاكل عقله وأفكاره بعدما ذكره ما حدث بأن كريم هذا لا يزال له وجود.



(٤٦)

- الوفد الأوروبي سافر.. فجأة.

كانا يجلسان في صالون مكتب يحيى. عندما اتصلت به وأخبرته أنها ستمر عليه في مكتبه بعد قليل، فكر أنه ربما تكون تلك فرصة مناسبة ليجاول التحدث معها بصدق. ليس من السهل عليه أن يفصح لها عما يشعر به نحوها على الرغم من أنه يعلم جيدا أنها تشعر به بل وتبادلته بعضا من هذا الشعور، لكنه أيضا غير قادر على تحمل كل تلك العيرة التي اقتحمت حياته وأصبحت تلازمه دائما. لم يجرب من قبل كل هذا التناقض في المشاعر بيننا لأنه لم يحب من قبل. لذا لا يعلم ماذا يجب عليه أن يفعل. عندما يشعر أو شبه يوقن أن يارا تبادلته نفس الإحساس ولكنها أيضا لا تزال تعرف كريم هذا وتراه وتتحدث إليه. نعم يعلم أنه كان خطيبها منذ عدة سنوات وهو شيء يزيد حيرة وقلقا، ماذا يمثل لها كريم الآن؟ وهل يمكن أن تكون بداخلها تعقد المقارنات بينهما وتوازن بين أحاسيسها نحوه وأحاسيسها نحو كريم؟ هل تفكر مثلا في العودة إليه؟ أفكار سوداء تدور برأسه وتزيد حيرة. لم يعرف طيلة حياته شيئا سوى الاستقرار، يريد أن يستقر على شيء، يجب أن يتشجع ويدفع نفسه بقوة وإصرار ليتحدث معها ويستقر على شيء.

عندما دخلت تراجع قليلا عما اعترمه، الهم الذي رآه على وجهها جعله يدرك أن هناك شيئا جديدا قد حدث وجاءت لتفرغه في الحديث معه. أشفق عليها وإن لم يستطع أن يمنع إحساسا بالسخط ينتابه لأنه لن يستطيع أن يستغل تلك الشجاعة التي واتته فجأة ولا يعلم متى يمكن أن تواتيه مرة أخرى، ولكنه لم يقل شيئا. ظل صامتا بينما استكملت هي كلامها دون أن تنظر نحوه، عيناها شاردتان في زجاج النافذة الموجودة خلف مكتبه في الجهة المقابلة وصوتها يكسوه الضيق والإرهاق:

- الوفد رجع فجأة من غير ما نمضي أوراق ولا عقود ولا أي حاجة، وبعد ما رجعوا بلادهم عرفت إن ورقى الصفقة كان خلصان أصلا بس كان مستغبي وماطلعش إلا دلوقتي، والصفقة مشيت عادي والتلاجات وصلت، أنا كنت حاسة إن فيه حاجة غريبة من ساعة جولة المصنع، وإن الزيارة دي مالهاش أي لزمة.

صمت قليلا ليفكر قبل أن يقول:

- مش يمكن يكونوا عملوا الزيارة دي عشان يتأكدوا إن الشغل في المجموعة مش متعطل بسبب اللي حصل لمنصور بيه، ويتطمئنا على فلوسهم اللي هيحطوها في الصفقة دي؟  
التفتت نحوه وهي تقول مدافعة في حماس عن إحساسها:

- لا يا يحيى، جولة المصنع ماكانش لها لازمة وهما ماكانوش مهتمين فيها إنهم يتطمئنا على أي حاجة، حتى هاشم بنفسه قال إن الجولة دي مالهاش لازمة. طب بلاش ده، إنت مش فاكرا أول يوم لها في المجموعة لما الباشمهندس حسن قال لنا في ال presentation اللي عملها إن الصفقة متعطل بسبب اللي حصل؟ ليه قال كده وشفيق وافقه على الرغم من إن كل الورق كان جاهز وخلصان؟

ثم صممت قليلا لتلتقط أنفاسها قبل أن تقول وقد هدأ صوتها وعاد الضيق إليه مرة أخرى:  
- حتى مشروع الشريفة، أنا حاسة إن فيه حاجة غلط.

عقد حاجبيه وهو يتساءل مستنكرا:

- إزاي يعني؟

زفرت وأسندت رأسها إلى الخلف وهي تقول:

- كل البنوك اللي رحنا نتفاوض فيها عشان ناخذ قروض للمشروع حميت إن شفيق بيتعمد يعطلها ويبوظها.

أعاد ما قالته وقد ازداد استنكاره من كلامها:

- بيتعمد يعطل القروض اللي إنتوا محتاجينها عشان مشروع مهم زي ده؟

التفتت نحوه وأومات برأسها وهي تقول:

- أيوه، كل شرط بيقولوا عليه وكل تفصيلة بيحاولوا يحطوها في العقود بيعترض عليها حتى لو كانت شروط عادية.

مط شفتيه مفكرا قبل أن يقول وهو يرمقها مشفقا:

- طب مش يمكن يا يارا إنتي اللي إحساسك غلط ومركزة مع شفيق زيادة عن اللزوم؟

تأملته دون أن تعلم ماذا يمكن أن تقول، هل يمكن حقا أن تكون مخطئة في إحساسها؟ زفرت في استسلام قبل أن تقول:

- يمكن، بس اللي أنا متأكدة منه بئى إن شفيق متغير من ساعة موضوع سرقة الغزنة. من ساعة ما سمعته وهو بيتخافق مع كريمة عثمان بلغت البوليس من غير ما ترجع له وأنا حاسة إنه بقى على طول متعصب ومتوتر، وتوتره ده هو اللي خلاه بدأ يغلط. وأنا حاسة إنه بسبب توتره ده أنا ممكن أعرف حاجة قريب.

لم يستطع أن يعترض أو يوافق، إنه إحساسها ولا يمكن له أن يعلق على صدقه أو كذبه. ساد الصمت للحظات دفنت يارا خلالهم وجهها بين كفيها محاولة تجاوز هذا الضيق الذي يلتأها. قبل أن ترفع رأسها وتنظر نحوه وهي تتساءل في ارتياب:

- مالك يا يحيى؟

بوغت بسؤالها لكنه تمالك نفسه مسرعا وهو يقول:

- مالي؟ باسمعك.

- لا. أنا حاسة إن فيك حاجة غريبة، إنت عاوز تقول حاجة؟

هي من بدأت الحديث، هي من حثته حتى يتكلم. إنه لا يريد أن يفتح هذا الموضوع الآن وهي مهمومة. ولكن هي من لاحظت التغير الذي طرأ عليه وهي من سألت. هكذا أقنع نفسه قبل أن يقول محاولا الالتفاف حول ما يريد:

- بصراحة يا يارا أنا حاسس إن من ساعة ما عرفتك وأحنا عايشين في دوامة. ما بين موضوع دفن ربما وعزاها وبعدها موضوع الصندوق وتفسير ألقازه وأخيرا موضوع مجلس الإدارة والمشاكل اللي فيها. مش لاقيين وقت نتكلم مع بعض ونعرف بعض أكثر. أنا حاسس إن أنا محتاج إنك تعرفي عني حاجات كتير وأنا كمان أعرف عنك حاجات كتير. أكثر من الكلام العادي السطحي اللي اتكلمناه زمان في المستشفى. محتاج أحكي لك عن تفاصيل كتير في حياتي ومحتاج أعرف عنك حاجات كتير. يعني عن صحابك وحياتك كلها.

توتر قليلا في آخر الحديث بينما كانت يارا تتابعه وابتسامة خبيثة على شفتها. نسيت كل الضيق الذي كانت تشعر به منذ قليل واندمجت مع هذا الذي يحاول أن "يلف ويدور" ليتأكد من مشاعرها نحوه دون أن يعلم أنه بالفعل أصبح يحتل قلبها. قالت وعيناها تمتلآن بالخشب وظل الابتسامة لا يزال على شفتها:



- إحنا فعلا مش لاقين وقت خالص نتكلم مع بعض.

اعتدلت في جلستها لتضع ساقها تحتها وهي جالسة قبل أن تقول في حماس:

- قول لي يقي، عاوز تعرف إيه عني؟

ارتبك قليلا من تلك المواجهة قبل أن يقول:

- مافيش حاجة معينة، عادي يعني.

حاول السيطرة على ارتبাকে بعدما فتح حديثا وأصبح غير قادر على الخوض فيه، اتسعدت ابتسامتها وهي تتأمله قائلة:

- إنت دبلوماسي شاطريا يحيى، بس لازم تحمد ربنا إن مش كل الدبلوماسيين اللي بتتعامل معاهم فاهمينك زى.

نظر نحوها في ارتياب دون أن يفهم مقصدها بينما استرسلت هي قائلة في بساطة:

- إنت عاوز تسألني عن كريم، بس مش عاوز تقولها بشكل مباشر، عاوزها تيجي بالصدفة كده وسط الكلام، صح؟

اختفى ارتبাকে وبدأ يتحدث بثقة بعدما وجد أن الحديث أصبح بتلك الصراحة:

- وافرضي؟ إنتي مش عاوزة تحكي لي ولا إيه؟

اختفت ابتسامتها وهي تضغط شفيتها ثم قالت وهي تحني رأسها:

- لا أكيد عاوزة أحكي لك بس اليومين دول بالذات حصلت حاجات خلتنى أفكر الموضوع ده بكل تفاصيله وعمال يضغط على أعصابي طول الوقت، دي أصلها ذكرى سيئة جدا وبتتعبني كل ما بافكرها، عشان كده أنا ماعتقدش إنى هاقدر أحكي لك حاجة دلوقتي.

سأل محاولا التزام الهدوء ومراعاة مشاعرها وهو يستخلص أي شيء منها:

- هو.. هي دي المرة اللي قلتي لي إنها كانت آخر مرة تاخدي فيها مهدنات؟

انتابتها الدهشة من تذكره شيئا عابرا قائلة وسط الكلام، لكن سرعان ما تحولت دهشتها إلى ابتسامة مرارة وهي تقول:

- لا، أنا آخر مرة خدت مهدنات كان لما ماما الله برحمها اتوقت، إنما لما أنا وكريم سبيننا بعض، دي كانت أول مرة أعرف يعني إيه مهدنات.



صمتت قليلا لتتمالك نفسها ثم نظرت نحوه وهي تقول في نبرة متوسلة:

- سيبنى براحتي يا يحيى. صدقتي هيبجي اليوم اللي هينفع أحكي لك فيه. أو بمعنى أصح. اللي هاقدر أحكي لك فيه.

صمتت قليلا وقد تشتت إحساسه بين الضيق من عودته إلى حالة عدم الاستقرار وعدم الفهم وبين الشفقة عليها بعدما رأى كل هذا الألم في عينيها. لكنه لا يستطيع أن يضغط عليها لتحكي. ليس فقط إشفاقا عليها ولكن أيضا لأن كرامته ستمنعه. أو ما برأسه وهو يقول مستسلما:  
- ماشي. براحتك.

ساد صمت ثقيل حاول كلاهما فيه التغلب على مشاعره المضطربة. قطعت الصمت قاذلة لتغير دفة الحديث:

- طنط عاملة إيه؟

- كويسة. بتسأل عليكي.

أومات وهي تقول في نبرة معتذرة:

- أنا عارفة إني مقصورة في حقها. بس أنا هاكلها قريب والله.

- طب ما تيجي تزوريها؟

قالها في رقة حائثا إياها على العودة لزيارتها في المنزل. ابتسمت وهي تومن موافقة. نظرت في ساعة معصمها قبل أن تنهض وهي تقول:

- أنا لازم أمشي دلوقتي عشان عاوزه ألحق أعدي على ليديا أتضمن عليها.

نهض وهو يتساءل متذكرا:

- آه صحيح. هي ليديا مالها؟ إنتي قلتي إنك هتقولي لي بعدين.

قالت محاولة التظاهر بالطبيعية حفاظا على صورة ليديا أمامه:

- مافيش. يظهر إنها بتمر بأزمة نفسية وهي رقيقة بس حبتين.

صمتت قليلا قبل أن يباغتتها قائلا:

- رأقت. مش كده؟

اتسعت حدفتها في دهشة وهي تتساءل مستنكرة:

- إنت إزاي عرفت؟

ابتسم وهو يقول في بساطة:

- يا يارا ماقيش حد بيتردد كثير على مكتب منصور بيه ويعرف اللي شغالين فيه كويس ماخذش باله إن ليديا بتحب رأفت وهو ولا هو هنا.

صمتمت وقد امتزجت بداخلها حيرة بسبب معرفة يحيى وألم وإشفاق على تلك المسكينة التي يعلم كل الناس مدى معاناتها إلا من تحبه، قالت في ضيق لتنهى هذا الموقف الحرج:

- هو تقريبا كده، بس أنا والله ماعرفش عشان هي ماكتليش أي حاجة.

- طب وبعدين؟ الملفات محبوسة عندها وإحنا كده مكتفين مش عارفين نكمل قراية وتدوير. مطت يارا شفيتها في حيرة قبل أن تقول:

- إنت عندك حق. هو أنا هيبقى منظري وحش بس أنا هاسألها النهارده بقى وخلص. بس لازم تعمل حسابك إن بالشكل ده أنا وإنت بس اللي هنكمل لوحدنا قراية الملفات، لا ليديا هتقدر تعمل معانا حاجة ولا أنا هاقدر أجيب رأفت في بيتها في الظروف دي.

- مش مهم، المهم إننا نكمل قراية الملفات يمكن تلاقي حاجة.

أومات برأسها وهي تقول موافقة:

- حاضر. باي باي.

اتجهت نحو الباب لكنها توقفت في المنتصف والتفتت نحوه وقالت في تردد محاولة طمأنته:

- يحيى، فيه حاجتين من ساعة ما لبستم ماقلعتهمش ثاني، سلسلة ربما والخاتم بتاعك، أظن ده يوضح لك إيه هما أكثر حاجتين شاغلين دماغي و...

ثم صمتمت قليلا قبل أن تقول في ارتباك:

- وقلبي، واضح؟

ابتسم وهو يقول وقد أحس بقلبه يخفق بشدة:

- واضح.

التفتت لتدري خجلها وخرجت مسرعة بينما عاد هو ليجلس خلف مكتبه وقد عاد شيء من الاطمئنان يملأ قلبه. متى تنتهي تلك الدوامة التي يدوران فيها وتعيقه عنها؟ متى ينتهي كل شيء وتتفرغ له وتصبح مستعدة لما يريد أن يقوله لها؟

أحسن أن صبره بدأ ينفد. لا يطيق تلك الحالة من عدم الاستقرار. يريد أن يستقر معها. ليس فقط استقرارا عابرا بمعرفة كل شيء عن موضوع كرم ولكنه يريد استقرارا دائما وأبديا معها. يريد أن يتزوجها.

عاد بمقعده إلى الخلف مندهشا بعدما باغت نفسه بتلك الكلمة الكبيرة. الزواج! لكنه عاد وتخلص من دهشته. وماذا في ذلك؟ إنه لم يعد صغيرا وسنه مناسبة جدا بالنسبة لها وبالنسبة للزواج. لا يجب أن يدهشه هذا التفكير، إنه يعلم جيدا أنه يحيا، ويتعجل اليوم الذي يكون فيه معها. وبالنسبة لرجل مثله في شخصيته ومكانته وأخلاقه لا يستطيع سوى أن يفكر بشكل واقعي مستقيم دون "لف ودوران". نعم، إنه يريد أن يتزوجها. ليس فقط لأنه هو الطريق الوحيد أمامه ولكن لأنه يريد هذا الطريق. يتمناه. يتمني أن يتزوج يارا.

متى يا رب تنتهي دوامة المشاكل التي تدور فيها وتشغلها عنه وتمنعه من أن يحقق حلمه معها. عندما ينتهي كل هذا سيطلب منها الزواج. نعم. سيتشجع ويطلب منها الزواج. إنه يتحرق شوقا ليراه وهي تتفاجأ وتخجل وتومن موافقة وهي تدبر عينها بعيدا عنه.

انسعت ابتسامته وهو يخلق عينيه ويعود برأسه إلى الخلف وقد أخذت مشاعر جديدة من نوعها تدغدغه وهو يتخيل يارا وهي زوجته.



(٤٧)

انتهى كل شيء. نعم لقد انتهى كل شيء، انتهى الحب وانتهت الأحلام. تحطمت على صخرة الواقع التي تفادها هؤلاء الذين يدركون حقيقة الحياة بينما اصطدم بها الحالمون. المغفلون! تماما مثلما اصطدمت هي بها، ضيعت من عمرها سنوات وهي تحبه وتحلم به وباليوم الذي سيأتي إليها فيه ويعترف لها بحبه ثم فجأة يقفز خيالها إلى هذا المشهد الجميل، عندما ترتدي رداء أبيض وطرحه بيضاء وتقف بجانبه أمام المذبح والقسيس يتوج حينها بالزواج، كانت غارقة في بحر من العسل، لم يتلق أثرها كل الإشارات التحذيرية لتتوقف عن أوهامها وتسبح مسرعة هاربة من بحر العسل هذا قبل أن تصطدم بصخرة الواقع. لكنها لم تفعل، تجاهلت كل الإشارات وفضلت الغرق بين أمواج هذا البحر في الوقت الذي كان فيه رأفت يخطط وينفذ مخططه العبقري لتأمين مستقبله. معه حق، ماذا تكون هي بجانب الفتاة الأمريكية الشقراء الجميلة؟ وماذا يكون والدها بجانب هذا الآخر الذي يملك سلملة محلات ملابس واكسسوارات؟ وماذا تكون شبرا بجانب لوس أنجلوس؟ وماذا يكون عمله الآن حتى لو كان في أكبر مؤسسة اقتصادية في مصر بجانب مشروع خاص به في أمريكا يدر عليه ألاف كل شهر؟ الإجابة، لا شيء، إن خطة حياتها التي وضعتها هي تتضاءل وتختفي إن قورنت بالخطة التي وضعها هو، الإجابة المنطقية التي يقرها العقل هي لا شيء، ولكن مالها تتألم؟ ألم يوافق عقلها ويرقر بالحقيقة؟ لماذا تتألم؟ لماذا تسجن نفسها في غرفتها وتمتنع عن الحديث مع كل من في المنزل وتظل بالساعات جالسة منكشمة فوق فراشها ملتصقة بالجائط البارد؟ نعم لقد وافق عقلها ولكن ما يؤلمها الآن ليس عقلها، إنه عضو آخر محبوس هاهنا خلف قفصها الصدري، طالما عذبتها وعرضها للمهانة، قلها هذا الذي أصبحت تكرهه على الرغم من أنه هو نفسه المسؤول عن الحب والكراهية، هذا هو من يتألم بداخلها، يتقلص كلما ازداد يقينها بأن رأفت لا يعحبها، لم ولن يفكر فيها أو يضعها في حساباته مهما حدث، إنها أقل من أحلامه، إنها لا تستطيع أن تحقق له طموحه، إنها لا شيء، لا شيء بالنسبة له، ثم تبتسم، تبتسم في مرارة كلما تذكرت تلك الليالي التي استلقت فيها في فراشها ساعات تفكر فيه وتحلم به بينما هو جالس أمام الكمبيوتر يتحدث مع الأخرى ويمطرها بكلمات الحب، هل يحب تلك الأخرى بالفعل؟ هل أعجبتة شخصيتها وانجذب لها وأراد حقا أن يعيش كل حياته معها، أم أنه يكذب عليها ويلعب بها ليستغلها



ويستغل جنسيتها وأموال والدها كما قالت أنجيل؟ إن كانت الإجابة نعم فهو إذا يحب امرأة أخرى غيرها. وهو ما يطعننا في قلبها. وإن كانت الإجابة لا فهو إذا إنسان منافق وصولي مستغل. وهو ما يزيدنا حيرة وألماً. وفي الحالتين هناك حقيقة واحدة. لقد كان رأفت يعتبرها طيلة الفترة الماضية شيئاً احتياطياً مثل "استبن" السيارة. بين كل فترة وأخرى يقول لها كلمتين حلوتين تنعشان أملها مما يزيدنا تعلقاً به فتظل بجانبه. موجودة وتحث أمره في حالة فشل خطته الأصلية. "هي هتروح فين يعني؟". يرن السؤال المهين في أذنها فتدفن رأسها بين ركبتيها ويرتفع صوت نشيجها وتهمر دموعها لعلها تغسل كرامتها الجريحة وتشفي قلبها المكوم. ثم تهدأ. وتعود إلى نفس الدورة العقيمة من الأفكار المؤلمة. والحياة تستمر خارج غرفتها بينما الزمن قد توقف عند قدمها المضمومتين فوق فراشها.

- ليديا. افتحي يا حبيبي. أنا يارا.

نهضت متناقلة كأنها ترفع جبال همومها وتحملها بين يديها وهي تغطو في بطء نحو باب غرفتها. أدارت المفتاح فانفتح الباب في هدوء وأطلت يارا وهي تبتسم محاولة إخفاء ارتياحها وارتياكها. أغلقت الباب والتفتت نحو ليديا التي جاهدت لتبدو بحالة جيدة وترسم ابتسامة ضعيفة على شفتها. وهي تقول محاولة رفع نبرة صوتها كأنها نسيت الكلام من طول عزلتها:

- أهلا يا أستاذة.

ربتت يارا على ذراعها وهي تقول مبتسمة في حنان:

- إزيك يا ليديا؟ عاملة إيه؟

أومأت برأسها وهي تقول في استسلام:

- الحمد لله. اتفضلي.

جلست ليديا على حافة فراشها. وجلست يارا قبالتها على المقعد الصغير وقد أعطت لمرأة الزينة ظهرها. ومالت قليلاً نحو الأمام مرتكزة بكوعها على فخذيها وهي تقول عاتبة في رقة:

- طنط سميعة هتتجنن. بتقول إنك حابسة نفسك في أوضتك وما بتكلميش حد.

أخفضت ليديا عينها وهي تقول في صوت ضعيف:

- مش قادرة أتكم مع حد يا أستاذة يارا.

تململت يارا وهي تشعر بقليل من الحرج قبل أن تقول:

- ليديا أنا مش عاوزة أنقل عليكى، بس إنتي عارفة إن لوجه وقت وحببتي تتكلمي أنا هابقى عاوزة أسمع لك.

أومات ليديا وهي تقول مبتسمة تلك الابتسامة الخافتة:

- أكيد طبعا يا أستاذة.

ثم ثبتت يارا عينها بداخل عيني ليديا وقالت كأنها ستهم بإلقاء محاضرة نابغة من تجربتها الشخصية:

- ليديا، طبيعى قوئ إنك تمرى بتجربة زي دي بس اللي مش طبيعى هو إنك تطولى فيها أكثر من اللازم، حياتك مش واقفة على شخص واحد أو حاجة واحدة، حياتك أكبر بكثير وإنتي قدام نفسك أهم من أي حد. فاهمانى طبعا؟

أومات ليديا فى استسلام وأحنت رأسها وهي تقول محاولة كبث الدموع التي طفرت فى عينيها:

- فاهمة.

سادت لحظات من الصمت الثقيل وبلغ حرج يارا مداها، إن ليديا مرهقة وحالتها سيئة بالفعل تماما مثلما توقعت فكيف يمكن إذا أن تتحدث معها فى شأن الملفات ومتابعة قراءتها؟ إنها تشعر أن إقدامها على هذا الفعل هو درب من الوقاحة وعدم التقدير اللازم لمشاعر تلك الفتاة الرقيقة المجروحة، كان ليديا كانت تقرا ما يدور فى ذهن يارا حيث أنها قطعت الصمت قائلة فى نبرة معتدرة:

- أنا عارفة إن إنتم متعطلين بسببى عن قراءة بقية الملفات. أنا أسفة والله يا أستاذة ماكانش بإيدي.

فأسرعت يارا تقول وقلها يترافص بعدما لاح لها مخرج من تلك الأزمة:

- لا ماتقوليش كده يا ليديا، أهم حاجة عندي إنك تبقي كويسة.

فصممت ليديا قليلا مفكرة بينما يارا ترقبها وهي تدعو الله بكل قلبها أن تنطق ليديا بما تتمناه هي، وكان الله استجاب لدعائها حيث قالت ليديا بعد فترة من التفكير:

- ما تكلمي مستريحى تقولى له بيعي دلوقتي وتكملوا تدوير فى الملفات؟

فتصنعت يارا التملع قائلة:

- لا لا بلاش النهارده. مش عاوزين تضغط عليكي. خلينا نسبيك تسترجعي شوية.

فأسرعت ليديا تقول في شبه رجاء:

- لا يا أستاذة أرجوكي، أنا حاسة بالذنب ومش عاوزة أعطلكم أكثر من كده، وبعدين أنا بصراحة يعني مش هاقدر أساعدكم دلوقتي فمافيش ضغط عليا ولا حاجة. إنتوا هتقعديوا في السفارة تكملوا شغل وأنا هاقعد هنا في أوضتي.

لم تجب يارا، كانت مشتتة بين الرفض وضياح تلك الفرصة أو القبول الذي يمكن أن يكون قلة ذوق منها، ولكن ليديا أنهت تلك الحيرة عندما استطرقت متصنعة الحزم:

- يلا كلميه قبل ما النهار يعدي وتضيعوا وقت أكثر من كده. ولا تحي أكلمه أنا؟

فابتسمت يارا وهي تقول كأنها استسلمت على مضض:

- لا لا خلاص. أنا هاكلمه.

خرجت يارا من الغرفة وهي تحاول جاهدة السيطرة على نفسها حتى لا تبتسم ويبدو حماسها وسعادتها، مراعاة لمشاعر هذا البيت الذي يضح بالحزن والقلق على الابنة الصغيرة، انزوت في أحد الأركان واتصلت بيحيى الذي ما إن أخبرته يارا بأنه يمكنه المجيء إلى بيت ليديا حتى انتقلت عدوى حماسها إليه، فانتفض تاركا عمله متجها نحو شبرا في سرعة فائقة وما هي إلا نصف ساعة حتى كان أمامها في صالة منزل ليديا، التي تعاملت وخرجت لتحييه وهي تجتهد لتبدو طبيعية دون أن تدري أنه يعلم ما بها، ساعدتها في فتح الخزانة الخشبية ونقل الملفات إلى المائدة قبل أن تستأذن وتعود إلى غرفتها، بينما ذهبت سميحة لتعد لهما بعض المشروبات الساخنة وقد خالج قلبها بعض الارتياح بعد أن رأت ابنتها قد خرجت من غرفتها وتحدثت وابتسمت بعد أيام من العزلة والحبس الانفرادي، حتى لو كانت كل أفعالها تلك مصطنعة وليضع دقائق فقط، يكفي أن رؤية ابنتها قد أعاد إلى قلبها بصيصا من الأمل مرة أخرى.

اتدمج يحيى ويارا في قراءة الملفات وتصنيفها مرة أخرى، ومع الوقت بدا خيط رفيع من الضوء يداعبهما وسط هذا الغموض وهذا الظلام الذي يلف تلك الملفات العقيمة، فقد بدا لهما مع التقدم في البحث أن عدد الصفحات الغربية التي انقطعت وانتهت فجأة بلا سبب محدد أو نتيجة



واضحة سواء بالنجاح أو الفشل يزداد، لقاءات واجتماعات وسفر وتقارير ثم لا شيء، لا يوجد عقود أو شيء يدل على أن المشروعات قد تم تنفيذها على أرض الواقع أو شيء يدل على سبب فشل تلك الصفقات، وعلى أقل تقدير كان يمكن أن يوجد في بعض الأحيان تقرير نهائي ركيك وغير مقنع فقط لإتمام إجراءات الحفظ. وكلما كبر عدد تلك الملفات التي كانوا يضعونها جانبا بعيدا عن الباقي كلما كبرت علامة الاستفهام خاصة وهما يعلمان أن كل تلك الصفقات مع شركات يمتلك فيها أو يديرها بعض من تلك الأسماء الموجودة في القائمة على ipad ربما.

قطع صوت رنين هاتف يارا تركيزها، نظرت بسرعة نحو الشاشة فراعها ظهور اسم رأفت، وضعت الشاشة أمام عيني يحيى لعله يستطيع مساعدتها في الخروج من هذا المأزق، قال يحيى في ارتياب: - ده رأفت.

أجابت يارا في ضيق:

- أبوه، أعمل إيه؟ خايقة أرد عليه ليديا تسمعي وهي مش ناقصة تسمع حتى اسمه.

فصمت يحيى لثوانٍ قبل أن يقول:

- طب بلاش ترددي.

- ماينفعش، أعتقد إنه فيه حاجة مهمة.

نهضت واتجهت نحو أبعد ركن في غرفة الطعام وهي تقول:

- أنا هارد بقى وهاوطني صوتي وربنا يستر.

ضغطت الزر ووضعت الهاتف على أذنها وهي تقول في صوت منخفض:

- آلو، أبوه يا رأفت، خير فيه حاجة؟

كان يحيى موزعا النظرات بينها وبين الصالون كأنه يراقبه حتى ينهيا إذا لمع أحدهم قادما، لكنه ركز بصره كله نحوها عندما سمعها تهتف قائلة:

- إيه؟ اتكلم بالراحة يا رأفت أنا مش فاهمة حاجة، إنت بتقول إيه؟ طب خلاص خلاص أنا جاية حالا.



أسرعت تجمع الملفات وتنظمها داخل الخزانة الخشبية في لهوجة، وهي تقول ليحى بصوت مضطرب وقد ارتفعت نبرتها كأنها لم تكن هي التي خافت منذ قليل أن تسمعها ليديا وهي تتحدث عن رأفت:

- رأفت يقول إن فيه حد اكتشف إن الملفات دي خرجت من الشركة.

فهتف يحى في دهشة وقلق:

- حد مين؟ واكتشف إزاي؟

- ماعرفش. ما فهمتش منه أي حاجة. أنا لازم أروح المجموعة دلوقتي.

فقال يحى في حزم وهو يعاونها في جمع الملفات وترتيبها في الخزانة:

- نروح. أنا لازم أعرف إيه اللي حصل.

أغلقا الخزانة مسرعين وألقيا تحيات مقتضبة على سميرة وطلبا منها أن تعتذر بالنيابة عنهما لليديا دون حتى أن ينتظرا ليودعاها. تركت يارا سيارتها وركبت بجانب يحى الذي قاد سيارته بسرعة طائشة لم يقدم عليها من قبل.

هبط صمت ثقيل على الغرفة بعدما فرغ رأفت من حديثه. ظلت يارا شاردة ببصرها نحو الأمام وقد استندت بذقنها على يديها فوق المكتب، وبدا كأن عينها زالغتان في النظر إلى شيء مجهول لا تعلمه، بينما جلس يحى أمام المكتب وهو ينقر بأصابع متوترة، وفي قبالة جلس رأفت ممتنع الوجه كأنه قد انتهى للتو من التحدث عن مذبحة حدثت أمام عينيه. حاول يحى السيطرة على توتره وهو يقول في نبرة متقطعة:

- رأفت اهدا كده وقول لي تاني إيه اللي حصل بالضبط.

ازدرد رأفت ريقه بصعوبة قبل أن يقول في صوت مرتعش وإن كان أكثر هدوءا من المرة السابقة:

- زي ما قلت لسيادتك. مستر هاشم استدعاني في مكتبه وقعد يزقق فيا بطريقة غريبة، أول مرة

أشوفه عصبي كده. قال لي قول للرئيس بتاعك إنه يبقى غلطان لو افتكرا إنه هو الوحيد اللي ليه

عيون جوا المجموعة ويعرف كل حاجة بتحصل فيها، وإن هو قدر يعرف موضوع الملفات اللي أنا

خدتها وحملة التدوير اللي عملتها. كان فاكرا إن الموضوع ليه علاقة بمستر شفيق بس أنا قلت له

إنه مايعرفش أي حاجة عن الموضوع، استغرب وافتكرا إن أنا باشتغل لحسابي وهددني إنه

يهوديني في داهية ويبلغ مستر شفيق بكل حاجة. أنا خفت إنه يعمل كده بجد ويقول لمستر شفيق فاضطرت إني أقول له إن الملفات دي خرجت من المجموعة عشان خاطر الأستاذة يارا وإنها معاها دلوقتي، بس ماقلتلهوش أي حاجة ثانية، وقلت له إنه مش من حقي أقول أي أسرار الأستاذة استأمنتني عليها وإنه لو عاوز يعرف أي حاجة يسألها هي. أنا أسف والله يا أستاذة إن أنا قلت له بس ده كان ممكن يقول لمستر شفيق ودي حاجة إنتي قلتي إنك مش عاوزاها تحصل.

فهتف يحيى في لهفة:

- وبعدين؟

- ولا حاجة. قال لي أقول للأستاذة إن هو مستنها تيجي تزوره في مكتبه زي ما اتفق معاها قبل كده.

صمت رأفت ليلتقط أنفاسه بينما التفت يحيى نحو يارا التي كانت لا تزال شاردة كأنها لا تشعر ولا تسمع ما يدور حولها، قال يحيى في صوت هادئ محاولاً إقناعها:

- بيتيأي يا يارا إن الزيارة دي معادها جه خلاص، وإذا كان ممكن زمان إنك تختاري تستعيني بهاشم أو لا فدلوقتي مافيش مجال للاختيار، إنتي لازم تستعيني بيه وتطلبي مساعدته لأنه خلاص بقى جزء من الموضوع.

انزعجت نفسها من شرودها وتأملت يحيى للحظات وهي تشكر بعمق كأنها تتخذ قراراً مصيرياً سيؤثر على حياتها ومستقبلها، نهضت وهي تتأرجح في حيرتها، اتجهت بخطى بطيئة نحو باب المكتب دون أن تتخذ حتى القرار بينها وبين نفسها، فتحت الباب ثم التفتت ونظرت نحو يحيى لأخر مرة كأنها تستنجد به ليدفعها الدفعة الأخيرة، أو ما برأسه وهو بيتسم ابتسامة حاول أن يتغلب فيها على قلقه ويكسيها رقة قدر المستطاع، لكنها لم تبسّم كأنه من العسير عليها أن تتخذ مثل هذا القرار وتبسّم في نفس الوقت، التفتت وخرجت من الغرفة دون أن تكون متأكدة حقا من أنها قد قررت أن تقشي سرها لهاشم فتح الله.

(٤٨)

استرق الموظفون نحوها نظرات مستويبة فهم لم يعتادوا أن يروها تخطو هكذا في أروقة المجموعة بين المكاتب. لكنهم سرعان ما تشاغلوا عنها بما بين أيديهم من أعمال بينما لم تلتفت هي إلى أي شخص أو أي نظرات موجهة نحوها، كانت تبذل مجهودا خارقا لتحافظ على ثباتها وتقع نفسها بالخطوة التي هي في طريقها للإقدام عليها. ليست مضطربة لأنها ستقضي سرريما الآن. لا لا. هذا شيء لا يقلقها بالمرة فهاشم شخص يمكن الوثوق به. على الرغم من أنها لا تعرفه جيدا لكن خبرتها القصيرة معه وكلام يحيى عنه جعلها تشعر بثقة نحوه واطمئنان من أنه لن يخذلها حتى إن لم يساعدها فبالتأكيد لن يفشي سرها. كل هذا لا يقلقها، إن ما يقلقها حقا ويجعلها ترتعب وتتردد مائة مرة قبل أن تتخذ القرار وهي تخطو تلك الخطوات المضطربة نحو مكتبه هو أنها متيقنة تماما من أن هاشم يعلم. يعلم أشياء كثيرة عنقولها لها. أشياء ستهدد تلك الصورة التي ظلت طيلة عمرها ترسمها في مخيلتها وتعيش ضحية لها. صورة أب ظالم ألقاها وألقى أمها بعد أن أصبح ثريا كأنه تزوجها للمتعة ثم طلقها بعد أن علم أنها حملت منه بالخطأ على غير الاتفاق. أب ينكرها ولا يتذكر حتى حقيقة وجودها في تلك الدنيا، وصورة أخت مدللة ومتعجرفة لا تهتم إلا بتفاهات حياتها وتتكبر حتى عن التفكير في وجود أخت لها من أم أخرى. تلك الصورة التي بدأت تهتز بعنف منذ أن وصلها هذا المسترق الأسود وعرفت أن ربما كانت تتحدث عنها وتتمنى رؤيتها ومنذ أن علمت بالوصية التي كتبها منصور بك وأن رقم خريفته الخاصة هو يوم عيد ميلادها. لا تريد أن تعرف أكثر من ذلك، تخشى أن تتفكر في نفسها أو تتحدث عنها أمام نفسها، تخشى أن تتعلم الصورة الكبيرة فتنهار معها حياتها التي ما هي إلا جزءا من تلك الصورة. "لماذا يا أمي لم تقصي لي أي شيء عن هذا الماضي وتركيتي أرسمه في خيالي بمفردي دون أن تساعدني؟". انتفضت عندما أفأقت لتجد نفسها أمام باب مكتب هاشم. هاشم لا يملك سكرتيرة ولا حتى غرفة انتظار. لكن مكتبه هو أقرب مكاتب أعضاء مجلس الإدارة إلى مكتب منصور بك الذي أراد ذلك وأصر عليه. هكذا أخبرتها ليديا من قبل ذات مرة. منصور بك كان مصرا على أن تكون غرفة مكتب هاشم في مقر المجموعة قريبة جدا من غرفة مكتبه. حتى يكون هاشم بجانبه



على الرغم من أنه لم يكن قريبا منه أو مستودعا لأسراره مثلما كان شقيق الذي كان يحتل هذا المركز وحده.

أخذت نفسا عميقا وضمت يدها اليمى في قبضة شعرت فيها ببرودة أطراف أصابعها وبطن يدها، ثم رفعتها ببطء وترددت لحظة قبل أن تدفع نفسها وتطرق ثلاث طرقات مرتعشات لا يكاد يسمعون أحد، بعد ثوانٍ سمعت صوت هاشم الرزين قادما من الداخل أذنا للطارق بالدخول. فتحت الباب في بضع وأطلت نحو الداخل بوجه حاولت أن تخفي شحوبه من أثر وجيب قلبها.

ما إن رآها هاشم حتى اتسعت ابتسامته الممتلئة ثقة ونهض واقترب منها وهو يقول مرحبا:

- أهلا أهلا. سعادة رئيسة مجلس الإدارة في مكنتي، إيه الشرف ده؟

صدمتها قليلا تلك التبرة المازحة لكنها جاهدت وتقبلت دعابته بابتسامة رسمتها على شفيتها، خاصة عندما وجدته محتفظا بابتسامته المرحبه ونظرتة الأبوية النحانية. أشار لها ليجلسا في الصالون بعيدا عن المكتب مما زاد الجلسة حميمية كانت تحتاج إلى أن تشعر بها لتعطف من توترها. جلست على الأريكة وقد هدا خوفها قليلا بينما جلس هاشم على المقعد قريبا منها وقال مبتسما وهو يضع ساقا على ساق في ثقة:

- اتأخرتي عليا يا يارا. القعدة دي كان لازم نقعدها من زمان قوي. من أول يوم جيئي فيه المجموعة.

ابتسمت دون أن تعلم بماذا يمكن أن تجيب على كلماته تلك. بينما استطرده هو متسائلا في تناسط من يتحدث مع طفلة صغيرة:

- هه، تحي تبنتي إنتي ولا أبدا أنا؟

عقدت حاجبيها مستنكرة السؤال، استغلق عليها فهم ما هذا الشيء الذي سيبدأه، بعد لحظات من الصمت والنظرات المتبادلة أدرك هاشم أن يارا لا تفهمه فأوما برأسه متفهما قبل أن يعيد ساقه إلى وضعها بجانب الأخرى وهو يقول مستسلما:

- يبقى هابدأ أنا.

ظلت صامته تترقب في ارتياب، بينما زفر هو وشرد بنظره بعيدا عنها وبدأ يهرس بنبرة تمتلئ حيننا وظل ابتسامة على شفيتها:



- من أربعين سنة كنت أنا ومنصور أعز صحاب. كنا ساكنين في نفس العمارة في عابدين وبتروح المدرسة مع بعض وبتذاكر مع بعض وتلعب كورة في الشارع مع بعض. كنا ما بنمسيبش بعض، كنا صحاب.

ثم التفت إليها وهو يتساءل مبتسماً:

- بتقولوا عليا إيه؟ أنتم باين؟

فأومأت له مبتسمة قبل أن تعود إلى الاستفراق في بحر الذكريات الذي ألقاها فيه هاشم مستكملاً:

- كنا صحاب أنتم زي ما جيلكم بيقول. كبرنا ودخلنا الجامعة مع بعض. أنا دخلت حقوق ومنصور دخل تجارة بس ساكناش بيقتد في كليته أبدا. كان طول الوقت قاعد عندنا في مدرجات حقوق. عارفة ليه؟

ضاقت عينها مستفهمة وإن كانت قد شعرت بخل الإجابة يلوح أمامها فاستطرد هاشم وهو يقول وقد اتسعت ابتسامته:

- أكيد عارفة. منصور كان طول الوقت لاقق لي في كليتي عشان كان فيه بنت معايا في الدفعة البيه وقع في غرامها من ساعة ما شافها. البنت دي تبقى والدتك يا أستاذة. هتفت يارا غير مصدقة:

- ماما.

- أبوه. شريفة حسين. دفعتي وزميلي والبنت اللي أعز أصدقائي فضل أربع سنين الجامعة يحيا وبيجي يتعد في كليتنا عشانها. لدرجة إن الدكاترة والمعيدون بقوا عارفينه أكثر ما هم عارفين طلبة حقوق نفسهم.

ثم صمت هاشم قليلاً ليعود إلى حديثه وإن ظالت الابتسامه على شفثيه وهو يقول:

- وشريفة كمان الله يرحمها كانت بتحب منصور قوي. كان كل يوم ييجي ويعمل نفسه قاعد معايا وهو عمال يبص لها من تحت لتحت وهي كانت بتعمل نفسها مش واخدة بالها وهي أصلاً مركزة طول الوقت معاه. المهم. صعبوا عليا فقلت آخذ فيهم ثواب وعرفتهم على بعض ومن ساعتها بقوا طول الوقت مع بعض ونسيوا عمك هاشم خالص.

جاهدت يارا لترد على مزاحه بابتسامة وتتجاوز كل المشاعر المختلطة بداخلها والدموع التي تفرقت في مقلتيها، بينما استكمل هاشم قانلا وقد ازداد صوته حماسا كأنه يعكس أهم مشهد في فيلم شاهده:

- وفي يوم في سنة رابعة اتخانقت شريفة مع دكتور ظلمها في امتحان، وخرجت من عنده وقعدت تعيط لوحدها ورفضت إنها تتكلم مع أي حد ولا حتى منصور، لكن أبوكي طول عمره دماغه ناشفة، مريضيش يسببها وفضل يرخم عليها عشان تتحسن وتبطل عياط مافيش فايده، ولما زهقت منه زعقت في وشه وقالت له يا تقول حاجة عليها القيمة يا تمشي وتسببني في حالي. راح منصور خدها عند وقال لها طيب، عاوزه حاجة عليها القيمة؟ خدي دي، أنا باحبك يا شريفة وهاتجوزك أول ما نتخرج. طبعا شريفة اتغضت ووشها احمر وراحت واخدة حاجتها وقامت جريت وقعدت بعدها أسبوع مابتجيش الجامعة. راح أبوكي عند أكثر وفي آخر الأسبوع ده رجع جدك أبو شريفة يوم البيت من شغله وقال لها النهارده جالي واحد اسمه منصور عبد السلام زميلك في الجامعة طلب إيدك مني، تعرفيه ده يا شريفة؟ طبعا أمك تنحت، ماكانتش متخيلة إن منصور مجنون وعنيد كده، يا دوب عرفت تحرك رأسها عشان تفهم باباها إنها عارفاه. المهم عمي حسين الله يرحمه سأل عن منصور وقابل أهله وكل الحاجات دي وكلها شهر واتخطبوا رسمي، وأول ما اتخرجنا واشتغلنا أنا ومنصور في شركة استيراد وتصدير اتجوزوا على طول. روجي دوري في حاجات شريفة، لو كانت لسه شايلة قسيمة جوازهم هتلاقي اسمي في خانة الشاهد الأول. كنتي تعرفي إنتي الموضوع ده؟

بصعوبة شديدة هزت يارا رأسها نافية، كانت في حالة لا تسمح لها بالإجابة أو حتى فتح فمها، الذكريات الجميلة التي استغرق هاشم في سردها ببساطة كانت مطارق تهوي على رأسها. أول حجر قذفه هاشم ليحطم جزءا من تلك الصورة التي حاولت يارا مستميتة الحفاظ عليها، كيف يمكن لها أن تصدق أن هذا الرجل الذي أول شيء كرهته فيه هو إهماله لأمها وجرحه لمشاعرها، هذا الرجل كان يحب أمها بهذا الجنون؟ ظل أربع سنوات يحبها ويحرص على البقاء بجانبها ويقوم بأفعال طائشة ليعبر لها عن مشاعره ويحتفظ بها كزوجة مستقبلية له؟ ماذا حدث إذا بعد ذلك؟ أين ذهب كل هذا الحب؟ لماذا ترك والدتها وطلقها وانقطع عنها بتلك القسوة كأنه تزوجها زواجا



تقليديا ولم يقض أهم سنوات حياته يحيا كل هذا الحب الذي يملأ عيني هاشم بكل هذا الحماس على الرغم من مرور أكثر من ثلاثين عاما؟

لم يلتفت هاشم المستغرق في حماسه إلى التغير الذي طرأ عليها حيث استطرده مستكملا حكايته: - و هتعر في منين؟ دول لما اتطلقوا كان يا دوب عندك ثلاث سنين وأكيد شريفة ماحكيتلكيش أي حاجة. أنا عارقها طول عمرها كتومة. المهم، بعد جوازهم بسنتين يعني تقريبا أول ما إنتي اتولدتي ساب منصور شركة الاستيراد والتصدير وراح اشتغل في شركة سمسرة وأوراق مالية، هناك اتعرف على شفيق واتوطدت علاقته بيه وبدأت أنا أخرج من دائرة اهتمامات منصور واحدة واحدة لحد لما فجأة اكتشفت إن شفيق استحوذ عليه تماما، وإن أنا بقيت يا دوب صديق الطفولة والشباب بتاع الذكريات والقعدة الحلوة وبس.

كانت الابتسامة قد اختفت من على وجه هاشم، انطفاً حماسه واختفت لمعة عينيه وامتلاً وجهه بألم فشل في إخفائه:

- لما شفيق عرف إن منصور كان شغال في شركة استيراد وتصدير عرض عليه إنه يفتح شركة بتاعته لوحده، خصوصا وإنه كان بيبغامر في السوق بعمليات صغيرة وهو شغال في الشركة الأولانية والثانية وليه شوية خبرة في السوق ومحوش مبلغ كويس. عمك شفيق ذكي، فهم إن منصور طموح وعنيد وذكي عمليا واجتماعيا ويقدر ينحت الصخر ويعافر عشان يوصل للي هو عاوزه، فهم إن منصور عنده الأدوات اللي ناقصة عند شفيق واللي هو محتاجها عشان يحقق أحلامه وطموحاته عشان كده قرب منه وكسب ثقته واستحوذ عليه وأقنعه إنه يفتح الشركة وإن هو يبقى شريك فيها، حطه في وش المدفع وقعد هو ورا وحسبته كانت صح على فكرة بدليل إن الشركة دي بقت دلوقتي أكبر مجموعة في البلد بعد خمسة وعشرين سنة بس.

صمت هاشم قليلا ليضع ابتسامة مريرة على شفتيه وهو يقول في نبرة ساخرة:

- المهم إن زي ما الشركة دي كانت وش السعد عليه في الشغل كانت برضو شوم عليه، لأنه بعد ما أسسها بفترة قصيرة طلق شريفة وسابكم من غير ما يرجع لكم ثاني لحد دلوقتي.

صمت هاشم وقد بدا أنه أنهى حكايته ونظر إلى يارا منتظرا ردها، أخذت تفرك يديها الباردتين وقد فقدت كل سيطرتها على نفسها وعلى مشاعرها التي ارتفعت بداخلها مثلما ترتفع أمواج البحر وقت

العاصفة وتصطدم بمنتهى القسوة بصخور الشاطئ فتفتتها. اصطدمت مشاعرها المتناقضة بقلها المضطرب الذي لم يستطع أن يستوعب كل تلك الحقائق مرة واحدة. كل تلك الحقائق التي ظلت تجهلها طوال عمرها ظهرت فجأة لتفتح لها بابا لم تكن تعلمه وتكشف جانباً من شخصية منصور بك. جانباً صارت تخشى معرفته. ازدردت رقبها بصعوبة وقالت بصوت متحشرج ودمعتان تنزلقان من عينها دون إرادتها كأنها تتخيل بحسرة شكل حياتها لو لم يحدث كل ذلك:

- ليه؟ ليه طلق أمي؟

ضغط هاشم شففيه قبل أن يقول صادماً إياها:

- عشان شريفة هي اللي طلبت الطلاق.

اتسعت حدقتا يارا في دهشة. هذا آخر شيء يمكن أن تتوقعه. كانت تعتقد طوال عمرها أن منصور بك هو من اتخذ هذا القرار ونفذه دون أن يعود إليها أو حتى يكثر لمشاعرها. تساءلت مستنكرة والدموع لا تزال ترسم خطين على وجنتها:

- ماما هي اللي طلبت الطلاق، طب ليه؟ هما بطلوا يحبوا بعض؟

هز هاشم رأسه نافياً في أسف وهو يقول:

- بالعكس، كانوا بيعبوا بعض جداً، أنا متأكد إن شريفة فضلت تحب منصور لحد لما ماتت وإن منصور لسه بيعب شريفة لحد دلوقتي.

قاطعته يارا وهي تهتف في حدة وقد أحست أنها ستجن من كلامه المناقض للواقع الذي تعيش فيه:

- نعم! بيعبها! إزاي؟! لو كان بيعبها كان جه دفنها وأخذ عزاها ووقف جنبي يوم ما لقيت نفسي فجأة لوحدي في الدنيا، مش بيعت لي شقيق ويجري هو يعمل بيزنس في أوروبا.

انطلق هاشم مدافعاً عن صديق عمره الذي رغم كل شيء لا يزال يحتل مكاناً متميزاً بداخله:

- أبوكي ماسافرش أوروبا يعمل بيزنس يا يارا، أبوكي أول ما عرف إن شريفة ماتت من غير ما يشوفها لآخر مرة أو يعتذر لها هرب من مصر كلها على أوروبا، والكلام شهر اللي قعدهم هناك كان بيتعالج من الاكتئاب في مصحة نفسية.

تراجعت بجذعها إلى الخلف وقد ألجمت الصدمة لسانها، منصور بك أصيب باكتئاب عندما ماتت أمها لأنه كان لا يزال يحبها؟ كيف يمكن أن تستوعب هذا الكلام الغريب، كيف يمكن أن تنزع



الاعتقاد القديم الذي يؤكد قسوة هذا الأب وإهماله لأملها وتضع اعتقاداً جديداً يناقض هذا القديم بل ويناقض حقائق كثيرة لا تزال غامضة في حياتها. أشفق هاشم على منظرها وعلى دموعها التي لم تتوقف فعاد إلى نبرته الحانية وهو يقول مبتسماً:

- أبوكي مش وحش يا يارا زي ما إنتي فاكرة، وشريفة لما طلبت الطلاق ماكانتش كرهته إنما هي عملت كده عشان هي ماكانتش متطمنة لشفيق وكانت حاسة إن شغلهم فيه حاجات كتير غلط، وأمك كانت بتكره الغلط ورفضت إن إنتي تتربي من فلوس فيها شهة حرام. ساعتها أبوكي اتعرض لصراع نفسي سخيف، كأن شريفة وشفيق بيتخانقوا جواه وللأسف شفيق هو اللي كسب في الآخر ومنصور طلق شريفة والتفت لشغله وبس، وجوازته الثانية دي كانت مصلحة أو منظر اجتماعي مش حب خالص.

تساءلت يارا في ارتياب وقلها يدق بعنف:

- حاجة غلط زي إيه؟ وحرام إزاي يعني؟

أخرج هاشم زفرة ساخرة من أنفه قبل أن يقول مبتسماً في مرارة:

- تصدقيني لو قلت لك إنني مش عارف، أنا كمان طول عمري وأنا عندي نفس الإحساس اللي كان عند شريفة، حاسس إن فيه حاجة غلط ومرببة بتحصل في المجموعة ماحدث يعرفها غير منصور وشفيق. بيتبها لي إنك خدتي بالك وقت الحفلة والجولة، دي مش أول مرة تحصل حاجات زي كده مع ناس زي الناس اللي كانوا في الوفد ده، طول عمري باحس إن فيه حاجات غريبة بتحصل في الخفاء وأظن إن إنتي وصلتي لنفس الاستنتاج بدليل نوع الملفات اللي إنتي خلتي رأفت يخرجها لك برا المجموعة.

أومأت يارا برأسها موافقة وهي تمسح دموعها، ثم التفتت نحوه وهي تتساءل مستنكرة:

- طب ليه يا أستاذ هاشم، ليه على الرغم من إنك حاسس إن فيه حاجات غريبة بتحصل من وراك وإن منصور بيه مابقاش يعتبرك صديق مقرب زي زمان وحط شفيق مكانك في حياته، ليه إنت لسه بتشتغل معاه وقريب منه؟

ابتسم هاشم في مرارة وقد ازداد الألم على ملامح وجهه وهو يقول:

- لأن منصور ماكانش مجرد صديق ليا، ده كان أخويا، وبما إني أكبر منه بست شهر وكنت إلى حد ما أعقل وأرزن منه، اعتبرته أخويا الصغير اللي لازم أستحمله وأخاف عليه وأفضل جنبه مهما عمل معايا ومهما حط ناس مكاني في حياته. وعلى فكرة منصور كان ضميره بيأنبه بسبب بعده عني وحاول بكل الطرق إنه يعوضني بدليل إنه أصر إن مكتبي يبقى قريب جدا من مكتبه، أقرب من مكتب أي عضو مجلس إدارة تاني. كل ده كان بيزود إحساس المسؤولية جوايا. وقضلت جنبه عشان أحبيه من نفسه ومن الحاجة الغربية اللي أنا ماعرفهاش واللي ممكن تنذيه وعشان وقت اللزوم أساعده.

ثم عاد إلى الخلف واستند على المقعد وهو يقول مشيرا نحوها:

- وأهو وقت اللزوم جه أهو.

ابتسمت، ابتسامة صادقة وهي ترى أن ظننا في هاشم كان صحيحا، هذا الرجل نبيل وعظيم جدا، أعظم مما تخيلت. هل كان منصور بك مثله أو حتى يشبهه؟ ولدهشتنا أحست بجانب في قلبنا، قطعة واحدة صغيرة من قلبنا تمنى لو أن منصور بك مثل هذا الرجل حتى لو تهشمت الصورة التي في مخيلتنا تماما وأصبحت رمادا تدهسه بأقدامها. قاطع هاشم تفكيرها قائلا والابتسامة لا تزال على شفقيه:

- أنا خلصت حكايي، مش ناوية تحكي لي إنتي بقى؟

مسحت يارا آخر دعة سقطت من مقلتها، واسترجعت جزءا من تماسكها وهي تقص على هاشم كل شيء حدث لها، منذ اليوم الذي استلمت فيه الصندوق حتى الآن، وهاشم يستمع في اهتمام شديد ووجهه لا يخلو من دهشة تزداد أو تقل تبعا للجزء الذي تحكيه يارا. وعندما انتهت يارا ظلت ترقب في ربة وجه هاشم الذي شرد قليلا قبل أن يقول محاولا ترتيب أفكاره:

- يعني ربما انتحرت بعد ما بعثت لك الصندوق ده، وال iPad اللي في الصندوق كان فيه أسامي وأرقام حسابات الناس اللي أنا طول عمري حاسس إن فيه حاجة غريبة في الشغل اللي بيننا وبينهم.

- حاجة غريبة ولا حاجة غلط؟

التفت هاشم نحوها متفاجئا من هذا السؤال الصريح لكنه سرعان ما تمالك أعصابه وقال وهو بهز رأسه مستسلما:

- ماقدرش أجزم بحاجة لأنى ماعنديش دليل، ده مجرد إحساس وشكوك، كل اللي أقدر أقوله لك هو إنك ماشية في الطريق الصح.

زفرت يارا قبل أن تقول في ضيق:

- أيوه بس الطريق ده خلاص اتسد. الملفات مافياش أي حاجة زيادة عن اللي أنا لسه قايله، وحضرتك ماتعرفش أي حاجة زيادة، يعني أنا رجعت ثاني لنقطة البداية، ليه ربما كان عندها أسامي الناس دول وأرقام حساباتهم وإزاي جابت المعلومات دي؟ وهل فيه علاقة بين وجود معلومات عنهم على ipad ربما وبين شغلهم مع منصور بيه؟! والأهم ليه ربما انتحرت بعد ما بعثت لي الحاجة؟! وليه أصلا بعثت لي أنا بالذات الصندوق ده؟

طفرت دموع أخرى في عينيها، دموع الحيرة التي استطاعت تلك المرة أن تكبتها، وإن لم تستطع أن تخفي ألمها عن هاشم الذي أشفق عليها بشدة فاقترب وأمسك بيدها، وهو يقول في نبرته الأبوية الحانية التي تحبها وتضعف أمامها:

- يارا يا بنتي، الصندوق ده حكمته مش جواه، حكمته في الأحداث اللي حصلت لك حواليه وبسببه، ماتتعبيش دماغك بأسئلة لو ليكي نصيب تعرفي إجابتها متعرفيها مهما حصل. لو فيه طريق تسعي فيه اسعي من غير تفكير بس لو الطريق اتسد ماتحيريش نفسك وتعذي روحك، وخليكي واثقة إن ربنا هيعمل لك اللي فيه الخير. ويمكن تكون ربما بصندوقها ده هي السبب في إن حاجات كويسة تحصل لك يمكن حتى أحسن من إنك تفهمي سر الصندوق نفسه زي إنك تدخل في المجموعة وترأسها وإنك تتعرفي أكثر على أبوكي وأختك الله برحمها وتقربني منهم ومن حياتهم اللي عيشتي طول عمرك بعيدة عنها.

ولم يكن هاشم يعلم أن ما يتحدث عنه هكذا بكل بساطة هو أكثر ما يخيف يارا ويثير اضطرابها.



(٤٩)

عندما دخلت غرفة المكتب لم يكن رأفت موجودا، لم تجد أمامها سوى يحيى جالسا على الأريكة تحت النافذة العريضة بجانب مائدة الاجتماعات. ما إن رآها حتى انتفض واقفا والقلق يملأ ملامحه وعينيه اللتين تعلقتا بها في لهفة. اقتربت منه في خطوات متبكة وهي تجتهد لتضع ابتسامته صفراء على وجهها الشاحب من أثر البكاء قبل أن تلقي بنفسها على المقعد وتلقي برأسها إلى الخلف محاولة استعادة قوتها وقدرتها على مواصلة الركض في تلك الحلبة التي انقطع نفسها من القذو فيها.

عاد يحيى ليجلس بجانبها وهو يتف في جزع:

- شكلك معيطة؟ إيه اللي حصل؟

زفرت ثم التفتت نحوه متسائلة:

- فاكريا يحيى أول مرة جيت لكم البيت؟

و على الرغم من القلق والضغط النفسي الذي كان يشعر به لكنه ابتسم عندما تذكر هذا اليوم المحبب إلى قلبه وهو يقول:

- أيوه طبعا فاكرا.

- فاكرا ساعتها لما واجهتني بحقيقة إني ماجريتش أفتح ال iPad عشان كنت خايقة أعرف حاجة تهد الصورة اللي في خيالي؟

أوما برأسه وهو يحاول اكتشاف ما ترمي إليه يارا التي زفرت قبل أن تقول في نبرة بطيئة وهي شاردة:

- أهو هاشم عمل عليها أكبر حملة عرفني فيها حاجات كثيرة كنت خايقة أعرفها، وماقدرتش لا أعترض ولا أهرب.

نظر يحيى نحوها مستنكرا وقد استغلق عليه فهم أي شيء. ابتسمت يارا ومضت تعكي له كل ما حدث مع هاشم في صوت لم تحاول إخفاء ضعفه وإرهاقه، وعندما انتهت نظر نحوها يحيى مفكرا قبل أن يتساءل في خبث:



- وإنتي بقى متضايقه عشان السكة اتسدت في وشنا ورجعنا لنقطة البداية في موضوع الصندوق  
بتاع ربما؟

زمت شفيتها قبل أن تقول:

- هي دي فعلا مشكلة، بس مش هوده اللي مضايقتي دلوقتي.

- أمال إيه اللي مضايقتك؟ إنك عرفتي؟

أومات مستسلمة قبل أن تقول في صراحة لم تتوفرحتى بينها وبين نفسها:

- أيوه، اللي كنت خايفة منه حصل. لما عرفت أكثر، كل حاجة جوايا اتلخبطت، مابقيتش فاهمة  
المقروض أحب مين وأكره مين، كل الأسس اللي كنت بانية عليها حياتي بتقع وكل المفاهيم والحقائق  
المسلم بها بقى فجأة مشكوك فيها، إزاي عاوزني بسهولة كده أصدق إن الراجل ده كان بيعحب  
ماما وليسه بيعحبها لحد دلوقتي، وإنه فضل يحبها كل فترة الجامعة وعمل حاجات مجتونة عشان  
يتجوزها، إزاي بس يا يحيى!؟

ضغط يحيى شفيتها مكررا، كلامها منطقي جدا، من الصعب إقناعها بشيء ظلت طوال عمرها  
مقتنعة بعكسه؟ ابتسم وهو يقول متجاهلا الجو المشحون المحيط بهما:

- بس عارفة، أنا نفسي مش مصدق، أنا أعرف منصور بيه من زمان لأنه كان صاحب بابا الله  
برحمه، عمري ما كنت أنخيل إنه كان شخصية مجتونة كده في شبابه وإنه ممكن يكون بيعحب  
واحدة بالقوة دي، طول عمري فاكر إنه بيعامل مراته سيرين هانم بتقليدية وحيادية لأن هو  
شخصيته كده، حازمة وصارمة وتقليدية حتى مع مراته، ماكنتش أعرف إنه بيععمل كده لأنه  
مابيعهاش وقلبه مع واحدة تانية سايبها من أكثر من خمسة وعشرين سنة.

ابتسمت يارا في مرارة قبل أن تقول في سخرية:

- إيه جو الأفلام ده؟

ضحك يحيى من تعليقها الذي بدا إلى حد ما حقيقيا، ولكنه سرعان ما كف عن الضحك عندما  
انفتح الباب ودخل شفيق الذي نظر نحو يحيى في ارتياح لكته تمالك أعصابه وقال محاولا  
الابتسام:

- أهلا يا أستاذ يحيى.

- أهلا يا أستاذ شفيق.

ثم التفت نحو يارا وقال في نبرة ذات مغزى كأنه يوجهها إلى يحيى:

- أنا كنت فاكرك قاعدة لوحذك، عشان فيه شغل مهم كنت عاوز أخلصه معاك. بس خلمها وقت تاني بقى.

فأسرع يحيى ناهضا وهو يقول:

- لا لا يا أستاذ شفيق مافيش داعي. أنا كنت هامشي دلوقتي.

ثم التفت نحو يارا وأشار لها قائلا:

- ابقى كلميني. سلام.

خرج يحيى من الغرفة، بينما تهضت يارا واتجهت في خطى متناقلة نحو المكتب وألقت بنفسها على المقعد وهي تقول في نبرة متضجرة وصوت هاشم لا يزال يرن في أذنها، " كأن شريفة وشفيق بيتخانقوا جواه وللأسف شفيق هو اللي كسب في الآخر.":

- خير يا أستاذ شفيق؟ شغل إيه ده؟

جلس شفيق على المقعد أمام مكتبها وهو يقول:

- هو فيه غيره؟ مشروع الشريفة.

انتابها رعشة وقد تذكرت والدتها ومنصور بك الذي اختار هذا الاسم بنفسه، لكنها تماكنت نفسها وتساءلت في ضيق:

- ماله؟

زفرو هو يقول متصنعا الضيق:

- واضح كده إننا مش هنعرف نتفق على أي قرض مع أي بنك بعد المفاوضات العقيمة اللي عملناها معاهم.

زمت يارا شفقتها قبل أن تقول في غيظ:

- ما هو لو حضرتك كنت تساهلت معاهم شوية كان زماننا واخدين القروض وبدأنا نكمل المشروع.

إنما حضرتك كنت بتعترض على أي شرط مهما كان منطقي وواقعي، أي بنك في الدنيا يتمنى إنه

يتعامل مع مجموعتنا ومع ذلك مثل عارفين ناخذ أي قرض لحد دلوقتي، كأننا شوية عيال لسه متخرجين وبنبدأ مشروع من الصفر.

رفع شفيق يده مقاطعا إياها وهو يقول في حسم:

- باقولك إيه يا يارا، من الآخر كده وضع مجموعتنا دلوقتي لا يسمح إننا ناخذ قروض ونزود ديوننا، ده ممكن يعمل لنا مشاكل مع المساهمين ومجلس الإدارة ومشاكل مالية ماحناش قدها.

هتفت يارا في عصبية مكتومة دون أن تكون مقتنعة تماما بما قاله:

- يعني عاوزني أعمل إيه؟ ألغي المشروع؟

هتف شفيق في ذعر:

- الأ طبعاً، مشروع زي ده لو اتلغى يبقى خراب بيوت، إنتي عارفة إحنا صارفين عليه كام لحد دلوقتي وعلينا فيه التزامات قد إيه؟

فرزفرت يارا قبل أن تقول في استسلام وقد بدأ صبرها ينفد:

- طب عاوزني أعمل إيه يا أستاذ شفيق؟

صمت شفيق قليلا وبدا كأنه يستعد للخوض في حديث خطير ثم قال في حزم:

- مافيش غير حل واحد، إننا نمول المشروع ده من حساب منصور بيه الشخصي.

نظرت يارا نحوه وعقدت حاجبها مستنكرة دون أن يبدو أنها استوعبت شيئا مما قاله، بينما تساءل شفيق متظاهرا بالدهشة:

- إيه يا يارا مالك استغريتي كده ليه؟

تململت قليلا وحاولت أن تتجاوز اندهاشها من هذا الاقتراح الغريب، ومن أن شفيق قد تجرأ وتطرق في تفكيره إلى الحساب الشخصي لمنصور بك مما يؤكد كل كلمة قالها هاشم عن استحوازه عليه، قالت متظاهرة بأن هذا هو كل ما يشغلها:

- لا مش مستغربة، بس، الوصية تسمح لي بالتصرف في أعمال المجموعة بس، إنما أي ممتلكات أو حسابات شخصية أنا ماليش حق في التصرف فيها.

- أه بس ده في حالة الحسابات الموجودة جوا مصر مش الحسابات اللي برا مصر.

اتسعت حدقتها في دهشة من هذا الكلام الأغريب، ثم تساءلت في ارتياب:



- مش فاهمة.

أخذ شفيق شهبقا ومضى يشرح مستفيضاً:

- منصور بيه عنده حساب في بنك Lombard Odier في جنيف في سويسرا ماحدث ليه الحق إنه يسحب منه في حالة عدم قدرة منصور بيه غير الورثة الشرعيين، يعني ربما الله برحمها ومصطفى بيه اللي لسه في كندا وحضرتك.

تجمدت ملامحها وقد عجزت عن استيعاب كل تلك الصدمات مرة واحدة، ظل شفيق ناظراً نحوها منتظراً منها إجابة تريعه، تعاملت على نفسها وقالت حتى لا يلاحظ شفيق توترها وصدمتها:

- أيوه بس أكيد سحب الفلوس وتحويلها هيحتاج إجراءات، وأكد الحساب ده موجود ضمن تركة منصور بيه حتى لو كان برا مصر.

قال شفيق وهو يعرف أنه يلقي بأخر قبيلة لديه:

- لأ، الحساب مش ضمن تركة منصور بيه لأنه حساب سري.

أحست أن قلبها يدق بعنف وأن مخها قد توقف تماماً عن الاستيعاب أو العمل، ظلت الكلمات ترن في أذنها كصوت السياط الذي يطرقعه المكاري في الهواء "حساب سري"، "مش ضمن التركة"، لم تلتفت جيداً إلى شفيق الذي أنهى الحديث قائلاً في آنية:

- وبالنسبة للإجراءات، ماتخافيش، أنا هاعرف أظبط إن الفلوس تدخل مصر كأنها فلوس تعاملات بيلنا وبين عملاءنا في سويسرا وفي أوروبا وإنها متحولة على حسابات المجموعة بشكل طبيعي. المهم اعلمي حسابك إن خلال أسبوعين بالكثير هتسافري سويسرا تجيبي الفلوس عشان نلحق نكمل المشروع. أنا هاخلص لك إجراءات السفر كلها ماتقلقيش.

ثم نهض وأخرج ورقة من جيبه وضعها أمامها وهو يقول في بساطة:

- لو لسه مش مصدقة دي تفاصيل الحساب، وجهزي نفسك للسفر بسرعة.

صمت وتأملها وهي لا تزال في نفس حالة الجمود والاندھاش، تساءل في شك:

- ماشي يا يارا؟

أومات برأسها دون أن تنطق بكلمة بينما اعتبر شفيق ذلك رداً كافياً فالتفت وخرج من الغرفة تاركاً إيائها في حالة يرثى لها، بصعوبة شديدة بدأت تفيق من صدمتها وقد بدا أن كل الأفكار في مخها قد



تشوشت وهي تحاول جاهدة السيطرة عليه وعلى نفسها، وقد مضى عقلها يعمل بسرعة خارقة يحاول ربط أي شيء من كل الخيوط المبتورة أمام عينها، هل يمكن أن يكون هناك علاقة بين صندوق ربما وبين...؟ لا لا! لا يمكن! ثم عادت واستنكرت رفضها لوجود تلك العلاقة، لم لا، أليس هذا هو ما توقعته منذ البداية. أمسكت برأسها تحاول السيطرة عليها وتحاول تهدئة نفسها لتستوعب كل المفاجآت التي وجدت نفسها فجأة غارقة فيها، نظرت إلى الورقة التي وضعها شفيق أمامها، بيد مرتعشة فتحتها ومررت بعينها سرعاً على الكلام دون أن تعي معناه، ثم بدأت الحروف والأرقام تتضح شيئاً فشيئاً، أول ما صدمها كان المبلغ الموجود في الحساب، ٥٢٤ مليون دولار، هذا يعني أن هذا المبلغ بالعملة المصرية يعادل كل ثروة منصور بك ونصيبه في المجموعة، منصور بك لديه ما يعادل ثروته في حساب سري في سويسرا، كيف وماذا؟ لم تستطع أن تجد وقتاً للإجابة على تلك الأسئلة فقد انتابها صدمة أخرى أشد من الأولى جعلتها تمد يدها مسرعة وهي تحاول السيطرة على أنفاسها اللاهثة وتخرج المفكرة الكحلية من حقيبتها، بيد مرتعشة ومتوترة فتحت الصفحة الأولى وقارنت بنظرات زالفة الأرقام الموجودة في المفكرة بالأرقام الموجودة على الورقة، سقطت المفكرة من يدها وأحسست أن قلبها سيتوقف وأن عقلها قد أصابه شلل تام عندما تأكدت أن رقم حساب منصور بك السري في سويسرا هو الرقم الذي سجلته ربما في المفكرة التي أرسلتها في صندوقها الأسود.

(٥٠)

كانت يارا جالسة على المقعد الخشبي الطويل وهي تستند بمرفقها على اللوح الرخامي الذي يفصل الصالة عن المطبخ في شقة داليا، التي كانت منهمة في تحضير الطعام وبدت وكأنها غير مستمعة بالمرة لكل ما استغرقت يارا في سرده منذ ما يقرب الساعة، حتى صاحت يارا حانقة من عدم اكرثائها:

- أنا بقى لي ساعة يا حكي وإنتي ولا إنتي هنا، طب حسسيني إنك سامعاني.

أجابها داليا دون أن تنظر نحوها أو تتوقف عن تقليب الملوخية: -

- ما أنا سامعكي. مش لازم يعني أسيب اللي في أيدي وأبطلق فيكي عشان أبقى سامعكي.

- ما إنتي ما بتدريش عليا خالص.

تركت داليا الملعقة الخشبية وأمسكت بالسكين وثمرة بطاطس انهيمكت في تقشيرها وهي تقول:

- أرد عليكي أقول إيه؟ أنا بصراحة شايفة إنك مكبرة الموضوع على القاضي.

هتفت يارا في دهشة:

- أنا مكبرة الموضوع على القاضي؟! طب بلاش كل اللي هاشم قاله لي، الحساب اللي في سويسرا ده مش حاجة غريبة؟!

فرفعت داليا كتفها في عدم اكرثات وهي تقول دون أن تحول عينها عما بين يديها:

- لا مش حاجة غريبة، بالعكس دي حاجة طبيعية جدا، إذا كنتي إنتي بنفسك اللي توقعتي زمان إن رقم الحساب ده ممكن يكون بتاع منصور بيه، ويعدين لو منصور أبو بلاط ماعندهوش حساب في سويسرا. مين اللي هيبقى عنده؟ جوزي الكحيان اللي جدته كانت بتبيع جينة قريش في حواري القلعة؟

توقفت يارا عن شرب الشاي وأبتلعت ما في فمها بسرعة حتى لا تلفظه من بين شفرتها الضاحكتين قبل أن تقول مستنكرة:

- يخرب بيتك يا دوللي. يعني بيتي كويس قوي لو محمد سمعك؟

- ما يسمع، لعلمك بقى أنا باقول له الكلام ده في وشه.

فتساءلت يارا مندهشة:

- وبسكت لك؟

فمطنت داليا شفتها وهي تقول:

- لأ.. هو ده بسكت؟ بيقول لي الله برحم جدك الباشا اللي كان بيسرح بعربية البليلة في السيدة.

ارتفع صوت يارا ضاحكة بشدة وهي تهتف في نبرة متقطعة محاولة التوقف عن الضحك:

- بجد، ما جمع إلا أما وفق، هو ده بيبقى جد ولا هزار؟

قابنست داليا وهي تقول:

- لا هزار طبعاً، لومش هزار كان زمانه طلقني من بدري.

ابتنست يارا ثم انكشمت ابتسامتها مرة أخرى وقد شردت للحظات وهي تلمح بأصبعها على حافة

الكوب الذي بين يديها قبل أن تقول وقد انتاب صوتها مسحة من الحزن:

- تفتكري ليه ربما كتبت رقم حساب منصور بيه لوحده في النوتة؟ عشان مالحقش تكتبه على

الipad ولا كان صعب عليها إنها تحط اسم باباها مع أسامي الناس دول؟

فتساءلت داليا مستنكرة:

- ليه يعني؟ مالهم الناس دول؟ إنتي مش بتقولي إنهم أحسن وأغنى ناس في العالم، ده كفاية اسمه

إيه ده أليكس روبينسون اللي جه الحفلة؟

فقالته يارا في ضيق:

- أبوه، بس الناس دول هما برضو اللي هاشم شاكك في الشغل اللي بيننا وبينهم من زمان.

فهتفت داليا في تضجر:

- يادي هاشم، هو أنا كل ما أقول لك حاجة تقولي لي هاشم؟

فقالته يارا في غيظ من تضجر داليا وعدم اكتراثها:

- هو إنتي ليه يا داليا مش حاسة بخطورة اللي أنا باقوله؟

ألقت داليا ما بين يديها في عصبية واقتربت من يارا واستندت على الناحية الأخرى من اللوح

الرخامي وقالت في جدية:

- باقول لك إيه، كل الكلام اللي إنتي عمالة تحكي فيه ده مايدخلش ذمتي ببصلة، شوية الموظفين

اللي إنتي لاماهم حواليكي وعاملالي بيهم فيلم ocean's eleven ده فضهم بقى وركزي في مصلحتك.



عقدت يارا حاجبها وهي تتساءل في حيرة:

- مصلحتي إزاي يعني؟

فهمتت داليا في نقاد صبر:

- مصلحتك يا هيلة يعني الغلبان ده اللي إنتي مجرجاه وراكي في كل حنة ومغلباه ومش عاوزه تخلصي بقى.

لاحت ابتهامة خجلى على وجه يارا فجاهدت لتخفيها وهي تقول متظاهرة بعدم الفهم:

- هو مين ده؟

ومقتها داليا في خبث وهي تقول:

- أبوه اعملي نفسك عبيطة بقى. يحيى، اللي إنتي مطلعة عينه في حكاياتك الفارغة دي، ومش مكفيكي كل ده؟ لا وكمان لسه بتعرفي لي اسمه إيه الزفت ده بعد كل اللي عمله زمان. هتفت يارا في دهشة:

- مين؟ كريم؟ لا يا داليا كريم مالوش أي وجود حقيقي في حياتي دلوقتي.

- أمال ليه لسه بتعرفيه؟

فمطت يارا شفيتها وهي تقول في قلة الاكتراث:

- مجرد معرفة قديمة، ومش أنا اللي مصممة عليها على فكرة. ده هو اللي مركز معايا.

- طب ويحيى؟

عادت الابتهامة تلوح على شفيتها وهي تقول متخابثة:

- ماله؟

- مجرجاه وراكي ومطلعة عينه وهو مستحملك. طب وأخترتها؟ هتسيبيه متعلق كده؟

أخفضت يارا عينها وهي تقول متشككة في حزن:

- ومين اللي قال لك إنه متعلق؟ مش يمكن...

قاطعتها داليا قائلة في حدة:

- ماقيش يمكن. يحيى بيعبك. بدمتك في راجل ممكن يستحمل بلاوي من واحدة زي بلاويكي دي إلا لو كان بيعها؟



ابتسمت يارا وهزت رأسها نافية في خجل بينما استطردت داليا قائلة:  
- وإنني كمان بتعبيه.

رفعت يارا رأسها في دهشة وهمت بالاعتراض بينما قاطعتها داليا قائلة:  
- أبوه بتعبيه. بس خايفة. وأنا بقى عاوزه أقول لك حاجة مهمة تحطها في دماغك. يحى غير  
كريم. وخدي بالك لو لقيتي حد بيعبك ومستحملك وشايل همك بالطريقة دي وضيعته تبقى  
غبية.

فوخزتها يارا في ذراعها وهي تقول ضاحكة:  
- خليكي محترمة ولي لسانك.

فعدت داليا تلتقط البطاطس وتستكمل تقشيرها وهي تقول ضاحكة:  
- والله لما أبقي مش محترمة أحسن ما أبقي غبية.

ابتسمت يارا والتقطت قطعة كعك قضمتها قبل أن تقول وفمها يمتلئ بها:  
- حلوة الكيكة دي. ابقى اديني طريقها.

- يعني هتعملها لمن؟ لما تبقي تنجوزي أبقي أديها لك تعملها للمحروس.  
قفزت يارا من فوق المقعد وقالت وهي تلتقط حقيبتها وتضعها على كتفها:  
- باقولك إيه، إنني فايقة ورايقة وأنا مش فاضية لك. أنا ماشية.

قالت داليا وهي تتصنع عدم الاكتراث:

- أحسن. يلا اتكلي من هنا. أنا اللي مش فاضية لك أنا ورايا طيبخ أسبوع وعيال جاين من  
المدرسة.

ابتسمت يارا وقالت وهي تتجه نحو باب الشقة:  
- ابقى كلميني.

نظرت داليا نحوها وقالت في حزم:

- أنا مش هاكلم حد. إنني اللي هتكلمني المرة اللي جاية وأحسن لك تبقى ساعتها عارفة معاد  
الفرح.

فتحت يارا باب الشقة وهي تهتف في دهشة:

- فرح مرة واحدة كده؟

أشارت داليا نحوها بالسكين وهي تقول في حزم:

- ده أحسن لك.

ضحكت يارا وأطلقت نحوها قبلة في الهواء وقالت وهي تخرج وتغلق الباب خلفها:

- سلام يا أم العيال.

هبطت الدرج قفزاً في سعادة. استطاعت داليا بحديثها عن يحيى أن تجعلها تلقي جانباً كل همومها وحيرتها ولا تفكر في شيء سوى في هذا الذي أصبحت الآن متأكدة من أنها لم تعرف شيئاً عن الحب قبله. وكأنها كانت تنتظر داليا لتأتي وتؤكد لها أن يحيى يحبها وأنها تحبه. كأنها كانت لا تعلم هذا، كأنها تفاجأت الآن فقط بكل المشاعر التي بداخلها فأسرعَت تستغلها وتفرح بها، قادت سيارتها وهي غارقة في أحلامها وقد ارتسمت ابتسامة حاملة على شفيتها انشغلت بها عن صوت المذيع في الراديو حتى طغى عليه صوت محمد منير:

- جالتني بريدك يا ولد عمي... تعا دوج العسل سايل على قمي... على مهلك علي ما باحمل الضمي...  
على مهلك علي ده أنا حيلة أبوي وأمي.

وجدت نفسها تهمز ككتفها متراقصة مع صوت التصفيق المصاحب للنفحات النوبية، ومضت تغني مع الكلمات التي لا تفهم بعض معانيها ولا تحفظها جيداً مدفوعة بتلك السعادة التي تشعر بها وكأن الدنيا كلها تحولت إلى حفل لمحمد منير تتراقص فيه الأشياء قبل الأشخاص.

أغلقت الراديو عندما وصلت أمام باب منزلها وإن استمرغناؤها بصوت خفيض وهي تلملم أشياءها وتستعد للهبوط. رن جرس هاتفها فتوقفت عن الغناء. لم تهتم بتأمل النمرة التي ظهرت والتي يبدو أنها لا تعرفها ففتحت الخط وأسندت التليفون على أذنها بكتفها ويداها تستكملان ترتيب حاجياتها. سمعت صوت رجل غريب يهتف في هدوء واتزان:

- أستاذة يارا أبو بلاط؟

- أيوه أنا. مين معايا؟

- لا حضرتك ماتعرفينيش ومش مهم تعرفيني. المهم إنك تفهمي الكلام اللي هاقوله دلوقتي كويس قوي.

توقفت يداها عن الترتيب ومدت يمانها وألصقت التليفون جيدا بأذنها وهي تهتف في ارتياح:  
- مين بيتكلم؟

ظل الصوت هادئا وإن ازداد صرامة وهو يقول:

- قلت لك إنني ماتعرفينيش واسمعيني كويس لو سمحتي. اللي إنني بتدوري عليه أحسن لك تنسيه خالص، الملفات رجعتها تاني يهدوء جوا المجموعة وكأنها ماطلعتش من مكانها، والحاجات اللي ربما بعثتها لك أحسن لك تتخلصي منها في أقرب فرصة وتنسها تماما. بالعربي كده انسي كل اللي حصل لك من يوم ما وصل لك الطرد لحد دلوقتي وكأنه ماحصلش في حياتك. ماتستهونيش بكلامي وتطلعي غبية زي أختك. أدكي شفتي الأسامي اللي في اللسته وعارفة كويس هما ممكن يعملوا إيه. وقبل ده كله أدكي شفتي إيه اللي حصل لربما لما استهونت بينا وبكلامنا وعملت اللي في دماغها. كانت آخرتها إننا رمينانها من فوق سطح عمارتها زي شوال الفخم. فكري كويس في كلامي واعرفي إننا سهل جدا نوصل لك ونخلص معاك بس إحنا برضو لسه عاملين خاطر لمنصور بيه ومش عاوزين تبقى آخرته معانا إننا نخلص له على بناته الاتنين.

أغلق الرجل الخط دون أن ينتظر منها إجابة. ظلت للحظات غير قادرة على استيعاب ما حدث، لم تستطع حتى أن ترفع الهاتف من على أذنها كأن مغها قد توقف تماما عن العمل، بصعوبة شديدة حركت يدها وألقت الهاتف بجانبها قبل أن تعود بها مرة أخرى لتمسك بثمره جوز الهند الذهبية المتدللية تحت عنقها. بدأ عقلها يستوعب قليلا ما حدث. لقد تلقت للتو تهديدا صريحا بالقتل من شخص لا تعرفه بعد أن أعاد على مسامعها كل ما حدث لها في الأيام الماضية كأنه كان يتابعها خطوة بخطوة.

ولكن بدلا من أن تنجرف خلف إحساسها بالخوف والرعب كما يجب أن يحدث لها وجدت دموعها تنساب بغزارة وقد اشتد ضغط يدها على الثمرة الذهبية مثلما تشعر هي بوجود يد تعتصر الآن قلبها وتقرس أظافرها في لحمه بلا رحمة. كأن كل القهر والحسرة والندم والألم قد تجمعوا بداخلها بعدما أدركت شيئا جعلها تكره نفسها قبل أن تكره أي شيء أو أي شخص آخر في الدنيا؛ ربما لم تنتحر، ربما قتلت، ويبدو أنها قتلت لأنها كانت تحاول أن تكون إنسانة جيدة لا تخشى تهديدا يدعوها للتخلف عن عمل شيء صالح كانت مؤمنة به.



عندما فتحت أم حمدي باب الشقة أخفت دهشتها خلف ابتسامة طيبة وهي تهتف في سعادة:

- أنسة يارا؟ أهلا وسهلا. اتفضلي.

خطلت يارا داخل الشقة في تردد، خطوات ثقيلة سنكية وعينان مرهقتان من كثرة الدموع التي ذرفتها والدموع التي قاومتها ووجه سكن في كل ملمح من ملامحه إحساس عميق بالذنب وكأنها محملة بكل أوزار الدنيا، حاولت أن تنماسك وهي تهتف في صوت ضعيف ومبحوح:

- طنط عايدة موجودة يا أم حمدي؟

أجابت وهي تحاول إخفاء ارتياحها من مظهر يارا:

- أيوه. اتفضلي استريحي وأنا هابلغها إنك هنا.

اخذت أم حمدي داخل المنزل بينما ألقت يارا بنفسها على الأريكة المواجهة للرواق الداخلي، زفرت محاولة التخلص من بعض من تلك المشاعر المحتدمة بداخلها كأنها صخور تعتك ببعضها البعض في عنف لتخلف شرارات من نيران تلذعها. منذ أن سمعت هذا الصوت الغشن الأجوف وهو يلقي بتهديداته في أذنها ويصدمها بما حاولت هي دوما تجنب معرفته حتى توقف عقلها عن العمل تماما حتى أنها لا تتذكر كيف ولم اتخذت قرار المجيء إلى هنا ولا كيف قادت سيارتها دون أن تصطدم بأي شيء، لا تتذكر حتى شكل الطرقات التي سارت فيها، كأن تلك الدقائق التي استهلكتها لتصل إلى هنا لم تكن موجودة في جدول وحسابات الزمن، فجأة أفاق لتجد نفسها هنا، في المكان الوحيد الذي تشعر فيه ببعض من الأمان، بعقل يرفض العمل والاستيعاب ونفس خاوية وإحساس بشع بالذنب ينخر في صدرها ولا يعطيها حتى الفرصة لتتنفس في طبيعية.

أفاق على صوت حفيف ثوب يقترب منها، كانت عايدة تخطو في روب منزلي أسود منقوش بورود كبيرة ملونة في غاية الأناقة، لم تجد وقتا لتستبدل ملابس المنزل بعد أن أخبرتها أم حمدي بوجود يارا. استغربت حضورها المفاجئ، انتابها شعور بالقلق وأكد عندما وصفت لها أم حمدي سريعا هيئة يارا المزرية فأسرعت تضع الروب على جسدها وخرجت نحوها في خطى متوترة وقد تيقنت من أن هناك شيئا ما قد حدث لتلك الفتاة المسكينة عندما رأت وجهها الممتنع وعينها الغائرتين.



نهضت يارا بصعوبة مستميتة لتحافظ على تماسكها، قبلتها عابدة وجلست على الأريكة الملاصقة لها وقالت في حنان محاولة إخفاء ارتياها واستشفاف أي شيء:

- وحشتيني يا يارا يا حبيبتي.

فقال يارا في نفس الصوت الواهن:

- وإني كمان يا طنط.

- إني عاوزة يحيى؟ هو مش موجود دلوقتي.

نظرت نحوها وهي تقول بصعوبة:

- ما أنا عارفة، أنا مش جاية له، أنا جاية لحضرتك.

ثم صمتت للحظة كانت كافية لتتهمر دموعها وهي تهتف في صوت متحشرج:

- أنا محتاجاكي قوي يا طنط.

اقتربت عابدة ووضعت يدها على ركية يارا في حنان وهي تهتف في فزع بعد أن تفاجأت بدموعها:

- خير يا يارا؟ مالك يا حبيبتي؟

ازداد نشيجها وقالت وهي ترزح تحت ضغطها الشديد:

- أنا أسفة إني جيت فجأة، بس أنا مالمقيتش حد تاني أروح له، لو كانت ماما عابشة كنت رحت

لها، بس هي ماتت وسابتني لوحدي.

- ماتقوليش كده يا يارا. أنا زي ماما بالضبط، احكي لي، قولي لي إيه اللي حصل؟

مسحت جزءا من دموعها وإن لم يتوقف نشيجها وهي تقص المكالمة التليفونية في صوت متقطع

وعندما انتهت هتفت عابدة في فزع:

- يا نهار أسود! ده تهديد واضح يا يارا، يعني الناس دي ممكن يجعد تنذكي.

قطبت يارا في استهانة وهي تقول:

- مش هو ده المهم يا طنط.

- آمال إيه المهم؟

صمتت يارا قليلا قبل أن تقول وقد عاودت دموعها الانهمار بشدة وقد ارتفع صوتها في حنق:

- ربما ما انتحرتش يا طنط، ربما انتقلت!

ثم توقفت قليلا عندما أحست أن صوتها سيخنق وهي تتخيل شكل رجال ضخام مرعبين يقتحمون الشقة ويجرون ربما كدمية لا حول لها ولا قوة وقد أصابها دعر وارتجاف في جميع أوصالها. ويصعدون بها الدرج وهي تقاوم مستميتة محاولة إفلات ذراعها من قبضاتهم الضخمة حتى يتألم ذراعها ويصيبهما الوهن فيحملونها ويلقونها ويتركونها لتخترق الهواء البارد وهي تصرخ وقلها يكاد يتوقف. فكل بوصة تقترب فيها من الأرض تدرك أن نهايتها قد حانت وأنها متواجه المجهول الذي يغشاه كل الناس ويتركون الاستعداد له لمرحلة الشيب حيث يسلسلون لقدركن يفيد الهروب منه. ثم فجأة ترتطم بالأرض وتشعر بألم عنيف ينتزع أجزاء جسدها الصغير الرقيق من ترابطه قبل أن يسود ظلام الموت وتسيل دماؤها الدافئة النقية فوق أرض باردة لا تلتقي إليها ولا تستطيع أن تريت على جسدها المسحى في حنان كما كان يمكن أن تفعل أرض وطنها. ازدردت يارا ريقها في صعوبة قبل أن تمتطرد وقد بلغ حنقها مداه وازدادت دموعها:

- انقلبت عشان كانت بتعمل حاجة صح. ماخافتش من تهديد وماتراجعتش عن حاجة هي مؤمنة بيها. وكل اللي فكرت فيه قبل ما تموت هي إنها تلحق توصل نتيجة اللي عملته لأي حد عشان يكمل بعدها. والحد ده اللي هي وثقت فيه وحيته حتى من قبل ما تشوفه هو أنا. أختها اللي كانت فاكرة إنها بتفكر فيها وعاوزة تشوفها زي ما هي حاسة ناحيتها.

تقلصت ملامح وجه عايذة في إشفاق وهي ترى إحساس الذنب وهو ينتاب كل ذرة في وجهه وجسد يارا. يقتحمها بلا رحمة ويطعنها بألف سكين حادة في اللحظة الواحدة فتبكي من الألم والذنب والحزن، وتزداد حدتها في تأنيب نفسها وهي تهتف في صوت مخنق ونبرات متقطعة:

- و في نفس الوقت كنت أنا راسمة لها صورة بشعة في خيالي، بنت مستهترة وتافهة ومغرورة ومتدلعة، مابتفكرش غير في اللبس والمكياج. عمرها ما فكرت فيها ولا جيت على بالها من أساسه. لوفي يوم عرفني أوحست بوجودي أو شافتي متعاملتي بكل احتقار وقرف، إزاي أنا ممكن بعد كل كده أسامح نفسي؟ إزاي هاعيش وأنا حاسة بكل الذنب ده ناحيتها من غير ما ألاتي فرصة واحدة أعوضها فيها عن ظني البشع ناحيتها أو أعتذر لها؟ أنا قرفانة من نفسي، أنا ماستاهلش إن يبقى عندي أخت زي ربما، ماستاهلش ثقتها قيا.

فجأة اختنق صوتها وأحست بشيء ثقيل يجثم على صدرها، شيء تعرفه جيدا على الرغم من مرور سنوات منذ آخر مرة زارها فيه. شيء جثم على صدرها لأول مرة عندما تركها كريم وصدمها في حينها له. وظل يزورها كضيف ثقيل حتى استطاعت بصعوبة أن تتخلص منه بعد وفاة والدتها ببضعة أشهر. إنها أزمة التنفس. كان هناك حجرا ثقيلا أو جبلا يدس رنتها في عنف ويحطم ضلوعها، أخذت تسعل بشدة قبل أن تتلاحق محاولاتها لأخذ شهيقي بدا في تلك اللحظة كأنه أصعب شيء يمكن الوصول إليه. ارتمت إلى الخلف بوجه ممتقع وقد تصاعد صوت حشرجة أنفاسها اللاهثة وهي تحاول مستميتة استنشاق ولو ذرة هواء واحدة بينما يداها تضغطان بعنف على حواف الأريكة التي تجلس عليها كأنها تقبض بيدها على روحها التي أحست في تلك اللحظة أنها تترك جسدها بعنف.

ركزت كل حواسها في محاولاتها لاستنشاق الهواء وفقدت إدراكها لما يحيط بها، لم تفقد الوعي لكنها فقدت القدرة على فهم أو متابعة ما يحدث حولها، سمعت صوت عابدة وهي تهتف في دعر، لم تستطع أن تميز كلماتها لكنها أحست بالذعر في نبراتها وحركاتها، أحست بأشياء كثيرة تحدث حولها وأشخاص يتحركون في سرعة وفزع، ثم أحست بأذرع تحملها وترقدتها في مكان آخر لكنها لم تستطع أن تدرك ماذا يحدث أو تميز كلمة أو شخصا ممن حولها.

بعد فترة ما من الوقت أحست بأنفاسها تنتظم، إنها قادرة على التنفس الآن، تنفسا بطينا لا يتناسب مع حاجة رنتها إلى الهواء لكنه جعلها تشعر بتحسن كبير، فتحت عينيها ببطء قرأت رجلا أصلع ممتلئا قليلا جالسا أمامها على القراش يسحب من فمها بخاخة تشبه تلك التي كانت تساعدها على مواجهة أزماتها في الماضي، ابتسم لها في بشاشة واطمئنان على الرغم من هيئة العمل الجادة التي بدا عليها وقد شمر أكمامه وتناثرت حوله أدواته الطبية المختلفة، أدركت أنها لا تزال في منزل عابدة ويعبى وإن كانوا قد أرقدها في غرفة لم تدخلها من قبل، خاصة عندما رأت عابدة هائم وهي تجلس بجانبها بنفس الروب المتري الأنيق وتتأملها بعينين دامعتين وابتسامة متلهفة. وأخيرا رأت أمامها يعبى، واقفا كتمثال، متجهما، لم تره من قبل متجهما هكذا حتى في أكثر الأوقات العصبية التي مراها، إنه ليس قلقا عليها أو متلهفا أو حزينا، إنه متجهم في غضب، يخفي عينيه بعيدا عنها حتى لا ترى بركانها يثور فيهما.



وضع الطبيب البخاخة جانباً وهو يهتف مبتسماً:

- حمد الله على السلامة يا أستاذة.

تساءلت في صوت ضعيف لم يتعاف بعد:

- هو إيه اللي حصل؟

فأسرعت عابدة تهتف في جزع:

- اللي حصل إني كنت ماروح فيها من خوفي عليك، شكك وإنتي مش عارفة تاخدي نفسك كان

يرعب، لولا أم حمدي ماكنتش عارفة هاعمل إيه، هي اللي طلعت الدور العاشر ندهت لذكور

يونس وهي اللي كلمت يحيى.

تساءل الطبيب وهو منهك في كتابة "روشته":

- أستاذة يارا الأزمة دي حصلت لك قبل كده؟

تنحنت يارا قبل أن تجيب في نفس الصوت الضعيف:

- أبوه، بس ده كان زمان قوي. بطلت تبجي من حوالي أربع سنين. ده أنا كنت افتكرت إني خلاص

خفيت منها.

نزع الورقة التي كان يكتب فيها وأعطاهما لعابدة هانم قبل أن يستطرد وهو يللم حاجياته في

الحقيبة:

- ماتخافيش إنني كويسة جداً، أنا بس عاوزك تبقي أقوى من كده شوية قدام أي أزمة عشان

تجنب النوبات السخيفة دي، كلي كويس وخدي الدوا ده واستريجي اليومين اللي جاين، أهم

حاجة الراحة عشان جسمك منهك وتعبان، يعني حتى بلاش تتحركي من السرير لحد بكرة الصبح.

فهمت يارا معترضة والابتسامة الواهنة عالقة على شفتيها:

- لا ماينقش يا دكتور، أنا لازم أقوم أروح بيتنا حالا.

عندما سمع يحيى هذه الكلمات خرج من صمته الذي لازمه طوال الفترة الماضية، ازداد الغضب

والتجهم على وجهه وهو يهتف موبخاً إياها في عنف:



- هو إيه ده اللي لازم تروحي؟! إنتي مش سامعة الدكتور بيقول إيه؟ إنتي تعبانة ومنهكة. فيه خطر عليكى لو قمتي من السرير، إزاي عاوزه تروحي تعقدي لوحك بعد الحالة الزفت اللي كنتي فيها دي؟

توقف فجأة عن الصباح بعدما زجرته أنه بنظرة من عينها، زفر في ضيق وتضجر والتفت نحو الطبيب الذي نشاغل عن هذا الموقف المحرج بجمع حاجياته وإغلاق حقيبته، هتف يحيى في غيظ مكنوم:

- انفضل يا دكتور.

خرجوا معا وقد خلفا جوا مشحونا في الغرفة، ظلت يارا تتابع يحيى بعينين مبهوتين تمتلآن بالدهشة، أول مرة تراه يصيح ويتعامل بمثل هذه العصبية، كان يمكن أن تجيبه وتقول له أن أزمات التنفس كانت تهاجمها بعد وفاة والدتها وهي بمفردها في المنزل وكانت تجيد التعامل معها، على الرغم من أن ما حدث لها اليوم كان عنيفا بدرجة جعلتها تشك في قدرتها على حماية نفسها مثل ذي قبل، لكنها لم تفتح فمها، استحوذت الدهشة على كل حواسها وهي ترى يحيى، الرجل الهادئ الوقور، يتحول إلى أسد شرس يزار في وجهها وينتفض في غيظ وغضب، لماذا فعل ذلك؟ إنها مريضة وتستحق عطفه وقلقه عليها وليس كل هذا العنف وتلك الحدة.

أفاقت على يد عايذة هانم وهي تربت عليها في حنان قبل أن تقول مبتسمة لتواسيا:

- ماعلش ماتزعليش، هو يحيى كده، لما يبقى فيه حد بيعبه قوي في خطرو وهو حاسس إنه عاجز ومش قادر يعمل له حاجة، بيبقى مش طايق نفسه ويتنرفز على الحد ده كأنه بيطلع خوفه وقلقه في شكل غيظ وعصبية عليه، إنتي عارفة لما تعبت ودخلت العناية المركزة السنة اللي فاتت يسرا حجزت على أول طيارة جاية من دبي ويمنى جات جري من البحر الأحمر، مش عشان خافوا عليها ولا عشان يحيى مايقاش لوحده معايا إنما عشان يحوشوه عني لأنهم عارفين إنه حاسس بالخطر وخايف عليها ومش قادر يعمل لي حاجة، فكانوا خايفين لحسن أول ما الدكاترة بسمحوا له بالدخول يتنرفز ويتعصب عليها ويزعق لي وأنا لسه تحت أجهزة القلب مافقتش حتى من البنج.

قالت يارا في نبرة منكسرة:

- أبوه يا طنيط بس أنا بقيت كويسة، مافيش داعي إنه يحس بالخطر عليها.

- يعنى مش حاسس بالخطر بسبب الأزمة اللي جات لك إنما بسبب مكالمة التليفون والتهديد بالقتل، أصل أنا اضطريت أحكي له عن كل اللي حصل بعد ما خلىناه يسبب شغله ويبعج بسرعة. باقولك إيه، أنا مش عاوزاكي تشغلي بالك بأي حاجة، عاوزاكي تستريحى على الآخر، تاكلي وتاخدي الدواء وتنامي بدري عشان جسمك يستريح.

أجابت يارا والضيق والحرج يملان وجهها:

- أيوه يا طنط بس إزاي أنا هأبات هنا؟

ابتسمت عايدة وهي تقول في نبرة متفهمة:

- أنا عارفة إيه اللي في دماغك، بس ده يا حبيبتي ظرف طارئ، حتى لو يحى ماكانش اتعصب أنا ماكنتش هاسمح لك تروحي وتقضي الليل لوحده وإنتي في الحالة دي، إنتي مش هتبقى لوحده، أنا وأم حمدي بايتين معاكم في نفس الشقة ويحى يبقى ينام في أوضة أخواته المقفولة بقالها زمن، أوحى ببات معايا في أوضتي عشان تستريحى هنا في أوضته على الآخر، لو لسه خائفة أو محرجة أنا ممكن أخلي يحى يروح ببات الليلة في أي أوتيل.

فأسرعت يارا تهتف معترضة وقد بلغ حرجها مداه:

- لا يا طنط مش للدرجة، وبعدين أنا مش قلقانة من كده، أنا بس مش عارفة الناس هتقول إيه لما ماروحش بيبي النهارده.

فقالته عايدة مبتسمة وهي تحكم الغطاء حول يارا:

- الناس مش هينفعوكي لو بعد الشر جرى لك حاجة وإنتي قاعدة لوحده، يا ستي ولو حد سألك أو حاجة ابقي قولي إنك كنتي بايتة في الشغل أو عند واحدة صاحبتك. كفاية كلام بقى عشان مافيش فائدة من كل اللي بتقوليه ده، كده ولا كده إنتي مقبوض عليكي ومش هتعرفي تخرجي قبل على الأقل بكرة الصبح.

ابتسمت يارا دون أن تجد ما تقوله، هي وإن كانت تحاول العودة إلى منزلها مستخدمة حججاً قد تبدو منطقية، لكنها لا تريد أن تبقى الليلة وحدها تحت رحمة أفكارها المتخيلة وإحساس الذنب الذي يعتصر قلبها والمرض الذي عاد فجأة بعد أن ظنت أنها قد تخلصت منه إلى الأبد.

ذهبت عايدة لتباشر أعمال المنزل وتركتها وحدها. أخذت تدير عينها في أرجاء الغرفة. إنها غرفة يعيى. مكانه الخاص الأثير الذي يمضي به وقته. لا عجب أن تلك الغرفة الرقيقة المنظمة هي صومعته. تشعر به في كل ركن حولها. كأن الأثاث يشبهه والجدران تنطق باسمه. أخذت ترمق المرأة وخزانة الملابس والمكتبة الضخمة المليئة بالكتب بعينين امتزج فيهما سعادة بسبب وجودها وسط أشياءه ولوم بسبب موقفه الأخير والغضب الذي تحدث به معها كأنها تلوم الأشياء على ما فعله بها صاحبها.

أفاقت على صوت الباب. دخلت أم حمدي ووضعت أمامها طبقا كبيرا مليئا بالفاكهة الطازجة وكوب لبن دافئ ليريح أعصابها. ساعدتها على الجلوس قبل أن تخرج وترتكها مع عايدة التي أخذت تتجاذب معها أطراف الحديث وهي تراقبها حتى تتأكد من أنها قد تناولت كل طعامها. وبعد أن أنهته أتت أم حمدي فرفعت الأطباق وأحضرت لها الدواء فأخذته قبل أن تتزلق مرة أخرى في الفراش فأحكمت عايدة الغطاء حولها وخرجت وتركتها لتنام في هدوء كما أمر الطبيب.

أغمضت يارا عينها ولدهشتها أخذت تذهب تدريجيا في النوم، يبدو أنها بالفعل منهكة وتحتاج إلى النوم والراحة. ولكن أكثر ما جعلها تستسلم بسهولة للنوم على الرغم من كل ما حدث لها وكل ما ينتابها من حزن وحيرة وقلق. وعلى الرغم من أن يعيى لم يحاول أن يتحدث معها أو يدخل الغرفة مرة أخرى بعدما خرج مع الطبيب كأنه يعاقبها بسبب قلقه عليها. أكثر ما جعلها تنسى كل هذا وتغفو بعمق هو إحساسها بالأمان والاطمئنان اللذان ملأها بعدما وجدت كل هؤلاء يهتمون بها كل هذا الاهتمام. إحساسان لم تكن لتشعر بهما لو كانت عادت إلى منزلها وقضت الليل وحدها دون أن يكون هناك من يتابع طعامها ودواءها ويحكم حولها الغطاء أو حتى يغضب ويصرخ في وجهها لأنه قلق عليها.



عندما فتحت عينها كانت السماء لا تزال مظلمة. أدركت أنها استيقظت قبل الفجر لأنها خلدت إلى النوم مبكرا جدا. حاولت أن تغمض عينها وأن تعود للنوم مرة أخرى ولكنها اكتشفت أن جسدها قد أخذ ما يكفي من الراحة وأنها تريد أن تنهض وتحرك عضلاتها المتبسة من أثر الرقدة الطويلة. هبطت من الفراش، أحست بدوار خفيف لكنها تماكنت نفسها مسرعة. ارتدت روبا منزلها من الساتان الأبيض كانت قد تركته لها عابدة على خافة الفراش. أحكمت إغلاقه حول جسدها جيدا. وقفت لدقائق حائرة لا تعلم ماذا تفعل أو أين تذهب. جذبها شكل المكتبة الكبيرة الملاصقة للنافذة من حيرتها، أضواء المصباح الصغير الموضوع بجانب الفراش واقتربت من المكتبة حتى إذا أصبحت أمامها مباشرة توقفت وعقدت ذراعها أمام صدرها وهي تتأمل الكتب المصقوفة بعناية فوق الأرفف، نظيفة وأنيقة ومنظمة. مرت بعينها سريعا على العناوين. كلها تقريبا كتب في السياسة والتاريخ، كتب لأبرز المحللين السياسيين في مصر والعالم. مذكرات رؤساء وملوك وسياسيين كتبوها بأنفسهم أو كتبها أشخاص آخرون عنهم. كتب عن الحروب المختلفة التي مرت بها منطقة الشرق الأوسط وبضعة كتب عن الحروب العالمية الأولى والثانية. في أقصى الصف الأخير كان هناك بضع روايات لإحسان عبد القدوس ملقاة في شبه إهمال وإن كانت لا تزال منظمة ونظيفة مثل باقي الكتب. لا تعلم يارا لماذا ولد بداخلها إحساس يؤكد لها أن تلك الروايات ليس ملكا ليحيى وأنه لم يقرأها من قبل، كانت شبه موقنة أنها روايات عابدة هانم. يبدو من هينتها ولون صفحاتها الباهت أنها كتب قديمة لم يتم إعادة طبعها حديثا. ابتسمت وهي تتخيل شكل عابدة وهي طالبة في الجامعة تشتري روايات إحسان عبد القدوس من على الرصيف أو من مكتبة صغيرة وتعود مسرعة إلى المنزل لتقرأها في شغف. وهي تهيم في خيالها مع أبطالها وتقارنهم بمراد - والد يحيى - هذا الذي نجح في الفوز بقلبيها. لا تعلم لماذا تخيلت كل ذلك، إنها لا تعلم شيئا عن قصة الحب التي جمعت عابدة ومراد، لا تعلم حتى إن كانت قد أحبته وهي في الجامعة أم بعد ذلك، لكنها أحست من خلال كلمات يحيى العارضة أنه كان حبا قويا ذلك الذي جمعتهما كل تلك السنوات. فجأة قفز ذهنها إلى والدتها، كأنها اكتشفت الآن فقط كم كانت تلك الأم رومانسية وضعيفة أمام حبا ومشاعرها، نعم كانت أمها رومانسية بشدة. كان عندها روايات كثيرة مثل تلك



تحتفظ بها من أيام الجامعة وتحرص على تنظيفها ووضعها في مكان مخصوص بعيدا عن أيدي كل الناس، كان يمكن أن تظل تلك القصة مبهمة أيضا لولا هاشم، إنها الآن تستطيع أن تتخيل شكل أمها وهي تلثم تلك الروايات ويحقق قلبها كلما قارنت بطلا من أبطالها بمنصور، هذا الذي امتلك كل مشاعرها التي لا تملك ما هو أعلى منها. يا الله لقد بدأت الآن فقط تشعر بمدى مأساة أمها، تلك المأساة التي لا تنحصر فقط في أنها عاشت طوال عمرها بمفردها، يتهرب منها أقرب المقربين خوفا من نفوذ طليقها فوجدت نفسها مسؤولة عن تربية ابنتها واحتضانها وحمايتها من دنيا هي نفسها غير قادرة على مواجهتها، إن المأساة أكبر من ذلك، مأساة أهم أسبابها هي تلك الرومانسية المفرطة التي طالما حاولت شريفة إخفاءها بلا فائدة، كيف استطاعت أن تتحمل كل تلك السنوات وهي تكبت بداخلها حبا ولد وترعرع في قوة وعنقوان، لم يزد الانفصال والطلاق إلا قوة وقدرة على تعذيبها؟ كيف تحملت الغدلان الذي شعرت به عندما تغير حبيبها حتى اضطرت أن تطلب منه الطلاق؟ إنها تعرف هذا الغدلان جيدا، أذاقها إياه كريم من قبل، ولكنها - يارا - لم تستطيع أن تتحمله، سقطت في دوامة انهيار عصبي وأزمات ضيق تنفس على الرغم من أنها كانت أقل رومانسية من والدتها، كيف إذا استطاعت أمها أن تتحمل كل ذلك؟ كيف تحملت لطمة زواجه بأخرى غيرها؟ كيف استطاعت أن تتظاهر كل تلك السنوات بقوة هي لا تمتلكها وتجاهل لحنائق تطعن في قلبها مثل سكاكين حادة مؤلمة؟ هل كانت تعلم أنه كان هو أيضا لا يزال يحيا؟ بل هل حقا ظل يحيا طوال عمره كما قال لها هاشم؟ قيل ذلك كانت كل تلك الأفكار لن تزيدها إلا كرها لمنصور بك، أما الآن وبعد ما عرفته من هاشم لا تعرف بم يجب عليها أن تشعر؟ هل تشفق عليه؟ هل تكرهه؟ هل تخلق له الأعذار؟ ماذا تفعل؟ تخاف أن تكرهه وتحقق عليه مثلما كانت تفعل دائما ثم تكتشف ما يجعلها تندم على ذلك مثلما حدث لها مع ربما، لكنها أيضا غير قادرة على اختلاق أعذار كاملة له أو حتى التفكير في إمكانية أن يكون كل ما قاله هاشم حقيقيا، مأساة أمها تقف بينها وبين ذلك، لماذا عرفت، أما كان جهلها واستسلامها لما رسمته في خيالها عن هذا الأب وتلك الأخت أكثر إراحة لها مما تعاني منه الآن؟

خيوط الفجر تسلس وتملأ السماء في هدوء، أدركت أنها لو ظلت واقفة في مكانها لأصابها الجنون من أفكارها المعقدة التي ستقودها حتما في النهاية إلى ربما وإحساس الذنب الذي أصبح أكبر من أن

تستطيع تحمله. تحركت نحو الباب وفتحته في هدوء خوفا من أن توقظ أحدا. خطت نحو الصالة في تردد. لا تريد البقاء في الغرفة لكنها أيضا تشعر بحرج شديد لأنها تتجول هكذا وحدها في المنزل. عندما أصبحت في منتصف الصالة شعرت بنسمات الفجر الباردة وهي تلذع وجهها وجسدها. كانت ستائر الشرفة البيضاء تتطاير في خفة وقد بدا خيال يحيى خلفها واضحا على الرغم من أن خيوط الفجر لم تتغلب على الظلمة المنتشرة في كل مكان.

تقدمت في هدوء، أزاحت الستائر. كان واقفا وقد أعطى ظهره لباقي الشقة واضعا يديه في جيبي سرواله الرياضي، وقد ثبت عينيه في الفراغ الممتد أمامه بينما لم تفارق علامات العبوس والتجهم وجهه كأنه خارج للتو من غرفته بعد أن وبخ يارا.

وقفت بجانبه دون أن تنظر نحوه. استرق نحوها نظرة سريعة لم يبد خلالها أي اندهاش ثم هتف في صوت مبتور وهو لا يزال يحرق في الفراغ أمامه:

- إيه اللي صحاكي دلوقتي؟

قالت دون أن تنظر نحوه:

- نمت بدري قطبيعي إني أصحى بدري.

ثم التفتت ونظرت نحوه وهي تلساء:

- إنت إيه اللي مصحكك دلوقتي؟

- أنا مانمش أصلا.

- له؟

بدا أنها تريد أن تتحدث بينما هو يتجنب ذلك. يشعر بنفس الحنق والضيق الذي يشعر به كلما أحس بخطر ما على إنسان يحبه فيحاول تجنب الحديث معه والاحتكاك به لأنه يعلم أنه لن يستطيع أن يمنع نفسه عن توبيخه وتسليط غضبه عليه دون أن يعلم سببا لذلك حتى لو كان هذا الشخص لا يد له في الخطر الذي يعترضه. أخرج يديه من جيبي السروال واستند بهما على سور الشرفة وهو يزفر في ضيق دون أن يجيب على سؤالها. ظلت صامتة منظره إجابته وعندما طال صمته وبدا أنه لا ينوي الحديث ويتهرب منه لم تجد بدا من إثارته. عقدت ذراعها أمامها وهي تهتف في تحدي:



- هوده العيب بشي؟

لظن نحوها وهو يهتف مستنكرا:

- عيب إيه؟

- العيب اللي فيك. ما أنا قلت برضه مش معقول مايكونش فيك عيوب، بس عيبك طلع غريب قوي. إنت تقريبا اتحولت، بقيت حد ثاني غير يحيى اللي أنا عارفاه، واحد حاسة دايمًا إنه فجأة هيصرخ فيا ويلطشي بالقلم.

معد شفتيه في ضيق قبل أن يهتف في صبر نافذ:

- يارا إنتي عاوزه إيه بالضبط؟

- عاوزاك تهذا عشان أعرف أتكلم معاك.

التفت نحوها بكل جسده وهو يهتف في حدة:

- أتكلم معاك في إيه؟ بعد التهديد اللي جالك وكل اللي حصل لك إمبارح ده عاوزانا نتكلم في إيه؟

أجابته وقد بدأت عدوى الحدة تنتقل إليها:

- ما هو علشان التهديد اللي جالي وعلشان كل اللي حصل إمبارح لازم تهذا عشان نعرف نفكر ونتناقش.

- نفكر ونتناقش في إيه؟

- في اللي جاي، عاوزين نشوف هنكمل إزاي في الموضوع بتاعنا بعد الحاجات الجديدة اللي حصلت

دي؟

نظري يحيى نحوها في دهشة شديدة. كأنه لا يصدق أنها تفوهت بهذا الكلام، قال في عصبية شديدة وكل خلجاته تلتفض:

- موضوع إيه اللي هنكلمه؟ يارا واضح إنك مش قادرة تقدرى حجم الخطر اللي إنتي فيه، إنتي جالك تهديد صريح بالقتل، ومش من أي حد، ده من ناس تقريبا بقلوسهم ونفوذهم ومراكزهم بيتحكموا في العالم كله. يعني لو حسوا بنسبة واحد في الألف إن فيه أي خطر عليهم مش هيترددوا في إنهم يقتلوا ويحرقوا ويقوموا بحروب كمان عشان يحموا نفسهم، والدليل ربما، واضح إنهم هددوها وإنها ماسمعتش الكلام فقتلوها.

أجابت يارا في حدة وقد بدأت الدموع تطفر من عينيها:

- ما هو عشان ربما أنا عاوزه أكمل، ماينفعش أبقى أقل منها، واضح إنها كانت بتحاول تكشف الناس دي وتعمل حاجة كويسة، ماخافتش من التهديد وكملت ولما حسنت فعلا إنها هتموت اختارتي أنا ووثقت فيا عشان أكمل بعدها، ماينفعش إنني أطلع أقل من الثقة دي.

هتف يحيى في غيظ شديد:

- ثقة إيه اللي بتتكلمي عنها؟! وحاجة إيه الكويسة اللي ربما كانت عاوزه تعملها دي؟

- ماعرفش، وعشان كده لازم أكمل للأخر.

صرخ يحيى بوجه محتقن وقد بلغ غيظه مداه:

- تكلمي إيه؟ إنتي ليه مش قادرة تفهمي إن حياتك في خطر؟ ومش إنني لوحديك، كلنا في خطر، أي حد عرف أي حاجة عن موضوع الصندوق ده حياته في خطر.

هتفت يارا في ضيق وهي تهم بالانصراف من أمامه:

- خلاص يا يحيى، لو خايف على نفسك ابعده إنت، وأنا هاكمل لوحدي.

شعرت به يمسك بذراعها من الخلف، توقفت واستدارت على مضض لتصبح في مواجهته. زفر يحيى في ضيق وإن بدا أنه قد بدأ يعود لطبيعته مرة أخرى، اختفت آثار التجهم والغيظ. ذهب الاحتقان من ملامحه وحل محله ضيق مستسلم، أغمض عينييه وهو يلقي برأسه إلى الخلف كأنه ينتزع نفسه بصعوبة من ثوب هذا الشخص الغريب ليهود إلى نفسه الهادئة. نظر نحوها وهو يقول في نبرة هادئة متوسلة:

- يارا إنتي ليه مش قادرة تفهميني؟ أنا مش خايف على نفسي، أنا خايف عليك، أنا ما صدقت لقينك ومش مستعد إنني أخسرك أبدا.

التمعت عيناها وهي تنظر نحوه وقد بدأ قلبها يخفق بينما استطرده هو قائلا في نفس النبرة:

- يارا أنا متلخبط، دي أول مرة أحس باللي أنا حاسه ده، حتى وقت الجامعة عمري ما حسيت بحاجة ناحية أي واحدة من كل الجلسيات اللي كانوا حواليا، طول السنين اللي فانت وأنا مركز في شغلي بس، وبعدين فجأة وبعد ما كنت فاكتر إن الوقت خلاص عدى وأنا قربت على الثلاثين وفاتي القطري ما بيقولوا، فجأة الأقي نفسي باحبك.



اتسعت حدقتانها في دهشة بينما دق قلبها بعنف حتى أحست أنه سيتوقف بين ضلوعها. لم تكن تتوقع أن يحيى يمكن أن يقول شيئا. هو نفسه لم يكن مصدقا أنه يمكن أن يمتلك الشجاعة الكافية ليصارحها بما يهتمل بداخله. بدا أنه غير مدرك لخطورة ما يقوله وتأثيره على يارا أو حتى مدى الشجاعة التي واثته والتي لو كان ظل شهورا يشحذ فيها لفشل ربما في الوصول إليها. حيث أنه استطرد في بساطة شديدة بينما يارا تحلق فيه مشدومة وقد تفرقت الدموع في عينها:

- أنا تعبت يا يارا، وعمري ما حسبت ولا قهمت إن أنا كنت تعبان إلا بعد ما عرفتك وعرفت قد إيه أنا بابقى مستريح وأنا معاك، وعشان كده أنا عاوز أفضل معاك، مش مهم عندي موضوع الصندوق ده يخلص على إيه. كل المهم بالنسبة لي إنه يخلص بسرعة وأخذك ونطير على البلد اللي أنا هاروحها أيا كانت. الحركة الدبلوماسية صدرت بس أنا لسه مش متأكد تماما من بعثتي بسبب شوية مشاكل قريت تتحل خلاص وأنا كل اللي هممني إني مش هاسافر المرة دي إلا وإني معايا.

ازدردت رقبها لتبلل حلقها الذي جف بسبب أنفاسها التي تتابعت سرعا محاولة للحاق بدقات قلبها، الذي كاد أن يتوقف من كثرة وثقل وجمال ما سمعته منه ورأته في عينيه وأحست به نحوه في دقيقة واحدة. بصعوبة شديدة حاولت أن تمنع دموعها من الانزلاق وقد بدأت كل حاسة من حواسها وكل عضو في جسدها يدرك أنه يعرض عليها الزواج بشكل غير مباشر. إنها لا تغدع نفسها فشخص مثله لن يخلق بها ويعجب معها أنحاء الدنيا الواسعة إلا وطرحها البيضاء المثبتة في رأسها بتاج رقيق تطير خلفهما كأنها تضع حدا فاصلا بين شقاء الماضي وسعادة المستقبل.

فركت يديها الباردتين وقالت في صوت خافت خجول وقد أحنرت رأسها متعاشية النظر في عينيه اللتين احتلتهما كل تلك الجرأة والصرافة بطريقة مفاجئة لم تستطع تحملها:

- أبوه يا يحيى بس، الموضوع ده مهم بالنسبة لي جدا. أنا مش مستعدة أطلع صغيرة قدام نفسي وقدام أختي الصغيرة.

اقترب منها خطوة اغتالت المسافة الموجودة بينهما، وضع يديه حول وجهها في رقة. تغللت أصابعه خصلات شعرها الفاحم المنسدل على جانبي وجنتها اللتين ازدادت احمرارا وهي تشعر لأول مرة بقره منها دون أن يتصل بينهما أي فراغ وتشعر بوجهها وهو بين يديه كأنه يعيد تشكيله مرة أخرى بأصابعه. أحست برعدة في جسدها، ومضات أو شحنات كهربائية تنتشر فيها بسرعة البرق، تفصل

كل خلية عما حولها من خلايا، كأنها عبارة عن ملايين من الخلايا المنفصلة، تدور وتقفز وتنساب مثل مياه مندفقة في شدة وعنفوان بين صخور الجبال، فالسعادة التي شعرت بها في تلك اللحظة كانت أكثر مما يستطيع جسدها تحمله فتفتت إلى كل تلك الخلايا بينما تجمعت روحها وتماسكت بمحاولة التمسك بأخر ذرة من القوة لديها وهي تنظر نحو شفثيه اللتين هتفتا في صدق:

- وأنا مش مستعد إني أخسررك.

دون أن نعي أو تفكر وجدت نفسها تقترب منه، حطمت آخر ما تبقى من مسافة بينهما، بهدوء تسللت إلى حضنه، كأنها لم تجد كلاما كافيا يمكن أن تجيبه به فاخترت أن تجيب دون كلام، استقبلها بهدوء، كان ما فعلته شيء عادي ومتوقع، طوقها بذراعيه وضغطها نحو صدره برفق، أحست أن خلاياها تبدأ وتتجمع وترابط مرة أخرى، اختفت الرعدة من كل أوصالها، استرخت وكأن جسدها لم يعرف شيئا اسمه ترابط وانسجام الخلايا من قبل، أحس باسترخائها وهدوئها بين يديه، ازداد ضغطه وضمه لها كأنه يتأكد من أنها وافقت على أن تكون له، تحلق معه أينما ذهب وأن أحدا لن يستطيع أن يشعرها بالأمان سواه.

فجأة أحسا بحركة خلف الستائر، انفصلا بسرعة قبل أن تظهر أم حمدي وقد بدت آثار النوم في عينها، نظرت نحوهما في دهشة تحولت إلى مكر امتلأ به صوتها وهي تهتف في استغراب مصطنع:

- هوانتوا صحيتوا وصلوا الفجر زي؟

حاول يحيى إخفاء ارتباكته وهو يهتف مجيبا:

- لا يا أم حمدي، ده أنا بس ماكانش جايلي نوم.

نظرت نحوه في ارتياب ثم التفتت نحو يارا وهتفت بمحاولة إخفاء ابتسامتها:

- وإنتي يا أنسة يارار؟

أجابت يارا بمحاولة تحاشي النظر إليها:

- أنا صحيت بدري.

حركت أم حمدي رأسها متظاهرة بتصديقهما قبل أن توجه حديثها نحو يارا في نبرة ذات مغزى:

- طب بركة إنك صحيتي قبل الشروق، خشي اتوضي وصلي الفجر على بال ما أجيب لك كباية لبن تشربها وتدخلي تكلمي نوم، إنتي محتاجة ترتاحي يا أنسة يارا.

لم التفتت نحو يحيى وقالت بابتسامتها الماكرة:

- وإنت كمان يا أستاذ يحيى، صلي الفجر وادخل نام، كفاية سهر كده عندك شغل بكرة الصبح.  
حركا رأسيهما في استسلام دون أن ينطقا بكلمة واحدة كأنهما طفلان ضيبتهما أمهما وهما يرتكبان إحدى الحماقات، افترقا وهما يختلسان نحو بعضهما البعض نظرات تمتلئ حسرة على فيض من كلمات طالما ناقا إلى تبادلها وجاء اقتربهما هذا ليفتح الباب على مصراعيه أمام تلك الكلمات قبل أن تأتي أم حمدي وتغلقة بنظرتها وابتسامتها الماكريتين.

لم يتوقف قلبها عن الخفقان بشدة وهي تصلي وتشرب اللبن الذي ما إن فرغت منه حتى قالت لها أم حمدي في دهاء وهي تظلم الغرفة تاركة إياها لتنام:  
- اللبن ماكانش ليه لازمة، وشك مورد من غيره.

ابنسمت وبهركة لا إرادية مدت يدها ولمست وجنتيها، أحست بهما ساختين، رأت في الظلام ومن دون مرآة وجهها وهو "مورد" كما قالت أم حمدي، كأن الحياة الجديدة - التي ولدت فيها منذ قليل عندما انفصلت خلاياها والتحمت مرة أخرى مثل مولود جديد بين ذراعيه - استقبلتها بباقتين من الزهور نسقتها على وجنتيها.

ارتمت إلى الخلف تاركة شعرها مبعثرا حول رأسها على الوسادة وعيناها محلقتان في الفضاء تسترجعان وتأملان تلك اللحظة التي جمعتها معه منذ قليل، حاولت عبثا السيطرة على نفسها وعلى قلبها الذي أحست أنه سيتوقف مما انتابه من جنون، تقلبت بشدة في الفراش محاولة إخراج ما بداخلها من طاقة حتى تبدأ وتخلد للنوم، في النهاية احتضنت الوسادة بشدة ودفنت رأسها فيها وتركت النوم يتسلل إلى جفنها وقد اتسعت ابتسامتها عندما بدأت تدرك أن رائحة تلك الوسادة هي نفس الرائحة التي شمتهما وهي بين ذراعيه كأنه ترك رائحته على وسادته تلك ليؤكد لها أن ما حدث لم يكن حلما.



(٥٣)

استيقظت وقلها لا يزال يدق، كان نومها متقطعا ملينا بأحلام بعضها حقيقية جميلة حدثت وبأني عقلها الباطن إلا أن يسترجعها لتعيشها مرة أخرى أثناء نومها، والبعض الآخر من نسج خيالها الذي ظل خانقا طيلة الفترة الماضية من الإفصاح عما بداخله حتى جاء هذا الحدث الصغير الذي زلزلها فأفقدتها القدرة على السيطرة على هذا الخيال الجامح وانطلقت أحلامها كنهو ظل حبيسا خلف سد شاهق لسنوات فما إن انهار هذا السد حتى اندفعت التيارات، التي على الرغم من عنفها لم تدمر شيئا مما مرت به بل أخذت تنحت الصخور على جانبيه مشكلة مناظر طبيعية أسرة تماما مثلما انطلقت أحلامها تنحت روحها برفق وحماس فتعيد تهذيبها وتجميلها بعد كل ما مريها من ضربات عنيفة كادت أن تشوه روحها.

كان الله بعث بك يا يحيى لتكون بجاني في كل مرة أحتاج إليك فيها حتى في أكثر الضربات عنفا، تلك التي عرفت من خلالها ما حدث لربما ومررت بأكبر نوبة إحساس بالذنب يمكن أن يمر بها إنسان والتي كدت أن أنهار بسببها وأفقد نفسي وروحي بل وحياتي كلها جلنت أنت لتحيطني بذراعيك دافعا عني شر طوفان كاد أن يقتلني ومستبدلا به نهرا صافيا من الأحلام الجميلة التي هذبت روحي بدلا من أن تسحقها.

كانت الغرفة تمتلئ بأشعة الشمس الدافئة عندما قفزت من الفراش في حماس شديد، أحكمت الروب الأبيض حول جسدها، سوت خصلات شعرها التي لمسها يحيى منذ ساعات برفق كأنها تخاف أن تزيل آثار أصابعه من عليها، ألقت نظرة خاطفة على وجهها الذي كان لا يزال به بعض الشحوب، تمتت لو أنها تملك الآن شيئا من أدوات زينتها القليلة حتى تزيل هذا الشحوب فتلقاه مشرقة في هذا الصباح المميز لها وله، لكنها اكتفت بإبتسامتها التي بدت جميلة ومشرقة جدا في طبيعية شديدة.

خرجت في خطوات رشيقة كفراشة تطير، تبعث عنه في أرجاء المنزل كما تبعث الفراشة عن رحيقها بين مروج واسعة، عيناها مثلفتان وخائفتان تتوقعان ظهوره أمامها في أي لحظة فتحاول السيطرة على قلبها الذي لا يزداد إلا خفقانا.



هدأت قليلا عندما وجدت عابدة هانم تجلس بمفردها في الصالون تصفح جريدة، ما إن أحست بها حتى خلعت نظارة القراءة وألقها مع الجريدة على المائدة المنخفضة قبل أن تهض وتقترب منها قائلة بابتسامة تمتلئ حماسا وسعادة:

- حمد الله على السلامة، كده تخضيبي عليكي كل الخضة دي.

جذبها واحتضنتها بشدة كأنها تتأكد من سلامتها، جميلة تلك الأمرة بما تشملها به من عناق يعطيها إياه كل فرد فيها فيملؤها سعادة وإحساسا باطمئنان واهتمام لم تشعر به منذ أن رحلت والدتها وتركتها بمفردها في هذه الدنيا الواسعة.

خرجت من حضنها ونظرت نحوها بامتنان كأنها تشكرها على كل هذا الخوف الذي خافته من أجلها ثم قالت لتطمئنها:

- ماتخافيش يا طنط، أنا كويسة الحمد لله.

جلستا معا في الصالون قبل أن تقول يارا في استحياء كأنها طفل يطلب حلوى محرمة:

- طنط هو أنا ممكن أشرب قهوة؟

فحركت عابدة رأسها معلنة رفضها وهي تقول حازمة:

- الفطار واللبن والعصير الأول وبعدين نشوف موضوع القهوة ده.

ابتسمت يارا مستسلمة للأوامر المتعسفة المحببة إلى قلبها بينما نهضت عابدة واتجهت نحو المطبخ لتقوم بالإشراف على تحضير الإفطار، وقبل أن تختفي من أمامها تجرأت يارا قليلا وسألت عن يحيى، توقعت أن تقول لها أنه لا يزال نائما بعد أن ظل حتى الفجر بلا نوم لكنها فوجئت بعابدة تقول لها في قلة اكتراث قبل أن تختفي تماما:

- يحيى نزل الشغل بدري قوي النهارده.

اختفت الابتسامة من على وجهها، ظلت لثوان جامدة في مكانها كأن الدماء قد توقفت عن السريان في عروقها، وجدت نفسها تمد يدها مسرعة نحو جهاز الهاتف الموضوع بجانبها وتطلب رقم هاتفه المحمول، لم تبغض شيئا في تلك اللحظة كما بغضت صوت تلك التي أخبرتها بأن الهاتف المطلوب مغلق أو غير متاح، ظلت تعيد محاولات الاتصال به بيدين باردتين وساقها لا تتوقف عن الاهتزاز في عصبية دون جدوى، نفس النتيجة في كل مرة، الهاتف مغلق.

حاولت السيطرة على نفسها عندما أقبلت عايدة وخلفها أم حمدي تحمل صينية الافطار التي وضعتها أمامها وذهبت بينما انهمكت عايدة في حشو قطعة خبز بالجبن الأبيض لتأكله يارا التي تساءلت محاولة التظاهر بالطبيعية:

- ماتعرفيش ليه موبايل يحيى مقفول يا طنط؟

أجابتها دون أن ترفع عينها عما تعده من طعام:

- تلاقبه في اجتماع مهم، هو دائما كده ببقل موبايله في الاجتماعات، خدي كلي إنتي السانديوتش ده وماتشغليش بالك هو أكيد هيبجي على الغدا.

مضت عايدة تتحدث بينما كانت يارا تتابعها وهي تقضم الطعام بعقل نصف شارد، بذلت مجهودا جبارا لتخفي أمامها الغوف الذي أخذ يزداد بداخلها كلما تذكرت تلك الكلمة التي قالها يحيى والتي لم تعرها انتباها حتى تعذر عليها الوصول إليه. "أي حد عرف أي حاجة عن موضوع الصندوق ده حياته في خطر". ترن الكلمات في أذنها كمطارق من حديد تهوي على قلبها فتدهسه بعنف، مئات الأفكار والمشاعر تجتاحها في لحظة واحدة، يصيبها ذعر كلما تذكرت تلك الكلمات ثم تعود وتحاول طمأنة نفسها قبل أن تقفز أفكار سوداء أخرى تعترض باطنها بعنف وتملؤها خوفا وإحساسا بالذنب.

ماذا إن أصابه مكروه ولم يشعر به أحد، ربما سقط هاتفه أثناء محاولة أحدهم الاعتداء عليه فتشتم، أو ربما اختطفوه وأغلقوا هاتفه حتى لا يصل إليه أحد، ثم تنفض عن رأسها كل تلك الأفكار وتحاول طمأنة نفسها بأن لا أساس لكل ما تهذي به نفسها القلوق وأنه ربما يكون بالفعل منمكا في اجتماع هام، ألم يقل لها بأن الحركة الدبلوماسية صدرت وأن بها بعض المشاكل؟ إذا فتلك الأيام تمثلن بأعمال شاقة واجتماعات وأشياء من هذا القبيل، صحيح أنها لا تفقه شيئا في سير العفل داخل وزارة الخارجية لكنها تحاول التشبث بأي خيط واهن تطمئن به نفسها، ثم أن التهديد كان من نصيبها هي وإذا فكر أحدهم في فعل أي شيء سيكون معها وليس معه، هي الأساس، هي الأهم. ولكن هذا الخاطر يقودها إلى فكرة أخرى قاتلة، إذا حدث ليحيى أي شيء فسيكون بسببها، بسبب إصرارها على استكمال هذا الشأن حتى النهاية دون التفكير فيما يمكن أن يحدث من عواقب، تلتفت نحو عايدة فيأتي صوتها المنهمك في الحديث والضحك من بعيد جدا

تكاد لا تعي منه أي شيء ولا يبقى أمامها سوى إحساس بشع بالذنب، أبشع مما شعرت به نحو ربما، علي الأقل هي لم تكن السبب فيما حدث، لربما أما إذا حدث أي شيء ليحیی فستكون هي السبب، هي المذنبه في حقه وحق أمه وحق نفسها، استمر تقريعها لنفسها بلا هوادة، تؤنّبها على عنادها وتتمنى لو يعود بها الزمن عدة ساعات لتقول ليحیی عكس ما قالته وتتهي هذا الشأن تماما، حتى وإن أحسنت أنها أقل من أن تتحمل مسؤولية ثقة ربما فيها فهذا أهون بكثير من أن تخسر يحيى بسبب حماقتها وتسرعها.

ظلت تدور في دوامة من الأفكار المتناقضة طيلة فترة تناولهما الإفطار والقهوة، تتابع ما يحدث حولها وأحاديث عابدة هائم بنصف عقلها وتستغل أصغر الفرص التي تتركها فيها وحيدة لتعيد محاولات الاتصال بيحیی دون فائدة.

أخرجت هاتفها المحمول من حقيبتها التي ظلت ملقاة طوال الليل في نفس المكان الذي تركتها فيه قبل أن تصاب بالأزمة، كان مغلقة هو الآخر بعد أن فرغت بطاريتها، أسرعت لتضعه على الشاحن الخاص به في محاولة يائسة لتبقي كل وسائل الاتصال مفتوحة، ما إن أنارت الشاشة حتى رن معلنا وصول مكالمة، اهتز الهاتف بين يديها المضطربتين لكنها سرعان ما أصيبت بالإحباط عندما وجدت أن رأفت هو من يتصل بها، ما إن أجابت حتى هتف رأفت في حماس بنبرة غير مصدقة:

- أستاذة يارا، إنني كنتي فين طول المدة اللي فاتت؟

- ماعلش يا رأفت أصل موبايلى كان قاصه شاحن.

- أيوه بس حضرتك كمان مارجمتيش البيت.

تململت قليلا قبل أن تقول محاولة إنقاذ الموقف:

- أصلي اضطربت آيات عند واحدة صاحيتي.

خافت ألا يصدقها رأفت لكنه بدا أنه لم يلتفت إلى سبب غيابها بقدر ما التفت إلى الاطمئنان عليها:

- الحمد لله إن حضرتك كونسه، ده احنا اتخضينا عليكى جدا لدرجة إن مسترشيق كان ناوي لو

ماظهرتيش لحد الساعة اتناشر الضهرهيبيلج البوليس.

هتفت يارا في دعر:



- لا بوليس إيه يا رأفت، كلمه نزل له مايعملش كده وقول له إن أنا كويسة وهاجي المجموعة دلوقتي كمان.

أسرعت ترتدي ملابسها في عجاله شديده. يجب أن تثبت وجودها الآن في المجموعة وتمنع شفيق من أن يقوم بإبلاغ الشرطة، لوفعل ذلك فسيعلم الجميع أنها أمضت ليلتها هنا في بيت يحيى وهو شيء لا تريد أن يعرفه أحد حتى لا تهتر صورتها أمام موظفيها وأمام الرأي العام الذي أصبح فجأة يهتم بها بعد أن أصبحت رئيس مجلس إدارة مجموعة أبو بلاط. لم تفلح محاولات عايدة في إقناعها بتمضية اليوم معها، تعجبت بأن هناك أعمالا كثيرة يجب أن تقوم بها في المجموعة، شكرتها وطبعت قبلة على وجنتها وأوصتها أن تجعل يحيى يتحدث إليها عندما يعود أو يتصل بها على الهاتف.

ما كادت تنطلق بسيارتها حتى كلمها شفيق على هاتفها، اطمأن عليها ووبخها على ما سببته لهم من قلق ثم أنهى مكالمته قائلا في حزم:

- أشوفك بعد ساعتين في الشركة ويكون معاكى باسبورك عشان إجراءات السفر لسويسرا.

في البداية لم تدرك ما قاله لكنها سرعان ما تذكرت كل شيء عن مشاكل العمل والحساب السري الذي يجب أن تمسافر خلال أيام لتقوم بسحب النقود منه والعودة سريعا لإنقاذ الشركة بتلك السيولة الضخمة التي أودعها منصور بك خارج البلاد في تكتم غريب تحوم حوله الشبهات ليس فقط بسبب سرية وضخامته ولكن لوجود خيط يربطه بما أرسلته إليها ربما.

تبخر إحساس الاطمئنان الذي كانت تنعم به منذ قليل ومضت تقود سيارتها نحو المنزل لتحضر جواز سفرها قبل الذهاب إلى المجموعة وقد عاد عقلها إلى تشكته بين مشاكل العمل وصندوق ربما والسفر إلى سويسرا وأهم من كل ذلك خوفها على يحيى.



(٥٤)

سار رأفت خلفها من الباب حتى المكتب وهو يلاحقها بكلمات متضاربة عن سير العمل خلال اليومين الماضيين وعن القلق الذي انتابهم بسبب اختلافها المفاجئ، كانت تستمع إليه بنصف عقلها بينما أفكارها كلها تدور حول يحيى الذي لم تستطع الوصول إليه حتى الآن. توقفت رأفت فجأة عن سرده المتواصل وقال متذكرا:

- أه على فكرة، فيه واحد كان بيسأل عل حضرتك طول الوقت من إمبراج ومش عارف يوصل لك ولما عرف إن حضرتك ظهري وجاية على هنا جه من شوية وقعدته يستنى في غرفة الانتظار بعيد عن المكتب.

أفاققت يارا من شرودها وتساءلت في تعجب:

- مين ده؟

- ماعرفش.

تساءلت في استنكار:

- يعني إنت يا رأفت استقبلته وقعدته يستنى من غير ما تسأله على اسمه؟

فقال رأفت في ضيق:

- ما هو شغل السكرتيرات ده أنا ما فهمش فيه. وبصراحة أنا بقى لي كذا يوم شايل شغل المكتب كله لوحدي.

ثم تساءل محاولا إخفاء تردده خلف تظاهره بالضيق:

- هي ليديا هترجع من الأجازة إمتى بقى؟

حملت يارا في وجهه لبرهة كأنها كانت قد نسيت أن هناك فتاة رقيقة مجروحة، منذ أن قررت سجن نفسها في غرفتها تحول هذا المكتب بدونها إلى مكان كئيب بعد أن حرم من أهم مصادر بهجته وإشراقه، جذبت نفسها من شرودها وقالت في حسم:

- أنا اديت لليديا أجازة مفتوحة، ترجع براحتها وقت ما ترجع، روح دخل لي التراجل اللي مستني ده. تهدي في ضيق قبل أن يلتفت ويترك الغرفة مستسلما منصاعا لأمرها بينما تبعته هي بنظرة حائرة، لم يخف عليها اضطراب رأفت وهو يلقي بسؤاله، لماذا يصعب عليها أن تفهمه؟! إنها شبه موقنة

بأنه هو سبب ما يحدث لليديا وبأنه يعلم ذلك أو على الأقل يعلم أنها تتعذب بسببه طيلة الوقت. وبالرغم من ذلك يتجاهلها وبمعن في تعذيبها بانصرافه عنها وعندما تغتفي يتحایل ليسأل عليها. تظاھر بالضحيق من العمل تكذبه نظرة عينيه المتلهفة على معرفة موعد عودتها، هل هو مدع؟ أم حائر في مشاعره؟! ولكن ما لا تعلمه يارا أن رأفت نفسه عاجز عن فهم ما يفعله أو ما يشعر به. ماله هو بليديا تعود أو لا تعود؟ ألا تكشفه حياته التي تحولت فجأة إلى جحيم منذ هذا اليوم المشؤوم الذي اكتشفت فيه أمه خطة هجرته؟ من يومها وهي تتجنبه وتتحاشى الحديث معه أو حتى رؤيته. طالما أنه في المنزل تجلس في غرفتها ولا تخرج منها أبدا، لا تنظف غرفته أو تصنع له طعاما كأنها بالفعل اعتبرت نفسها لم تنجب رجلا اسمه رأفت. ألا يكفيه كل هذا الهم الذي يحيا فيه؟ لماذا يشغل نفسه بليديا ومرضها وغياها؟ ألم يتوصل إلى أنه لا يحيا وأنها لا تهتم في شيء؟ لماذا إذا تأتي تلك الخواطر إليه ويجد نفسه فجأة يسأل عنها متظاهرا أمام النائم وأمام نفسه بأنه متضايق من تحمل أعباء عملها.

كانت يارا مستغرقة في قراءة بعض الأوراق عندما سمعت صوت صرير باب المكتب، رفعت رأسها لترى من هذا الذي ظل يسأل عنها ثم أتى سريرا ليراها عندما علم بعودتها، اتسعت حدقتها في دهشة عندما وجدت أن هذا الرجل لم يكن إلا كريم. تقدم تحوها وقد اكتسى وجهه بعلامات التجهم وبدا أنه يخفي غضبا لن يلبث أن يقذفه في وجهها. أخفت ابتسامة كادت أن تفلت منها رغم انشغالها وقلقها. على الرغم من مرور كل تلك السنوات وعلى الرغم من كل ما حدث تجد نفسها لا تزال قادرة على فهم كريم حتى دون أن يتحدث. تعلم متى يكون متضايقا بحق ومتى يعتمد التظاهر بغضب شديد ليطلق على من أمامه فيكيل إليه اتهامات غاضبة متتابعة ليضعه في موقف ضعف وينتصر عليه. هذا ما سيفعله الآن وما أدركته هي وتعلم جيدا كيف تواجهه. على الرغم من كل ما حدث له وما مر به لم يتغير كريم كثيرا. لا يزال طفلا صغيرا. ربما أصبح طفلا مهذبا أكثر مما مضى، لكنه في النهاية لا يزال طفلا. استقبلته في هدوء وجلست معه في الصالون الصغير بجانب مائدة الاجتماعات. ظلت صامتة بينما أخذ هو يتعمل منتظرا أن تبدأ هي وتساله عن سبب تجهمه وعندما لم يجد منها أي بادرة لم يطلق الصمت أكثر من ذلك. هتف فجأة متظاهرا بكبت غضبه:

- كنتي فين إمبراح؟

أجابت وهي تنظر نحوه في هدوء:

- كنت بايتة برا.

قال وقد استغزته إجابتها وهدوؤها:

- ما أنا عارف إنك كنتي بايتة برا وإنك مارجعتيش بيتك طول الليل. أنا سؤالي واضح، كنتي فين

بالضبط؟

عقدت يديها قبل أن تتساءل وهي تنظر نحوه في ثبات:

- وده بيمك في إيه؟

هتف في عصبية:

- يارا، ماتستغفلنيش. جاوبي على سؤالي من غير لف ودوران.

انتفضت وهي تهتف في حدة:

- إيه استغفلك دي؟ كريم لو سمحت تحافظ على أفاضك.

أجابها في غيظ:

- يعني المفروض أنا أحافظ على أفاضي وإنتي ماتحافظيش على تصرفاتك وتروحي تباتي في بيت

يعني بتاعك؟

اتسعت حدقتها وهي تهتف في دهشة:

- إنت بتراقبني يا كريم؟

زفر ساخرا وهو يقول في غرور:

- مش محتاج أراقبك عشان أعرف، إنتي ناسية أنا مين؟ أنا بتليقون واحد عرفت كل حاجة عن

سي يحيى ده ولما ماعرفتش الأفيكي إمبراح رحمت تحت بيته ولقيت عربيتك راكنة. يعني حضرتك

كنتي لوحدهك في بيت واحد عازب الساعة اتنين القجر.

أحست بالدماء تغلي في عروقها وهو يتهمها بهذا الاتهام المشين ويخاطبها بتلك الطريقة المتسلطة.

صرخت في غضب:



- أولا أنا ماكنتش بايئة في بيت واحد عازب، ده بيت عيلة وكان بايت معنا مامته والسبت اللي بتشتغل عندهم، يعني ماكنتش معاه لوحدي. ثانيا بقي إنت مين إداك الحق إنك تدور ورايا وتبي تعاسبني بالطريقة دي؟ تبقى لي إيه عشان تبني تتكلم معايا بالتحكم ده كله؟ بدأت تهزمه بمنطقها، تلملم قليلا قبل أن يقول معاولا الحفاظ على تظاهره بالغضب وإن خفت حدة صوته قليلا:

- إزاي بقي؟ إنتي ناسية إنك كنتي خطيبتي؟

- كنت زمان، إنما دلوقتي ماقيش أي حاجة بيننا وانت مالكش أي حق تعمل اللي إنت بتعمله ده. قرر تغيير استراتيجيته معاها بعدما وجد أنها لم تضعف أو تلين أمام اتهاماته بل بالعكس واجهته بنفس غضبه وأكثر. قال في صوت خفيض يمتلئ لوما وكأنها جرحته بكلماتها:

- لا يا يارا، أنا ليا حق أخاف وأغير عليك كمان، عشان أنا لسه باحبك.

لم تنخدع بنبرته الناعمة بل ازدادت يقينا بصحة ما فعله، أجابت دون أن تفقد حديثها في كلمات واضحة حاسمة:

- كريم، بلاش الطريقة دي لو سمحت عشان أنا من الأول جدا فهمتك إن مستحيل اللي كان بيننا زمان يرجع ثاني، أنا ماخذعتكش فماتجيش دلوقتي تقول لي إنتي اللي خلتيني أرجع أحبك ولما حق عليك.

اضطرب قليلا وهو يراها تدحض كل أسبابه، أخفى اضطرابه خلف نبرته العصبية وهو يهتف:

- أنا ماكنتش هاقول كده وأنا فاكرك كويس كل كلمة قلتها، بس أنا كمان كنت قلت لك إنني

ماوعديكش إنني أقدر أتحكم في مشاعري ناحيتك، حاولت بس ماقدرتش يا يارا، لسه باحبك.

هدأت قليلا وإن لم تقتنع بكلامه، أجابته معاولة التحلي بالصبر لتنتهي هذا الحوار السخيف:

- كريم لو سمحت ماتاخذنيش بذنب حاجة جواك أنا ماليش دعوة بها لأن أنا اللي كان جوايا عمره

ما هيرجع ثاني، بعد كل الزمن ده وبعد كل اللي حصل بيننا مستحيل أرجع أحس بعاجة ثاني ناحيتك زي زمان.

امتألاً وجهه باليأس وهو يتساءل مفتافذا:



- ليه يا يارا؟ أنا دلوقتي أقوى من زمان وما فيش حد هيقدر يقف قدام حي ليكي ولا حتى عيلتي كلها، ولا ده يعني عشان سي يحيى ظهر في حياتك فجأة وملاها بموضوع ربما ده؟  
بدأ صبرها ينقد، لا ينقصها أي ضغط عصبي أكثر مما هي فيه منذ الصباح، هتفت في حدة دون أن تكثر كثيرا بمراعاة مشاعره أوحى تنميق ما تقول:

- الموضوع مالهوش دعوة بيك ولا بعيلتك ولا حتى بيحيى، الموضوع ليه علاقة بيا أنا، أنا اللي اتغيرت يا كريم، يارا اللي حيتك زمان مش موجودة جوايا دلوقتي، اللي كان بيبيرنى فيك زمان مايقاش بيبرني دلوقتي واللي كنت باحبه زمان بقى عادي جدا بالنسبة لي دلوقتي والأحلام اللي كنت باحلم بها زمان مايقاش واقعية دلوقتي، أنا ماياكرومكش يا كريم بس مايقاش ينفع أرجع أحبك، حتى لو حاولت مش هاعرف، صدمة وجرح اللي حصل زمان ضيع في علاقتنا دي حاجة مهمة جدا اسمها الثقة.

ظل كريم صامتا للحظات محاولا استيعاب تلك الغربية التي يراها لأول مرة، إنها امرأة أخرى غير تلك التي كان يستطيع التأثير عليها في الماضي، حاول عقله أن يرفض الهزيمة، فتح فمه ليحييها ولكن في تلك اللحظة انفتح باب المكتب وظهر يحيى فجأة ممسكا بملف شفاف به ورقة واحدة في يده، كان يبدو على وجهه الإجهاد وقلة النوم ولكن ما إن رأى كريم أمامه وهو يجلس بجانب يارا وبهذا القرب ضاع الإرهاق من ملامحه وحل محله جمود وغيظ حاول جامدا أن يشفيه وهو يرمقها في ارتياب دون أن يتطرق بكلمة واحدة.

انتفضت يارا واقفة كأنها تذكرت فجأة كل خوفها عليه، اقتربت منه في خطوات مسرعة وهي تهتف في جزع:

- يحيى، إنت كنت فين؟؟ أنا قلقك جدا.

رمقها مسرعا ثم عاد ينظر نحو كريم في ارتياب وهو يقول في نبرة مبتورة:

- كان عندي شغل مهم.

حل لثوان صمت مشحون أنهاه كريم عندما تهض واتجه نحوهما في اعتداد وهو يقول متظاهرا بالثقة كأنه لم يسمع بأذنيه كل ما قالته يارا في غضب منذ قليل:

- أنا هامشي يا يارا، بس هابقي أشوفك تاني عشان لسه ماخلصناش كلامنا.

لم ينتظر إجابة، مر من خلف يحيى وهو يرمقه بنفس النظرة التي رمقه بها يوم عيد ميلاد يارا عندما أقسده عليه مفاجاته لها ثم خرج من الغرفة في هدوء تاركاً خلفه توترا وغيطا ثم تلتفت إليهما يارا التي كانت مشغولة بالاطمئنان على يحيى، هتفت قائلة:

- شغل إيه ده اللي نزلك بدرى قوي وخلاك قافل موبايك طول الوقت ده؟

لم يجب على سؤالها، فقط مد يده بالملف الذي كان يحمله، تناولته وهي تنظر نحوه في دهشة وإن بدأ يخالفها بعض القلق والاضطراب، لم تكن الورقة إلا صورة لمقال في صحيفة إنجليزية لم يبد أسماها واضحا، المقال كان عن خبر وفاة ربما متأثرة بجراحها بعد سقوطها من سطح البناية التي كانت تقطن بها مع والدتها. وفي الفقرة الأخيرة كان هناك إشارة واحدة إلى أن هناك شخصا يقطن بالبناية المقابلة قد قام بالإبلاغ عن أنه كان قد رأى في نفس الليلة أشخاصا يحملون ربما ويقذفونها من فوق السطح مما يعني أنها جريمة قتل وليست حادثة انتحار، إلا أن الشرطة لم تعد كثيرا بكلام هذا الشاهد لأنه معروف عنه أنه سكير يحتمي الخمر بشراهة ومن المرجح أنه كان يتوهم كل ذلك وهو قائل للوعي، خاصة وأنه لا يوجد دليل واحد يثبت صحة هذا الكلام.

رفعت يارا عينين مذعورتين نحو يحيى الذي قال بسرعة وإن ظل التجهم يكسو ملامحه:

- أنا كلمت واحد صباحي إنجليزي كان معايا في الكلية في لندن بقى سيامي مهم وعنده علاقات قوية هناك، طلبت منه يسأل في الموضوع ده، قال لي إن الكلام ده صحيح إلا أن احتمال القتل ده تم التعميم عليه بأوامر عليا، حتى ماقيش أي جرنان تاتي نشر الموضوع ده، قال لي إن الموضوع شكله خطير وطلب مني إني ماتكلمش فيه.

نظرت يارا نحوه غير مصدقة، تساءلت والدهشة تعتل كل ملامحها:

- معقولة أوروبا بيتقى فيها فساد بالشكل ده؟ أنا كنت فاكرة إن التعميم والحاجات دي موجودة هنا بس.

- الفساد موجود في كل حتة يا يارا حتى ولو بنسبة ضئيلة، وبعدين ده مش فساد عادي، مش راجل أعمال دفع رشوة عشان مناقصة ترمي على شركته، كان واضح جدا من الأسماء اللي على ال iPad إن الموضوع يخص ناس بيتعكروا في سياسة العالم كله، كمان قتلهم لربما وتهديدهم ليكي يدل على أن الموضوع مش سهل، واضح إن فيه خطر يشع على مصالحهم أو فيه حاجة سما

خائفين إنها تتعرف، يبقى من الطبيعي إنهم يعاربوا بكل شراسة حتى لو اضطروا يلجؤوا للفساد في بلاد ما فيها فساد كثير.

بدا كلامه مقدما لها وإن ظلت غير قادرة على الاستيعاب أو حتى السيطرة على الرعدة التي انتشرت في جسدها والدموع التي طفرت من عينيها، عادت تقرا الخبر مرة أخرى في جزع شديد والألم يعتصر قلبها على تلك الأخت الصغيرة المسكينة التي تم الغدر بها في حياتها وبعد موتها، لم تلتفت إلى يحيى الذي لم يخفف التنجيم من ملامحه حتى بعد ما حل بها من جزع وألم، ظل يرمقها في جمود دون أن يتفوه بكلمة. صورة كريم ونظراته الواثقة المستغزة ظلت تحتل عقله وتشغل تفكيره عن أي شيء سوى هذا الغضب المكتوم الذي أحس به يسري في عروقه في تلك اللحظة. كلما ظن أنه تخلص منه عاد ليقفز في حياته مرة أخرى، منذ اليوم الأول الذي رآه فيه في المطار وهو يأتي دائما بفتنة ليفسد سعادته ويزيده حيرة وغيظا. ما يزيد غيظه أيضا هو حيرته في أمر بارا، كلما ظن أنه تأكد من مشاعرها نحوه يظهر كريم وتعامله هي بطبيعية شديدة فيعود شكه يوخزه ويؤرقه. لقد مل كل ذلك، يجب أن يعرف منها صراحة أيهما تحب وتفضل، لا يكفيه ما حدث بينهما البارحة، يريد كلاما ووعودا واضحة، إن كانت تحبه فعليا أن تختاره الآن، سيضعها أمام الاختيار وعليها أن تقرر الآن.

امتلا إصرارا وهو يتفك في نبرة واضحة وحاسمة:

- أنا عرفت النهارده الصبح إن المشاكل اللي كانت في بعثتي الدبلوماسية بالرغم من صدور الحركة من شهر تقريبا انحلت، وتم التأكيد خلاص على إني هابقى في بعثة نيودلهي ومسافر أول سبتمبر. رفعت رأسها ونظرت نحوه دون أن تفهم كل ما قاله، كان تفكيرها مشلولا من أثر كل ما عرفته عن موضوع ربما منذ لحظات، لم يترك لها الفرصة لتستوعب الصدمة الأولى عندما عاجلها بتلك الأخرى، ثم يكثر بالجزع الذي رآه في عينيها، استكمل في نفس النبرة الهادئة الممتلئة بالجسم:

- يعني ما فيش قدامنا إلا ثلاث شهور بس تقريبا عشان نخلص كل إجراءات السفر والجواز. اتسعت حدقتها وهي تنظر نحوه في استغراب شديد، ما حدث بينهما البارحة كان شبه تأكيد على نواياه في الارتباط بها، ولكنه يختلف تماما عن هذا الوضوح المخيف الذي يتحدث به الآن وهو



يضعها في حسم أمام خيار مصيري ووسط كل تلك الظروف المعقدة التي تحيا فيها، هتفت غير مصدقة لقل الكلمة التي تنطق بها:

- جواز!

أجابها بنفس الثبات:

- أيوه جواز، أمال إنتي كني فاكرة كلام إمبرج ده معناه إيه؟

أزدردت ريقها والمصدمة لا تزال تسيطر عليها، قالت في نبرة متقطعة محاولة العثور على كلمات تناسب وما يضطرم بداخلها:

- أيوه بس ده قرار مهم ومصيري، صعب إني أخده وأنقذه فجأة كده في فترة قصيرة، خصوصا وإن أنا عايشة في لخبطة مالهاش آخر، رئاسة المجموعة وموضوع ربما وألف حاجة تانية.

أجابها ببرود وهو لا يزال محتفظا بتجهمه ونبرته المبتورة:

- رئاسة المجموعة شفيق ممكن يمسكها ويديرها بكل بساطة زيك وأحسن منك كمان، وموضوع ربما خلاص خلص يا بارا، إحنا مانعرفش إيه هو أصلا الموضوع اللي ربما كانت قاصدها بكل اللي عملته ده، وحتى لو عرفنا، ماقيش معانا أي دليل لأي حاجة، إيه يعني شوية أرقام حسابات لناس زي دي؟ ما هو ده شيء طبيهي ومش دليل على أي حاجة.

نظرت نحوه غير مصدقة، إنه يتحدث مثلهم، يقلل من قدر هذا الشيء الذي أصبح يملأ حياتها بسبب ارتباطه الوثيق بتلك الأخت التي تشعر نحوها بمائة إحساس متضارب أبرزهم الإحساس بالذنب والذي تشعر أنها لن تتخلص منه إلا إذا نفذت ما تروده ربما منها والذي يشكل لها مشكلة كبيرة لأنها لا تعلمه، الشيء الوحيد الذي يبقي الأمل بداخلها ويمنحها قدرا من الثقة يعينها على المواصلة هو مساعدة يحيى لها واهتمامه، أما أن يتغلي عنها فجأة هكذا فهو ما لن تتحملة، صحيح أنها كادت تتغلي عن تمسكها بهذا الموضوع بعدما أصابها الرعب بسبب اختفاء يحيى في الصباح ولكنها وجدت كل عنادها وتمسكها يعود إليها مرة أخرى كأنها نسيت كل خوفها بعدما اطمأنت إلى وجوده أمامها، هتفت بصوت مبسوح:

- أنا مش مصدقة يا يحيى، إنت اللي بتقول كده؟ ده أنت تقريبا الوحيد اللي كنت مؤمن بيا وبتساعدني.



بدأ يفقد هدوءه وهو يجيها في عصبية:

- كنت باساعذك لما كان فيه حاجة أساعذك عشائها، إنما دلوقتي مافيش، كل طريق كان ممكن يوصلنا زي الخزنة وشغل الشركة وحتى هاشم فتح الله طلع ماييوصلش لأي حاجة، ده غير إننا اكتشفنا إن استمرارنا يعتبر انتحار، يبقى إيه اللي يخلينا ناستمر؟ عاوزين نكمل حياتنا ومستقبلنا مع بعض يا يارا، تمسكك ده مالهوش أي معنى غير إن فيه حاجة تانية غير موضوع ربما وإنتي بتستخدميه بس كمبرر.

هتفت وقد بدأت دموع تلمع في عينيها:

- حاجة تانية إيه اللي بتكلم عنها دي؟

أجابها في ثبات وقد استألت عيناه بيريق غريب كأنه ينتوي المجازفة بفتح هذا الجرح الآن ومواجهته مهما كانت النتيجة:

- حاجة زي كريم مثلا.

صدمت من كلامه، آخر شيء كانت تتوقع أن يشوله، ضاقت عينها أثناء محاولتها للاستيعاب قبل أن تهتف في استنكار:

- كريم؟! إيه علاقة كريم بالموضوع ده؟

زفر يحيى في نفاذ صبر قبل أن يقول محاولا كبت غضبه:

- يارا إنتي مش ملاحظة إنك دائما بتتهربي من إنك تحكي لي أي حاجة عن موضوع كريم؟ ده غير إنه دائما موجود في حياتك ومن غير أي مبررات، تفتكري إزاي أنا ممكن أتقبل موضوع زي ده؟ أنا تعبت من الحيرة والتردد والتفكير من غير ما أوصل لأي نتيجة ومن غير ما إنني تحاولي حتى تساعديني وتلبيتي لي صدق حبك ليا.

صممت يارا قليلا محاولة تنظيم تنفسها ثم قالت في نبرة منكسرة وقد طفرت الدموع من عينيها:

- أنا باحبك بجد يا يحيى، وموضوع كريم ده ماكنتش باحب أنكلم فيه لأنه بيؤلمني لما باحكيه مع أي حد مش معاك إنت بس، إنت غلطت لما ربطت موضوع ربما وموضوعنا بكريم، يحيى لو سمعت ماتخليش الغيرة تعميك.

عادت العصبية إلى صوته وهو يهتف:

- أنا الغيرة مش عامياني يا يارا. أنا عاوز أحط معاكي خطوط حياتنا دلوقتي وبكل وضوح.  
انتقلت عدوى عصبيةته إليها وهي تقول:

- يعنى إنت لازم تقدر ظروفى.

ازدادت عصبيةته هو أيضا وهو تهتف:

- إنتي كمان لازم تقدرى ظروفى وظروف شغلى.

أفلتت منها كلماتها في شمار عصبيةتها:

- يعنى ماتبقاش أنانى.

نظر نحوها وقد احتلت الصدمة ملامحه وتوقفت الكلمات على حافة شفثيه. هدأت نبرته وهو يقول غير مصدق:

- أنا أنانى يا يارا؟! أنا؟! بعد كل اللي عملته عشانك ده بتقولى عليا أنانى؟! بقى عشان باحاول أوفق بين شغلى وحيى ليكي أبى أنانى؟

لم تجد كلاما لتجيبه به. ربما تسرعت عندما قالت مثل هذا الكلام. لكن الآن وفي ظل تلك الظروف لا يوجد أي فرصة للتراجع. استدارت دون أن تجيبه. أعطته ظهرها واتكأت على حافة المكتب محاولة السيطرة على اضطرابها وغضبها وحيرتها وشعورها بالذنب من أنها سبب تلك النظرة المنكسرة في عينيه. ساد صمت طويل. لم يعترف أحدهما على قطعه بالكلام أو حتى بالحركة لأنهما يعلمان جيدا أنهما وصلتا لطريق مسدود. أي كلمة أو حركة في تلك اللحظة لن تكون سوى بداية لقطيعة وفراق لا يحتمله أي منهما مهما حدث بينهما.

ارتجقا عندما سمعا صوت رنين هاتف يارا المحمول. تماسكت ومدت يدها لتلتقطه من على المكتب. تحجرت عيناها وهي ترى الاسم الظاهر على الشاشة. "ندى العجرودي". كيف نسيها. إنها آخر أمل لها ليتم إنقاذها من كل هذا الغموض واليأس والإحساس بالذنب الذي تعيش فيه. إنها مرفأ النجاة الوحيد لمسؤوليتها نحو رما ولحياها وربما لحياتها كلها.

ضغطت الزر ووضعت الهاتف على أذنها محاولة السيطرة على نفسها وهي تهتف:

- ألو. أبوه يا ندى.

جاءها صوت ندى وهي تهتف متحمسة:



- بارا. عاملة إيه؟ واحشاني جدا.

- وإنتي كمان، أنا كويسة الحمد لله، إنتي عاملة إيه؟

- كويسة كويسة، ركزي بس معايا، مش هتصدقني، نادر أخيرا رد عليا.

هتفت بارا في صوت مبسوط وقد أخذ قلبها يخفق بعنف:

- فعلا؟

أجابته ندى بنفس الحماس:

- أيوه، بعث لي message على ال facebook من شوية. مش هتصدقني المفاجأة الثانية. نادر موجود

في مصر.

- في مصر؟!

- أيوه لسه واصل من ساعتين، وعاوز يشوفك النهارده، دلوقتي حالا كمان لأنه مسافر بالليل.

هتفت بارا في اضطراب تعبت وطأة كل تلك الصدمات التي تلقتها:

- طب، طب فين وإزاي؟

- عارفة grand cafe اللي موجود على الكورنيش في المعادي؟

أحست أن عقلها توقف، هي حتى غير قادرة على تذكر الطرق والأماكن، وجدت نفسها دون تفكير

تفعل ما تعودته دائما. الاستعانة ببعض الذي كان يتابع ما تقوله بلهفة حاول إخفاءها. التفتت

نحوه وهي تهتف مستنجدة:

- تعرف تروح grand café اللي على كورنيش المعادي؟

قال محاولا إخفاء ارتياحه:

- آه طبعا.

عادت بارا تتحدث في الهاتف قائلة:

- أيوه أعرف أروحه.

- حلو قوي، هو قاعد مستنيكي هناك دلوقتي حالا، روجي له بسرعة لأن واضح إن فيه حاجات

كثيرة لازم تقولوها.

أنهت يارا المكالمه مسرعه، للمت حاجياتها بيد مرتعشه وقد شحب وجهها وازدادت دقات قلبها عنفا، هي توشك على معرفه شيء خطير، شيء سيقلب حياتها، لا تعلم لماذا انقلب هذا الشعور لكنه كان قويا جدا بحيث كان من المستحيل التشكك فيه، كان قويا إلى درجة أنها أحست برعب غريب يجتاحها ويسيطر عليها، توقفت فجأة وأخذت تتنفس بعمق بعدما أحست أنها الآن في إحدى حالات الضمحف التي تغزوها فيها نوبات ضيق التنفس، يجب أن تتماسك، لا وقت للضمحف أو التغاذل، يجب أن تستمر في الطريق للنهاية مهما كان هذا الذي ستعرفه في النهاية، اقرب منها يحيى ببطء، هتف محاولا إخفاء قلقه:

- إنتي كويسة؟

تأملته لثوان في صمت لتستوعب ما يحدث ثم قالت محاولة التظاهر بالتماسك:

- أيوه، يلا بينا بسرعه، نادر مستيننا ولازم أقابله قبل ما يسافر، نفسي أفهم أي حاجه.



فشلت كل المحاولات في إخفاء اضطرابها، كان شحوب وجهها كفيلا بفضح ما يعتمل بداخلها من قلق شديد، وعلى الرغم من إحكام كلتا قبضتها حول يد حقيبتها المعلقة على كتفها لكن ذلك لم يمنع ارتعاش يديها المبللتين بعرق بارد ينضح من كل مسامها، لماذا كل هذا الخوف والقلق؟ لأنها على بعد خطوة واحدة أو ربما أقل من معرفة الحقيقة؟! وماذا في ذلك؟! لقد مرت بما هو أسوأ؟! وهل هناك أشجع من حقيقة مقتل ربما وليس انتحارها؟ بالطبع لا يوجد، ولكن ليس هذا هو ما يثير كل هذا الاضطراب بداخلها، مهما عظم ما ستعرفه الآن عن ربما فهو بالطبع لن يكون أقطع مما عرفته، هذا القلق الذي يحرقها من الداخل ليس له علاقة بما ستعرفه عن ربما، إنه بسبب ما ستعرفه عن منصور بك، هذا الرجل الذي كانت مستريحة عندما كانت كل الأسباب والظواهر تؤدي إلى شعور واحد تجاهه، ولم تعصف بها الحيرة إلا عندما تشتت الحقائق حوله فأصبحت لا تعلم بم يجب عليها أن تشعر نحوه؟ بالحب؟ بالكراهة؟ بالسخط؟! وحيرتها تلك لم تكن أقل من خوفها من الحقيقة المطلقة التي كانت متأكدة بأنها ستقلب حياتها رأسا على عقب، شيء بداخلها كان يؤكد لها أنها ستعرف الكثير اليوم ليس فقط فيما يخص ربما ولكن أيضا منصور بك، كل الشواهد تؤكد ذلك وخاصة طلب نادر مقابلتها خلال اليوم الوحيد الذي أتى فيه إلى القاهرة، ألم يكن الجهل أفضل من كل تلك الحيرة؟ ألم تكن الصورة الوهمية التي رسمتها مخيلتها مريحة لها أكثر من تلك الحقيقة التي كلما تكشف منها جزء ازداد ألمها وخوفها وتخبطها؟

عندما خطت داخل المكان كانت معظم الموائد خالية، أعصابها لم تتحمل كثرة البحث عن شخص يشبه هذا الذي رآته في الصورة، انتابها للحظة رغبة في الهروب من الموقف برمته، كادت أن تراجع لولا أن أحست بيد يعنى على ظهرها تدفعها برفق كأنه يعلم ما دار بخلفها بينما أشار بيده الأخرى نحو مائدة تقع في أبعد ركن في المكان كله، ملتصقة بالسور هي وشاب كان يقف بجانبها مستغرقا في تأمل السماء والنيل الذي كان يجري تحت قدميه مباشرة بينما ترك حاجياته وفنجان قهوته الخالي على سطحها، على الرغم من بعد المسافة بينها وبينه لكنها عرفته عي الفور، هو نادر بلا أدنى شك، اقتربت في خطوات مترددة ومضطربة مستميتة لتحافظ على توازنها وتمنع الارتعاش التي أصابت جسدها، وعلى الرغم من ذلك استطاعت أن تتأمله جيدا، يرتدي سروال "بيج" واسعاً

وقميصا أبيض في منتهى البساطة. ذقنه غير حليقة تماما وشعره المجدد أطول مما كان عليه في الصورة حتى أنه اضطر لضمه خلف أذنه بشيء لم تتبينه جيدا لتشابه لونه مع لون خصلات شعره.

عندما وصلا هي وبعي بجانب المائدة مباشرة هتفت بصوت خافت متلجلج كأنها تخاف أن تلتفت انتباهه:

- أستاذ نادر؟

التفت نحوها كأنه استفاق للتو من ثبات عميق، مضت لحظات قبل أن يكتمل استيعابه، وعندما أدرك ما يدور حوله ضاقت عيناه وهو يتأملها جيدا، تقلصت ملامحه بألم عابر لم يلبث أن أخفاه خلف ابتسامة صفراء رسمها على شفثيه وهو يجيب بترحاب شديد ولكنة لبنانية متميزة:

- أهلين ست يارا.

جاهدت لتبتسم ابتسامة لتيق بترحابه هذا الذي أبداه دون أن يحاول التأكيد من شخصيتها كأنه يعلمها من قبل، التفت نحو بعى وهو يقول في ثقة:

- أهلين أستاذ بعى.

لم يستطع بعى أن يخفي اندهاشه وهو يهتف وقد اتسعت حدقتاه:

- حضرتك تعرفني؟

اتسعت ابتسامته كأنه كان يتوقع اندهاشه هذا ثم أجابه في بساطة:

- إيه يعرفك، لما بنحكي أكثر راح خبرك ليش يعرفك، اتفضلوا.

تبادل بعى وبارا نظرات مسترربة وهما يجلسان بجانب بعضهما البعض، وأمامهما جلس نادر الذي أخذ يتأمل يارا بعينين تلتصقان بالألم وابتسامة تملأ بالهجرة، توقفت الدنيا من حوله لدقائق بدت طويلة جدا ليارا التي كانت قد وصلت إلى أقصى حالات الشد العصبي وهي تشعر بنفسها محاصرة بنظراته، لم يشعر بعرج موقفه ولا باضطراب يارا ولا باندهاش بعى، لم يقطع الصمت إلا عندما أراد ذلك، هتف بصوت بدا ضعيفا رغم محاولاته للسيطرة عليه دون أن يتوقف عن تأملها:

- بتعرفني إنك بتشبهي لربما؟ كثير بتشبهها.

بدت مأخوذة، ليس بما قاله، فهي تعرف ذلك جيدا، ولكن بتلك النظرة في عينيه، نظرة امتزج فيها الصدق بالحزن والتأثر بسبب فقدان والفرح بسبب رؤية من تشبه من فقدتها والانكسار من أحاسيس استيقظت فجأة واحتدمت واختلطت بداخله، يبدو أنها لم تكن الوحيدة التي خافت واضطربت بسبب هذا اللقاء، حاولت أن تجيبه أو حتى تبتسم، لكنها فشلت، توقفت الكلمات في حلقها وتجمدت الابتسامة على شفتيها، لم ينقذها سوى النادل الذي قطع الصمت والتوتر ليقوم بأخذ طلباتهم بسرعة.

بعد أن ذهب النادل التفت نادر نحوها وقد بدا أنه استعداد توازنه واستطاع السيطرة على ملامحه وصوته وكلامه وهو يقول:

- شو؟ يتحبوا تبدووا ولا أبدأ أنا بالحكي؟

أسرع يحيى مجيبا وقد بلغ فضوله مداه خاصة بعدما اندهش بحقيقة أن نادر يعرفه:

- إحنا ماعندناش حاجة نقولها يا أستاذ نادر، ماعندناش غير أسئلة، وأعتقد إن طلبك إنك تشوفنا في اليوم الوحيد اللي جيت فيه القاهرة معناه إن إنت عندك أجوبة وكلام كثير عاوز تقوله.

ابتسم نادر وهو يقول:

- صحیح.

اختفت الابتسامة من على شفتيه قبل أن يغمض عينيه ويضرب بحرقه شديدة لتهدئة نيران مندلعة بداخله، عادت مسحة من الألم تكسو وجهه وهو يقول:

- أنا ما كان بدي أحكي شي ولا حتى احي ع القاهرة، كل الحكي والذكريات وحتى شكل النيل بيحي جوايا ألم كنت باحاول انساه، بس مو بيدي، كان لازم احي وشوفك يا ست يارا واحكي لك ع كل شي كرما لربما وتنقيذا لأخروصيبة وطلب طلبتلي ياه.

خفق قلبها واتسعت حدقتها وهي تهتف في دهشة شديدة:

- ربما طلبت منك إنك تبجي القاهرة مخصوص عشائي؟

ابتسم وهو يقول مؤكدا:

- إيه صدقيتي، بس ما تغلينا نسبق الأحداث، خليني ابدأ من الأول.



صمت لدقائق حتى وضع النادل فناجين القهوة أمامهم وانصرف. ارتشف من قهوته وابتلعها كأنه يبتلع مرارا يملاً حلقه وأطلق زفرة أخرى مهبنا نفسه وإياهما لما سيقوله. تأمل قليلاً دوائر البن المتشكلة على حواف فناجانه. رفع رأسه وبدأ حديثه وقد ارتسمت ابتسامة حاملة على شفتيه كأنه يرى أمامه كل ما يحكيه. بينما حبست يارا أنفاسها وخف نبضها وهي تفرق فيما تسمعه:

- كان يعدي طفل صغير لما بيبي وامي تركوا لبنان وقت الحرب الأهلية وراحوا ع لندن. دانية اتولدت بلندن بعد ما استقرنا هنك وصار لنا شغل وأعمال وحياة كاملة. ولما خلصت الحرب وهديت الأمور صرنا نرجع كل شوي نزور أهلنا هنك إنما حياتنا كلها ضلت مثل ما هي بلندن. من شي سنتين أنا كنت إنسان مختلف تماما. إنسان مشتعل حماس من أجل القضايا السياسية. كان كل اللي عم يشغل تفكيري هو السياسة والحرب وأخبار المقاومة بفلسطين والحرب بالعراق والخلافات بلبنان والأوضاع السياسية المختلفة بالبلاد العربية كلها. وفي وسط كل ما الحياة المضطربة المشتعلة المظلمة بالسخط والظلم ظهر خيط من نور. شعاع بسيط دخل حياتي بخفة وهدوء وصار يفتح لإلي كل يوم طاقة أمل وسلام ما كنت أعرفهن أبدا.

صمت قليلا واتسعت ابتسامته وهو يقول:

- من سنتين انتقلت أختي من مدرستها لمدرسة جديدة واتعرفت ع ربما وصاروا أصدقاء قبل ما أنا كمان اتعرف عليها. وهذا الشعاع الرقيق الجميل اللي كنت بحكي عنه كان مصدره عيون ربما. أطلق زفرة ساخرة قبل أن يستطرد:

- أنا ما بتغزل بجمال عينيها مثل ما بيعكوا بالأغاني والأفلام. أنا بحكي عن نظرة عيونها.

عاد بجسده واستند على ظهر المقعد وأطلق أهة وهو يقول:

- آه من النظرة بعيونها. والله ما كانت بتحكي شي ولا بتقول لي شي. بس النظرة بعيونها كانت بكل الحكي. أول مرة أضبط حالي بفكر بشي غير المقاومة والنضال والسياسة. أول مرة أشعر بشي مثل هيك. فجأة ومن دون أي مقدمات. وجدت بنت بتنظر لإلي بشكل مختلف. مفتونة بشخصيتي. مستعدة تقعد تسمع لحكي ساعات من دون ملل. وإذا حبت توصل لإلي رسالة بحبها وإعجابها ما كانت بتستخدم شي غير عيونها وأفعالها. ربما كانت أكبر من دانية بس كانت معها بنفس العام الدراسي لأنها ما كانت منيعة بالدراسة. فجأة صارت بتهم بالدراسة والامتحانات بس لأن دانية



قالتلها اني كنت متفوق بدراستي بالجامعة. صارت تتابع الأخبار وتناقشني بكل شي ببصير بالمنطقة وتفاجئني وتبهرتي وتأسرتني كل يوم أكثر من اللي قبله.

كان يتحدث بحماس وعيناه تقطران عسقا غربيا، عسقا مفقودا لم يبق منه إلا ذكرى كان يحاول نسيانها ولكنه عندما اضطر لتذكرها وسردها غمرته واحتلته. وصار كأنه طوال كل ما مضى من وقت كان لا يعيها إلا بها ولا يتحدث إلا عنها، كان كل محاولات النسيان كانت تجري فقط لأنها يوما ما ستصب في بحر التذكر. كان أحاسيس اللحظات الأولى استيقظت فجأة بداخله فأصبح حائرا أنهم يتذكر أولا.

- وفي يوم سوبنا بحديقة بيتنا شي احتفال صغير لأصدقاءنا العرب بلندن ودعينا ليها صديق لبي كان في زيارة للندن لمدة يومين. الصديق هاي كان متخرط بالعمل السياسي وإله صلات كثيرة وبيعرف كتير عن اللي ببصير بالمنطقة. هايده الصديق كان بيحكى معي وفجأة سألني إذا كانت بنت منصور أبو بلاط عايشة بلندن مثل ما حكوا له؟ ما يعرف ليش ما اطمنت لسؤاله، ولقيتني بدال ما احكيه إنها إيه عايشة بلندن وإنها موجودة هون بالحفلة سألته ليش عم يسأل عنها؟ بمنتهى البساطة قال لي إنه بده يعرف كيف بيكون شكل بنت هايده الرجل اللي صار له أكثر من عشرين سنة بيساعد في توريد السلاح لكل الاضطرابات بالمنطقة من دون ما حدن يعرف شي عن حقيقته إلا قلة قليلة حتى ما بتقدر تحكي كتير بها الشفلة.

حدقت يارا نحوه بعينين امتلأتا بالذعر وعدم التصديق قبل أن تهتف بصوت مبحوح دون أن تحاول أن تخفي هذا الذعر:

- سلاح؟!

صمت لحظة ليرمق الخوف والدهشة والفضول على وجهيهما قبل أن يلقي بقنابله يهدوء:

- نعم، هيدا هو بالضبط اللي زما ضلت تفتش عنه حتى اتأكدت منه، منصور بك من أهم موردي الأسلحة بمناطق الاضطرابات والقتال بالشرق الأوسط وأفريقيا خلال العشرين عام الأخيرة.

ازدردت يارا ريقها بصعوبة قبل أن تنسأل وهي تفرك يديها الباردتين في خوف:

- قصدك إنه تاجر سلاح في السوق السودا؟

أطلق نادر زفرة ساخرة وهو يجيب:

- لا يا ست يارا، السوق السودا هاي بتضم صفقات صغيرة، تجار غلابة يا دوب يهروا كميات قليلة للعصابات والجماعات المسلحة الغير مؤثرة من دون علم الحكومات وعادة هيدا الصفقات بتعد خرقا للقوانين وبيعاقب عليها، إنما منصور بك ما شاء الله مو مجرد تاجر، منصور بك جزء من منظومة عالمية كبيرة.

صمت لحظة قبل أن يستطرد قائلا:

- شركات السلاح الكبيرة بأوروبا وأمريكا بتكون شركات خاصة أو حكومية أو خاصة بس عم تسوي بعض أعمالها وصفقاتها بترتيب من حكوماتها، كل شركة بتحتاج تسوي لحالها شبكة ضخمة من الagents أو الوكلاء السريين والسماسرة والوسطاء والتجار والميسرين أو الfacilitators، كل هادول بيكون لهن دور رئيسي في عقد وتنفيذ صفقات السلاح سواء كانت هاي الصفقات بتتم بشكل رسمي بين الدول أو بشكل خفي فيما يعرف بالسوق الرمادية، موهيك يا أستاذ يحيى؟ ابتسم يحيى نصف ابتسامة قبل أن يستفيض شارحا محاولا تذكر كل ما يعرفه عن هذا الشأن بينما تتابعه يارا بعينين ذاهلتين:

- مضبوط، شركات السلاح بتعقد صفقاتها في سوقين، إما السوق الدولية العادية اللي بيتم فيها صفقات شرعية بين دول مصدرة ودول مستوردة أو state to state deals، وإما السوق الرمادية ودي ببساطة عبارة عن صفقات سلاح بتوافق عليها حكومات الدول المصدرة للسلاح بس بتتم من خلال تجار أو dealers بتتفق معاهم الحكومة دي عشان ماتتورطش مع حكومات الدول المستوردة أو الحركات والمنظمات اللي الدولة المصدرة بتحرص على وصول السلاح لها، النوع ده بيسموه برضو عمليات المخابرات أو العمليات القذرة لأنه التجار دول بيقدروا من خلال قنواتهم الغير قانونية مساعدة مسؤولين كبار في دول عظمى في توصيل سلاح لمنظمات سياسية في مناطق مشتعلة أو حساسة أو لإرهابيين من غير ما المسؤولين والسياسيين دول يتورطوا تورط مباشر في التعامل مع الجماعات دي أو بمعنى آخر off the record deals أو صفقات غير موثقة أو غير مسجلة رسميا.

استطرد تادر ليكمل حديث يحيى مسرعا:



- بالضبط، في حالة السوق الرسمية الوكيل سيكون إله دور في إقناع الحكومات المستوردة ليشتروا من الشركة التي عم يشتغل لحسابها، إما من خلال نفوذه أو الlobbying والضغط التي يمارسه في دوائر صنع القرار بالحكومة المستوردة أو من خلال تسهيل تقديم الرشاوي للمسؤولين، وفي حالة السوق الرمادية ممكن يكون دوره في تسهيل النقل والتخزين من خلال تقديم الرشاوي أو التغطية على الشحنات المنقولة أو يكون دوره في تسهيل وتمويه عمليات تسديد تمن السلاح أو توصيل الرشاوي والعمولات، وهذا كان أهم دور لمنصور بك لأنه طبعاً من خلال شركاته ومشارعه وتواجدها في مناطق كثيرة بالعالم إلى جانب حسابات البنوك الكثيرة التي ييشتغل بها قدر يكون جزء من منظومات معقدة وسرية من الشركات والحسابات البنكية يلي بتبتكرها شركات السلاح لتوصل من خلالها المصاري أو الفلوس لوكلائها وعملائها وليتم من خلالها تسديد تمن الصفقات من دون لفت النظر أو إثارة الشبهات، منصور بك مارس كل هيدا كوكيل سري لعدة شركات أجنبية وساعد في صفقات توريد أسلحة لحروب أهلية وعرقية خلال العشرين سنة الأخيرة.

تساءلت يارا بعينين زانفتين ونبرة غير مصدقة:

- حروب أهلية وعرقية!؟

زفر نادرقبل أن يقول في بساطة كأنه خبير يتحدث:

- إيه للأسف، نحن ما بتعرف كيف دخل لها العالم أو كيف كانت البداية، بس التي ربما قدرت تتأكد منه هو دور منصور بك في وصول أسلحة للحرب الأهلية بلبنان وليباد كثيرة بأفريقيا كان مفروض عليها حظر دولي لتوريد أسلحة، مثل الأسلحة التي وصلت لرواندا من غرب أوروبا وقت الحرب الأهلية والإبادة الجماعية التي صارت هنك بين ١٩٩٠ و١٩٩٤، وأسلحة اتوردت للكونغو من مغزون السلاح التي اتبقى بدول شرق أوروبا بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وقت الحرب الأهلية بين ١٩٩٨ و٢٠٠٣، وأسلحة من بولندا لأحد الأطراف المتنازعة بالحرب الأهلية بالصومال عام ١٩٩٢، وأسلحة من روسيا والصين للسودان وقت أزمة إقليم دارفور في فترة ما بين ٢٠٠٠ و٢٠٠٥، هيدا طبعاً غير الأسلحة التي اشترتها أمريكا من دول ثانية وشحنتها بالمر لأفغانستان وقت الحرب الباردة، ما بعرف إذا كان منصور بك اتورط بكل هاي الصفقات أو جزء منها ودرجة تورطه بكل

صيقة، هو ما كان من الوكلاء الكبار الرئيسيين التي ممكن بعد سنين يظهر اسمه في الوثائق أو بالكتب والأبحاث التي يسموها باحثين لكشف المشتغلين بتجارة السلاح، بس المؤكد إنه كان إله دور ب على الأقل بعض منها.

لحظة صمت قبل أن يقول يحيى محاولا ربط الحقائق:

- ولوربطنا الكلام ده بالأسامي التي موجودة على الipad هنلاقي إن اللي حصل مع ربما ده طبيعي جدا، انتقلت وبعدين الموضوع اتوضب عشان بيان إنه انتحار مع التعقيم على كل حاجة ممكن تبوظ الترتيب كله، ده شيء طبيعي جدا وحصل كتير في مجال تجارة السلاح، إحنا بنتكلم في أكثر تجارة تاريخها مليان بالفساد والرشوة حتى في أكثر البلاد ديمقراطية وأكبر المؤسسات التشريعية والحكومات الأمريكية والأوروبية، وموضوع القتل اللي بيان انتحار ده مش حاجة جديدة أبدا عليهم.

لم بيد على يارا أنها اهتمت بكل ما قاله يحيى الذي ما إن أنهى كلامه حتى هتفت متسائلة في حق:

- أبوه بس إزاي ربما عرقت؟ وإيه اللي خلاهم يقتلونها؟

زفر نادر قبل أن يستطرد قصته:

- بعد هيدا الحكي طلبت من صديقي هاي إنه ما يحكي بها الشغلة أبدا خاصة هون بالحفلة، كنت خايف ربما تعرف أي شيء القليل ت اقرر شواللي لازم سويه بها الشغلة، بس اللي ما كنت عامل حساباه هو إن ربما تكون سمعت كل الحكي اللي صار بيناتنا.

اتسعت أحداقهما في ذعر بينما هتف يحيى متسائلا:

- سمعت إزاي؟!

- أنا والزلمة كنا واقفين بأول الحديقة بالقرب من باب البيت ولما تركته ودخلت اكنشفت إن ربما كانت واقفة خلف الباب وسمعت كل الحوار، طبعاً انهارت وضليت بعدها أيام يقنع فيها إنه ها الزلمة كذاب وما بيضم بشي وإنما لازم ما تصدق اللي سمعته وتنساه، خوفا عليها وحيا اللي اكنشفت فجأة قد ايش هو مسيطر علي خلاني قررت إنه حتى لو كان هيدا الحكي صحيح إلا أنه ها الشغلة لازم ما تنفتح مرة ثانية أبدا كيما لربما لإحساسها وحيا العنيف لبيها، بصعوبة قدرت أقتنعها إنها تنسى كل شيء وتكمل حياتها بطبيعية، بس بعد هيك اكنشفت إنها تظاهرت بالاعتناع



وانها ضللت شهور بتبحث بالخفي بها الشغلة حتى قدرت تتوصل لكل المعلومات والحقائق الي جزء كبير منها كان موجود بخزنة منصور بك بالدولاب الأزرق اللي هي كانت كاتبه اسمه والرقم السري لخزنته بالدفتر، ربما قدرت تعرف رقم الخزنة وفتحها ولقت فيها أوراق ومستندات مرعبة، أسامي السياسيين ورجال الأعمال اللي كتبتهن باللسة وصفاتهن بالنسبة لشركات السلاح والصفقات اللي صارت وأرقام حساباتهن اللي بيوصل لهن العمولات والرشاوي عليها وتفاصيل بعض الشبكات المعقدة اللي حكيت عنها من شوي وكيف المصاري كانت بتدخل شركات وحسابات المجموعة وتخرج منها لحسابات هادول العالم وحتى رقم حساب منصور بك الخاص، وبالأيام اللي كان منصور بك بيسافر لهن لندن أو بيسافروا كهن لأي بلد ثاني بأوروبا كان بيتركهم ويطلع يلاقي عالم يتناقش معهن في تفاصيل شغل وصفقات وربما قدرت تراقبه بكام مرة وتصوره معهن، ربما سجلت كل شي وبحثت بكل اتجاه منشان هيك أنا بعرفك يا أستاذ يحيى لأن جزء من بحث ربما كان معرفة كل معارف منصور بك المتورطين معه بها التجارة بس الحمد لله اتأكدت إنه لا غيار عليك.

قالها مبتسما فابتسم يحيى في اطمئنان بينما هتفت يارا التي لم تلتفت لابتساماتها والصدمة لا تزال تحتل كل كيانها:

- و مين طلع متورط معاه؟

مط نادر شفتيه وهو يقول في غير اكترات:

- ما كان في حدن من اللي يشغلوا بالمجموعة متورط بها الشهي، منصور بك كان فاضل تماما بين أعمال المجموعة والتجارة الثانية، ما كان حدن بيعرف أي شي أو على الأقل حقيقة الأشياء الغربية اللي بتصير وإن الصفقات المرية أو هاي اللي ما يتم للنهاية ما هي إلا صفقات وهمية للتغطية على مصاري وتعاملات شركات السلاح غير منصور بك وأكد طبعاً شريكه الأساسي، الأستاذ شفيق.

زفرت يارا في سخرية عند سماع الاسم، بينما تساءل يحيى في حيرة:

- بس ليه شفيق قال للبوليس إن الخزنة كان فيها ورق شغل مش مهم؟! ماخافش إنهم لما يفتحوها يلاقوا الورق اللي أنت قلت عليه دلوقتي؟

مط نادر شفتيه وهو يقول في قلة اكترات:

- يمكن شفيق كان واثق إنه العالم يلبي بيتعاملوا معهن بالخارج هن اللي سرقوا الخزنة. ومادام قدروا يوصلوا لها يبقى أكيد أخذوا كل اللي فيها منشان هيك ما كان بيقرق شو اللي بيقوله للبوليس. وحتى لو ما كانت هاي الفكرة مرقت ع باله. كان بدك يعني يقول لهن على حقيقة الأوراق وبفضح حاله وبفضح منصور بك من دون ما يكون متأكد إن الورق موجود بالخزنة؟ شفيق أذكي من هيك. أكيد فكر إنه يقول أي شي لحد أما يفتحوا الخزنة وبعدها يتصرف على أساس شو جواها.

أوما يحيى مقتنعا بكلامه بينما كانت يارا تستمع إلها وقد عقدت ذراعها أمام جسدها وشردت ببصرها نحو النيل دون أن تنطق بكلمة واحدة. وقد كسا وجهها غضب وحزن والتمعت في عينها دموع مكبوتة أبي السخبط بداخلها أن يتركها تسيل أمام كل تلك الحقائق المخزية. ساد صمت مشحون بالتوتر قطعته يحيى متسائلا في تباسط ليخفف من الحدة التي احتلت الأجواء حولهم خاصة بعدما رأى كل هذا الألم في عيني يارا وقشورها في إخفاء سخطها:

- واضح إن ربما كانت بتقول لك على كل حاجة؟

ابتسم نادر ابتسامة تضي بما في داخله من ألم وهو يقول:

- ربما ما حكيت لي على أي شي إلا متأخر جدا. حكيت لي وأطلعيني على كل الأوراق والمستندات اللي قدرت تحتفظ بصور منهن. حكيت لي على كل شي عرفته ما عدا أهم شي صار بسببه كل اللي صار. ضاقت عينا يحيى معاولا فهم ما يرمي إليه بينما التفتت يارا نحوه في تردد وقد أحست بما سيقوله نادر الذي استطرده في ألم:

- ربما ما حكيت لي إنه بكرة وهي بتصور منصور بك مع سياسي معروف بأحد القنادق بلندن شاقها ال Body Guard تبع ها الزمة وصورها. وطبعا هادول الناس عرفوا بسهولة مين هي وشو بتسوي واتصلوا فيها وهددوها بالقتل لو ما اتراجعت. خاقت علي منهن وخافت إنني أضغط عليها لتتوقف عن كل اللي كانت ناويها. ولما اتأكدت إنها راح تموت. أقنعتني أنا ودانية إننا نستغل فرصة سفر أمها ونروح معها ع بيروت ت نזור أهلنا من دون ما تقولنا شي. وفي اليوم اللي وصلتنا ع المطار الضهبر رجعت ع فرع شركة البريد المعيد عن بيتها. اختارت الفرع الموجود بنفس البناية اللي بها ال gym اللي كانت بتتردد عليه حتى ما يشك اللي كانوا عم يراقبوها. وأرسلت لإلك يا ست يارا

مفاتيح توصلك للحقيقة اللي اكتشفتها بعد ما اتخلصت من باقي المستندات الصريحة الواضحة حتى ما يقعوا بايد حدا ثاني، وأرسلت لي جواب ع بيروت، خافت تبعت لي email أو message خوفا من إنه تكون حساباتها الإلكترونية مخترقة، بالجواب حكيت لإلي على التهديد واللي هي متأكدة إنه راح يصبرلها وطلبت مني إني أحاول أتواصل معك وأقول لك على كل الحقيقة قبل ما تودعني بالأخر، وبنفس اليوم بالمساء، قتلوها.

صميت ليكبت دموعا التمعنت بعيليه حتى لا تنزلق أمامها، لكن يارا لم تستطع، انزلقت دموعها حارة على وجنتها وهي تسمأل في نبرة ضعيفة كأنها تتوسل إليه ليريحها ويغيرها بالحقيقة حتى لو حطمت تلك الحقيقة كل أوامها التي كانت ترتاح لها في الماضي:

- ليه ربما اختارتني أنا بالذات يا نادر؟

مط نادر شفتيه وهو يقول في حيرة:

- ما بعرف، يمكن لأنك إنتي الوحيدة اللي ما كنتي تقدرني تمنعها من مواصلة هيدا الشئ اللي بدأنه ولا كان حدا هيفكر إن الأدلة معك هلا وبؤذيك مثل ما كان ممكن يصبر لإلي أو لأي شخص قريب من ربما، أو يمكن لأنك إنتي كمان ابنة منصور بك وهيدا المصاب اللي صاب ربما بعد ما عرفت كل شي عن بيها بيصيبك إنتي أيضا، مو متأكد، بس الشئ اللي أنا متأكد منه منيح هو إن على الرغم من إن ربما ما كانت تعرفك بس عن جد كانت بتحبك.

هتفت يارا في صدمة:

- بتعيني أنا؟!

اتسعت ابتسامه نادر وهو يستطرده مؤكدا:

- إيه والله كانت بتحبك، كانت تحكي وتقول "يا نادر أنا بحب أختي حتى من غير ما أعرفها"، كان بدها تعرف كل شي عنك وعن أمك، كان بدها تشوفك وتقعده تحكي معك وتبوح لإلك بأسرارها وتحكي لك عني وعن قصة حيا معي، كانت بتقول إنه أجمل إحساس هي انحرمت منه إحساس الأخ أو الأخت كان فيه جزء ناقص منها وما بده يكمل إلا بيكي، بس بعد هيك كانت تبتسم بسعادة وتقول إنها مو راح تنحرم منه طول عمرها لأنها عن قريب راح تيجي ع مصر وتفتش عليكي وتقابلك



ويصير لها عن جد أخت كبيرة وصديقة تستند عليها طول عمرها، بس يا خسارة، ما لحقت حتى ترجع ع وطنها.

صمت نادر مرة أخرى وقد بدت آثار الألم واضحة على وجهه، بينما أبعدت يارا عينها المبللتين وشردت مرة أخرى نحو النيل كأنها تخشى أن يرى أحد كل هذا الإحساس بالذنب الذي عاد ليعذبها مرة أخرى بعد كل ما سمعته من نادر عن تلك الأخت الرقيقة الحنونة الشجاعة، التي بنت حولها في الماضي أوهاما صارت الآن تخجل منها ومن نفسها لأنها يوما ما فكرت بتلك الطريقة في ربما بينما كانت هي تتحرق شوقا لرؤيتها والقاء نفسها بين أحضانها.

أحس يحيى بحرج شديد من كم الألم البادي على وجهيهما فتساءل في تياسط محاولا كسر الصمت وتخفيف حدة التوتر:

- وتمعلم إيه دلوقتي يا أستاذ نادر؟ هتشارك في العمل السياسي؟  
مط نادر شفتيه قبل أن يقول:

- لا لا، اليوم أنا صبرت كثير مختلف عن قبل هيك، آخر شهرين غيروا في أشياء كثيرة، صبرت أكره الحرب والسياسة، حتى النضال بأي بلد صار إله أبعاد سياسية واختلافات داخلية مقززة، إذا انضميت لأي معسكر ما راح صبير متاضل من أجل الوطن وبس لكن غصب عني راح حارب وناضل من أجل اختلافات سياسية ما إلها علاقة بالهدف الأساسي اللي بدي اوصول له، كأن حالنا السيء مو كفاية، وصار السياسيين والقادة يخترعوا خلافات بينهم ت يزودوا مصيبتنا ومصيبة أرضنا، ما راح أقبل إن حدا يستغل حماسي لأغراض شخصية، بس بنفس الوقت ما راح أقدر كون سلمي ولا ساعد في شي، منشان هيك استغلتي شهادتي الإنجليزية وحصلت على وظيفة بإحدى لجان الإنعاش بالأمم المتحدة بالشرق الأوسط، من ناحية راح أضمن إنني ضل أتردد على البلاد العربية ومن ناحية أخرى راح أخدم وساعد أهلي المتضررين من أذى الداخل قبل أذى الخارج.

ثم تدارك مقيرا دفة الحديث بعدما تذكر أمرا هاما:

- أه كنت راح أنسى، فيه حدا كلم يارا وهددها؟

نظرت يارا نحوه بنفس النظرة العزينة دون أن تجيب بينما قال يحيى في ضيق:

- أيوه كلموها وهددوها، وأكديد هما دلوقتي عرفوا إننا قابلناك وعرفنا منك كل حاجة.



- حرك نادر رأسه في استهانة وهو يقول:
- لا مو بالضروري، أنا ما جيت ع القاهرة إلا لما اتأكدت إن ما في حدن يراقب يارا ولا يراقبني. وسويت كل شي حتى ما حدا يعرف أمر السفارة هاي، يعني مو بالضرورة يعرفوا إننا اتقابلنا. عقد يحيى حاجبيه وهو يتساءل مستنكرا:
- طب إزاي عرفوا إن الصندوق معاها وإننا بندور في ملفات الشركة إذا ما كانوا يراقبوها؟ رفع نادر كتفيه وهو يقول:
- ما يعرف، بس أنا متأكد إن ما فيه حدا يراقب يارا. أنا قدرت أتأكد من هيك. على العموم، ديروا بالكوا ع حالكوا، هادول الناس مجرمين وما بيمزحوا.
- فابتسم يحيى وهو يقول:
- وإنت كمان يا أستاذ نادر خد بالك من نفسك.
- ابتسم نادر في مرارة وهو يقول:
- لا خلاص، ما عاد تهمني حياتي، يساووا اللي بدهن ياه. أنا بس اتأكدت من شغلة المراقبة هاي قبل ما آجي على القاهرة حماية لإلك إنتي يا ست يارا، إنما أنا ما بيميني، أنا عايش بس ملشان أمي وأختي إنما بعد ربما خلاص. ما بقى فيه شي أخاف على حياتي ملشانه.
- تساءل يحيى في حيرة:
- طب إحنا المفروض نعمل إيه بالحاجة اللي معنا دي؟ بعد ما خزنة منصور بيه اتسرقت أعتقد إن المعلومات اللي معنا فقدت جزء كبير من أهميتها.
- زفر نادر قبل أن يقول:
- شوف يا أستاذ يحيى، ربما كان عندها فرصة كبيرة إنها تتخلص من كل شي وما تقول لحدا أو إنها تنشر كل المعلومات وتفضح هادول الناس وتفضح بيها معهن، بس هي ما سوت شي. وماتت من دون ما تتخذ قرار. لا قدرت تقتل ضميرها وتخفي الحقيقة وتدمرها ولا قدرت تؤذي بيها وتسيء لإله. يمكن هي لما بعثت كل شي لإلك يا ست يارا ظنت إنك راح تاخدي القرار أسرع منها لأنك ما تعرفني بيك ولا بتعبيه مثل ما كانت ربما بتحبه وبالتالي مو هيك صعب عليك إنك تنشري كل هاي المعلومات، بس شو لازم تسوي هلا ما يعرف، حتى ربما ما طلبت مني بالجواب إنني أقول لك

على شيء محدد تسويه، هيدا قرارك، بس أعتقد إن بما إن الخزنة اللي بالدولاب الأزرق اتسرفت يبقى خلاص ما بقى فيه شيء يثبت صحة الكلام اللي راح تشروه، وميك راح تجيبوا لإلكن المتاعب بلا داعي.

التفتت يارا نحوه وهتفت في حدة والدموع تطفر من عينها:

- يعني إيه بلا داعي؟! يعني ربما تموت وفي الآخر مافيش حاجة من اللي هي كانت عاوزاه تحصل؟

ابتسم نادر بعدما رأى حماسها وفهم ما يدور بداخلها قبل أن يتساءل في هدوء:

- ومين قال لك إنه هيدا هو اللي كانت ربما عاوزاه؟ مين قال لك إن ربما كان بدما إن بيها يتفضح؟

ازدادت حدتها وهي تهتف غير مصدقة:

- أظن هتقول لي ثاني إنها كانت بتحبه؟ حتى بعد اللي عرفته عنه؟

لم تفارق الابتسامة شفثيه وهو يجيب في ثقة:

- إيه، كانت بتحبه، حتى بعد اللي عرفته، لأن اللي عرفته هيدا كانت حقيقة منصور أبو بلاط، إنما

ربما ما كانت بتحب منصور أبو بلاط، ربما كانت بتحب منصور، منصور بس، فهمتي علي؟

نظرت نحوه دون أن تنبس بكلمة، عيناها تنضحان بغضب وسخط عجيبين، يكاد يفتك بها الغيظ

بسبب تلك الأخت التي ما كرهت أباهما حتى آخر يوم في عمرها بينما يارا لا تعرف حتى الآن كيف

تحبه، استطرد نادر قائلًا في هدوء وكأنه يلقي على مسامعها خلاصة تجربته في الحياة:

- اسمعيني منيح يا ست يارا، ربما ماتت بسبب العالم هادول، بس مو وحدها، ربما مو هي أول

واحدة يقتلها ومو هي أكثر واحدة تستحق الانتقام من أجلها، الملايين اللي ماتوا بالمناطق والحروب

اللي حكيت لك عنهن ما وجدوا حدا يلتقم لهن مع إنهن ماتوا بسبب نفس العالم وحتى من دون ما

يسوا أي شيء، الحقيقة اللي يدك تشرها واللي راحت أدلتها واختفت، كل الناس بتعرفها، كل

الناس بتعرف مين اللي بيغذي الخلافات، بيناتنا ويزودها بالسلاح والمال والوقية، ما فيه شيء

جديد باللي راح تقوليه، حتى الأسامي كلها معروفة، يمكن اسم منصور بك هو الشيء الجديد، بس

شو هي الفائدة؟ بلادنا بيها ألف منصور بك وكل يوم راح يصير ألف غيره، على الأقل منصور بك

كان به شيء مختلف، شيء خلى ربما تظل تحبه حتى بعد كل اللي عرفته واللي صار، يمكن راح

تستغربي من كلامي هاي وتظلي إني جبان أو تتسألني كيف اللي بيقتضي معظم وقته بين ضحايا

هادول المجرمين مو متحمس لأن حقيقتهم تنفضح وتبان. بس أنا بدى قلق شي. نحنا مو ضحايا حدن. نحنا ضحايا أنفسنا. وهادول المجرمين ما كان راح يبيعوا سلاح لإلنا إذا ما كان لاقوا حدا منا بده يشتري.

صمت نادر قليلا قبل أن يستطرد قائلا:

- الشئ المختلف اللي كان عند ربما هو الأدلة اللي عرفت مكانها، والأدلة خلاص راحت واختفت، وناس مثل هادول العالم ما فيه حدا بيقدر يحاكمهن حتى لو معه دليل، فما بالك لو مو معه؟  
روحي اقري وشوفي شو اللي صار لوكلاء وتجار السلاح اللي خربوا العالم ووردوا أسلحة لمناطق مفروض عليها حظر بيع سلاح وخرقوا كل القوانين. يا إما ما صار لهم شي أبدا يا إما اتقبض عليهم والتحقيق اتقفل بتدخل حكومات أوروبا وأمريكا يا إما اتحكم عليهم بأحكام مخففة بعد ما عقدوا اتفاقات وتسويات مع الحكومات اللي معظمها كان بيعرف كل شي سووه من البداية، وبكل الأحوال ينتهي بمعظمهم الحال بحياة فخمة ومرحة بمنتجات أوروبا مستفيدين من ثغرات النظام القانوني الدولي ومتخبين ورا غطاء محكم من السياسيين الأقوياء ووكالات الاستخبارات. ست يارا أنا مو بكسر مجاديفك مثل ما بتحكوا بالمصري، أنا بس بحكيك رأيي، والمنطق اللي بحكيك ياه مو جاي من قراغ. هيدا خلاصة تجربة ممكن تكون قصيرة لكنها ما اتوفرت لكثير من الناس اللي بمتل سني، ساوي اللي بدك ياه واللي شايقاء صحيح والله يوفقك ويحميكي، بس اتذكري إنه مثل ما كانت ربما ت نشر الحقيقة كانت كمان ما بدها بيها يتلندي ولو حتى بالكلام، لأنه مو راح يصير غير الكلام ويس صدقيني، بس حتى هيدا ربما ما كانت بدها إنه يصير، والرغبتين كانوا متساويين عندهما في الوقت اللي الفرصة كانت سانحة قدامها والأدلة كلها موجودة بخزنة منصور بك وهي معها نسخة منهن.

خيم صمت ثقيل عليهم. كل شارد في دنيا خاصة به. نادر يقاوم الألم الذي كان يظن أنه نسيه حتى اكتشف الآن فقط أنه كان حيا بداخله طوال الوقت. يارا تتمزق بين ألم وحيرة وإحساس بالذنب والندم، مشلثة بين مائة إحساس تعوا أختها ونحو أبيها ونحو نفسها وفي نفس الوقت تبذل مجهودا خارقا لتكبت دموعها وانفعالها، ويحى يعلم كل ما يدور بداخلها ويشفق عليها من تلك الحيرة



وهذا الألم، خاصة بعدما رأى هذا السلوك العدائي الذي بدأ يظهر في انفعاليتها لتداري به التمزق الذي تشعر به والذي بدأ واضحا جدا في الدموع الحبيسة في مقلتها.  
نظر نادر في ساعته قبل أن يقول ممهدا لإنهاء المقابلة:

- يدك تعرفني أي شي ثاني يا ست يارا؟

تأملته قليلا وهي تحاول تمالك نفسها حتى لا يحدث لها أي من التقيضين: الانفعال أو الانهيار، سألته في نبرة حاولت أن تكون طبيعية وإن لم تغل من شيء من التوسل:

- ليه الصندوق كان لونه أسود يا نادر مع إن ربما ماكانتش بتحب اللون ده؟

ابتسم نادر ابتسامة حاول أن يخفي بها ألما حل بوجهه بعدما مرت بعض الذكريات أمام عينيه وهو يجيب:

- ما كان أسود يا يارا، كان لونه بين الأسود والبني المحروق، شي مثل لون قشرة الكوكونت.

همست يارا في دهشة وقد لاحت شكل السلسلة الذهبية أمامها وتردد في أذنها اسم المجموعة التي أخبرها بها مسيو فايز:

- كوكونت؟!

لوح نادر بيده في الهواء وهو يقول:

- آسف، يقصد جوز الهند، ربما أصلها ما كانت تعرف اسم الكوكونت بالعربي، ما درست لغة عربية بالمدرسة ومعظم تعاملاتها حتى مع أمها كانت باللغة الإنجليزية، منشان هيك كانت دائما تحكيه كوكونت وأنا كنت دائما مازحها بسبب هيك.

عاد الألم يكسو ملامحه بعدما تذكر تلك اللحظات الجميلة بينه وبينها ولكن يارا لم تنتبه وعادت تتساءل في إلحاح:

- ليه طيب اختارت صندوق باللون ده وهي ما بتحبوش؟

- هي ما اختارت شي، هيدا الصندوق أنا اللي كنت جيته لإلها بعيد ميلادها اللي فات وخطبت لها فيه الهدايا اللي جبتها ياها، واخترتة بها اللون وأنا يعرف إنها ما بتحبه ت امزح معها.

زفر مبتسما قبل أن يستطرده:



- ربما كانت كتبر متفائلة ومرحة وتكره الحزن والتشاؤم وأي شي مرتبط بالنكد حتى الألوان الداكنة وخاصة الأسود. كانت بتقول إنه معظم الحاجات اللي بتضايق الإنسان وتنكد عليه ما هي إلا أوهام صنعها بخياله وغلف بيها حقيقة مش لازم تكون حقيقة رائعة لكنها على الأقل أجمل من أوهامه اللي عايش فيها. حاجة مثل قشرة جوز الهند، داكنة وناشفة وخشنة، بس لو ما انخدعت بيها وما ينست منها وقدرت تفتحها راح تلاقي جواها عصير مسكر وفاكهة طعمها حلو أحلى من الأشياء السخيفة اللي ممكن تكون اتصورت إنها موجودة خلف ها القشرة. أنا دايمًا كنت أختلف معها. هي متفائلة جدا وأنا واقعي وأكاد أكون متشائم بزيادة. كنت أقول لها إن فيه ناس كتيرة المآسي بحياتهن مو أوهام صنعوها بخيالهن، إنما حقيقة واقعة ومؤلمة. كانت تفيظني أكثر وتقول لي إن أكيد كل حقيقة مؤلمة وقاسية في خلفها حكمة جميلة وحقيقة أحلى منها أيضا مثل ما الطبقة البيضاء المسكرة لازقة بقشرة جوز الهند الداكنة من جوا. ولما كنت اتعصب وحاول أنصب لها فح وأثبت لها إن رأيها خطأ، كنت أسألها عن شو هي الحقيقة الجميلة المتخفية خلف المأساة الموجودة ببليدي وببلاد ثانية كتيرة حوالينا، كانت بكل بساطة تقول لي إنها ما بتعرف بس هي واثقة إن الله إله حكمة وإنها أكيد راح تظهر بالوقت المناسب.

صمت قليلا يستجمع نفسه وقد وصل لمعان عينيه إلى أقصى درجة. كأن الدموع التي نجح في إخفائها كل هذا الوقت لم تتحمل كل تلك الذكريات التي اضطر لتذكرها وسردها الآن. استكمل محاولا إخفاء ألمه ومقاومة دموعه بابتسامة حائرة:

- والله ما يعرف من وين كانت بتجيب كل ها القوة والتفاؤل. كل ما بسترجع كلامها بادرك إنني كنت قدام فيلسوفة صغيرة ما كنت مقدر قيمة آراءها وغرابة إنها تكون بها السن الصغيرة ومتريية بها البيئة وعندها مثل ها الآراء القوية. آخر وصية كتبتها لابي بالجواب كانت...

صمت فجأة وأدار وجهه باذلا مجهودا خارقا ليسيطر على حشجة صوته ويمنع دموعه التي كانت على حافة عينيه. نظر نحوه يحيى مشفقا بينما تعلققت به عينا يارا التي عادت الدموع تخط خطوطا شفافا على وجنتها وهو يحاول أن يبدو متماسكا وهو يستكمل قائلًا:

- كانت هيك بالحرف "إياك والتشاؤم، الجبناء فقط هم من يتشاءمون لأنهم لا يجدون ما هو أسهل من الاستسلام للتشاؤم، فالشجاع الحقيقي هو من يملك شجاعة التفاؤل". وعلى الرغم من

إن كل الجواب كان بالإنجليزي إلا إن ما الجملة بالذات كتبها باللغة العربية وما بعرف كيف قدرت تكتيها. مثل ما قلت لكن ربما ما كانت بتعرف عربي منيح. حتى جوز الهند ما كانت بتعرف اسمه بالعربية.

عاد ليصمت مرة أخرى محاولا كبت ألمه والتغلب على دموعه. سادت فترة من الصمت كانت كافية حتى يتماسك نادر مرة أخرى وتفرغ يارا شحنات دموعها بعد أن سيطر عليها استيعابها لحقيقة أن ربما لم تكن فقط تشبها في الشكل والمضمون بل وأيضا في الظروف المحيطة بها. هي أيضا كانت تعيش على الأقل آخر عامين من عمرها تلك الحالة التي وصفها لها يحيى من قبل. كانت تعيش في دنيا غريبة ومختلفة عما بداخلها بدليل استغراب نادر من أن يكون لفتاة في مثل عمرها ومثل بيتها تلك الآراء الفلسفية. مدت يدها وأخرجت السلسلة الذهبية من خلف ملابسها. اتسعت ابتسامة نادر ما إن رآها قبل أن يقول:

- أول ما شفت مجموعة كوكونت هاي. جبت السلسلة بسرعة لربما وأهديتها لها بعيد ميلادها. كان قصدي امزح معها وضايقها. قلت لها شايفة حتى السلسلة الذهب لما فكروا يسووها على شكل جوز الهند ملأوها فصوص لونها داكن. ساعتها ابتسمت وقالت لي بمنتهى الثقة إنها راح هي بنفسها تغلق خلف القشرة المليانة فصوص داكنة الطبقة الحنوة المسكرة وإنما لتسويها الشغلة راح تستخدم أهم وأقرب ناس بحياتها.

مد يده وأخرج مفتاحا ذهبيا صغيرا من جيب قميصه. أطلقت يارا شهقة دهشة عندما رآته بين أصابعه. أدركت أن كل ما ظنته كان حقيقة. المفتاح ظهر في الوقت المناسب. ربما جعلته يظهر في الوقت المناسب. كانت محقة عندما وثقت بها.

دون أن تغلق السلسلة من رقبتها. اقتربت حتى أصبحت ثمرة جوز الهند الذهبية الصغيرة في متناول يد نادر الذي أمسكها وقلبها. أدخل المفتاح في الفتحة الصغيرة وأداره برفق فصدرت عنه صوت "تكة" اللسان الذي انفتح أخيرا.

بيد باردة تناولت يارا الثمرة الذهبية وفتحتها ببطء وقلبها يكاد يتوقف من شدة خفقانه. وعندما أصبحت الثمرة مفتوحة على مصراعها أدركت يارا أن تلك الطبقة البيضاء الحلوة التي صنعتها



ربما داخل ثمرة جوز الهند الخاصة بها لم تكن إلا صهورة صغيرة على كل جانب، الأولى لنادر، حبيبها، والثانية لمنصور أبو بلاذ، أبيها.

عندما توقف بسيارته أمام منزلها لم يعرف كيف يقطع الصمت الذي دام منذ أن تركا نادر حتى الآن، طوال الطريق لم تنبس بكلمة واحدة. ظلت عاقدة ذراعها أمام صدرها ومولية رأسها نحو النافذة وعلى وجهها تقطبية تستخدمها لتكتم دموعا كانت لا تزال تترقرق بعينها وتخفي سخطا وغضبها وبأسا استطاعوا أن يملكوها ويسيطروا عليها سيطرة تامة.

كان يحيى يعلم ما بداخلها من ألم حاولت أن تخفيه خلف قناع الحدة الذي ترتديه الآن، بينه وبين نفسه قرر أن يتحمل أي رد فعل يصدر منها أو أي انهيار ينتابها خاصة بعدما حدث بينهما في المجموعة وما تبعه من لطعات عييفة تلققتها من نادر وحديثه عن ربما ومنصور بك. ولكن رد فعلها فاق كل ما كان يتوقعه عندما هتف في صوت متردد خافت:

- يارا.

التفتت نحوه في عصبية وقاطعته بحدة والشرر يتطاير من خلف دموعها المكتومة:

- مافيش داعي تتعب نفسك وتألّف كلمتين حلوين وتيجي بعد يومين تقول لي أنا أسف مش هاقدر أكمل معاك، أنا هاربعك وهاخلص الموضوع كله دلوقتي حالا حتى عشان تعرف تخلص إجراءات سفرك براحتك وتشوف مستقبلك من غير أي مشاكل ومن غير ما أنا أبقي السبب في ضياع مستقبلك، وكمان عشان أنا مش مستعدة أسمع نفس الكلام السخيف ده مرتين.

عقد حاجبيه في استنكار وقد تملكته صدمة شديدة من رد فعلها الذي فاق توقعه ومن كلامها الغريب، كرر كلامها متسانلا وقد أثقلت الدهشة لسانه:

- مرتين؟

فازدادت حدتها وهي تستطرد قائلة في تحد لا مبرر له:

- أيوه مرتين، مش إنت كنت عاوز تعرف ليه خطوبتي أنا وكريم اتفسخت؟

علي الرغم من الصدمة التي كانت تتملكه بسبب الموقف لكنه لم يستطع أن يخفي شيئا من الفضول زحف على وجهه عندما فاجأته بأنها قررت الآن إخباره بما ظل يسعى طويلا لمعرفة، لم تنتظر منه ردا، أدارت نظرها بعيدا عنه وهي تستطرد في نفس التبرة العادة الغاضبة:

- كريم هو اللي سابني، عشان أهله ضغطوا عليه، قالوا له دي واحدة أبوها وماها وسابها تترى بعيد عنه طول عمرها حتى ما فكرش يحضر خطوبتها ولا يعرف اتخطبت لمن، مالهش كبير ولا راجل تقدر ترجع له لو عملت حاجة كده ولا كده، مالهش حد يلماها وتخاف منه ويقف لها لو غلظت، ده غير طبعا إن أبوها طلق أمها وراها كل الفترة دي يعني احتمال كبير يكون الطلاق حصل بسبب عيب فيها وفي أخلاقها وأكد بنتها هتطلع زينا.

ثم التفتت نحوه واستكملت في عنف حاولت أن تكتم به دموعها المترقرقة في مقلتها:

- و ده حصل أيام ما كان أبويا ده من أغنى وأشرف رجال الأعمال في مصر، فما بالك دلوقتي بعد ما طلعت مش بس بنت أب راميبي ومش سائل فيا لأ وكمان طلع مجرم وببشتغل في الأسلحة، فاكترني هاستنى لحد أما تيجي تقول لي ماعلش أسف مركزي وعيلتي وأخلاقى مايسمحوليش أتجوز واحدة زيك؟ لا أنا مش مستعدة أسمع نفس الكلام السخيف ده مرة تانية، وعشان ما حرجكش أكثر من كده أديني باقولها لك بنفسى، اعتبر كل اللي بيننا انتهى يا أستاذ يحيى ويا ريت ننسى إن إحنا أصلا اتقابلنا.

ارتدت حقيبتها وهبطت من السيارة قبل أن تغلق بابها بعنف شديد وتختفي بخطوات سريعة في مدخل العمارة، تاركة إياه غارقا في دهشة شديدة من رد فعلها وكلامها الغاضب الحاد وهذا القرار العجيب الذي أبلغته به قبل أن تهرب من أمامه دون أن تترك له الفرصة ليستوعب أو يفتح فمه ليحجبها أو حتى ليستبقها.



كان يعي رافعا ذراعه ومستندا بها على الحائط عندما فتحت يارا الباب بوجه مصفر وعينين ذابلتين لم تتذوقا شيئا من النوم طوال الليل. لم تتدهش كثيرا عندما رآته أمام باب منزلها فهي تعلم أنه يحاول الوصول إليها منذ البارحة دون فائدة. خاصة بعد هذا الكلام السخيف الذي قالته له في غمرة انفعالها والذي أحست فيما بعد بالندم بسبب تسرعها في التفوه به بتلك الحدة. ولكن ما حدث لها البارحة فتح كل جراحها في وقت واحد ولم يترك لها فرصة للتفكير المتروي.

قلب شفتيه في ضيق وهو يقول معاتبا:

- معقول كده؟ موبايك مقفول وما بتديش على تليقون البيت من إمبراج.

هتفت في خجل وهي تتحاشى النظر نحوه:

- ماعلش. ما كنتش قادرة أتكلم مع حد.

- طب اتفضلي خشي البسي وحصليني على تحت عشان نروح نقعد في أي حنة.

تقلصت ملامحها وهي تقول محاولة التهرب بتيرة منهكة:

- يحيى لو سمعت، أنا فعلا مش قادرة أتكلم.

قاطعها قائلا بصبر ناقد:

- باقول لك إيه. أنا هاقعد أتكلم معاك يعني هاقعد أتكلم معاك. لو ماجيتيش معايا هادخل

واقعد معاك هنا في شقتك. وعلى فكرة البواب شافني وأنا طالع فأحسن لك إن أنا أنزل دلوقتي

بسرعة وإنتي تحصليني بعدها لحسن الراجل يفكر حاجة كده ولا كده.

ثم التفت لهبط الدرج وهو يهتف حاسما دون أن ينتظر منها ردا:

- أنا مستني تحت في العربية.

عندما استقروا على إحدى الموائد أسرع يحيى بالإشارة إلى النادل فهتفت يارا في دهشة لم تمح آثار

الإرهاق التي كانت لا تزال بادية على وجهها وصوتها:

- هو إحنا لحننا نشوف هنطلب إيه؟

فأجابها مازحا وقد قرر بينه وبين نفسه أن يتخذ من المزاح طريقا ليخفف عنها وطأة إرهاقها

وثقل الموقف برمته وساعده على ذلك السعادة التي بالرغم من كل شيء كان يشعر بها. سعادة

مبعثها اطمئنان امتلا به منذ أن أخبرته يارا بحقيقة ما حدث لها مع كريم، فعلى الرغم من السياق السيء الذي علم من خلاله لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من الشعور بسعادة غامرة. خاصة بعدما تأكد بنفسه أنه من المستحيل أن يتجدد أي شيء بداخلها نحو كريم بعد الذي فعله بها في الماضي:

- هو فيه غيرها؟ أكيد هنطلب قهوة، ما إحنا كل أما نحب نتكلم مع بعض لازم نشرب قهوة، ده أنا هيبجي لي انسداد شرايين بسبب القهوة اللي باشربها معاكي.

جاهدت لتبتسم ابتسامة خافتة أجايبها هو بابتسامة أوسع عندما وجد أن طريقته بدأت تؤتي ثمارها قبل أن يلتفت للنادل ويملي عليه طلبهما، عاد لينظر نحوها وهو يقول مبتسما بنبرة اختلط بها الجد بالمزاح:

- بس أنا لو مت مش هيبقى بسبب انسداد الشرايين، إنما بسبب الشلل اللي إنتي هتجيبهولي إن شاء الله، ممكن تضحيني إيه الفيلم العربي اللي إنتي عملتهولي إمبراح ده؟  
فالتمعت عينها بالدهشة وهي تتساءل:

- أنا عملت فيلم عربي؟

- أيوه طبعا، قال إيه يا ريت نلحق إن إحنا اتقابلنا واعتبر كل اللي بيلنا انتهى يا أستاذ يحيى، طب أنا هاقوت لك كل حاجة، إنما إيه أستاذ دي؟ تصدقي إن دي هي أكثر حاجة ضايقتي.

لم تستطع أن تمنع ضحكة خافتة من أن تصدر من بين شفطها الشاحيتين بينما استطرده يحيى قائلا في نبرة ضاحكة:

- أه والله، وبعدين إنتي ناسية إن ماما هي صاحبة قرار إن لا أنا أقولك يا أنسة ولا إنتي تقولي لي يا أستاذ، إزاي بقى تكسري أوامر الكبيرة بالطريقة دي؟

ثم صمت لحظة قبل أن يقول مبتسما في تخابث:

- بس عارفة؟ كل الكلام الفارغ والعصبية بتوع إمبراح دول خلوني أخيرا أفهم حاجات كتيرة ماكنتش فاهمها.

ضاقت عينها وهي تتساءل في فضول:

- قصدك إيه؟

انتسعت ابتهامة وهو يقول في شبه لوم محاصرا إياها بعينيه:

- قصدي إني أخيرا فهمت إنني ليه كنتي مترددة طول الفترة اللي فانت دي وعمالة تهربي مني، حضرتك كنتي لسه عابشة في تجربة قديمة وخايفة إنها تتكرر ثاني، بس اللي أنا مش قادر أصدقك، إزاي إنني تخيلتي إني ممكن أكون زي كريم ولا أعمل حاجة زي اللي هو عملها؟ إنني لسه ماعرفتنيش كويس ولا إيه؟  
زفرت قبل أن تقول في أسف شديد:

- اعذرني يا يحيى، التجربة القديمة دي ماكانتش مجرد تجربة حب فاشلة وبس، أنا كل ما أفكر إن أبويا ده خلاص مالهوش وجود في حياتي لا بخير ولا بشر يطلع لي فجأة من غير سبب ويقلب لي الدنيا كلها، والتجربة دي كانت أعنف وأقوى مرة أتئذي بسببه لدرجة إنني ساعتها كرهته وكرهت حياتي وحسيت كمان إنني نفسي أصرخ في وش أمي وأسألها اتجوزتي راجل زي ده ليه؟ ساعتها أنا كنت صغيرة وضعيفة ومتعلقة بكريم وماستحملتش الصدمة، إنتت عارف أنا حصل لي إيه بعدها؟ انهيار عصبي ومهدئات وأزمات ضيق تنفس زي اللي جات لي وأنا في بيتكم وأعنف كمان، ولولا أمي الله يرحمها كان زمانى دخلت مصحة نفسية.

عقد يحيى حاجبيه وهو يهتف متسانلا في دهشة:

- يااه!! كل ده وماحكي تيليش أي حاجة؟!

ابتهامت في مرارة وهي تقول:

- كنت فاكرة إن الكلام في موضوع كريم ده هو أكثر حاجة ممكن تتعبيني وتقلب عليا المواجه، بس بعد كلام إمبراح طلع إن فيه حاجات ثانية بتتوقع أكثر وبرضو بسبب نفس الراجل، منصور أبو بلاط.

أجابها في ضيق:

- أه هنرجع بقى لنفس الكلام العبيط ثاني؟

قاطعهما النادل ليضع فنجانى القهوة أمامهما وعندما انصرف التفت يحيى نحوها وقال بنفس النبرة المعاتبة:

- وبعدين تعالي هنا، إزاي ممكن تخيلتي إنني أحاسبك على أفعال أبوكي؟ أبوكي اللي مش بس إنني



شخصية منفصلة عنه لا وكمان مالكيش أي علاقة بيه طول عمرك؟ يبقى الأول بقى إني أطلع أبويا الله يرحمه من تربته وأجيب أمي وأقعد أعاتهم وأهزأهم عشان فضلوا يعرفوا الراجل ده ويحبوه ويعتبروه واحد من العيلة من غير ما ياخدوا بالهم من أي حاجة من اللي هو كان بيعمله. أجابته في عصبية نشي بما يعتمل بداخلها من ألم:

- يا يحيى والدك ووالدتك مهما كان درجة قريهم منه في الأول وفي الأخر يا دوب أصدقائه. إنما أنا بنته. حبيته أو ماحببتوش، عرفته أو ماعرفتوش مش هتسرق. في الأول وفي الآخر أنا بنت الراجل ده. بنت منصور أبو بلاط، أنا بنت مورد أسلحة ومجرم. دي حقيقة مش هتتغير.

فارتشف من قهوته في هدوء لا يتناسب مع عصبيتها ثم قال ناظرا بداخل عينها مباشرة:

- ممكن تكون دي فعلا حقيقة، وحقيقة سيئة جدا كمان، بس مش مهم الحقيقة، المهم إنني رد فعلك ناحيتها هيبقى عامل إزاي. هل هتتعامل معاها على أنها حقيقة مؤلمة لازم تتجاوزها وتغلبها وتكملي حياتك بعدها ولا هتفضلي تكبرها وتضخمها لحد أما تتحول من حقيقة مؤلمة بدرجة واحد لوهم كبير مؤلم بدرجة ألف تفضلي حابسة نفسك جواه؟

هتفت في حيرة وعدم فهم:

- مش فاهمة؟ إنت عاوز تقول إيه؟

فزفر قبل أن يقول:

- هافهمك أنا قصدي إيه. إنني رحتي أمريكا قبل كده؟

- لا.

فتساءل مازحا:

- يعني متخرجة من الجامعة الأمريكية وعمرك ما رحتي أمريكا قبل كده؟

فتساءلت مبتسمة في دهشة:

- إيه العلاقة؟

فابتسم وهو يلوح بيده قائلا في استهانة:

- يا شيخة اقعدتي كده وإنني عاملة نفسك فيلسوفة وإنني مش فاهمة حاجة أصلا. المهم، أمريكا

دي فيها حتة كده اسمها كاليفورنيا عارقاهما؟



- أسمع عنها.

فعدت الجدية تكسو ملامحه وهو يسرد قائلا:

- كان فيه في القرن الـ ١٩ في حنة ثانية كده في أمريكا اسمها كونيكتيكت شركة أسلحة اسمها Winchester Repeating Arms Company .

ثم نظر إليها رافعا حاجبيه ليلفت انتباهها إلى تشابه موقفها مع ما سيقصه. قيل أن يستطرد قائلا بينما استغرقت يارا في الاستماع بكل حواسها لتلك القصة الجديدة عليها:

- الشركة دي كانت بتنتج بندقية ونشستر المشهورة أو Winchester rifle. اللي استخدمت كثير جدا في الحرب الأهلية في أمريكا بين الشمال ولايات الجنوب المنفصلة وبرضو في الإبادة اللي عملها الرجل الأبيض ضد الهنود الحمر لدرجة إنهم سموها The gun that won the west عشان معظم الهنود كانوا موجودين في القرب لما كانت البندقية بتمستخدم كثير ضدهم. الشركة دي كانت ملك لواحد اسمه أوليفر ونشستر وابنه ويليام ونشستر. ويليام اتجوز واحدة اسمها سارة. سارة ونشستر. كانوا عايشين حياة سعيدة ومترفة لحد لما خلفوا بنت مانت بعد ولادتها بست أسابيع بس. وبعد موت الطفلة بكام سنة مات ويليام وساب سارة وحيدة من غير أسرة ولا أولاد وثروة حوالي عشرين مليون دولار ده غير أسهم تعمل لها أرباح حوالي ألف دولار يوميا. سارة بعد موت أقرب الناس لها بقت مهتمة جدا بفكرة الموت والأرواح والعالم الآخر عشان كده بعد موت ويليام بفترة قليلة راحت لوسيط روجي في بوسطن. الوسيط ده قال لها إن اللي حصل لبنتها ولجوزها ما هو إلا لعنة أرواح كل الناس اللي مانت بسبب البندقية اللي كانت بتنتجها شركة ونشستر. وإن الأرواح دي كانت بيلتقم بقتل الطفلة وقتل ويليام وإن الدور دلوقتي عليها هي. وعشان تكسب رضا الأرواح دي وفي نفس الوقت تحمي نفسها منهم لازم تسافر لغرب أمريكا أو المكان اللي مات فيه معظم أصحاب الأرواح دي سواء من الهنود أو جنود الحرب الأهلية وتبني بيت كبير جدا ماتبطلش تبني وتوسع فيه طول الوقت لأن لو البناء وقف ساعة واحدة بس. سارة هتموت. وفعلا. سافرت سارة لكاليفورنيا واشترت أرض وبنت عليها قصر خرافي وعينت مهندسين وعمال مايبطلوش بناء في بقية البيت اللي هي فضلت عايشة في الجزء اللي خلص منه. وفضلت عايشة كده لمدة ٢٨ سنة.

٣٨ سنة البناء شغال ٢٤ ساعة طول السنة وهي حابسة نفسها في بيت عامل زي المتاهة. أبواب بفتح على حيطان مسدودة وسلام مابتطلعش على أي مكان ودواليب جواها أوض واسعة ومتاهات الواحد ممكن يتوه فيها ساعات، كل ده عشان تلخبط أرواح الضحايا وتعرف تهرب منهم في المتاهات دي. وصل بيها الخوف لدرجة إنهم قالوا إنها كانت مابتنامش في نفس الأوضة يومين ورا بعض عشان الأرواح مانعرفش مكان ثابت لها. ولما ماتت سابت قصر رهيب اتكلف حوالي خمسة مليون دولار في الوقت ده وببتكون من ١٦٠ أوضة وعشر آلاف شباك ومتاهات مالهاش أول ولا آخر. طب أنا موافق على فكرة إن شركة جوزها والبندقية اللي كانت بتنتجها كانوا السبب في موت آلاف مالهمش ذنب دي حقيقة. بس تفتكري الخوف والحبسة اللي هي عيشت نفسها فيهم لمدة ٢٨ سنة دول برضو حقيقة؟

لم تعرف كيف تجيبه، أطرقت صابمة بعدما فهمت مقصده وأحسنت أنه محق في كل ما قاله. بينما استطرده هو قائلًا:

- ما تفتكري نظرية قشرة جوز الهند أو الكوكونت اللي ربما الله يرحمها اخترعتها، على فكرة بقى أختك الصغيرة طلعت أجدع منك.

استندت بجذعها على ظهر المقعد وقالت في ضيق وهي تفرك عينها:

- وريما دي كمان، هم لوحده.

رن جرس هاتفه فمد يده ليخرجه من جيبه وهو يجيبها في استهانة:

- ولا هم ولا حاجة، ماتكبريش الوهم وتعيشي نفسك فيه تاني.

نظر في شاشة المحمول ثم نظر نحوها وهو يقول في نبرة ذات مغزى:

- ده شفيق.

تقلصت ملامحها في ضيق عندما سمعت اسمه وقالت متضجرة:

- يوه، ماتقوليهوش إن أنا معاك.

- ماينفحش طبعا ده زمانه قالب عليكي الدنيا.

ضغط على زر الإجابة ووضع الهاتف على أذنه وهو يجيب في نبرة طبيعية:

- آلو أبوه يا أستاذ شفيق، أنا كويس. لا متخافش يارا معايا من الصبح بس مورايها فاصل شحن.

ثم تبدلت ملامحه التي احتلتها صدمة شديدة وهو يستمع إلى الطرف الآخر ثم هتف في ذهول:  
- إيه؟ معقولة؟ طيب خلاص إحنا جاينين حالا. مع السلامة.

أنهى المكالمة وأسرع يطلب الحساب من نادل كان يمر بجانب المائدة بينما تابعته يارا بعينين قلقتين  
ثم تساءلت في فحبول:

- فيه إيه يا يحيى؟

فألقى في وجهها الخبر وهو منبمك في إخراج النقود من جيبه:

- منصور بيه فاق.

اتسعت حدقتها في دهشة شديدة ألجمت لسانها واحتلتها حتى أحست أن أذرافها قد تثلجت وأنها  
أصبحت غير قادرة على الحركة، بصعوبة شديدة استطاعت أن تفتح فمها وتنتطق في صوت  
متلعجل وعينين زائفتين:

- وانت قلت له إن إحنا جاينين فين؟

- في المستشفى طبعاً.

ما إن نطق بذلك الكلمات حتى انتفضت يارا في ذعر وهي تهتف مبهوثة:

- لا طبعاً، أنا مش هاروح المستشفى دي ثاني، مش عاوزه أشوف الراجل ده.

ترك يحيى ما في يده وتأملها لثوانٍ قبل أن يتساءل في نبرة ذات مغزى هي تعلمه جيداً:

- مش عاوزه تشوفيه ولا خايفة تشوفيه؟

صمتت، لم تعرف كيف تجيبه وقد واجهها بالحقيقة التي حاولت هي الهروب منها بينها وبين  
نفسها، نعم هي خائفة، مرعوبة، لا تريد لأي أوهام أخرى أن تتحطم ولا لأي حقائق أخرى أن  
تتجلى، ليست شجاعة مثل ربما وكفاها ما تكسر من قشور لثمار جوز الهند بعيناتها، لا تريد أن  
تغامر بتعطيم تلك القشرة بالذات، فمهما كبر احتمال حلالة ما بداخلها فهي لن تتحمل أي جرح  
قد تصاب به وهي تكسرتلك القشرة.

عندما لم تجبه نهض وهو يقول حاسماً بعدما تأكد من صدق حديثه:

- بلا يا يارا، هنروح دلوقتي، إن شا الله حتى تشوفيه من بعيد وتمشي، بس لازم تكسري الخوف  
اللي جواكي ده.



وقف شفيق أمام باب العناية المركزة وقد تجلّت حوله حالة من الاضطراب الشديد، انتقلت آثارها إليه وتجلّت على ملامحه التي غشاها قلق شديد وشبه خوف لم يعتد أحد رؤيته على وجهه. عندما رأى يارا ويحيى أمامه هتف في دهشة:

- كنتي فين من الصبح يا يارا؟

تولى يحيى الإجابة قائلاً:

- ماعلش يا أستاذ شفيق موبايها فصل شحن، المهم منصور بيه عامل إيه؟  
فزفر شفيق وهو يجيبه في قلق:

- مش عارف. المفروض إن حالته الصحية مستقرة لأنه فايق بقى له ثلاث أيام. بس الراجل بتاعي اللي كنت سايبه هنا ماكانش عارف يوصل لي عشان يبلغني، وفضل إنه مايقولش لأي حد لحد أما قدر يوصل لي إمبراح بعد أما كلمتك يا يارا وقلت لك تيجي الشركة ومعاي الباسبور.  
هتف يحيى في دهشة:

- طب وليه ماقلتلناش إمبراح لما عرفت يا شفيق بيه؟!

أجاب قائلاً في ضيق:

- عشان فضلت إني أتظمن على حالته الأول قبل ما أقول لكم. منصور بيه بقى له حوالي شهرين في غيبوبة، كان فايق مش مدرك حاجة ومش فاهم حاجة ومش قادر حتى يتكلم، فأنا قلت أستنى لحد أما يسترد كامل وعيه ويقدر يتكلم ويتفاعل، بس يظهر إني كنت غلطان.  
تساءل يحيى في ارتياب:

- ليه بتقول كده؟

زفر شفيق قبل أن يقول وقد عاد القلق يغزو صوته:

- عشان من ساعة ما بدأ يدرك ويستوعب وحالته النفسية سيئة جداً. ده حتى الدكتور بيفكر يستعين بدكتور نفسي.

تبادل يحيى مع يارا نظرات قلقة لكنه تجاهل كل ذلك والتفت نحو شفيق متسانلاً وقد أصر على استكمال ما يريد:

- طب لو سمحت كنا عاوزين يارا تدخل تبص عليه بصة.



رفع شفيق كتفيه وسط شفتيه وهو يقول في حيرة:

- مش عارف هينفع % لا. ثانية واحدة هادخل أسأل الدكتور.

دخل شفيق بينما التفت يحيى نحو يارا فوجدتها ترتعد من الذعر، وقد ازداد شحوب وجهها وهي تجاهد لتتنفس بصعوبة شديدة حتى أنها خافت أن تصاب بالنوبة من شدة الرعب الذي تحكم بقلها حتى أحست أنه سيتوقف من شدة الخفقان.

ربت على كتفها ليطمئنها عندما انتها فجأة على صوت صراخ يأتي من داخل العناية المركزة، لم يكن سوى صوت منصور بك، عرفته يارا ليس لأنها سمعت صوته من قبل ولكن بسبب ما كان يصرخ به:

- جاية ليه؟! جاية تشمتم فيا أنا وبنتي اللي ماتت!! مش كفاية إنها عملت نفسها رئيس مجلس إدارة وورثتي وأنا لسه عايش؟! إدارة وورثتي!

لم تستطع أن تستمع إلى المزيد، لم تشعر بنفسها وهي تستدير وتركض مبتعدة بأقصى ما تملك من قوة، أخذت تركض في أروقة المستشفى وعلى درجاتها وقد تقطعت أنفاسها المهجورة من نشيج البكاء أثناء الركض دون أن تشعر بأي شيء مما حولها، حتى وصلت عند سيارة يحيى في أماكن وقوف السيارات فازتمت عليها واستندت بكل جسدها الذي أخذ يلتفض من بكاء حاد استنزف كل قوتها حتى كادت تسقط لولا أن أحست بيد تمسك بذراعها وتجذبها حتى تلتفت.

كان يحيى يتبعها راكضا حتى وجدها ترتدي وهي في تلك الحالة المزرية على سيارته، عندما جذبها من ذراعها أحس كأنه يجذب دمية لا حول لها ولا قوة تتحرك كيفما تريد أن تحركها اليد الممسكة بها، أحس بها تكاد أن تسقط وهي تترنح تحت وطأة الألم حتى اضطر أن يمسك بذراعها الأخرى حتى تستطيع الوقوف منتصبه أمامه. لم يجد كلاما ليقوله لها وهي تلتفض بين يديه منخرطة في بكاء حار وقد تجلت وجيبتها واضعة في عينيها ووجهها المنفخ وأهاتها المكتومة حتى أنه شعر ببعض تأنيب الضمير لأنه هو الذي دفعها للمجيء إلى هنا ومواجهة هذا الموقف الذي لم يتوقع أن يكون بمثل هذا السوء أو تلك القسوة.

أحس بضعفه وهو لا يملك أن يفعل لها أي شيء، كل ما استطاع أن يفعله هو أن يلف ذراعيه حولها ويضغطها برفق نحو صدره محاولا تهدئة انتفاضاتها المتكررة دون أن يتفوه بكلمة.



لماذا الحزن وعلام الندم؟ كانت تجلس في فراشها منكمشة عندما قالت لنفسها إن الأمر كله يتلخص في كلمتين: أب يكرهها وينفر منها وأخت فقدتها إلى الأبد، هل يوجد أبسط من هذا التحليل أو أصغر من هذا التلخيص لحياتها كلها؟ هل يستطيع أي شخص في العالم أن يختزل حياته في جملة واحدة مفيدة بتلك الطريقة الصادقة؟ وإذا عادت بذكرتها قليلا إلى الوراء تجد أن تركيب الجملة لم يختلف كثيرا وإن اختلف مضمونها بشدة حيث إنها كانت في الماضي أبسط من الآن، مجرد: أب وأخت لا يشعران بوجودها، ترى أيهما أفضل وأكثر إراحة لها، عندما كانت تجهل كل شيء أم عندما أضحت على علم بكل شيء؟ عندما كانت تحيا في وهم رسمته بخيالها واطمأنت له وعاشت على أساسه أم عندما اصطدمت بحقيقة تختلف تمام الاختلاف؟ ألم يكن الوهم أفضل وأكثر إراحة لها؟ علي الأقل لم تكن مشتتة بين أحاسيس شتى: إحساس بالحزن على فقدان تلك الأخت الصغيرة دون أن تنعم بهذا القرب الحميمي الجميل كما تنعم به أي أختين، والندم على ما كانت تظنه بها من قبل واكتشفت كم كانت ظالمة فيه، وإحساس بالخزي من حقيقة هذا الأب التي ألصقت بها رغما عنها، وإحساس بالحيرة من أفعاله المتناقضة التي يدل بعضها على الحب والاهتمام بينما لا يكون البعض الآخر سوى دليل واضح على الكراهية والنفور. ما هذا الأب الغريب؟ من هو بالضبط؟ رجل أعمال ناجح وشريف لا يشك أحد في نزاهته أم مورد أسلحة ومجرم؟ أب أرغمته الظروف على الابتعاد أم هو من اختار ذلك؟ أيحيا حقا ويتذكرها أم يكرهها أو على الأقل يتعاشاها؟ ولكن لماذا تسأل نفسها كل هذه التساؤلات؟ ألم يكفها ما عرفت من حقائق؟ أحقا تريد أن تعرف المزيد؟ وهيا عرفت إجابات تلك الأسئلة، هل تظن أن تلك الإجابات ستكون أفضل مما سبق معرفته؟ لا تحسب ذلك، فكسر المزيد من قشور ثمار جوز الهند الداكنة لن يجلب مزيدا من العصير حلو المذاق أو الفاكهة البيضاء الطيبة، ولكن أيقع العيب على النظرية أم على ثمارها هي دون غيرها من البشر؟ هذا ما لا تعلمه، ولكن ما بالها تتألم هكذا؟ ألم تسترجع كلام يحيى وتقتنع به، ألم تقتنع بأنها يجب أن تحيا الحقيقة في حجمها الأصلي مهما كان ألمها مركزا بدلا من أن تحولها إلى وهم كبير ممتد الألم؟ بلى هذا صحيح لكن ليس هذا ما يؤلمها الآن، ما بك يا يارا؟ هل وقعت في الخطأ الذي ظلت طوال عمرك تتعاشينه؟ هل راودك الأمل واستمعت له ولو

لبضع دقائق؟ إذا فأنت تستحقين كل ما يحدث لك، ولكن، أحقا تستحق كل هذا؟ أنتحق هذا الإحساس بالرفض الذي طعنها به عندما سمعته يتفوه بهذا الكلام بعدما بدأت تراودها نفسها بأمل أن يكون بالفعل قد ابتعد عنها دون إرادته وأنه لم ينسها أو ينس أمها طوال تلك السنوات الماضية؟ أهذا هو ما دفعها إلى حافة الإهيار البارحة وجعلها تركض في أروقة المستشفى كالمجنونة وهي تبكي بكاء ظنت من شدته أن صدرها يحترق بداخلها؟ لولا يعنى ساعدها على استعادة هديتها وأوصلها إلى منزلها. ثم زفرت وهي تنتقل بتفكيرها إلى يعنى، إلى متى سيستمر تفهمه؟ هل حقا لا تهمة كل تلك الحقائق أم سيتغير عندما تذهب السكره لتجد أمامها نسخة أخرى من كريم؟ لا تريد أن تظلمه ولو حتى في تفكيرها ولكن تجربتها الماضية لا تترك لها الفرصة لتتمادى في الثقة والأمل خوفا مما قد يصيبها الخذلان به من ألم.

انتهت على صوت جرس الباب، نهضت متثاقلة في ضيق وهي تظن أن يعنى قد حضر مثلما فعل البارحة على الرغم من أنها أجابته منذ قليل وأكدت له أنها بخير. ولكن ما إن فتحت الباب حتى اتسعت حدقتها في دهشة شديدة عندما وجدت شفيق يقف أمامها، أسرعت نستعيد توازنها وهدوءها، أعادت إلى ملامحها الجمود وهي تشير بيدها له حتى يدخل دون أن تتفوه بكلمة. خطا شفيق إلى الداخل في ثمته المعهودة والتي يبدو أنه قد استعادها تماما بعدما عاد منصور بك من غيبوبته. بينما خطت يارا خلفه وهي تبذل مجهودا جبارا لتسيطر على شحنات الغضب والضيق التي انتابتها منذ أن فتحت الباب ورأته أمامها.

توقف في منتصف الصالة فأشارت نحو أحد المقاعد وهي تضغط على نفسها قائلة:

- اتفضل يا أستاذ شفيق.

- لا مافيش وقت أقعد. أنا لازم أكون في المطار بعد نص ساعة.

تساءلت في دهشة:

- مطار؟

لم يعردهشتها وتساؤلها أي اهتمام، استطرد حديثه قائلا في بساطة:

- أنا كان لازم بس أحي لك عشان أنقذ آخر طلب طلبه مني منصور قبل ما أسيب مصر.

صمت قليلا، ولما لم يجد منها أي رد سوى نظرات الترقب في عينها استكمل قائلا:



- منصور عاوزك تروحي له المستشفى عشان عاوز يشوفك.

فغرت فمها من أثر الدهشة وهي تتراجع خطوة إلى الخلف، عقدت حاجبها في استنكار وهي تهتف في حدة:

- نعم؟! أستاذ شفيق إنت نسيت إيه اللي حصل إمبراح؟ ده تقريبا طردني ومن قبل حتى ما يشوف وشي.

- اللي حصل إمبراح كان غلطتي، أنا ماكانش المفروض أقول للدكتور قدامه، كان لازم أخده على جنب وأكلمه.

فقالت شبه صارخة في غيظ:

- ودي كانت هتفرق؟

- أيوه طبعا.

ثم زفر قبل أن يقول في شبه استعطاف:

- يا يارا، منصور لما فاق من الغيبوبة كان كأنه لسه عارف دلوقتي حالا خبر وفاة ربما، مش زينا بقى لنا عارفين فوق الشهرين، ده غير إن الجلطة والغيبوبة أثروا على قدرة المشي عنده وده زود أزمته النفسية، الدكاترة بيقولوا إنه كله هيتساوى بالعلاج الطبيعي بس طبعا ماحدث يعرف الموضوع هياخد وقت قد إيه ونسبة نجاحه كام في المية، عشان كده كان عنده حالة هياج عصبي خلته يخرج عن شعوره ويقول الكلام ده، بس لما هدي واستعاد وعيه ورجع زي الأول طلب يشوفك.

فعدت ذراعها وهي تهتف ساخرة:

- بس منصور بيه بتاع الأول اللي إنت بتقول عليه ده ماكانش بيطلب يشوفني ولا كان بيعبرني من أصله.

مط شفيق شفتيه مفكرا قبل أن يتخلص من نظرات الاستعطاف ويعود إلى جراته وبروده وهو يقول:

- بصي يا يارا بصراحة كده عشان مانلفش وندور على بعض، إحنا عرفنا كل حاجة إمبراح، عرفنا موضوع الصندوق اللي ربما بعنته وكل اللي إنتي بتعمليه من ساعتها مع يحيى ورأفت وليديا.



حاولت أن تتظاهر بالتماسك بعدما صدمتها بكلامه، تساءلت بصوت خافت محاولة إخفاء ثورتها:

- عرفتوا إزاي؟

- الناس اللي برا كلمونا وقالوا لنا بعد ما عرفوا إن منصور فاق.

ثم زفر ساخرا قبل أن يقول:

- إحنا ماكانش نعرف أي حاجة عن ربما واللي بتعمله، ولا أنا كنت أعرف أي حاجة عن اللي إنتي

بتعمليه، وهما ماقالوش أي حاجة لما الوفد بتاع صفقة التلاجات جه مصر، كان المفروض إنهم

جاين عشان يتطمئنا إن مرض منصور مش هياثر على تقفيل آخر شغل بيننا وبس من غير ما

يجيبوا سيرة أي حاجة تانية، وواضح طبعا إنهم حاولوا يتصرفوا معاكي مباشرة بس لما منصور

فاق، فضلوا يتعاملوا معاه هو أحسن.

هزت يارا رأسها وهي تبتسم في مرارة قبل أن تقول:

- قول كده بقى، منصور بيه عاوز يقابلني عشان ياخذ الحاجة اللي عندي ويأمن نفسه ويأمن

شغله مش كده؟

فأجابها في نبرة حازمة دون أن يتأثر بسخرتها:

- لا مش كده، منصور بيه عاوزك تروحي له عشان يحميكي.

نظرت نحوه في ارتياب من كلامه بينما استطرد هو قائلا في نفس النبرة الحازمة:

- اسمعي يا يارا، مافيش حد يقدر يحميكي من الناس دول إنتي ويحبي ورافت وليديا وأي حد ثاني

عرف أي حاجة عن الموضوع ده إلا منصور، هو الوحيد اللي يقدر يتفاهم مع الناس الكبار برا

والناس الكبار هنا ويحط مصالح قدام مصالح ويعمل اللي يوقفهم عند حدهم ويحميكم منهم.

فهمت في عصبية:

- ما دام هو يقدر يعمل كده، ماقدرش يحمي ربما ليه؟

- لأنه ماكانش يعرف.

نظرت نحوه مندهشة وهو يستكمل قائلا في ثقة:

- ماكانش نعرف أي حاجة من اللي ربما كانت بتعمله، هي ماقالتلناش وهما خافوا يقولوا لمنصور

لأنهم عارفين إنه يقدر يحميها وخافوا ليحميها منهم من غير ما يقدر يآثر علينا فتفضحه وتفضحهم.

عشان كده اتعاملوا معاها مباشرة ولما يلسوا متها قتلوها، وافتكروا إن الموضوع خلص حتى بعد لما مالاقوش الحاجة اللي فيها كل المعلومات في شقتها، لكن بعدها بشوية اكتشفوا إن الحاجة معاكي، حاولوا يتعاملوا معاكي زي ما تعاملوا مع ربما بس لما منصور فاق فضلوا إنه هو اللي يتصرف، خاصة وإن خلاص أكثر حاجة كانت مخوفاهم اللي هي الورق اللي في خزنة منصور واللي ربما كانت عارفة مكانه هما عرفوا ياخدوه زي ما شفتي.

ثم صمت قليلا تاركا لها القرصنة لتستوعب قبل أن يقول في هدوء:

- اسمعي يا يارا، أبوكي مش وحش زي ما إنتي متخيلة، يمكن يكون اللي عرفتيه عنه صدمك بس ده مش الجانب الوحيد في شخصيته، وإن كان كمان الجانب ده هو ماختاروش قوي بنفسه زمان.

صمت قليلا قبل أن يقول محاولا إخفاء مقصده خلف جملة ملتوية:

- فيه اختيارات كثيرة في حياة منصور اتفرضت عليه من الناس والظروف واللي حوالية.

زفرت ساخرة وهي تتذكر كلام هاشم عن شفيق واستغلاله لمواهب منصور وكيف أنه بشكل أو بآخر كان السبب في طلاق منصور بك من أمها، بينما استطرده هو قائلا:

- أما بقى الموضوع العائلي اللي بينكم قدي حاجة ماحدث له دعوة بها، قرار انفصاله عنك وبعده عن حياتك ده كان قراره هو بينه وبين شريفة هانم الله يرحمها، ماقدرش أذافع عنه أو أبرر له، دي حاجة لازم تسمعها منه هو شخصيا وإن كان برضو أحب أقول لك إنه عمره ما نسيكي ولا عمره كان مستريح وإنتي بعيدة عنه.

حاولت السيطرة على الدموع التي ترقرت في عينيها وهي تقول في مرارة:

- مرة بيبعني ومرة بيكرهني، مرة يفكر فيا ومرة مش في باله أصلا، هو الراجل ده عاوز مني إيه بالضبط؟ إذا كان بيبعني ليه فضل بعيد عني كل ده ولية لما رحلت له إمبارح قال الكلام اللي قاله؟! وإذا كان بيكرهني ليه عامل رقم خزنته بتاريخ عيد ميلادي ولية كتب الوصية دي مادام

شايف إنني كده هابقى باستولى على رئاسة مجلس الإدارة وباورثه وهو عايش؟!

عقد شفيق يديه أمامه وهو يلقي بأخر قنابله في هدوء:

- منصور بيه ماكتبش أي وصية، الوصية دي مزورة وأنا اللي عملتها.

اتسعت حدقتها من هول المفاجأة التي تلقتها منه، حاولت أن تتحدث أو تتساءل لكنها فشلت حتى في إدراك الصورة الكاملة لما قاله شفيق الذي استكمل موضحا بنفس النبرة الهادئة الباردة:

- أنا اللي زورت الوصية دي وزورت اللي يثبت إنها مسجلة وموثقة واتفقت مع رئيس الشؤون القانونية في المجموعة إننا مانطلعهاش في اجتماع مجلس الإدارة عشان مانديش فرصة لأي حد وخصوصا هاشم إنه يزقنا ويكتشف أي حاجة، خيينا الموضوع كله لحد لما طلعاها في الجمعية العمومية اللي أنا عملت المستحيل عشان تحصل وعشان أرتب إجراءاتها بسرعة وبدقة وعشان ناخذ موافقتها على تعيينك رئيس مجلس إدارة، كان كل همي إني أدخلك جوا المجموعة وجوا شغلها ومشاكلها.

تساءلت في حيرة وهي تمسك برأسها كأن الصدمة قد أصابتها بدوار:

- ليه؟ ليه كنت عاوز تعمل كده؟!

ابتسم شفيق نصف ابتسامة وهو يتساءل في خبث:

- إيه أخبار ياسبورك؟ ماجبت هوليش ليه عشان سفيرة سويسرا؟

نظرت نحوه مبتكرة بينما بدأت بعض الخيوط تنكشف أمامها، اتسعت ابتسامته وهو يقول:

- لسه مافهمتيش؟ ال ٥٢٤ مليون دولار اللي في حساب سويسرا، نصيبي وتصيب متصور من الشغل الثاني، كان كله محظوظ في الحساب السري ده باسمه على أساس إننا هتبقى نتحاسب في الوقت المناسب، بس بعد اللي حصل لمنصور بيه مع وفاة ربما ووجود مصطفى بيه في كندا ماتبقاش حد غيرك قدامي من الورثة الشرعيين اللي لهم الحق في السحب من الحساب ده، لو منصور كان لا قدر الله جرى له حاجة، كل الفلوس دي كانت هتروح علينا، عشان كده اضطررت أستعين بيكي بطريق غير مباشر عشان أعرف أجيब الفلوس دي من غير ما إنتي أو أي حد ثاني يشكوا في حاجة.

تساءلت في شرود دون أن تنظر نحوه:

- عشان كده كنت بتتعمد تعطل أي قرض مع أي بنك عشان تعرف تقنعني أسافر أجيब الفلوس؟

فابتسم شفيق وهو يقول:



- بالضبط كده. بس دلوقتي خلاص. متصور فاق وخلصنا حسابنا كله مع بعض وأنا مسافر دلوقتي وهاستقر نهانها برا مصر. اللي خلاني آجي هو حق الصداقة اللي بيني وبينه واللي خلاني أوافق أنفذ آخر طلب له وهو إني آجي أشرح لك الموقف وأطلب منك إنك تروحي تقابليه، مش بس عشان هو عاوز يشوفك ولا عشان يحكي لك كل حاجة جواه إنما كمان عشان هو الوحيد اللي يقدر يحمكي منهم إنني وكل اللي معاكي. مش لازم تبقي خايفة على نفسك بس. خافي عليهم هما كمان. فكري كويس يا يارا قبل ما ترفضني.

ثم التفت واتجه نحو باب الشقة تاركا إياها غارقة في حيرتها وشرودها الذي أفاقته منه في آخر لحظة فهتفت تسأله قبل أن يغلق الباب خلفه:

- أستاذ شفيق. هما الناس دول عرفوا إزاي كل التفاصيل دي؟ عرفوا إزاي إن ربما بعثت لي الحاجة؟

فابتسم شفيق ابتسامة ساخرة كأنه تذكر شيئا مضحكا ثم قال في هدوء لا يتناسب مع ما قاله والابتسامة لا تزال عالقة على شفتيه:

- ايتي اسألي رافت.

أغلق الباب خلفه بينما تسمرت هي في وقتها محمقة في الباب الخشبي دون أن تصدر منها أي حركة. وقع الجملة كان ثقيلا عليها حتى أنها لم تستطع أن تستوعبه. ظلت واقفة مكانها كالتمثال بينما عقلها يعمل بسرعة غير مصدق كل الاحتمالات المخيفة التي مرقت به في تلك اللحظة. أفاقته على صوت هاتفيها. كان يحيى يتصل بها. تمالكت أعصابها قليلا وهي تجيبه:

- ألو. أيوه يا يحيى.

بعدها بعشر دقائق كانت تقفز على درج عمارتها مسرعة في جنون بعد هذا الخبر الذي أنبأها به يحيى قبل أن يطلب منها الحضور فورا إلى منزل ليديا.





كانت يارا جالسة على الأريكة في منزل ليديا شاردة بعينها بعيدا عن يحيى ورأفت اللذين استغرقا بوجهين مبهوتين في الاستماع إلى ليديا التي أخذت تتحدث بعينين تمثلتين إحساسا بالذنب والضيق:

- صدقيتي يا أستاذة هوده اللي حصل، إحنا كنا كلفنا برا البيت ولما رجعنا لقينا الدرفة مفتوحة وكل الملفات مختفية وماقدرناش نعرف مين دخل البيت ولا دخله إزاي وإحنا مش موجودين. اجابتها يارا في هدوء دون أن تستعيد عينها من شرودهما:

- أنا مصدقاكي يا ليديا، مش مهم الملفات اتأخذت، ماكانش فيهم حاجة مهمة، المهم هما إزاي أصلا عرفوا إن هما موجودين هنا.

رمقت رأفت وهي تنطق بأخر جملة، لكن أحدا لم يلحظها أو ينتبه لنبرة صوتها المنشككة، حيث أطرقت ليديا متحاشية النظر إلى يارا أو يحيى في خجل من موقفها ومتحاشية النظر أيضا نحو رأفت الذي تراه لأول مرة من ذلك اليوم المشؤوم الذي استمعت فيه إلى اعترافه لوالدته حين تحطمت كل آمالها وأحست أنها تكره نفسها وتكرهه ولا تطيق حتى النظر إليه، بينما لم يلتفت رأفت إلى تلميحتها لأنه كان غارقا في عالم آخر، عقله يعمل بسرعة رهيبه، يربط الخيوط المبتورة ويقارن أحداث الستة أشهر الماضية ببعضها فيتأكد ظنه، ثم يقارنها مرة أخرى بما حدث خلال الأسبوع الأخير فتتسع عيناه في ذهول من النتيجة البشعة التي توصل إليها ويكاد ينفجر من الغيظ والحلق على غيابه وحماقته وطمعه الذي وضعه في هذا الموقف المشين.

تحدث يحيى وهو يتامل في حيرة ممزوجة بدهشة:

- أنا هاتجنن، إزاي بيعرفوا علنا كل حاجة كده وخطوة بخطوة، أكيد مراقبيننا، بس نادرقال إنه اتأكد بنفسه إنهم مش بيراقبوننا، ما هو يا إما هو غلطان يا إما هما زارعين أجهزة تصلت في مكتب منصور بيه وفي بيوتنا وتليفوناتنا.

كان رأفت لا يزال غير مصدق ما سيقفوه به عندما قال بصوت مبهور وعينين ذاهلتين مكملًا ليحيى حديثه:

- يا إما فيه حد وسطنا بيوصل لهم أخبارنا.

نظر يحيى وليديا نحوه في استنكار غير قادرين على استيعاب هذا المعنى المخيف الذي ألقاه في خيالهم بقوله هذا بينما كانت يارا عكسهما، نظرت نحوه غير متفاجئة وهي تنطق باتزان وهدوء:  
- ليه يا رأفت عملت كده؟

فانتفض رأفت وهو يقول مدافعا وقد اتسعت عيناه في رعب من هذا الاتهام:  
- أنا مش خاين يا أستاذة، ومش واطي، أنا بس، مغفل.

قالها في نبرة منكسرة قبل أن يحيى هامته ليداري الخزي الذي ملأ عينيه ويتجنب النظر إليهم، كانت ليديا تقف مشدوهة كالتمثال عندما اقترب منه يحيى في هدوء وهو ينقل بصره بينه وبين يارا في ارتياب قبل أن يتساءل:

- أنا مش فاهم حاجة؟ مغفل إزاي يعني؟

زفر رأفت قبل أن يقول دون أن يرفع عينيه محاولا السيطرة على صوته المرتجف باعترافه بحماقته وخجله:

- أنا بقى لي حوالي خمس شهور باطلع كل أخبار مكتب منصور بيه برا وأنا مش واخد بالي، من ست شهور تقريبا اتعرفت على واحدة أمريكانية على ال facebook وبقينا بنتكلم كل يوم واتعودنا على بعض، أنا بصراحة لقيتها فرصة كويسة عشان أسيب مصر وأروح أمريكا وأخد الجنسية وأشتغل مع أبوها، وهي كانت مبسوفة قيري بالقرار ده وقعدت تشجعني وتقنعني إنها سعيدة إنني هاسيب الدنيا كلها وأروح لها. وعشان أخلها تعيني أكثر وثق فيا أكثر كنت باحكي لها عن كل حاجة في حياتي، كل كبيرة وصغيرة وبالذات طبعا في الشغل، كل حاجة كانت بتحصل في مكتب منصور بيه كنت باقول لها عليها، وطبعا لما حضرتك جيتي وقلت لنا على موضوع ربما لقيتها مغامرة حلوة أحكيها لها وأحسسها بأهميتي في المجموعة وفي مصر كلها. ماكنتش واخد خوانة، كنت فاكرا إن مافيش خطر من أي نوع، طالبة عايشة في أمريكا عمرها ما هتيجي مصر وحتى لو حكيت الكلام ده لأي حد في أمريكا مش هياثر علينا هنا. فجأة وبدون أي مقدمات، من أسبوع تقريبا، الأكاونت بتاعها اختفى من على ال facebook، اتمسح كأنه ماكانش موجود، اتجننت، حاولت أبعت لها جواب على العنوان اللي هي كانت كاتياه في حسابها، طبعا ماجاليش أي رد، ماكنتش فاهم أي حاجة لحد دلوقتي.

صمت قليلا مزردا ريقه ليلبل حلقة الجاف قبل أن يستكمل في نبرة تمتلئ سخرة ومرارة:

- دلوقتي بس فهمت، فهمت إن أنا الشاب الأهل اللي استغلوا طمعه وطموحه وزقوا عليه بنت ملونة ضحكت عليه واستغفلته وخذت منه اللي هي عاوزاه وعملتته جاسوس وهو مش واخد باله.

ثم رفع رأسه مترددا ونظر نحو يارا وهو يقول أسفا في نبرة نشي بكم الخزي الذي يشعر به:

- أنا أسف يا أستاذة، أنا ماستاهلش ثقتك ولا ثقة منصور بيه ولا ثقة أي حد.

كانت ليديا تنظر نحوه مبهوتة غير قادرة على تصديق بقية القصة التي أودى أولها بأجمل أحلامها وأتى آخرها على كل ما تبقى منها بينما كانت يارا تستمع دون أن يبدو على وجهها أي تعبير، لم ينطق سوى يحيى الذي تقلصت ملامحه بالحنق وهو يهتف وجسده كله ينتفض بغضب لم يتوقعه منه أحد بهذا الشكل:

- أسف ده إيه يا سي رأفت؟! هو إنت كسرت النضارة بتاعتها؟ إنت فاهم نتيجة عملتك دي إيه؟ إنت كنت السبب في إن الخزنة تسرق وإن ناس تهجم على البيت ده وتسرق اللي فيه، إنت السبب إن احنا كلنا دلوقتي في خطر، الناس دول ما بيجزروش، تخيل بقى لما ناس زي اللي إنت شفت أساميم يحطوننا في دماغهم وبيقوا عارفين بكل كبيرة وصغيرة عننا، وده ليه؟ لأننا وثقنا في حضرتك واعتبرناك راجل يعتمد عليه.

لم يستطع كل من رأفت وليديا أن يفهما كل ما تقوه به، فهما لم يعرفا شيئا عما قاله نادرلها ولا توجد لديهما أدنى فكرة عن الحقيقة التي اطلع عليها يارا ويحيى الذي لم يلتفت لذلك واستمر وقد تحولت نبرة صوته إلى شبه الصراخ قائلا:

- بتقول لها أسف، أقول لك بقى على حاجة هتفاجنك، ربما مانتحرتش، ربما اتقتلت، أقول لك على حاجة تانية كمان؟ يارا من يومين جالها تهديد صريح بالقتل، فاهم، اتفضل بقى ويري هتعمل إيه يا سبع الرجال؟

نهضت يارا وقاطعته قائلة في توجس بعدما رأت درجة الانفعال التي وصل إليها والحالة المزرية لرأفت في المقابل:

- يحيى.



صمت يحيى وإن كان وجهه لا يزال ينطق بكم الغضب المستعر بداخله بينما انطلق رأفت هاربا من الموقف برمته. خرج وأغلق باب الشقة خلفه متحاشيا النظر إلى أي من الموجودين، وما إن اختفى خلف الباب حتى سقطت ليديا جالسة على الأريكة وانخرطت في بكاء حاد لم تستطع السيطرة عليه فتركت دموعها تنساب أمام يارا ويحيى بعدما وجدت أن كل شيء ينهار أمام عينها حتى احترامها واحترام الناس له. نظرت يارا نحو يحيى في ضيق وأسرعت تجلس بجانب ليديا واحتضنتها محاولة تهدئتها. مضت دقائق لم يرتفع فيها سوى صوت نشيج ليديا قيل أن يتجه يحيى مسرعا في خطوات حائقة نحو باب الشقة ويفتحه ويختفي على الدرج غير ملتفت لنداء يارا. التي التقطت حقيبها وأسرعت لتلحق به بعد أن ألقت ببضع كلمات لليديا التي لم تستمع إليها ولم تشعر بكل ما يحدث حولها وهي منخرطة في بكائها.

لحقت به عندما وصل عند باب العمارة. أمسكت بذراعه لتوقفه وهي تهتف في دهشة محاولة السيطرة على أنفاسها اللاهثة:

- فيه إيه يا يحيى؟ أنا مش باندده لك؟

وضع يديه في خصره وهو يقول رافعا رأسه في غيظ مكتوم:

- يارا، سبيني دلوقتي أنا مش طايق نفسي.

- فيه إيه يا يحيى؟ إنت بتقلب فجأة كده ليه؟ من النقيض للنقيض، ماعندكش وسط؟!

نظر نحوها مندهشا وهو يهتف في انفعال:

- يظهر إنك لسه مش حاسة بالمصيبة اللي إحنا فيها؟ إحنا كلنا في خطر حتى الباشا اللي عامل نفسه حبيب ده.

فقالته محاولة تهدئته:

- أنا عارفة كل اللي إنت بتقوله، رأفت غلطان وإنه عندك حق. بس هو مش السبب الأساسي في كل اللي بيحصل وإنه انقعلت عليه بزيادة.

فزفر محاولا تهدئة نفسه قبل أن يتساءل في نقاد صبر:

- طب عاوزاني أعمل إيه دلوقتي؟

شردت لدقيقة قبل أن تتخذ القرار وتقول في نبرة حاسمة:





- ماحدثن هيعمل حاجة، أنا اللي هاعمل كل حاجة، أنا هاروح لمنصور بيه.

عقد حاجبيه وهو يتساءل مستنكرا:

- تروحي له فين؟!

قالت وقد ازدادت نبرتها حسما كأنها تأمر نفسها بهذا الفعل:

- في المستشفى، لازم أروح له، هو الوحيد اللي هيقدر يحمينا زي ما شفيق قال.

هتف في دهشة:

- شفيق! إنتي شفتي شفيق إمتى؟

- تعالي وصلتي المستشفى وهاحكي لك كل حاجة في السكة.

بضع دقائق خفيفة على الباب قبل أن يفتحه يحيى في بطء ويدخل بوجه مبتسم، وخلفه يارا بوجه شاحب حاولت قدر الإمكان أن تملأه بالجمود والحيادية وعدم الاكتراث. بينما كان قلبها ينتفض بداخلها من هذا القرار الذي أخذته فجأة وكادت تتراجع عنه عندما أصبحت في مواجهته.

كان جالسا في فراشه، ملامحه هادئة متزنة. رفع عينيه من خلف منظاره ذي الإطار الأسود ليرى من القادم إلى غرفته. عندما وقع بصرها عليه خفق قلبها بعنف، أول مرة تراه في الحقيقة وهو مستيقظ وواع ومدرك لما حوله وقادر على أن يراها ويتحدث معها، كم يشبهها، إنه بالفعل يشبهها. الشعر الأسود الفاحم والبشرة البيضاء والعينان الواسعتان العسليتان كأنهما الأصل للنسختين وضعت إحداها على وجهها والأخرى على وجه ربما رحمها الله. بالرغم من امتلاء جسده ووجهه لكنه لا يزال يشبهها جدا، يشبهها إلى درجة جعلتها تشفق على أمها التي أدركت الآن فقط كم كانت تتعذب كلما نظرت في وجه ابنتها فترى فيه الأثر الواضح لهذا الحبيب الراحل والزوج المفقود. نظر نحوها نظرة لم تجد متسعا لتفسيرها حيث أنه التفت نحو يحيى الذي قال مبتسما في سعادة حقيقية:

- حمد الله على السلامة يا منصور بيه.

ابتسم في اتزان وما زالت مسحة من الألم تغطي وجهه. أجاب بنبوة لم تغل من حميمية:

- الله يسلمك يا يحيى، ماعلش تعبتك معايا لما وقعت في مكتبك.

- تعب إيه بس؟ كل تعب يهون ما دام اتطمنا على سعادتك، ده حضرتك زي بابا الله يرحمه، هو أنا

يعني ماكنتش هاعمل كده مع أبويا؟

انكمشت ابتسامته قليلا وهو يقول شاردا ببصره:

- الله يرحمه، كان أقرب لي من مصطفى أخويا.

- علي فكرة يا منصور بيه ماما إن شاء الله هتيجي تزور حضرتك، هي بس مستنية إن حضرتك تستريح شوية.

- أهلا وسهلا، عابدة هانم تنورني.

ابتسم يحيى دون أن يجيب وساد بينهم صمت مشحون أطرق خلاله منصور بك وتحاشت يارا النظر إليه بينما تملل يحيى قليلا من حرج الموقف قبل أن يقول متسحبا ليترك لهما فرصة للحديث:

- طيب أنا هاروح أعمل مشواركده وبعدين أعدي آخد يارا، بعد إذتك يا منصور بيه.  
- استنى يا يحيى.

توقف يحيى بينما التفت منصور نحو يارا وخاطبها لأول مرة متسائلا بنفس الابتسامة المترنّة:  
- إنتي بتستأمني الولد ده ولا لا؟

خفق قلبها بعنف لكنها تماكنت نفسها وهي تتساءل بنفس النبرة المحايدة:  
- باستأمنه إزاي يعني؟

- يعني ممكن تديله مفتاح شقتك وإنتي متطمنة ولا تخافي يلبش حاجة كده ولا كده؟  
اتسعت ابتسامة يحيى بينما غالبت يارا ابتسامة خاطفة وهي تقول في هدوء:  
- لا ممكن أدي له المفتاح وأنا متطمنة.

- عظيم، يحيى، خد المفتاح منها وروح الشقة هات لي الصندوق وكل الحاجات اللي جواه،  
الصندوق ده لازم يفضل معايا حماية ليكم.  
فقالت يارا في استنكار:

- أنا ممكن أروح أجيبه بنفسي لو الموضوع مهم كده.  
فقال منصور في نبرة هادئة وإن لم تغل من حسم:

- لا، يحيى هو اللي هيروح يجيبه عشان إنتي لازم تقعدي معايا، فيه حاجات كتير لازم نقولها.  
أحست بشيء من الاضطراب مختلط بسعادة غامضة وحزن لا تعلم من أين جاء وأحاسيس أخرى كثيرة لم تجد متسعا من الوقت لتدركها، حيث كان عليها أن تعطي المفتاح ليحيى وتصف له أين وضعت الصندوق ومحتوياته في غرفة نومها قبل أن تتصل بحارس العقار وتبلغه بأن يحيى سيذهب ليحضر شيئا من الشقة، ثم أعطت له رقم هاتف الحارس احتياطيا قبل أن يذهب ويتركها واقفة في منتصف الغرفة لا تعلم ماذا يجب عليها أن تفعل أو تقول وغير قادرة حتى على مبادرة الالتفات والنظر نحوه.

لم تنظر نحوه إلا عندما سمعت صوته الهادئ الرخيم يهتف باسمها لأول مرة قائلاً في تودد متزن:  
- تعالي يا يارا، اقعدي هنا.

نظرت نحوه ثم نحو المقعد الذي أشار إليه في تردد لكنها استجمعت نفسها وتقدمت في خطوات ثابتة واثقة كأنه تحداها بأن عرض عليها الجلوس فقبلت هي التحدي وجلست لأول مرة قريباً منه. تأملها قليلاً وهي تتحاشى النظر نحوه، سمعته يقول في نبرة لا تخلو من ندم لم تعرف أنصدقه أم تكذبه:

- أنا عارف إنك زعلانة مني، ممكن كمان تكوني بتكرهيني.

رفعت رأسها ونظرت نحوه وهي تقول في نبرة جامدة:

- أنا ماياكرهكش، ولا باحبك، أنا ماعرفكش أصلاً عشان أحبك أو أكرهك.

ابتسم نصف ابتسامة مريرة وهو يقول:

- عندك حق، مافيش أي حاجة ممكن تعوضك عن الستين اللي عشتها بعيد عنك، بس صدقيني

يا يارا، أنا ماكنتش سعيد وإنني بتكبري بعيد عني، بس أنا اضطررت أختفي من حياتك كلها لأن

شريفة الله يرحمها هي اللي طلبت مني كده.

ابتسمت في مرارة وهي تهتف بنبرة خافتة ساخرة:

- أه وحضرتك ما صدقت.

صمت منصور متحاشياً الإجابة، أبعد نظراته المتضايقة عنها قبل أن ينظر إليها مرة أخرى ويقول

متجاهلاً الرد المباشر على جملتها الأخيرة:

- علي فكرة ماشم زارني النهارده الصبح وقال لي إنه قعد معاكي وحكي لك على كل حاجة.

نظرت نحوه محاولة إخفاء اهتمامها بينما استطرد هو قائلاً:

- قال لي إنه عرفك قد إيه أنا كنت باحب شريفة وإن مافيش حاجة في الدنيا كانت ممكن تتعبيني

أكثر من إني أبعد عنها غير حاجة واحدة بس.

صمت ليزي نظرات الاهتمام في عينها قبل أن يستطرد قائلاً فيما يشبه الندم:



- إني أنزل في نظرها أو إنها تحتقرني، هو ده اللي خلاني أبعد عنها وعنك يا يارا طول السنين دي، ماكنتش هاستحمل إني كل ما أقابلها أشوف نظرة احتقار في عينها بسبب الحقيقة المخجلة لشغلي الثاني.

نساءت يارا في توجس ممزوج بدهشة:

- هي ماما كانت عارفة؟!

زفر وهو يحرك رأسه نافيا قبل أن يقول:

- ماكانتش تعرف تفاصيل، بس سمعت طرايطش من كلامي مع شفيق وهي أصلا ماكانتش مطمئنة له، كانت حاسة إني باعمل حاجة غلط ولما واجهتني ماقدرتش أكذب عليها، خيرتني ما بين إني أفضل عايش معاكم وأنسى الشغل الثاني ده خالص، أو إني أكمل فيه بس أتسحب من حياتكم تماما، منعني حتى من إني أكون موجود في حياتك.

صمت لوهلة محاولا إخفاء مسحة من الألم مرت بوجهه قبل أن يستطرد قائلا:

- قالت لي إني طول ما باعمل حاجة غلط وحرام، ما أنفعش أكون أب وقدوة لبنتها، حتى الفلوس اللي كنت بابعثها لكم مارضيتش تاخدها إلا لما حلفت لها إنها من أرباح المجموعة مش من الشغل الثاني.

ابتسمت نصف ابتسامة وهي تقول ساخرة:

- ما هو حضرتك فاصل بين أرباح المجموعة والأرباح الثانية.

- أيوه، وكنت ناوي إن أول ما...

ثم صمت قليلا ليتغلب على الألم الذي ألم به عندما كاد ينطق باسم ربما قبل أن يستطرد قائلا:

- كنت ناوي أول ما أختك تغلص جامعة، أكتب نص نصيبي في المجموعة باسمك والنص الثاني باسم مصطفى والفلوس اللي برا أدي نصها لشفيق والنص الثاني لها، بكده كل واحد يكون أخذ نصيبه، وأخدها بعدها وتروح نعيش ونستقر في سويسرا.

أبعدت نظرها عنه وهي تقول بنفس التبرة الساخرة:

- يا خسارة، يا ريتك كنت عملت حسابك إنك تديني أنا فلوس الشغل الثاني، يمكن كان زمانى أنا

اللي مت وماكنتش هتخسر حاجة.

سادت فترة من الصمت بعد كلماتها الجارحة تلك حتى أنها كادت تندم على تسرعها فيما قالته وإن لم يخفف الحنق والجمود من على وجهها، لم تلتفت نحوه حين قطع الصمت قائلاً بنبرة تدل على ما بداخله من ضعف:

- عارفة إيه أحلى حاجة كانت موجودة في أختك؟ إنها كانت شهيك قوي. كانت بتعوضني عنك. بس ماكانش فيه حاجة في الدنيا كلها تعوضني عن شريفة.

التفتت نحوه وهتفت في حدة وقد ترقرقت الدموع في عينيها:

- و مادام ماكانش فيه حاجة في الدنيا تعوضك عنها. ماضحيتش عشانها ليه؟ ماسبتش الشغل الثاني ده واختارتها هي ليه؟ أنا ماكنتش فاهمة زمان بس دلوقتي فهمت. لما كنت باسمعها وهي بتعيط كنت بافتكر إنها مقهورة عشان إنت ظلمتها وسبيتها بس دلوقتي أنا فهمت. ماما كانت بتعيط عشان كانت بتحبك. وكانت عاوزه تفضل شايفاك أحسن واحد. وإنت بتقول إن إنت بتحيا. يبقى ليه ماضحيتش عشانها؟ ليه مافضلنش معاها؟

أطرق منصوب وضغط على شفثيه محاولاً استجماع الكلمات قبل أن يقول في نبرة متقطعة:

- يارا إنتي مش فاهمة. فيه حاجات دخولها مش زي الخروج منها. ناس زي دول لو كنت فكرت ساعتها إني أنسحب ومانفذش شغلي معاها. كان زمانهم مسحوني. أنا ماقدريش أنكر إني ساعتها كنت موهوم بالشغل والفلوس والثروة اللي هاكونها والتي عملت حسابي عليها وكان صعب أتغلي عنها. بس برضو. في الوقت ده وبعد كل اللي عرفته ساعتها. لو كنت فكرت أسيهيم كان زمانهم أذولي وأذوا كل حد قريب مني.

أطلقت زفرة ساخرة وهي تقول:

- ما إنت كملت معاها. وإيه اللي حصل في الآخر؟ برضو أذوك. وفي أغلى حاجة عندك. بنتك.

انفعل وهو يجيها متألماً:

وإنتي فاكرة إن الموضوع ده سهل عليا؟ تفتكري كان بالساهل كده أقيل إن بنتي ماتت بسببي وإنها كمان كانت عارفة عني حقيقة بشعة زي دي؟

صمتت يارا قليلاً حتى يهدأ ثم قالت دون أن تنظر نحوه وبنبرة مبتورة كأنها تكره أن تقول ذلك:

- بس على فكرة. ربما الله يرحمها كانت بتحبك. لو ماكانتش بتحبك. كان زمانها فضحتك من زمان.

أغمض منصور عينيه محاولا التغلب على ألم السكين التي غرزتها يارا في قلبه بكلماتها تلك قبل أن يقول في نبرة تمتلئ بالحسرة والندم:

- عارف، زي ما أنا عارف قد إيه إنتي كنتي متحبييني لو كنتي كبرتي في حضني، وزي ما أنا عارف قد إيه إنتي وشريفة تعبتوا طول عمركم بسببي.

التفتت نحوه في حدة، عيناها تقطران غيظا من كلماته التي قطعت آخر حبل من حبال صبرها فانهاالت كلماتها مختلطة باحمرار وجهها ودموعها التي خطت خطين لامعين على وجنتيها، لا تعرف لماذا انفجرت في وجهه هذا الانفجار المروع، لم يكن ما قاله مستفزا لتلك الدرجة لكن شيئا بداخلها لم يتحمل فانهمر كل ما حبسته بداخلها طوال عمرها وقذفت به في وجهه متواصلا مصحوبا بدموعها وحزنها وغيظها دون أن تترك له فرصة ليجيب أو حتى يلتقط أنفاسه المبهوطة من هول ما رآه على وجهها وفي عينيها وما سمعه منها:

- عارف؟! عارف إيه يا منصور بيه؟! إنت لو كنت عارف واحد في المية من اللي كنا عايشين فيه أنا وأمي ما كنتش سبتنا كل السنين دي، لو كنت عارف ما كنتش تقدر تبص في عيني دلوقتي. عارف إيه؟ عارف يعني إيه اتنين عايشين خايقين طول الوقت؟ يعني إيه إن أنا عايشة على طول خايفة وعلى طول فاقدة الثقة في كل الناس؟ ما هو هاتظمن إزاي إذا كان رمز الأمان اختفى من حياتي بإرادته وبرغبته، عارف يعني إيه نبقى أنا وأمي عايشين كده في الدنيا لوحدها من غير قرايب أب مانعرفهمش ولا قرايب أم واخدين جنب منها بسبب طليقها ونفوذها؟ عارف يعني إيه أبتى خايفة ماما يجرى لها حاجة في نص الليل وأنا طفلة ماعرفش أتصرف وهي تبقى خايفة يجرى لي حاجة في نص الليل وهي لوحدها ما تعرفش تتصرف؟ عارف يعني إيه بيعي واحد وعيلته يتقدموا لي ما يلاقوش راجل يتكلموا معاه ويعمسهم إن البننت دي وزاها ضهر بيحميها وإنه على الأقل هيسأل على العريس قبل ما يوافق عليه ويدي له بنته وأنا أبويا عايش على وش الدنيا؟ إنت عارف كريم سابني ليه؟ سابني عشان أمه قالت له دي واحدة أبوها راميا هي وأمها، مالهش حد يقف لها لما تغلط، والله أعلم أبوها ساب أمها ليه، كريم عايرني بيك، عارف يعني إيه يتقال لي كلام زي ده وأنا عندي واحد وعشرين سنة من خطيبي اللي باحبه؟ عارف إيه أكبر مشكلة كانت شاعلانا أنا وماما وقت الخطوبة؟ مين هيبقى وكيلي يوم كتب الكتاب؟ لدرجة إنها فكرت تبعت تطلب من ابن عمها



اللي عايش في الدنيا إنه يبجي يبقى وكيلي لأن أبويا مش هيبجي أصلاً يوم فرحي، عارف يعني إيه أمي تموت وأنا حنة عيلة يادوب مكلمة اتنين وعشرين سنة وأواجه الموقف ده كله لوحدي؟ عارف يعني إيه أرجع من عزا أمي وأبات لوحدي في البيت وأصيحى كل شوية على كابوس وأنهار في العياط من غير ما يكون أبويا جنني؟ لا يا منصور بيه ماتقولش إنك عارف لأنك في الحقيقة ماتعرفش أي حاجة.

صمتمت لتتمالك أنفاسها المهتدة وتمسح دموعها بعدما أطلقت في وجهه بقذائف مأساة حياتها التي كان هو سببها الأول، حاولت أن تتحاشى النظر نحوه كأن ما قائلته قد ذكرها فجأة بما يستعبر بداخلها من اتهامات له وغیظ منه وشيء يأتي أن يتحول إلى كراهية مطلقة، ساد صمت ثقيل لم يقطعه إلا صوت تهيدة متألمة أطلقها منصور قبل أن يقول في صوت ضعيف مستميتا ليمنع دموعه من الظهور على سطح عينيه الممتلئين بالندم:

- أنا كنت عارف إن هيبقى فيه تمن لكل اللي وصلت له ده، بس ماكنتش متغيب إن التمن ده هيبقى غالي كده، كنت فاكرا إن بعدي عنك إنني وشريفة هو أقصى عقاب أنا ممكن أخده مقابل اللي باعمله، ماكنتش عارف إن العقاب الحقيقي أسوأ بكثير، ماكنتش عارف إن النهاية هتكون إنني أبقي السبب في موت بنتي الصغيرة بعد ما تعرف عني كل الحقيقة وإنني أسمع كل الاتهامات دي وأشوف كل الكره ده في عيون بنتي الكبيرة.

هتفت في حدة كأنه يتهمها بجريمة ليست هي متأكدة في قرارة نفسها من أنها لم ترتكبها:

- قلت لك إنني ماباكرهكش، أنا ماعرفكش عشان أكرهك.

فتساءل في مرارة:

- وإنني فاكرا إن دي حاجة سهلة؟ نظرات الاتهام في عينيكي وإحساسي إن أنا السبب في كل الألم اللي إنني حاساه ده لوحدهم كفاية عشان بندمونني على كل حاجة عملتها وعشان أعرف إن مافيش أي قيمة لكل اللي وصلت له قدام التمن الكبير ده.

صمتمت لبيتلع غصة ألت بحلقه قبل أن يستطرد في صوت متألم ونبرة نادمة دون أن ينظر نحوها كأنه يعترف لنفسه وبواجهها:



- أنا كان ممكن أكون أسعد راجل في الدنيا لو كنت فهمت الدنيا صح. كان ممكن أكون دلوقتي رجل أعمال متوسط عندي شركة صغيرة ناجعة وحياة مستقرة. كان زماني لسه متجاوز شريفة وعايش معاكوا طول السنين اللي فاتت. ومين عارف كان ممكن شريفة هي اللي تبقى أم ربما. مافيش حياة أجمل من كده. بس من خمسة وعشرين سنة أنا كنت مستعجل قوي. كنت عاوز فلوس بسرعة ونجاح سريع وقوي. كنت حامس إنني ذكي وأستحق أحسن من اللي أنا فيه ده ألف مرة وإني لازم الأتي خمسين مجال أستغل فهم ذكائي وشطارتي وأحولهم لفلوس وشهرة ونجاح. ساعتها شفيق قدر يقرايني ويفهمني كويس. كنا لسه فاتحين شركة الاستيراد والتصدير وكان عندنا شغل في سوريا ولبنان مع رجل أعمال على علاقة بتاجر بيورد أسلحة للمليشيات في بيروت. طلب من شفيق إننا نساعد في تمويه توصيل شحنة تبع التاجر ده مقابل مبلغ خيالي وتسهيلات كثيرة في شغلنا العادي لأن التاجر ده له علاقات ونفوذ قوي جدا. شفيق اتحمس قوي ولما عرض عليا الموضوع قدر يضغط على كل الأوتار الحساسة جوايا عشان يقنعني. ماقصدش أحمله الذنب وأقول إن هو السبب لأن زي ما أنا عارف كويس إنه زقتي واستغلني عشان تدخل مع بعض العالم ده زي ما أنا برضو عارف كويس إن أنا حسبتها وخذت القرار بكامل إرادتي. خفت في الأول بس الإغراء كان أقوى مني. خطيت رجلي على أول مسكة صعب الرجوع منها. وافقت والصفقة تمت بنجاح وبعدها علي طول لقيت شفيق جايب لي شغل تاني تبع وكيل سري كبير قوي كان ببشارك في تأمين تسديد ثمن أسلحة كانت أمريكا وأوروبا بيوردوها لإيران وقت حربها مع العراق وده طبعاً كان بيعحصل في السر عشان موقف أمريكا المعلن كان مختلف تماما. الوكيل ده كان عاوز يدخل شركتنا ضمن شبكة شركات وحسابات في سويسرا اتعملت مخصوص عشان تأمين تسديد ثمن الصفقة. وافقت وخذنا ساعتها عمولة خيالية ده غير طبعاً إننا بدانا نثبت رجلنا في العالم ده ونتواصل مع شركات أسلحة في أوروبا عشان نبقى وكلاء مباشرين لهم. كل حاجة كانت ماشية كويس بشكل رائع لحد لما شريفة حست إنني باعمل حاجة غلط وواجهتني وساعتها ماقدرتش أكذب عليا. ولما طلبت مني إنني أطلقها وأختفي من حياتكم تماما كنت موافق أكثر منها على القرار ده. مش عشان أنا عاوز أبعد عنها إنما عشان كان صعب عليا أشوفها وأنا عارف إنني نزلت في عينها ويمكن كمان في قلبها.

ما تخشاه بدأ يحدث، بدأت تشفق عليه، بدأ قلبها يرق له، أرادت أن تقول له مرة أخرى أن مكانه لم يتغير في قلب أمها، لقد فهمت الآن كل هذا الغموض الذي كان يشمل حياة أمها، فهمت الآن أن تلك الأم لم تتوقف عن حب أبها لحظة واحدة، أبها، خفق قلبها بعنف عندما مرت تلك الكلمة بذهنها وهي تراه أمامها الآن. أحنت رأسها كأنها خافت أن يرى في عينيها ما مر بغاطرها وما أرادت قوله له، يجب أن تتماسك، لن يستطيع أن يمحو في دقائق ما عانته بسببه طوال سنوات عمرها. استطرد بنفس النبرة المتألمة وبعينين شاردين:

- مع كل نجاح كنت باحقيقه كنت باندم أكثر لأن مافيش حاجة كان ليها طعم من غير شريفة، ولما شريفة الله يرحمها ماتت ماعرفتش أعمل إيه، بقيت زي العيل النايه، إزاي شريفة راحت من غير ما تسامحني أو على الأقل أشوقها لأخر مرة؟ سافرت قعدت في مصحة يمكن أقدر أتعايش مع الحقيقة دي، مافيش حاجة كانت مصبراني على الدنيا كلها غير وجود ربما في حياتي، والغيبوبة دي ماكانتش إلا هروب من واقع ماقدرتش أستوعبه أو أستحمله، إزاي أقدر أصدق إن ربما كمان راحت مني؟! ولما فُقت وشفيق حكى لي على كل اللي حصل خفت في الأول، خفت منك ومن مواجبتك، كاني هاواجه شريفة بعد كل السنين دي، وعشان كده قلت الكلام اللي إنني سمعته إمبراج، بس بعدها رجعت فرحت لما تغيلتك ماسكة رئاسة مجلس الإدارة وقاعدة على مكتبي، فرحت بيكي قوي بعد ما قارنت بين الطفلة الصغيرة اللي سبتها من خمسة وعشرين سنة وبين سيدة الأعمال اللي شفيق وهاشم حكوا لي عنها، وقالوا لي إنها تشبهني في حاجات كتير قوي. صمت قليلا ثم لاح شبح ابتسامة على وجهه وهو يقول:

- ولما عرفت موضوع الصندوق اللي وصل لك ده فرحت أكثر لأنني كنت خايف إن الموضوع كله يخلص من غير ما أشوقك، بس على قد ما اتضايقت عشان إنني كمان عرفتي عني الحقيقة دي على قد ما اتبسطنت عشان اتأكدت إن هيبقى فيه سبب يخليكي تبجي لي وأشوقك. حقا؟! هل حقا أردت أن تراني يا منصور بك؟ هل حقا شعرت بالسعادة عندما تأكدت أنني سأحتاج إليك وسأتي لك؟ لقد كنت محتاجة إليك طوال عمري لكني لم أظن أن ليجوني لك سيفرحك يوما ما.



كان قلبها يخفق مضطربا بتلك الغواطر وهي تحاول كبت فرحة خافتة استيقظت بداخلها رغما عنها. كانت تتفادى النظر نحوه حتى لا يرى ما يدور بخلفها وهي تقول في نبرة جامدة:

- أنا جيت النهارده عشان فيه ناس كثير اتورطت معايا في الموضوع ده ومالهمش ذنب إن أي مشاكل تحصل لهم. إنما أنا عودت نفسي من زمان إني ماحتاجش لحد وبالذات ليك إنت. لأنك إنت كمان مش محتاج لي.

تساءل في نبرة شبه متوسلة:

- مين بس اللي قال لك كده؟

فهتفت وقد اختلطت الحدة بالعتاب واللوم والدموع في نظراتها ونبرة صوتها:

- إنت. إنت عمرك ما حسستني بكده، وحتى دلوقتي وإنت بتحكلي. كنت بتقول إنك ندمان بسبب بعدك عن شريفة أو إنك عايش حياتك بس عشان وجود ربما، طب وأنا؟ أنا يا منصور بيه. إيه؟ ماندتمش عليا واحتاجت إني أسامحك زي أمي؟ ولا حتى احتاجت لوجودي في حياتك زي ما احتاجت ربما؟ شفت بقى إن أنا ماليش أي وجود حقيقي في حياتك؟ ودلوقتي إنت محتاج لي لأن مافيش قدامك غيري. ولو ماكانتش ربما اتوفت ولو ماكانش أي حاجة حصلت عمرك ما كنت هتفكر فيا ولا هتتحس باحتياج لوجودي في حياتك.

أغمض منصور عينيه وزفر في ضيق وألم قبل أن يقول بنفس النبرة المتوسلة كأنه يستجدي منها أن تصدقه:

- أنا عمري ما بطلت تفكير فيكي يا يارا، عمري ما بطلت ألوم نفسي على بعدي عنك وعلى إني سبتك تربي بعيد عني، عمري ما بطلت ندم على إني ماكانتش موجود جنبك يوم خطوبتك وعمري ما سامعت نفسي في كل يوم إنني كنتي عايشة فيه لوحدهك بعد وفاة شريفة الله يرحمها. بس كنت كل ما أفكر فيكي كل ما أخاف أكثر. أخاف أحاول أقرب منك فأكتشف إنك بتكرهيني أو أخاف إنك تصديني. كنت باخاف أشوف نظرات الاتهام في عينيكي. مش معنى إني ماجبتش سيرتك وأنا باتكلم دلوقتي إن أنا ماكانتش بافكر فيكي. بالعكس إنني كنتي أكثر حد شاغل تفكيرني. لأن في الأول والآخر شريفة كنت فقدت الأمل من ناحيتها وفي إنها ترجع تحبني أو تسامحني وربما كنت فاكرا إني ضامنها ومش هاخسرها أبدا. إنما إنني كنتي أكثر حاجة محيراني. لا أنا قادر أتشجع وأقرب منك

لأني خايف من رد فعلك ولا قادر أفقد الأمل فيكي لأني خايف من تأنيب ضميري لو اعترفت لنفسني إنك أكيد بتكرهيني، عشان كده كنت باتعاشي إنني أعمل لك مكان واضح في حياتي لأني أصلا خايف أعرف طريقة تفكيرك فيها.

ابتسمت يارا في سخرية وهي تسمح دموعها، حتى أنت يا منصور بك كنت تخشى من معرفة الحقيقة، إنه شيء وراثي إذا هذا الخوف من معرفة الحقيقة، لكن ربما لم ترثه، ربما لم تخش يوما الحقيقة مثل أبيها وأختها، ربما لأنها الشخصية السوية الوحيدة في تلك الأسرة العجيبة. قالت يارا في صوت خافت كأنها تستكمل حديثه:

- و أدي ربما راحت ومشرفة كمان راحت مع إنها فضلت تحبك لحد آخريوم في عمرها، بس في الآخر ماتبقاش ليك غيري أنا، وأنا كمان ماما راحت مني وكريم كمان راح زمان وما اتبقاش ليا غيرك إنت، ويبجي يوم زي ده عشان أنا وحضرتك تعرف اللي طول عمرنا كنا خايفين نعرفه، واضطربنا نعرفه من بعض لأن ماتبقاش غيرنا دلوقتي.

تأملها منصور لثوانٍ قبل أن يقول محاولا إخفاء استعطافه في شكل اقتراح يقترحه عليها:  
- طب ما تيجي نجرب بعض؟

نظرت نحوه في استغراب شديد من هذا الاقتراح بينما استطرد هو متحمسا:  
- تعالي نجرب ننسى الخوف اللي جوانا من ناحية بعض، جربيني، مش يمكن أطلع أب كويس؟ وأعرف أعوضك عن كل الأمان اللي حرمتك منه طول عمري؟  
كانت تنظر نحوه في استنكار وتردد وهي تهتمف متسائلة في صوت مضطرب:  
- أجربك إزاي يعني؟

أزداد حماسه بعدما وجد منها ميلا لتصديقه وهو يقول مبتسما في هدوء:  
- احكي لي عن كل اللي حصل لك من ساعة ما جالك الصندوق لحد دلوقتي وشوفي إذا كنت هاقدر أحميكي ولا لا.

ترددت واضطربت وخافت، لقد أتت بالفعل لتقص له كل شيء ليحميها هي وكل من يعرف أي شيء عن هذا الأمر، ولكن بصفته منصور بك صاحب هذا الشأن ورجل الأعمال ذو النفوذ القوي وليس بصفته منصور الأب الذي سيستمع لها ويحميها بسبب شيء بداخله يدفعه لأن يمنح لابنته



الأمان، هل حقا يمكن أخيرا أن تشعر بهذا الأمان الذي ما إن فقدته وهي طفلة حتى وجدت نفسها تفقد كل نوع آخر من الأمان والثقة؟ هل تخاطر وتوافق و"تجربه" كما طلب منها؟ أم كتب عليها ألا تشعر بهذا الأمان طوال عمرها؟ رياه، لقد أصبحت تخاف من كل شيء، حتى الإحساس بالأمان بسبب هذا الألب أصبحت تخاف منه، إلى متى مستظل عاجزة عن كسر تلك القشرة الخشنة الداكنة التي كسرتها ربما وحطمتها منذ زمن؟

يتردد ونبرات منقطعة بدأت تقص الحكاية من أول يوم، في البداية كانت تتحاشى النظر نحوه وتختصر في الوصف والحديث، مع الوقت وجدت نفسها تلتفت بين الفينة والأخرى لثرى تعبيرات وجهه وهو يسمع حديثها الذي تحول تدريجيا إلى كلام متوازن ومترايط ثم أصبح مسترسلا وملينا بالوصف والتفاصيل، وكلما ازداد اهتمامه بما تقول كلما ازدادت حماسها ونشوتها التي حاولت إخفاءها قدر الإمكان وقد وجدت نفسها أخيرا تلقي بحمولها على كتفه فيتحملها هو بنفس راضية مسرورة. لماذا حرمها من هذا الإحساس طوال عمرها؟ لا تعلم لماذا وجدت الحديث يتشعب منها ويصل إلى تفاصيل حياتها العادية بعيدا عما يتعلق برىما وصندوقها، أخذت تقص وتحكي وتصف كل شيء عن حياتها وهو يستمع وابتسامه رضا مرتسمة على شفثيه، وهو يراها قد أسقطت معظم الحواجز وفشلت في كبح جماح نفسها عن الحديث إليه بكل شيء وأي شيء مهما بدا ناقها، لا تعلم كم من الوقت قد مضى في هذا الحديث عندما قالت مبتسمة في غمار حديثها عن عابدة ويحيى:

- ولولا طنط عابدة الأيام اللي فاتت مش عارفة كنت هاعمل إيه؟ عوضتني عن ماما الله يرحمها. فابتسم منصور وهو يقول:

- عابدة هانم ست عظيمة وجوزها مراد الله يرحمه كان من أعز أصحابي، الصراحة مريين ولادهم أحسن تربية. ده أنا حتى كان نفسي زمان أجوز رىما ليحيى.

خفق قلبها واتسعت حدقتها وهي تهتف في دهشة:

- معقول؟! بس ده يحيى أكبر منها بكثير! بيتبها لي عشر سنين فرق كبير.

اتسعت ابتسامته وهو يتساءل متخابئا:

- بس ثلاث سنين فرق كويس قوي مش كده؟

لاح شبح ابتسامه خجل على شفتها حاولت إخفاءها كما حاولت السيطرة على خفقات قلبها الذي لا يزال عاجزا عن تصديق هذا الموقف برمته، أبوها يتحدث عن يحيى في خبث كأنه يعلم كل ما يدور بداخلها وهي نخجل من حديثه معها.

لم ينقذها سوى رنين جرس هاتفها المحمول، أخرجته ونظرت إلى الشاشة قبل أن تهتف في استنكار:

- إيه ده؟! ده عم صبيحي البواب.. معقول يكون يحيى لسه واصل دلوقتي؟ ده فات أكثر من ساعة.

أجاب الهاتف بينما أخذ منصور يتابع حديثها بعينين حائرتين:

- ألو، أيوه يا عم صبيحي خير؟

...

- بالراحة يا عم صبيحي عشان أنا مش فاهمة منك أي حاجة، هو الأستاذ يحيى جه وطلع الشقة؟

...

- مين في المستشفى؟

..

- إنت هنا دلوقتي في طوارئ المستشفى! ليه؟!

انتفضت واقفة فجأة وهي تستمع إلى الطرف الآخر وقد امتنع وجهها وتلجج صوتها وهي تهتف في ذعر:

- إيه؟! إنت بتقول إيه؟! إزاي وفين؟! في شقتي أنا! طب أنا نازلة حالا، أنا جاية حالا، ماتت عركش من مكانك.

انطلقت مسرعة نحو الباب وقد تحول ذعرها إلى أقصى درجة، هتف منصور في قلق محاولا معرفة أي شيء قبل خروجها:

- فيه إيه يا يارا؟

دون أن تلتفت نحوه أو تهدئ من سرعتها هتفت في ذعر واضطراب وهي تركض خارجة من باب الغرفة:

- عم صبيحي بيقول إن يحيى اتضرب بالرصاص في شقتي وإنه هنا دلوقتي في طوارئ المستشفى.

(٦٠)

كان عم صبي يسرد ليارا ما حدث وهما واقفان في طوارئ المستشفى بنبرة متلجلجة قائلاً:

- أنا طلعت مع الأستاذ يحيى فوق واستنيتة في الصلاة. يا دوب مافانش دقيقتين سمعت صوت كركبة وصوت حاجة مكتومة بعدها صوت حاجة بتهبد. دخلت بسرعة لقيت شبك الأوضة مفتوح والأستاذ يحيى واقف على الأرض وسايح في دمه. جريت على الشباك لقيت عربية بتجري في آخر الشارع الوراني. كان قاضي مالقيتش حد أزق عليه يوقف العربية. رجعت للأستاذ يحيى. جيت أكلمه لقيت لسانه ثقيل قوي. يا دوب بالعافية قال لي إن حضرتك موجودة في المستشفى دي وطلب مني أجيبه على هنا. زعقت على العيال شيلناه وجيبناه بسرعة.

كانت يارا تفرك يديها الباردتين وهي تستمع له في زعر كاد قلبها أن يتوقف من شدته. هتفت متسائلة بصوت مبجوح:

- يعني إنت ماسمعتش صوت الرصاص؟

- لا. سمعت صوت مكتوم بس.

تساءلت بنفس الصوت المبجوح وفي اضطراب شديد غير قادرة حتى على تنسيق كلماتها:

- طب والدم كان كثير؟ كان فين؟

فأجاب صبي في أسف:

- كان كثير يا أستاذة. أصلها جات في صدره.

كاد يقش عليها عندما سمعت هذا الكلام. عنن يتحدث هذا الرجل؟ من هذا الذي فقد دماء

كثيرة وتلقى رصاصة في صدره؟ أحست أن صدرها يؤلمها كأنها هي المصابة وليس هو. ولكنها لم

تستوعب بعد. أتى لها أن تصدق أن يحيى هو هذا الملقى في الداخل لا تعرف عنه شيئاً سوى

حقائق مروعة مرعبة لا تصدقها ولا تعرف كيف حدثت أو لماذا؟

أسرعت نحو ممرضة خرجت من باب الغرفة التي كان عم صبي يقف أمامها. سألت في صوت

مذعور وبنبرة راجية كأنها تتوسلها أن تطمئنها أن كل ما يحدث ليس حقيقياً وأن من أدخلوه منذ

قليل هو أي شخص آخر غير يحيى:

- لو سمحتي. الراجل اللي جه من شوية. اللي جابه الراجل ده.



أشارت نحو صبحي دون أن تجرؤ على استكمال سؤالها. نظرت الممرضة نحوه قبل أن تقول في هدوء:

- أه الأستاذ اللي كان مضروب بالرصاص؟

إذا فهي حقيقة، يحيى تلقى رصاصة في صدره، أصابها دوار شديد فتمالكت نفسها بصعوبة وهي تومئ للممرضة التي قالت:

- دخل العمليات وكلمنا أهله وزماتهم جاينين في السكة.

اتسعت حدقتا يارا في ذهول وهي تهتف في دعر:

- أهله؟! أهله مين؟!!

- كلمنا نمره بيته ووالدته قالت إنها جاية على طول.

أمسكت يارا برأسها محاولة السيطرة على الدوار الذي اشتد به، عابدة هانم عرفت بما حدث ليحيى، يا الله كيف تلتفت الخبر؟ كيف سيكون حالها عندما تصل؟! وكيف ستستقبلها يارا وهي غير القادرة على التحكم بهذا الارتجاج الذي ألم بكل أطرافها الباردة؟

بصعوبة شديدة طلبت من عم صبحي أن ينصرف ومضت تائهة بين أروقة المستشفى حتى عثرت على غرفة العمليات الموجود يحيى خلف أبوابها، جلست أمامها وهي غير قادرة على تصديق كل ما يحدث، كأنه كابوس مخيف. كيف يمكن أن تصدق أن يحيى مستلقي على فراش خلف هذه الأبواب يعيث الأطباء بصدرة هذا الذي ضمها إليه وغاصت فيه حتى وجدت إحساسا بالأمان لم تجده في أي مكان آخر، إنها حتى لا تعرف أي شيء عن حالته أو درجة خطورتها.

التفتت عندما أحست بصوت خطوات تقارب منها، كانت عابدة هانم تركض نحوها ممتعة الوجه وقد تهدلت بعض خصلات شعرها من حجابها غير المستوي. ما إن اقتربت منها حتى هتفت في دعر:

- ابي فين؟ يحيى فين؟

تهضت يارا وحاولت التظاهر بالتماسك وهي تقول:

- جوا في العمليات.

أطلقت عابدة شهقة رعب قبل أن تتساءل وقد تضاعف دعرها وانتفاض جسدها:

- عمليات ليه؟ هو حصل له إيه؟



لم تستطع يارا أن تنطق بأي شيء مما تعرفه وهي تراها أمامها بتلك الحالة، قالت محاولة منعها  
اطمننا لا تشعر به:

- ماعرفش، بس خير إن شاء الله يا طنط ماتقلقيش.

لم تكذ تنهي كلمتها حتى خرجت إحدى الممرضات من باب غرفة العمليات، أسرع يارا نحوها  
وقلبها يكاد يتوقف من شدة الرعب وخلفها عابدة التي كادت تسقط من شدة الاضطراب والعجز  
عن السيطرة على نفسها، هتفت يارا متسائلة:

- لو سمحتي يا أنسة، يحيى عامل إيه؟

تفحصتهن الممرضة لثوانٍ قبل أن تتساءل:

- إنتوا قراييه؟

كادت يارا أن تجيب لكنها فوجئت بلسانها عاجزا عن إيجاد صفة تربطها به فأسرعت عابدة تقول  
وهي على حافة البكاء:

- أيوه أنا أمه، أرجوكي طمئينا.

- أنا عاوزاكم تقعدوا وتهدوا لأن العملية لسه متطول قوي.

تساءلت يارا في صوت مبحوح:

- متطول ليه؟ هو حالته إيه؟

صمتت الممرضة لثوانٍ كانت كأنها سنواتٍ قبل أن تهتف بسرعة في نبرة مترددة:

- ادعوا له..

اختفت من أمامهن مسرعة كأنها تخشى مزيدا من الأسئلة، وقفت يارا متمسرة مكانها كالمثال  
تنظر نحو الجهة التي اختفت فيها الممرضة بعينين زائفتين جمدت فيهما الدموع وقد شحبت وجهها  
وتلججت أطرافها، توقفت عقلها عن العمل، ما معنى "ادعوا له"؟ ماذا تعني بتلك الجملة؟ انتهت  
على صوت نحيب عابدة، التفتت نحوها فوجدتها تكاد تسقط وقد غمرت الدموع وجهها وأخذ  
جسدها ينتفض بشدة، أخرجت نفسها من حالة الجمود التي اعترتها بصعوبة وأسرعت تسندها  
حتى أجلستها على أحد المقاعد وجلست بجانبها تربت على كتفها في صمت بينما عيناها زائفتان في  
الفراغ، لا تعرف كم مضى من الوقت وهي في جلستها تلك؟ عابدة لا تتوقف عن البكاء وهي تارة

تربت عليها وتارة تفرك يديها الباردتين محاولة تمالك نفسها أمام عابدة حتى لا تزيد همها، ربما مضى أربع أو خمس ساعات دون أن تعرفا أي شيء عن هذا العزيز المستلقي في الداخل، لم يخرج أو يدخل أحد من غرفة العمليات ولم يحاول أحد أن يطمئنهن أو حتى يقول لهن أي شيء. أحست بخطوات مضطربة تقترب منهن، التفتت مسرعة فرأت امرأة محجبة في منتصف الثلاثينيات تقترب مسرعة في ذهول، أحست أن وجهها مألوف لكنها لم تجد وقتا لتفكر حيث فوجئت بها تتجه نحو عابدة وهي تهتف في خوف: ماما.

انتفضت عابدة ونهضت مسرعة وهي تهتف في دهشة:

- يمى؟ إني عرفتي منين وجيتي إزاي؟! وفين جوزك وولادك يا بنتي؟

خرجت الكلمات متتابعة بسرعة من فمها كأنها تريد التخلص منها بسرعة لتسأل عما يحدث:

- كلمتك في البيت زي العادي لقيت أم حمدي بتقول لي إن جالك تليفون وإنك جيتي على المستشفى هنا، كلمتك على الموبايل لقيته مقفول، ماقدرتش أستحمل وماعرفتش أوصل لعلاء لأنه بايت في الموقع الليلة، سببت الولاد عند جارتى وسببت له معاها خبر وجريت على مطار الغردقة، بالصدفة لقيت رحلة طالعة القاهرة وقها أماكن فاضية ركبها، نزلت من الطائرة وجيت جري على هنا، فيه إيه يا ماما يعنى جرى له إيه؟

ضربت عابدة يكلتا يديها على جانبي رجليها وهي تهتف في قلة حيلة وبصوت يهتلق بالبكاء:

- أخوكي يروح مني وأنا مش عارفة أعمل إيه؟

ثم انخرطت في بكاء شديد لم تستطع يمى أمامه أن تسألها مرة أخرى عن أي شيء، لم تجد أمامها سوى أن تحتضنها محاولة تهدئتها وهي تكتم دموعها بصعوبة على شيء لا تعلمه حتى الآن.

كانت يارا تتابعهن في ذهول كأنها تشاهد مسرحية لا دور لها فيها، كانت تتأمل هذا الكيان الذي تكون من الابنة وهي تحتضن أمها محاولة التخفيف عنها عندما أحست فجأة بعدم الانتماء للموقف برمته، كأنها دخيلة على أسرة أصيبت في أعز من تملك فانشغلت به حتى عن الالتفات إلى أي غريب يمر بها، انتفضت عندما أحست أنها يمكن أن تكون السبب في هذا المصائب، حقا، هي السبب فيما أصاب أعز مخلوق إلى قلبها؟ هي السبب في تلك الدموع التي تدرقها الوحيدة التي استطاعت ملء الفراغ الذي خلقته أمها برحيلها؟ نهضت من مكانها والذهول يحتل قسماتها وهي

تأملين مبتعدة في خطوات واهنة خافتة كأنها تخشى أن يلاحظن وجودها فيمكن إليها الاتهامات التي تعصف برأسها وتكاد تقتلع قلبها الممزق بين أفكار سوداء ورعب هائل على يحيى الذي لا تعلم أي شيء عما يحدث له. أخذت تسير في أروقة المستشفى كالتائهة غير قادرة على تمييز أي شيء مما حولها أو حتى الاتجاه إلى مكان محدد. قادتها قدمها إلى حيث كانت منذ بضع ساعات، عند غرفة هذا الرجل الذي طلب منها أن تختبره ربما استطاع أن يمنحها الأمان. ها قد أتى الاختبار أسرع من المتوقع يا منصور بك، لقد تلقت على رأسها أعنف ضربة أفقدتها توازنها وتحكمها، عادت طفلة صغيرة تلشد الأظمنان ولا يوجد أمامها غيرك، لن تختبرك، إنها بالفعل محتاجة إليك بكل ذرة في كيانها والفشل لا يعد احتمالا يمكن أن يقع كما كان ممكنا في حالة الاختبار، عندما رآها منصور أمامه في تلك الحالة انتفض وهويتف في قلق؛ إيه اللي حصل يا ياراً؟

لم تستطع أن تفتح فمها لتجيبه، فقط تقدمت نحوه في خطوات مترنحة وهو يتابعها وقد ازداد خوفه مما يراه على وجهها، جلست بجانبه، نظرت نحوه فوجد نفسه يتغلب بصعوبة على تيبس عضلاته ويفتح ذراعه حيث استقر رأسها على صدره وأطلقت لدموعها الحبيسة العنان وهي تهتف في صوت ضعيف يقطعها نشيج البكاء بتلك الكلمة لأول مرة في حياتها:

- الحقني يا بابا.



(٦١)

خرج يحيى من غرفة العمليات ودخل غرفة العناية المركزة. الاسم وحده جعل عايذة تهاز باكية بينما أحست يارا بالدماء تتجمد في عروقها عندما تغيبت شكله مستلقيا على فراش يشبه هذا الذي كان يرقد عليه أبوها، موصولاً بمائة جهاز يساعده على الحياة التي يبدو أنه واقف الآن على حافتها. لم يحاول أحد أن يشرح لهم الحالة أو يوضح لهم درجة خطورتها وبطبيعة الحال لم يكن أي منهم قادراً على سماع أي شيء بعد أن فوجئوا بإبلاغهم بدخول يحيى العناية المركزة ومنع الزيارة.

في اليوم التالي تركت يارا عقلها وقلها على باب غرفة العناية المركزة وذهبت إلى منزلها حيث سبقتها الشرطة التي قام أحد الجيران باستدعائها لمعاينة موقع الحادث. عندما دخلت غرفتها كاد أن يغشى عليها عندما وقعت عينها على بقعة الدم الهائلة المتجلطة على الأرض. يا إلهي! إنه دم يحيى! دمه هذا الذي كان يضخه قلبه والذي سمعت نبضه عندما ضمه إلى صدره فانسهرت فيه وأضعت أقرب إلى دماغه تلك حتى من الشرايين التي كانت تجري فيها.

ودت لو انحنيت لتقبل دماؤه، تجمعها في رفق بين يديها، عليها تحظى بشيء منه يظل إلى قربها بعدما منعت حتى من رؤيته، ودت لو قطعت شرايينها الآن وأوصلتها بشرايينه لتجري دماؤها في جسده عليها تعوضه عما فقد. عل شيئاً منها يسكنه، عل قلبه ينبض بدماغها فيعلم كم تحبه، تحبه حتى أنها ما زالت تحيا في حالة نكران كاملة، غير قادرة على تغيث شكله راقداً بلا حول أو قوة وهو الذي كان مصدر قوتها وشجاعتها، غارقاً في غيبوبة تقف كعناصير متنع بينه وبين الشعور بها إذا اقتربت منه والابتسام لها والحديث معها كما كان يفعل دائماً، أتى لها أن تصدق حقيقة عدم وجوده حولها الآن. أتى لها أن تصدق أنها إذا حادثته على هاتفه لتطلب منه العون في محتها تلك أنه لن يجيبها، بمن تستعين في غيبته وهو الذي كان يملأ كل الغيبات؟

استمعت إليهم يتصف عقل أو ربما بلا أي عقل، فلتشت أشياءها كما طلبوا منها، تأكدت من اختفاء صندوق ربما بكل محتوياته ماعدا السلملة بالطبع لأنها كانت ترتديها، عادت مع الشرطي إلى المستشفى لمتابعة تطور الحالة التي كانت كما هي، يحيى في العناية المركزة لا يعرفون عنه أي شيء وعايذة متهارة في بكاء حاد بينما تجلس بجانبها ابنتها يمنى في قلة حيلة.

طلب الشرطي من إحدى الممرضات أن تخلي لهم غرفة ليتحدث فيها مع يارا منفردين. ما إن جلست أمامه حتى مضت تسرد له كل شيء وعيناها تبرقان بالغیظ من هؤلاء الذين فعلوا كل ذلك يبعی وبداخلها رغبة جامحة لأن تفتك بهم جميعا. رغبة جعلتها تضرب بكل شيء عرض الحائط وتفصح بكل التفاصيل للشرطي الذي استمع إليها مذهولا وقد أخرجته الصدمة واعتلى وجهه قلق شديد من الأسماء التي سمعها والتفاصيل التي تتجاوز نطاق سلطته، لم يخف هذا القلق عن يارا التي تساءلت في نبرة شبه متهمكة بعدما أنهت حديثها:

- إيه يا حضرة الضابط إنت خفت ولا إيه؟!

تتحنح الشرطي محاولا كسب الوقت لإخفاء قلقه والتظاهر بالطبيعية وهو يقول:

- لا ماخفتش طبعا. بس، حضرتك واخدة بالك إن الموضوع كبير قوي؟

فقالت يارا في إصرار والنار المستعرة بداخلها تبدو واضحة في عينها المتقدتين:

- مايميني، أهم حاجة عندي إن حضرتك تسجل كل الكلام ده رسمي.

- ده شغل النيابة يا فندم. حضرتك تقدري تثبيتي كل حاجة في محضر النيابة.

انفتح الباب فجأة قبل أن يكمل الشرطي حديثه وظهر منصور بك أمامها جالسا على مقعد متحرك تدفعه إحدى الممرضات، انتفض كلاهما واقفا بينما اتجهت يارا نحوه مسرعة، أخذت طرفي المقعد من يدي الممرضة ودفعته ليصبح في مواجهة مقعدها وهي تتساءل في دهشة:

- إيه اللي نزلك من أوضتك يا بابا؟ إنت لسه تعبان.

فأجابها وأثار الضيق والإجهاد بادية على وجهه:

- أعمل إيه؟ إنتي سايباني فوق من غير ما تطمينيني ولا تقولي لي أي حاجة.

ثم التفت نحو الشرطي الذي أسرع قائلا:

- حمد الله على السلامة يا منصور بيه.

- الله يسلمك.

جلس مرة أخرى بينما تفحصهما منصور بك لثوان قبل أن يوجه حديثه للشرطي قائلا في ثقة:

- واضح يا فندم إن يارا قالت لك على كل حاجة.

لم يستطع الشرطي إخفاء اندهاشه من فراسة منصور بك بينما تعاشت يارا توجيه نظراتها الحازمة نحوه كأنها تؤكد له عدم ندمها عما فعلت وإصرارها عليه.

ساد صمت ثقيل قطعه الشرطي قائلا في تردد:

- أنا متفهم يا فندم خوف الأanse يارا وصراحتها واهتمامها بتوصيل الحقيقة، بس...

تجلج عاجزا عن استكمال كلماته فقاطعه منصور قائلا في هدوء:

- بس الموضوع كله بقى خارج حدود سلطتك، أنا متفهم يا حضرة الضابط، وعشان كده أنا بأقول لك سيب الموضوع ده كله عليا، أنا هاخلصه.

نظر الشرطي نحوهما في قلق مما سمعه قبل أن يقول مترددا:

- أيوه يا فندم بس أنا لازم أبلغ رؤسائي بكل اللي حصل.

فقال منصور في بساطة:

- قول لكل اللي إنت عاوزه، وماالكش دعوة خالص، الموضوع كله هيخلص من غير شوشرة، أنا ليا طرقي.

بدا الشرطي مستسلما أمام كلمات منصور الحاسمة ومستريحا لأنه سيتخلص من عبء هذا الخطر الذي وجد نفسه فجأة متورطا فيه بعدما وضعه القدر في ملابسات قضية بتلك التفاصيل المرعبة، أنهى الحديث واستأذن ليذهب مسرعا كأنه يهرب من التورط في المزيد.

بعدما أصبحا وحدهما في الغرفة التفتت يارا نحو منصور متسائلة في حلق:

- الكلام اللي إنت قلته ده معناه إن الموضوع كله هيخلص على ما فيش.

أجابها منصور في هدوء:

- بالضبط كده، لأن ما فيش أي حاجة زيادة ممكن تتعمل.

اتسعت حدقتهاها في دهشة وغيظ وهي تقول:

- يعني إيه ما فيش أي حاجة ممكن تتعمل؟! وبحيى اللي في الإنعاش ده إيه؟ حياته مالهاش تمن؟

رميته دي وقهرة طنط عابدة عليه مالهمش أي قيمة؟ بابا أنا مش هاسيب الناس دول، أنا لازم أفضحهم في كل حنة.

قال في هدوء محاولا إخفاء ألمه لأنها لم تلتفت إلى أن قضيتهم هي قضيتها له هو أيضا:



- يارا أنا عارف إنك متفعلة وخايفة على يحيى، بس لازم تهدي وتفكري. تقدري تقولي لي هتفضحهم إزاي؟ إيه الدليل اللي عندك ضدهم؟ كل حاجة كانت ممكن تدبهم خلاص اختفت سواء المستندات اللي كانت عندي في الخزانة أو حتى أرقام الحسابات اللي كانت عندك، والمستندات الثانية اللي أنا وشفيق شايلينها في خزانة في بنك في سويسرا مش هيتفع عملي بيهم حاجة. مش بس عشان دول سلاح من أسلحتي اللي سويت بيها المشكلة معاهم عشان أحميكي إنتي وكل اللي يعرفوا أي حاجة عن الموضوع إنما كمان عشان الكلام اللي نادر قاله لك وإنتي حكيتي لي عنه ولا نسيته؟ الناس دي ما حدش بيقدري يحاسبهم ويعاقبهم حتى مع وجود مستندات وأدلة قوية في أيدين محاكم ومؤسسات محاربة الفساد في أكبر الدول. وأقدر أحكي لك عن ناس كتيرة قوي معروف عنهم كل اللي عملوه وبالأدلة وقضوا أو بيقضوا آخر سنين عمرهم في استجمام على شواطئ فرنسا وإيطاليا، عاوزه تفضحهم هنا في مصر والشرق الأوسط وأفريقيا؟ طب هتطالعي تقولي إيه؟ الناس دول بيخربوا في بلادنا ويوصلوا سلاح للحروب اللي فيها؟ طب وإيه الجديد؟ تفتكري الناس مش عارفة؟

صممت يارا أمام حجته المنطقية، معه حق، لا تملك دليلا واحدا عما تعرفه ويعرفه كل الناس. لا جديد فيما تريد قوله ولن تستطيع فعل أي شيء. ولكن هل حقا سيمر كل ما حدث هكذا دون أن تفعل أي شيء؟ من سيطفن تلك النار المستعرة بداخلها؟ كيف ستريح قلبيا المتشد شوقا ولهفة وذعرا على هذا العزيز الغائب عن دنياها يصارع الموت وحده؟

انتهت على صوت منصور وهو يستطرد قائلا:

- وإذا كان على حق يحيى فهو مش أول واحد يتنذري بسببهم وعابدة مش أول أم تحزن على ابنها بسببهم. لو هنتكلم عن الحق والتاريخ يبقى فيه ناس كتير قوي أولى بالحق ده أكثر من يحيى. ثم صمت قليلا قبل أن يقول في ألم:

- وإذا كان عليا أنا فماتخافيش. عقابي أخذته تالت ومثلت. حساب سويسرا كله إدينه لشفيق سافر بيه بعد ما ربنا عاقبني وأخذ مني أغلى حاجة في حياتي، ربما ماتت بسببي وبعد ما عرفت حقيتي. مافيش عقاب أصعب من كده ولا حتى السجن أو الإعدام اللي كان ممكن أنعاقب بيهم لو

كان الموضوع اطور. يعني أنا حصل لي نفس اللي حصل للناس تانية كثير بسببي، بس أنا مش هاقدر أستعمل أكثر من كده، مش هاقدر أخسرك إنتي كمان يا يارا.  
 لم تستطع أن تتعمل أكثر من ذلك. تركت مقعدها وجثت أمامه على ركبتيها، وضعت كفيها على ركبتيه ونظرت نحوه بعينين ترقرت فيهما الدموع وقالت في استعطاف يخلو تماما من أي لوم:  
 - مش إنت قلت إنك تقدر تصمينا؟

زفر منصور قبل أن يقول في توسل كأنه يخشى أن تفقد بوادر لثقتها فيه:  
 - أيوه أقدر أحميكم، بس هما كانوا أسرع مني. الظاهر إنهم كانوا مراقبين شفيق لما جالك، ولما لاقوكي بعدها نزلتي من غير ما تاخدي معاكي الصندوق وماجينيش على عندي على طول، افتكروا إنك مش ناوية تنفذي طلب شفيق، لخبطهم وخوفهم خلوهم يقرروا يخلصوا الموضوع بنفسهم، بعثوا واحد يعيب الحاجة من بيتك بس للأسف في نفس الوقت إحنا بعثنا يحيى، الرجل اتفاجئ بيه داخل عليه، خاف واضطرب واضطر يتعامل معاه بالسلاح، وطبعاً كان مسدس كاتم صوت عشان كده إحنا لازم نحمد ربنا إن البواب كان معاه وإلا لا قدر الله ماحدث كان هايحس بيه وكان هيفضل مرمي في الشقة لوحده لحد أما يروح فيها.

سالت دموعها حارة على وجنتها وهي تتخيل شكله وهو راقد على الأرض يفقد دماؤه ببطء ومعها جزء من روحه المعلقة الآن بين السماء والأرض مصطعبة معها جزءاً من روحها التي أحست أنها تسحب من جسدها وأنها لن تعود إليه إلا إذا عاد هو.  
 مسح منصور دموعها بلطف وقال مبتسماً في وداعة:

- ماتفقديش ثقتك فيا يا يارا ثاني أرجوكي، اللي حصل كان غلطة وأنا هاصلحها، ما فيش حد فيكم هيحصل له أي حاجة، صدقيني أنا أعرف أوقف الناس دول كويس وأخليهم يسكتوا ويبعدوا عنكم طول عمرهم، وأعرف كمان أفضل القضية دي كلها ولا كأن فيه حد بلغ البوليس أصلاً، صدقيني كله عشان مصلحتكم.

عادت دموعها تنزل في هدوء وهي تتساءل متوسلة بصوت متحشرج:  
 - طب ويحيى؟ يحيى لو جرى له حاجة أنا ممكن أموت.



- بعد الشر عنك يا حبيبتي، إحنا كلنا قاعدين جنبه وهندي له يشفيه ويرجعه بالسلامة، ولو حكمت أبعته أهر الدنيا يتعالج أو أجيّب له كل دكاترة العالم لحد هنا، بس صدقيني، بحى محتاجك دلوقتي قوية، تقفي جنب عيلته وتدعي له وتحسسيه إنك محتاجاه ومستنياه، صدقيني هو حاسس بيكي، مش إنتي بتحبيه بجد؟

ازداد تعشرج صوتها وهي تهتف وقد ضاق تنفسها وعلا بكافها:

- من ساعة اللي حصل وأنا حاسة إنى مش قادرة أخذ نفسي، كأن روحي متعلقة بروحه والأتنين متعلقين بين إيدين ربنا.

فابتسم منصور في ألم وهو يقول:

- يبقى هو حاسس بيكي دلوقتي، حسسيه إنك محتاجاه ومستنياه، ادعي له من كل قلبك، إن شاء الله هيرجع لك طول ما إنتي قادرة تواجهي الموقف بقوة.

ولكن من أين لها بالقوة وهي بهذا الجسد الخائر المفكك المترنح تحت رحمة يد تعنصر باطنه وتتركه بنصف قوة ونصف روح معلقة مع هذا الحبيب في غيبوبته المجهولة تلك؟ كان هو مصدر قوتها فمن أين لها بالقوة الآن؟

وجدت نفسها تسند جبهتها على إحدى ركبتيه كأنها بالتصاقها به تستمد منه شيئاً من تلك القوة، أغمضت عينها وتركت دموعها تسيل وهي تقول متوسلة:

- أنا محتاجة لك قوي يا بابا، أنا ماليش غيرك في الدنيا دلوقتي.

أحست بكفه تربت على شعرها في حنان وهو يقول بنبرة صادقة طالما تافت لأن تسمعها من بين شفتي هذا الأب وبذلك الدرجة من العنان:

- ولا أنا ليا غيرك، ولا أنا.



(٦٢)

لماذا أتت معهم إلى غرفة مكتب الطبيب وجلست بينهم تنتظر حضوره والتوتر يكاد يقتلها مثلهم؟ لا إنها حتى لا تجلس بينهم: إنها تجلس بعيدا منكشمة في المقعد الجلدي الأسود الملائق للباب، تكاد تلتف حول نفسها لتغتفي بين طياته حتى لا يروها أو يشعروا بوجودها، الحرج يكاد يفتك بها، تشعر أنها لا تنتمي لتلك الأسرة بأي صلة، غريبة هي عنهم تلتصق بهم أينما ذهبوا دون حتى أن يلتفتوا إليها وتعهد الله على ذلك فهي تخشى أن يشعروا بوجودها فيروا في عينها شعور الذنب القاتل الذي تشعر به نحوهم أو يكيلوا إليها اتهامات تقتلها عندما ترددها بينها وبين نفسها فكيف إذا سمعها منهم؟

ولكن يبدو أن كل تلك الخواطر تدور في رأسها هي فقط، لم ولن يلتفت إليها أي منهم، فعابدة الوحيدة التي تعرفها جالسة أمام مكتب الطبيب تصند رأسها بيدها وتغفي وجهها الممتنع خلفها لا تشعر بأي شيء أو أي شخص ولا حتى بناتها، وفي المقعد المقابل لها كان يجلس "علاء" زوج يمني الذي حضر مسرعا من الغردقة بعدما علم بما حدث، وعلى الأريكة القريبة منها جلست يمني وأختها الكبيرة يسرا التي أصبرت على الحضور من دبي تاركة خليفها زوجها وأبناءها وكل شيء حتى تكون هنا في تلك اللحظة، كلهم - باستثناء عابدة المصاصة بشبهه انهيار- لا يعرفونها ولن يولوها اهتماما ما دامت المصيبة قائمة بهذا العنف الذي يكاد يمزق أعصابهم من التوتر والرعب.

لماذا إذا تجلس بجانبهم وتلتصق بهم دون وجه حق كأنها متسولة أو دخيلة تفرض نفسها عليهم؟ متسولة أو دخيلة أو أي شيء آخر، لا يهمها، ستتعلم وتبتلع أي اهانة تشعر بها حتى ولو بينها وبين نفسها، سترضى بما هو أدنى من ذلك حتى لو وطأت كرامتها بقدمها، كل شيء يصبح بلا أي قيمة أمام أن تسمع كلمة واحدة فقط تطمئن بها عليه، أمام أن تعرف تفاصيل حالته المهمة تلك من الطبيب الذي سيأتي الآن ليشرح لهم كل شيء، يا رب، كلمة واحدة أطمئن بها عليه، قلبي معلق بتلك الكلمة وروحي معلقة بروحه التي بين يديك الآن فردها إلي يا رب.

وصلها صوت حديث خافت متوتر يدور بين الأختين اللتين تمننت من قبل أن تتعرف بهما ولم يخطر ببالها أن أول مرة ستراهما فيها ستكون خانقة من أن تشعر بوجودها. كانت يسرا في قمة العصبية والتوتر بينما يمني تكاد تتوسلها قائلة:

- يسرا أرجوكي تهدي، ماما مش ناقصة كفاية اللي هي فيه.
- أنا مش قاهمة إزاي يسبيونا كل ده من غير ما يشرحوا لنا الحالة ولا يقولوا لنا أي حاجة؟ والله لأفرج الدكتور ده بس أما بيعي؟
- أبوس إيدك يا يسرا بلاش توتر أكثر من اللي إحنا فيه.
- لا مافيش توتر ولا حاجة بس أنا بقى هاعرف أتصرف معاهم. والله لأكلم سامح وأخليه بيعي يورثهم.
- صمتت عندما انفتح الباب ودخل الطبيب مسرعا نحو مكتبه، تعلقت عيونهم به في قلق ورجاء ولكن يسرا كانت أسرعهم حيث وقفت بسرعة وهتفت محاولة كتم عصبيتها:
- لو سمحت يا دكتور، أنا يسرا صبايح أخت يحيى ومرات الدكتور سامح مختار استشاري جراحة الأطفال في المستشفى الأمريكي في دبي.
- أسرع الطبيب يحيب في هدوء:
- أيوه يا فندم عارف، أنا لسه قافل مع دكتور سامح قبل ما آجي.
- مدات يسرا قليلا وهي تتساءل مترودة:
- إنت تعرف سامح؟
- أبوه طبعا يا فندم دكتور سامح يبقى أستاذنا كلنا.
- أسرعت عابدة مقاطعة هذا الحديث وهي تهتف في توسل:
- أرجوك يا دكتور طمني على يحيى، أنا أمه، أرجوك تقول لي يحيى حالته إيه؟
- التفت علاء نحو يسرا وقال حاسما في هدوء:
- أقعدني يا يسرا لو سمحتي خلينا نسمع الدكتور هيقول إيه؟
- لم تجد يسرا بدا من العودة إلى مكانها في هدوء بين يدي يمني التي جذبتها برفق خاصة بعدما تأكدت من أن الطبيب يعرف بصلة القرابة بينهم وبين سامح زوجها وبعدها قاله لها علاء.
- جلس الطبيب خلف المكتب وقد بدا العرج واضحا على وجهه، زفر ليتخلص من توتره فزادهم توترا، كانت أعينهم متعلقة بشفتيه تستجدي منهما أي كلمة تطفى النار المشتعلة بداخلهم عندما نطق أخيرا محاولا تلميق كلماته:

- الأستاذ يحيى وصل الطوارى إمبارح في حالة سيئة، الرصاصة اللي اتضربت عليه أصابت صدره واخترقت الرئة والحجاب الحاجز وأصابت الكبد وشريان مهم تسبب في نزيف حاد في الغشاء البريتوني. إحنا قدرنا نستخرج الرصاصة وننقل له دم ونسيطر على الحالة قدر الإمكان وهو دلوقتي تحت تأثير مخدر مؤقتا وتحت الملاحظة الدقيقة في العناية المركزة لحد أما فترة الألم دي تعدي.

علا صوت نحيب عايدة التي لم تستطع تحمل كل هذه الحقائق البشعة التي سمعتها عن ابنتها بينما أنجمت الصدمة الباقين كلهم. ظلوا صامتين لثواني غير قادرين حتى على استيعاب أن ما قاله هذا الطبيب قد حدث ليحيى الذي يعرفونه، هل حقا هذا الحجاب الحاجز وتلك الرئة وهذا الكبد الذي يتحدث عنهم هم نفس الأعضاء المتوارية خلف صدر هذا الكيان القوي الحنون القريب إلى قلوبهم أكثر من أي شيء آخر في الدنيا؟ هل الراقد في العناية المركزة هذا هو نفس الإنسان الصلب الذي لم تهتز له شعرة من قبل؟ أنى لهم أن يصدقوا أن هذا الحديث كله يدور عنه، عن يحيى، كيف؟!

تحدث علاء محاولا التغلب على توتره والتظاهر بالتماسك:

- يعني هو حالته إيه دلوقتي بالضبط يا دكتور؟

بدا الحرج على وجه الطبيب وهو يقول في استسلام:

- مش ماخبي عليكم. الحالة لسه سيئة والخطر قائم، أهم حاجة إن الأيام الجاية تقوت على خير والحالة تستقر من غير أي مضاعفات، كل الممكن عملناه ومافيش قدامنا غير المتابعة الدقيقة. ادعوا له.

انتفضت فجأة بسرا واقفة وهي تصرخ في عصبية:

- يعني إيه مافيش قدامنا غير المتابعة الدقيقة؟! يعني إنتم هتقفوا تتفرجوا عليه وهو بيموت من

غير ما تعملوا حاجة؟ لو مش عارفين تتصرفوا قولوا، نقله مستشفى تانية.

أجاب الطبيب في هدوء متفهما حالتها النفسية:

- صديقي يا فندم مافيش أي حاجة ممكن تتعمل أكثر من كده، وماينفعش إننا نحركه من العناية المركزة في الوقت الحرج ده.

ازدادت عصبيتها وهي تهتف صارخة غير عابئة بيمى التي أمسكت بذراعها محاولة تهدئتها:



- أنا ماينفعنيش الكلام ده، أنا هاكلم سامح بيحي يتصرف معاكم.  
- صدقيني يا فتيم العالة كلها أنا شرحتها لدكتور سامح وهو هيقول لحضرتك نفس الكلام اللي أنا قلته.

قالت في غيظ مكتوم وقله حيلة:

- والله لأكلمه بنفسي.

التفتت وخرجت مسرعة من الغرفة في خطوات غاضبية تتبعها يمنى محاولة تهدئتها والسيطرة عليها بينما أخذت عابدة تنفض في بكاء حاد وقد شحبت وجهها وعلا صوت نسيجها. جلس علا أمامها على ركبتيه وأخذ يربت عليها محاولا تهدئتها والسيطرة على جسدها الذي أخذ يرتجف بشدة. كانت بارا تتابع كل شيء بعينين زالفتين، صراخ يسرا، توسلات يمنى، ارتجاف عابدة، كأنه حلم، لا يمكن أن يكون كل هذا إلا حلما، نعم حلم مخيف لكنه حلم، غير حقيقي، غير واقعي، هذا أقصى ما يمكن أن تفعله إزاء ما يحدث، أن تشعر به كحلم يدور حولها وهي واقفة تشاهده دون أن يكون لها يد في أي شيء، هذا هو أقصى ما لديها، أن تستوعبه كحلم وليس كحقيقة، لا لا يمكن أن يكون كل ما يحدث وكل ما سمعته حقيقة، هل يمكن حقا أن يكون يعنى راقدا في العناية المركزة في حالة خطيرة كذلك التي وصفها الطبيب يصارع الموت وحده، لا يسانهه أحد أمام تلك القوة الهائلة، هل حقا اخترق هذا الشيء الصلب صدره؟ وطنها الصغير اخترقته رصاصة، هل هذا العجيب الحاجز وهذه الرنة وهذا الكبد الذين تحدث عنهم الطبيب يكمنون بداخله؟ قريبا من قلبه، وهذا التزييف حدث من دمانه؟ مالت بجذعها إلى الأمام ودقنت وجهها في راحتي يديها وأخذت تضغط بهما على عينيها وملامحها عليها تستطيع إفاقة نفسها من هذا الحلم المخيف الذي يضغط على ضلوعها ويكاد يقتلع ما تبقي من روحها، مسحت بيديها حول رأسها وشعرها قبل أن تهض بوهن مستندة على يد المقعد، حاولت أن تتغلب على الدوار الذي أصاب رأسها، رمقت عابدة بطرف عينا فوجدتها تكاد تفقد قدرتها على التنفس من شدة ارتجافها بينما علا ينظر نحوها بإشفاق وحزن عاجزا عن تهدئتها، فكرت أن تقترب منها لتواسيها لكنها لم تستطع، باتت تخشى الاقتراب من كل أفراد تلك الأسرة وخاصة عابدة، إحساس الذنب يقف حائلا بينهما، تخشى أن تقترب منها فترى في عينا نظرات اتهام، بكاؤها هذا وحده يضرب خنجرا حادا في جذور قلبها الممزق

على تلك الأم التي عوضتها عن أمها الحقيقية وشملتها باهتمام لم تحظ بمثله منذ سنوات ولم تجد منها في المقابل إلا أن تكون هي السبب فيما حدث لابنها. التفتت وخرجت من الغرفة في خطوات بطيئة مترنحة، توقفت في الخارج والتفتت نحو اليسار حيث سمعت صوت يسرا تنفخ بشدة ويمى تحاول تهدئتها بلا جدوى، أول مرة ترى يسرا منهارة هكذا فهي منذ أن وصلت لا تكف عن مداراة أمها خلف صراخ غاضب، كانت تلتفض قائلة في توسل:

- يا جماعة حسوا بيا، يعنى ده مش أخويا، ده ابني أنا اللي مربياه.

قالت يمى في صوت متعشرج محاولة كتم دموعها:

- أنا عارفة ومقدرة، بس أرجوكي اهدي، لازم كلنا نبقى هادين قدام ماما، إنتي مش شايقة هي منهارة إزاي؟ محتاجانا كلنا نهذا عشانها، هي مش مستحيلة.

يبدو أن يسرا لم تجد ما تقوله، أو منعها بكأؤها من التفوه بأي شيء، فقط انخرطت في بكاء حاد احتضنتها يمى على إثره محاولة تهدئتها.

التفتت يارا وابتعدت في هدوء منكسر، جلست متكمنة على المقعد المواجه لغرفة العناية المركزة، أغمضت عينها وأسندت رأسها إلى الخلف محاولة السيطرة على تزيق آخر تتسلل دماؤه من حول خنجر جديد طعننها به يسرا بكلماتها تلك فأضحت تتزق من جرح جديد إلى جانب جرح قلها على عائدة وجرح روحها التي انفصلت عنها وتعلقت بروح يعنى بين يدي الله.

(٦٣)

لا تعلم متى غفت في جلستها تلك لكنها انتفضت فجأة عندما أحست بحركة سريعة حولها، طار النوم من عينها، وقفت والفرع يكاد يفتك بقلها عندما أدركت أن تلك الحركة التي أحست بها لم تكن إلا أطباء وممرضات يدلفون بسرعة في توتر داخل العناية المركزة حيث يرقد يحيى، التفتت نحو اليسار حيث رأت أسرته جالسة قبل أن تغفو منذ قليل، وجدتهم كلهم وقد انتفضوا مثلها يرقبون ما يحدث في رعب بينما وضعت عايذة يديها على صدرها وهي تنظر نحو باب الغرفة بعينين زائفتين لاح فيهما عنف دقات قلبها الذي يبدو أنه يكاد أن يتوقف في تلك اللحظة.

التفتت نحو باب الغرفة حينما أحست بصوت ارتطام يليه صراخ، كان الممرضات يدفعون بفرش عليه جسد مغطى تماما ولا يبدو منه شيء من موقعها هذا عندما اصطدم الفراش بالحائط أثناء خروجهم من الغرفة فصرخ الطبيب لينبه الممرضات وقد سادت حالة غير طبيعية من التوتر، كان كل شيء يحدث بسرعة، صرخة من يسارها فالتفتت لتجد عايذة تسقط مغمشيا عليها عندما أدركت أن هذا الراقد على الفراش المتحرك ليس إلا ابنتها وقد تجمع حولها ابنتاها وعلاء يحاولون إسنادها وقد تضاعف رعيهم، التفتت نحو اليمين فوجدتهم يتعدون بالفراش فوقه يحيى وقد بدا واضحا من حالة التوتر أن الحالة غير المستقرة تفاجهم الآن بنوبة خطيرة لا تعلم مداها ولا تستطيع تحمل حتى تخيل ما ستلتي إليه.

ظلت واقفة مكانها لحظات وعقلها عاجز تماما عن التفكير أو اتخاذ أي اقرار، تلتفت نحو عايذة المغمي عليها وقد التفت ثلاثتهم حولها يحاولون إفاقتها ثم تلتفت نحو الفراش وهو يبتعد عنها بسرعة ساحبا ما تبقى من روحها.

أخيرا تحركت، عقلها لا يزال عاجزا عن العمل، لكنها لم تستطع ألا تستمع إلى قلبها الذي دفعها لأن تلحق بما تبقى من روحها التي كانت الممرضات يدفعنها بعيدا عنها فلم يسعها إلا أن تسرع لتلحق بها قبل أن تفقد قدرتها على التنفس.

ركضت مسرعة حتى لحقت بهم بصعوبة، كادت تسقط وهي تترنح أثناء ركضها وقد تملكها الذعر حتى فقدت الإحساس بأطرافها أو التحكم بهم، أمسكت بطرف الفراش حتى تستطيع أن تركض بنفس سرعتهم دون أن تسقط. وقع نظرها من أعلى على رأس الفراش، رآته، أول مرة تراه منذ أن



منعوه عنها وحجزوه خلف جدران العمليات ثم العناية المركزة لا يصلها به إلا أخبار مروعة عنه وروحها المعلقة بروحه.

يا الله! كيف استطاعت تحمل ما رآته؟! لولا روحها التي تدفعها خلفه لما استطاعت متابعة الركض. لأقلنت يدها وسقطت على الأرض ذاهلة عما حولها.

كان فاقدا للوعي. لا يعي أيا مما يجري حوله. وجهه شاحب وشفته بيضاوان مطبقتان في سكون مخيف، هالات سوداء حول عينيه المغمضتين المستسلمتين لدنيا أخرى تائها فيها تاركا إياها وحدها بدونه في دنياها. تلك التي أصبحت قاتمة منذ أن انفصل هو عنها وأصبحت الآن أشد قتامة بعدما رأت وجهه بهذا الشكل وأحسّت بعجزها أمام هذا الكيان بكل ما يمثله لها وهو راقدا هكذا تحت رحمة قوة غاشمة تريد أن تنزعه منها الآن.

منعوها من دخول غرفة العمليات، اختفوا به خلف أبوابها تاركين إياها وحدها أمام هذا الرعب الذي احتل كل خلاياها وأصابها بذهول عن كل شيء إلا هذا العزيز الذي ينازع وحده شيئا لا تعلمه ولا قدرة لها على مساندته أمامه.

ظلت تتحرك يمينا ويسارا في خطوات قلقة وهي تفرك يديها الباردتين وقلها يرتجف بداخلها. حاولت أن تتذكر أي دعاء أو سورة من القرآن لتتضرع بها إلى الله ولكنها فوجئت بذاكرتها قد تبخرت. لا تتذكر أي شيء. ولا حتى فاتحة الكتاب، لم تجد أمامها سوى نداء "يا رب". أخذت ترده بصوت مبسوح ونبرة متوترة وهي لا تزال تدور حول نفسها ذاهلة عن كل شيء.

لا تعلم كم مضى من الوقت عندما أخيرا رأت الطبيب يخرج من غرفة العمليات وعلى وجهه بعض آثار الارتياح. أسرعت تتعلق بذراعه وهي تهتف في لهفة وذعدرون حتى أن تنسق كلامها:

- دكتور.. يحيى.. عامل إيه؟

ربت الطبيب على يدها لهدئها قائلا:

- ماتخافيش. هو حصل له نزيف داخلي عشان جرح الشريان فتح تاني بس الحمد لله لحقناه. هو دلوقتي كويس وهيرجع الرعاية تاني.

تخلص من يدها المتمسكة به في رفق وذهب من أمامها. التفتت فوجدت يميني تركض نحوها منتعبة الوجه حتى سقطت بين يدي يارا التي أمسكتها من ذراعها وهي تهتف مطمئنة إياها:

- ماتخافيش. ده كان نزيف بس الحمد لله يحيى كويس دلوقتي.

استلذت بمعنى على الحائط وأخذت تستلشق الهواء وتزفره في عنف وسرعة محاولة التخفيف من خفقان قلبها والسيطرة على الارتجاف الذي تملكها. ما إن تماكنت نفسها حتى أجهشت في بكاء حاد وهي تهتف في بأس:

- أنا تعبت، ماما ضغطها في السما، ويحيى حالته خطيرة. حتى يسرا اللي كانت طول عمرها ناشفة وهي اللي بتقويي، منهارة وتعبانة وأنا اللي مطلوب مني إني أبقى قوية وناشفة عشان أعرف أقوم بدور أنا عمري ما قمت بيه وأول مرة أقوم بيه يبقى في ظروف صعبة زي دي. صحيح يحيى يبقى ابن ماما ويسرا هي اللي ربتة بس أنا كمان ليا فيه زهيم بالضبط. يحيى مش مجرد أخويا، يحيى ده يبقى صاحبي، أعز أصحابي وأقربهم ليا. الراجل الوحيد اللي كنت باحكيه كل حاجة في حياتي من أول خناقات البنات بيبي وبين أصحابي في المدرسة لحد قصتي مع علاء. أنا كمان تعبانة ومنهارة، أنا كمان مش مستحيلة فكرة الخطر اللي هو فيه، مش مستحيلة فكرة إنه يروح معنا، أنا تعبت.

عادت تنخرط في البكاء وقد اعتصر وجهها ألم أحست يارا أن ألمها أمامه لا يساوي شيئا، لأول مرة تدرك أن عايذة وابلتها لا يبكين أي عزيز بل يبكين ابنا تعاون على تربيته حتى أصبح رجلا يحملهن بعد أن كنّ يحملنه، فكيف لهن إذا باحتمال فقدان من كان ابنا وأبا في آن واحد خاصة بعدما فقدن الأب الحقيقي منذ زمن ولم يتبقى لديهن رجل تجري في عروقه ما تجري في عروقهن من دماء سواه.

احتضنتها وأخذت تربت عليها محاولة تهدئتها، كتمت دموعها، أحست في تلك اللحظة ألا حق لها في بكانه مثلهن، لا تمتلك فيه مثلما يمتلكن هن، ألمتها تلك الحقيقة، أحقا لا يحق لها حتى بكأوه؟ ألا يوجد أي شيء في الدنيا يعطيها حق بكانه مثلهن ولا حتى روحها المعلقة بعينيه المغمضتين المستسلمتين لدنيا أخرى غير تلك الدنيا القائمة بدونه؟

(٦٤)

لكم يؤلمه بكاؤها، يشعره بالعجز. يذكره بوقاحته عندما تركها هي وشريفة منذ خمسة وعشرين عاما. يذكره بأنانيته التي لم يدفع أحد ثمنها سواها. هي التي ظلت طوال سنوات عمرها محرومة منه ومن إحساسها بحبه لها وحنوه عليها. هي التي عانت بسبب فقدانها لإحساس الأمان والثقة دون أي ذنب سوى أنها خلقت في الدنيا ابنته.

وعندما عاد إليها وأراد أن يعوضها عن كل ما عانت منه. عندما أراد أن يعيد إليها إحساس الأمان والسكينة اللتين افتقدتهما طوال عمرها وجد نفسه عاجزا عن منحها الشيء الوحيد الذي تريده في تلك اللحظة.

لقد استطاع أن يحمها كما وعدا. استطاع أن يسوي الأمر في الخارج مستعينا بنفوذه وخبرته الطويلة في هذا العالم القذر وضمن أنهم لن يتعرضوا لابنته أو أي ممن يعرفون أي شيء عن الموضوع إلى الأبد. واستطاع أن يسويه في الداخل حيث أغلق بنفوذه تلك القضية كأن أحدا لم يقم بالإبلاغ عما أصاب يحيى في منزل يارا. نعم استطاع أن يفي بوعدده ويحمها ويمنع عنها هذا الخطر الذي كادت أن تتعرض له، لكنه يشعر بنفسه عاجزا الآن أمام دموعها تلك التي جلست تذرفها أمامه في قهر.

كان صوت يارا يتقطع بنشيج البكاء وهي تهتف في حرقه وندم:

- أنا السبب يا بابا أنا السبب. أنا السبب في اللي حصل ليحيى واللي بيحصل لطنط عابدة وأخواته. يا ريت ما عرفني ولا ساعدني. يا ريت ما وقف جنبي. يا ريت ما كان راح الشقة اليوم ده. يا ريتي كنت أنا اللي روحت واتضربت بالرصاص بداله.

كان منصور يجلس بجانبها على الأريكة في غرفته بالمستشفى يرقب حرقها وقهرها بنظرات ضعيفة عاجزة. أجايبها متوسلا:

- كفاية يا يارا يا حبيبي. إنتي مش قلتي إنه الحمد لله بقى كويس؟

- أبوه بس لسه حالته خطر. وبعدين...

صمتت ثواني تلتقط أنفاسها وتتغلب على ألمها وهي تسترجع شكله قبل أن تستطرد وقد ازداد بكاؤها:



- و بعدين، إنت ماشفتش شكله يا بابا، ماشفتش شكله وهو نايم كده مش حاسس بأي حاجة، وشه أصفر وشفافيه بيضا كأن مافهمش نقطة دم، عينيه اللي حوالها أسود حسسوني إنه تعبان قوي يا بابا وماحدث واقف جنبه، يحيى القوي اللي كنت كل ما أضعف أو أتعب أو أحتاج مساعدة أجري عليه ومالاقيش الأمان إلا عنده يبقى عامل كده؟ يحيى يبقى نايم كده مستسلم والدكاترة بينقلوه من مكان لمكان وهو مش حاسس ومش قادر يعمل حاجة؟ أنا من ساعة ما شفته وأنا حاسة إني هاتجنن.

أجهشت في البكاء فاقترب منها منصور وهو يهتف في قلق:

- يازا، أنا قلقان عليكي، أنا من ساعة ما قلت لك إنك لازم تبقي قوية في مواجهة الموقف وأنا شايف إنك عمالة تضعفي أكثر وأكثر.

أغمضت عينها وأخذت تعتصر رأسها محاولة التغلب على الألم العنيف الذي يضرها بسبب البكاء، أمالت رأسها وهي ما زالت مغمضة العينين حتى استقرت على طرف رجل منصور محاولة الاستعانة به لإزاحتها، هتفت في صوت خافت مستسلم:

- مش قادرة يا بابا، غصب عني.

أخذ برت على رأسها في حنان وإحساس العجز يعتصر قلبه، كأن الله يعاقبه على أنانيته معها، فعندما يجمعه بها بعد كل هذا الوقت وعندما يكسب ثقتها ويصبح قادرا على حمايتها وإزاحتها، تقع هي في محنة لا يستطيع تخليصها منها سوى الله سبحانه وتعالى، فمهما بلغت قوته ونفوذه فهو لا يستطيع أن يعيد إليها هذا الذي تتعلق روحها به وهو هكذا بين يدي الله.

كم هو مؤلم هذا الإحساس، إحساس العجز عن تخفيف هذا الألم عن تلك التي خلقها الله منه وتعذبت كثيرا بسببه، لكنه لا يعلم أن مجرد وجوده بجانبها الآن هو أقصى ما تريد، مجرد إحساسها بأن هناك من تعود إليه لتبكي له وتفرغ همها أمامه فيستمع لها بكل ما أوتي من صبر ويخاف عليها ويغدق عليها حنانه مثلما يفعل الآن هو أقصى ما تحتاجه، كانت تلتصق به كأنها تحتني بقوته من هذا الضعف الذي يسيطر عليها، إنها تحتاجه بكل ذرة دم تجري في عروقها، تحتاج وجود هذا الأب بكل ما يمثله من أمان ومكينة في حياتها حتى ولو كان عاجزا عن إنقاذها مما هي فيه، يكفي إحساسها بأن لها وطنًا تعود إليه، مصدرا للأمان برت على قلبها المكسوم

فيخفف من وطأة لوعته. كان يمكن أن تمر سنون قبل أن تغفر لأبيها وستون أخرى حتى تثق فيه وتتقرب منه. لكن تلك المحنة اختصرت أعواما طويلة في بضعة أيام. وجدت نفسها تغفر كل شيء، تلتصق به، تنشد رعايته وحنانه وإحساسا بالأمان أصبحت لا تشعر به إلا وهي في معيته. إنها تحتاج إليه في تلك اللحظة أكثر من أي وقت مضى، حتى عندما تركها كريمة وعندما فقدت أمها. كانت أكثر قدرة على اجتياز المحنة بمفردها لأنها ببساطة كانت أول تجارب الفقد في حياتها. كان قلبها قادرا على الصمود. أما الآن فهي تشعر كأن قلبها قد شاخ بين جوانحها. أصبح ضعيفا ومهترئا من كثرة ما أصيب وفقد. امتدت يدها لتمسك بيده الموضوععة على كتفها. ضغطت عليها بشدة كأنها تتأكد من وجوده بجانبها وتتوسل إليه ألا يتركها وحدها في مواجهة هذا الطوفان الذي يكاد يفقدها من لا تتحمل فقدانه أبدا.

(٦٥)

مضى يومان، يعنى في العناية المركزة تحت تأثير المخدر حتى تمر مرحلة الخطر دون أن يشعر بأي ألم. منع الطبيب دخول أي منهم عليه تلبية لطلب سامح زوج يسرا الذي وجد أنه من الأفضل ألا تراه عابدة أو أي من أختيه وهو في تلك الحالة. وهو أمر تفهمته يارا خاصة بعد الانهيار الذي أصابها بعدما رآته فاقدا للوعي وشاحبا شحوب الموتى.

عابدة ترقد في غرفة قريبة من غرفة يعنى حتى تبقى تحت الملاحظة بعد تدهور حالتها الصحية بينما يتناوب كل من يسرا ويمنى وعلاء الجلوس بجانبها أو أمام العناية المركزة لمتابعة حالة يعنى والاطمئنان عليه.

يارا لم تبرح المستشفى خلال اليومين، تغفو سويعات قليلة على الأريكة في غرفة منصور بينما تقضي بقية اليوم أمام غرفة العناية تتلو في مصحف أحضرته لها داليا. تكثر من قراءة سورة مريم التي برد فيها ذكر نبي الله يعنى عليه السلام فيمتلئ قلبها بالسكينة كلما مرت عينها على الاسم وتحاول أن تستمد من العذراء شيئا من تجلدها. عليها تستطيع مواصلة الصبر على فجيعتها دون أن تفقد الأمل في رحمة الله فهي تعلم جيدا أن لا شيء سوى رحمته يستطيع إنقاذها مما تجزع حتى عن تخيله.

كانت تجلس منكمشة في الصالون القريب من غرفة الرعاية مستغرقة في التلاوة، يخفت صوتها حينما يغلب الحزن بداخلها ويعلو حينما يغلب الخوف كأنه شيطان نشهر في وجهه الآيات لتحرقه بها، وعلى مقربة منها كانت تجلس لبيدا التي خرجت أخيرا من عزلتها وعادت إلى العمل لتباشر أمور المكتب في غياب كل من تولوا رئاسة مجلس الإدارة من قبل، ثم تعرج في نهاية اليوم على المستشفى لتطمئن على يارا قبل أن تعود إلى منزلها لتتناول العشاء في هدوء مع أسرته التي تنقست الصعداء منذ خرجت ابنتهم من حالتها تلك وعادت إلى ما يشبه طبيعتها.

بجانها كان يجلس رافت، مستغرقا في ذهوله بعدما انهار كل شيء من حوله، مشروع سفره، مستقبله، علاقته بأمه، احترام من يحيطون به، وحتى احترامه لنفسه ولذكاكه بعدما اكتشف كم كان مغفلا طوال الشهور الماضية، وعندما احتله شعور قاتل بالذنب عندما أحس أنه بشكل أو بآخر قد يكون أحد المتسببين فيما حدث ليعنى.



كان يريد أن يتحدث، أن يدافع عن نفسه أمام أحد بعدما عجز عن الدفاع عنها بداخله. ولدهشته وجد نفسه يفكر في أن أول شخص يريد أن يدافع عن نفسه أمامه هي ليديا، لمن وقاحته عندما مرت بغاطره تلك الفكرة لكنه عاد وتذكر أنه لا مجال للوقاحة الآن، من قبل كان وقحا عندما كان يجعلها تتعلق بأمل يعلم هو أنه لن يتحقق لأنه سيرتك البلد برمتها ويرحل. لكنه لن يرحل الآن فلماذا إذا يفكر فيها؟ لماذا يريد أن يدافع عن نفسه أمامها؟ لماذا ذهب إلى عمله مسرعا عندما علم بعودتها ومضى اليوم كله يخلق أسبابا ليتحدث معها وهي تجيب باقتضاب وبرود حقيقي ليس مثل هذا البرود الذي كانت تتظاهر به في الماضي؟ لماذا حضر إلى المستشفى عندما علم أنها ذهبت على الرغم من أنه كان رافضا لفكرة أن يذهب إلى حيث يرقد يحيى في حالته الخطيرة تلك، حتى لا يتفاقم إحساسه بالذنب وحتى لا يرى نظرات الكراهية أو الاتهام في عيني يارا؟ يكفيه ما يراه في عيني أمه وهذا اللاشيء القاتل الذي يراه في عيني ليديا، لماذا أتى؟ لماذا جلس بجانبها ذاهلا عن كل شيء إلا إصراره على ألا يفقد تلك القرصة دون أن يدافع عن نفسه أمامها؟ لماذا؟ ألم يوقن بأنه لا يحيا؟ وبأنها لا تهمة؟ أكان غبيا إلى تلك الدرجة حتى يعجز عن فهم نفسه؟ أم كانت أنانيته أكبر من أي شيء آخر بداخله؟ أم أن ما يحدث الآن ليس إلا بقايا ساديته التي كان يمارسها عليها في الماضي؟ انتبه عندما أحس بمرور الوقت وبقتراب موعد ذهابها، ارتبك فجأة، لا يعلم من أين يبدأ حديثه، فوجئت به عتف محمقا في الفراغ أمامه دون أن ينظر نحوها قائلا:

- أنا مش أول واحد يفكر يسافر ولا هابقى آخر واحد.

كانت تجلس بجانبه كتمثال، لم تهتز لها شعرة لوجوده بهذا القرب منها على الرغم من أنها تفاجأت عندما وجدته قد أتى إلى المستشفى بعد حضورها بدقائق قليلة، لكن هذا الحلق الذي ملأ شرايينها كان أقوى من أي شعور آخر وكان كفيلا بأن يجعلها تتحول إلى قطعة من الجليد كلما أصبح هو قريبا منها، تجيبه في برود وتتجاهله ببرود كأنها بالفعل تحاول أن تتحول إلى قطعة جليد كبيرة ملمسها بارد مؤلم وسطحها أملس تنعكس عليه صورته فيرى فيها مدى حقارته على ما فعله معها ومع أمه ومدى ما ارتكب من ذنوب.



تفاجأت عندما تفوه بتلك الجملة. لكنها اكتفت بأن رمقته بطرف عينها بلا مبالاة قبل أن تعود لتثيت عينها نحو العائط دون أن تنظر نحوه أو تظهر أي اهتمام بما يقول، بينما استرسل هو قائلاً في نبرة ترتفع حينما يحاول الدفاع عن نفسه وتخفت حينما يغزوها إحساسه بالندم:

- أنا ما أجرمش لما فكرت أسافر. ممكن أكون غلطت لما خبيت عن الناس كلها وعن ماما. وممكن كمان أكون غلطت لما فكرت أسافر بالطريقة الحقيرة دي. أضحك على واحدة وأتجوزها عشان آخذ الجنسية. ممكن أكون غبي ومغفل عشان طموحي عمالي عن إني أقهم أو أفسر أي حاجة. وغروري صور لي إن مافيش حد يقدر يضحك عليا وأنا أصلاً كنت عايش جاسوس لمدة خمس شهور ومن غير ما آخذ بالي أو أشك. أنا ممكن أكون واطي وزبالة في ميت ألف حاجة إنما أنا ماغلطش لما فكرت أسافر وأبدأ في مكان تاني.

صمت ليلتقط أنفاسه قبل أن يستطرد في حنق:

- من حقي إني أدور على مكان فيه فرص أحسن. مكان كل الناس فيه بتاخذ كل الفرص زي بعض من غير تفرقة. من حقي أعيش عيشة أحسن وأشتغل شغلانة أحسن بفلوس أكثر. من حقي يبقى عندي طموح وإني أفكر أمتلك مشروع خاص مايمتعنيش عن تنفيذه غير إني أشتغل وأتعب مش أي حاجة تانية زي واسطة ورشوة وإحباط وقلة فلوس. من حقي أربي ولادي في مكان أحسن. من حقي إني مايقاش خايف طول الوقت. أنا هنا خايف طول الوقت ودايماً حاسس إني مش واخذ حقي وإني مهما عملت مش هاقدر أخده.

نظر نحوها محاولاً اكتشاف ما تفكر فيه. فوجدها كما هي. صابمة باردة كقطعة جليد. لا تلتفت حتى لتنظر نحوه. وتستمع إليه بلا مبالاة أثارته فاستطرد قائلاً في تحد:

- إنتي عارفة إن نص الناس اللي بتقابلهم في الكنيسة مقدمين على هجرة؟ يوسف وساندرا قابلتهم في السفارة وطلبوا مني ماقولش لحد إني شقتهم. بيقدموا على هجرة من ورا أهالهم. أمال إنتي فاكرة إتهم عاوزين يتمموا جوازهم بسرعة ليه؟ حتى أستاذ عماد اللي بيشتغل مدير ومدخل ولاده جامعات خاصة مقدم على هجرة لكندا.

صمت عندما وجدها تلتفت، ورمقته وفي عينها تلك النظرة اللامبالية ذاتها ثم عادت لتنظر أمامها وهي تقول في برود:



- لو كنت بتحاول تبرر لي سبب رغبتك في السفر والهجرة فأنا مايهمنيش إني أعرف ومش فارق معايا كل اللي بتقوله ده. ولو كنت بتحاول تبرر لنفسك يبقى إنت كنت هتعمل حاجة إنت من جواك مش مقتنع بيها، يبقى ياريت تروح تحل مشاكلك بينك وبين نفسك يمكن لما تحلها تقدر تحل مشاكلك مع الناس اللي حواليك وتحس باللي عملته فهم وإن فيه واحد دلوقتي راقد بين الحيا والموت بسببك.

نهضت وابتعدت مسرعة دون أن تنتظر إجابته. كانت تعلم أن اتهامها له بأنه السبب فيما حدث ليحى يفتقد الموضوعية لكنها لم تجد سوى هذا الاتهام لتعاقبه به عما فعله بها ولا تستطيع مناقشته معه بجرأة. كان بداخلها دافع انتقامي لم تشعر به من قبل، أحست بمياه باردة تلمسك على النار المشتعلة بداخلها وهي تعاقبه بهذا الاتهام، فما أبشع أن ترتكب كثيرا عن قصد ثم تعاقب على ما لم تقصد، عندما يكون عقابك هو الشعور بالظلم تود لو أنهم عاقبوك عما ارتكبت حتى إن كان أعظم مما لم ترتكب وظلمت فيه، اقتريت ليديا من يارا ووضعت يدها على كتفها في هدوء، توقفت يارا عن التلاوة ونظرت نحوها فوجدتها تبتسم وهي تهتف في رقة:

- أنا لازم أمشي يا أستاذة دلوقتي عشان اتأخرت، عاوزة مني حاجة؟

جاهدت يارا لتبتسم قائلة:

- لا يا ليديا متشكرة، ربنا يخليكي.

- أنا هاعدي على حضرتك بكرة.

- مافيش داعي، ركزي في الشغل أهم، المكتب مافيهوش حد دلوقتي.

- لا ماتلقيش، مستر هاشم شابل المجموعة وممشها زي الأول ومافيش مشاكل خالص.

كان رأفت يتابعها بعينين ذاهلتين حتى أنهت حديثها ورحلت، ظل لدقائق جالط مكانه غير قادر على استيعاب ما يحدث أو التفكير في أي شيء، نهض متناقلا، نظر نحو يارا المستقرقة في التلاوة بعينين ذابلتين ووجه منهك، كان إحساس الذنب بداخله قاتلا فدفعه لأن يدير عينيه بعيدا عنها ويسرع في أروقة المستشفى، حتى خرج وركب سيارته وقادها مبتعدا في سرعة كأنه يهرب من كلمات ليديا وشكل يارا وذكرى يحيى الذي كان أول من عنفه على غبانه وحماقته كأنه كان يعلم أنه أول من سيؤذى بسبب ما فعله، سار بسيارته هانما في الشوارع دون أن تكون له وجهة محددة أو مكان



يذهب إليه. كان يشعر أن هناك جبالا تجثم على صدره. بدأ تخنقه وتمنع عنه الهواء. ثقلا في رثتيه  
 لن يتخفف منه إلا إذا تحدث وأفرغ كل ما بداخله وربما أيضا بكى، لا مانع عنده أن يبكي ويصرخ  
 ويلعن نفسه ليتخلص من ذنبه ولكن أين يجد مستمعا لكل هذا، لقد أذى كل من كان حوله سواء  
 بقصد أو بدون ولم يتبق لديه أي منهم ليستمع له ويخفف عنه. توقف فجأة عندما وجد نفسه  
 أمام الكنيسة. الكنيسة التي لا يتذكر متى زارها لأخر مرة من دون أن يكون قداسا للعيد. الكنيسة  
 التي طلبت منه ليديا أن يذهب إليها فوعدها ثم خذلها ولم يأت، هل يمكن أن يجد فيها من يستمع  
 إليه؟ أم أن القطيعة التي قام بها أفقدته في داخل الكنيسة مثلما أفقدته في خارجها؟ دخل  
 بخطوات مترددة خجلى، كأن كل ركن حوله يعاتبه على غيبته، تأمل الجدران الشاهقة والنوافذ  
 الزجاجية العالية ذات الأيقونات الملونة بألوان داكنة يتخللها الضوء في هدوء فتلقي بظلال خافتة  
 على الأرض والمقاعد. ظلال أشعرته برهبة تضائل أمامها حتى كاد يفقد إحساسه بنفسه. انتبه  
 على صوت يهتف بنبرة معاتبة:

- بقى لك كثير ما بتجيش يا رأفت؟

التفت فوجد "أبونا" ينظر نحوه بلوم وإن لم تبرح ابتسامته الهادئة شفتيه. ارتبك ولم يجد ما  
 يجيب به. إنه مطالب بالدفاع عن نفسه في عدة جهات فهل سيجد من يساعده في حربه تلك؟  
 زفر "أبونا" في إشفاق عليه عندما وجده في تلك الحالة المزرية. وضع يده على كتفه وسحبه نحو  
 أحد المقاعد وهو يقول:

- تعالي يا رأفت.

ذهب معه وقد امتلأ بسكينة عجيبة عندما أيقن فجأة أنه مهما طاللت غيبته عن هذا المكان، دائما  
 سيجد من يستمع إليه.

(٦٦)

تمر الساعات بطيئة ككتيبة مملّة وهي لا تبرح مكانها في المستشفى، جالسة على المقعد المواجه لباب العناية المركزة، روحها لا تزال معلقة برووحه التي تنازع وحدها في الداخل دون أن يسمعوها لها بإلقاء نظرة عليه أو بأن تمسك يده بين يديها عله يشعر بوجودها بجانبه، عله يدرك أن الدنيا كلها معلقة بعينيه المغلقتين في استسلام مؤلم فيقاوم بشدة حتى يمود إليها وينقذها من على شفا انهباز الأعصاب المقدمة عليه، مضت الأيام الماضية بها وهي تقريبا لا تنام، حتى السويبات التي تقضيها على الأريكة في غرفة أبيها تفرسها فيها كوابيس تشبه تلك التي كانت تعلم بها بعد وفاة أمها فتنتفض مستيقظة، ويتحول النوم إلى فترات متقطعة بين أحلام مزعجة ويقظات فزعة تحرمها من نوم متواصل تريح به أعصابها المنهكة، نعم أعصابها منهكة وقواها باتت غير قادرة على التحمل، طوال الوقت جالسة في مكانها تتعاشى أسرة يحيى المشغلة بين مصابها فيه ومصاب الأم الراقدة بسبب ارتفاع ضغط الدم، لا تتحدث مع أي إنسان سوى الكلمات القليلة التي تتبادلها مع لبيديا أو داليا عندما تزورهما إحداهن لتطمئن عليها وتواسيها، أما بقية الوقت فهي تتفرغ تماما للقراءة في المصحف أو للاستسلام للأفكار السوداء التي تنخر في بقايا روحها وتفتت أعصابها المتهاجرة بسبب الخوف المتواصل.

كانت في جلستها تلك وقد أسندت رأسها إلى الخلف وأغمضت عينيها الذابلتين عندما فجأة تذكرت ربما، كانت قد نسيتهما في غمار ما يحدث لها، سامعيني يا ربما، لقد حاولت أن أنفذ مبدأك، حاولت أن أكون مثلك، حاولت أن أؤمن بوجود هذا السائل الحلو خلف القشرة الداكنة الخشنة الصلبة التي تدهسني الآن، حاولت أن أكون متفائلة لكنني فشلت، التفاؤل في حالتي تلك يحتاج إلى شجاعة لا تقدر قواي المنهكة على تحملها، حتى التشاؤم لا أقدر عليه، التشاؤم رفاهية لا أمتلكها، التشاؤم يعني أن أتقبل فكرة فقدان يحيى وهي فكرة يتمزق بسببها قلبي هلعا ألف مرة في اليوم، أنا معلقة في منطقة وسطى بين شجاعة التفاؤل ورفاهية التشاؤم، معلقة في منطقة لا ملامح لها ولا يؤدي وقوفي فيها إلا إلى مزيد من الضغط على أعصابي المنهكة.

لقد تخلصت من عقدها نحو ربما وعقدتها نحو أبيها لتجد نفسها حبيسة عقدة ذنب جديدة نحو يحيى وأسرته، كأنه واجب عليها أن تشعر بإحساس الذنب هذا نحو كل إنسان ترتبط به ارتباطا



جينيا أو روحيا. ولكن أكثر ما يؤلمها في تلك العقدة الجديدة هو هذا الإحساس القاسي بالذنب نحوه هو. ليس فقط لأنها بشكل أو بآخر متسببة فيما حدث له ولكن لأن تعلقها في تلك المنطقة الغامضة التي لا تشعر فيها بشيء سوى أنها مهددة بفقدانه ساعدها لأن تدرك أنه على الرغم من أنها مذ عرفتة لم تفعل شيئا سوى الاستعانة به والاستناد إليه والثقة فيه لكنها لم تشعره بأي من ذلك. بل لقد تمادت في ظلمه حتى أنها كانت تهرب من الاعتراف بحبها له ومن الموافقة على ربط مصيرها بمصيره، نعم كانت تفعل كل ذلك لا إراديا وبدون قصد لكنها فعلته. نعم فعلت كل ذلك لأن نشأتها وتربيتها جعلها تفقد إحساس الأمان والثقة مع كل الناس ولأن تجربتها مع كريم أفقدتها ما تبقى بداخلها من اطمئنان حتى مع أكثر من منحها إياه إلا أنها فعلت. هي معذورة. ظلت طوال عمرها تفتقد الأمان والثقة حتى أصبحت غير قادرة على اكتسابها مرة أخرى. لكن إحساسها بالظلم الذي تعرضت له والذي يبرر شيئا مما كانت تفعل يختفي تماما حالما تمر بخاطرها فكرة أن الله يعاقب من لا يشكر نعمته ويتمسك بها بأن يسلبه إياها. فينتفض قلبها هلعًا وتتضرع إلى الله بأن يقدر لها بينما الأفكار السوداء تلهبها بسياط كل ذكرياتها معه. تتذكر كل شيء بتفاصيله الدقيقة. عندما عرفتة وتحدثت معه لأول مرة ثم وجدت نفسها تشكر فيه في سيارتها. عندما لجأت إليه ليساعدها عندما وصلها صندوق ربما. عندما استطاع أن يلتفت لإعجابها الخفي بهذا الخاتم الرقيق عند مسيو فايز الجواهرجي فأسرع ليحضره لها ويغيبه حتى يفاجئها به يوم عيد مولدها. عندما فاجأها في هذا اليوم بحضوره إلى منزلها مع والدته فقط ليحتفل بها ويهديها هذا الخاتم. القلم الفضي الذي أهداها إياه أول يوم لها في المجموعة. خوفه عليها وعصبية الزائدة يوم أن فاجأها الأزمة في منزله. عندما أخذها بين ذراعيه فأحسست أن خلاياها كلها تنفصل وتلتحم مرة أخرى كأنها تولد من جديد على صدره وقرب قلبه. كم كانت غبية وجاحدة! كيف لم تستطع إدراك أن الله بعثه لها تعويضا عن كل ما عانتة في حياتها؟ كيف بعد كل ذلك كانت تهرب منه وتؤذيه بوجود كريم حتى وإن كان دون قصد منها.

يارب أعده إلي. أعده إلى الحياة حتى وإن عاد إليها كارها لي. حتى وإن كف عن صبره على وقرر التخلي عني. لا يهمني. فقط أعده إلى الحياة. أراه مرة واحدة كما كنت أراه دائما ثم سأختفي من حياته تماما. فقط يكفيني أن أتيقن من أنه سيعيش حتى وإن لم يعيش لي.



انتهيت عندما أحست بصوت بجانيها، كانت يسرا تقترب منها بخطوات عشوائية مشغولة بالتحدث في هاتفها، انكشمت يارا في مقعدها وهي تراها بهذا القريب، ودت لو نهضت وابتعدت واختفت تماما من أمامها لكنها لم تستطع أن تحرك أيا من أطرافها كأنها تجمدت في موضعها، كانت تدعو الله أن تنهي يسرا حديثها وتذهب دون أن تلتفت إليها لكنها ارتبكت عندما أحست بيسرا تنبئه لوجودها وتتأملها وقد تباطأت نبرتها قبل أن تنهي المكالمة دون أن تحول عينها من عليها، كان قلبها يدق بعنف وهي تشعر بها تقترب منها حتى جلست بجانيها مباشرة، لم تستطع يارا أن تتجاهلها أكثر من ذلك، رفعت رأسها ببطء ونظرت نحوها في تردد ففوجئت بها ترقبها مبتسمة قبل أن تهتف في رقة:

- إزيك يا يارا؟

اندهشت من هذا السؤال الرقيق وتلك الابتسامة الوديعه، كان عقلها قد صور لها أن أول ما ستفعله يسرا إن انتهت لها هو أن تصفحها على وجهها، حاولت إخفاء اندهاشها وهي تجيب بصوت خافت:

- الحمد لله.

اتسعت ابتسامة يسرا وهي تقول:

- إنتي عارفة إن أنا كان نفسي أشوفك من زمان؟

لم تستطع يارا إخفاء دهشتها وهي تهتف متسائلة:

- تشوفي بي أنا؟

- أيوه، كان نفسي من زمان أشوف مين دي اللي هيحبها ابني الكبير.

ثم استدركت موضحة:

- ما هو يحيى ده يبقى ابني، لما اتولد كان عندي ١٢ سنة يعني أنا تقريبا اللي مربياه.

تشجعت يارا قليلا لتقول بابتسامة خجلى:

- ما أنا عارفة، يحيى حكى لي.

قلبت يسرا شفيتها وهي تهتف في غيظ:

- يعني كان بيعحكلك عننا وما بيعحكلىناش عنك، ماشي. على العموم أنا كنت حاسة بكل حاجة.

كنت لما بالكلمه في التليفون كنت باحس إن فيه حاجة متغيرة. حاجة بتقول إنه أخيرا يحيى بيعحب.

لم تستطع يارا أن تكتم دموعها أمام ما سمعته. سألت دموعها هادئة على وجنتيها عندما هتفت يسرا في عتاب رقيق:

- جرى إيه يا يارا؟ هو مش أونكل منصور قال لك إنك لازم تبقي قوية عشان يحيى يقدر يعدي المحنة دي؟

مسحت دموعها وهي تهتف في دهشة:

- إنتي عرفتي منين إنه قال لي الكلام ده؟

- هو جالنا النهارده الصبح وانتي نايمه في أوضته عشان يتطمئن علينا ويحكي لنا على كل حاجة ويقول لنا اللي حصل ده سببه إيه والبوليس ماكمش تحقيق ليه. كمان طلب مننا إننا مانزعلش منك وإن لو حبيننا تلوم حد تلومه هو.

ثم صممت قليلا قبل أن تستطرد مبتسمة:

- بس إحنا مانقدرش نزعل من واحد من كتر ما كان قريب من بابا الله يرحمه كنا بنعتبره زي عمنا وكمان مانقدرش نزعل من البنت اللي بيحبها يحيى.

تذكرت يارا أن منصور بك كان قد أخبرها أنه استغل استغراقها في النوم وذهب على مقعده المتحرك إلى أسرة يحيى ليشرح لهم ما حدث. بالطبع لم يقل لهم الحقيقة. فقط أخبرهم أن خلاقات حول صفيقة ما من صفقات مجموعة شركاته مع رجل أعمال أجنبي ذي نفوذ قوي دفعه ليحاول الانتقام من منصور بك عن طريق إيداء يارا في منزلها. وأن يحيى كان هناك لأنه طلب منه أن يذهب ليحضر أوراق تلك الصفيقة التي كانت يارا قد أخفها في غرفتها. وأن القضية كلها سيتم إغلاقها نحاشيا لما قد يحدث من مشاكل جسيمة نتيجة مواجهة هذا الرجل ونفوذه. كما طمأنهم بأنه قد قام بتسوية خلافاته معه حتى لا يتكرر ما حدث مرة أخرى.

لم تجد يارا ما تجيبها به. فقط ابتسمت في ارتياح بعدما أوضحت يسرا عبنا ثقيلًا كان يجثم على أنفاسها وأحست أن ما حدث لن يبعدها عنهم بل بالعكس زادها قربا لهم. انتهت على صوت يسرا وهي تسأل:

- بتحبيه يا يارا؟

بوغتت بالسؤال، ولكنها قبل أن تجد فرصة لتجيب أو حتى تفكر استطردت يسرا قائلة:

- سؤال غبي قوي، أنا مش محتاجة أسألك، أنا عارفة إنك بتعيبه، مش بس عشان قعدتلك جنبه طول الوقت في المستشفى وعياطك وحزنك، إنما عشان حاجتين مهمين قوي، أولا الكلام اللي قاله لنا أونكل منصور عن اللي جراك بعد ما شفتي يحيى لما جاله الزيف تاني، وثانيا شكك وإنتي بتقري له في القرآن، اللي مايعرفش إن اللي جوا ده قرب يتم ثلاثين سنة كان إنك أم والي جوا ده ابنك.

تأملتها يارا بعينين دامعتين وقد مس هذا التشبيه شغاف قلبها، نعم هي تشعر أنه ابنها، عندما رآته في تلك الحالة السيئة ودت لو استطاعت أن تضمه إليها لتحميه من هذا المجهول الذي يستنزف روحه مثلما تضم الأم ابنها في وجه الخطر.

دفنت وجهها في راحتي يديها وانخرطت في بكاء لم تستطع كتمانته، أخذت يسرا تربت عليها في حنان دون أن تنطق بكلمة واحدة، رفعت رأسها عندما سمعت صوتا مألوفا يناديها، لم يكن هذا إلا صوت كريم، رمقته من خلف دموعها في دهشة شديدة بينما تململ هو قليلا متبادلا النظرات مع يسرا ومعها قبل أن يهتف في تردد:

- يارا، ممكن أتكلم معاك شوية؟

مسحت يارا دموعها وهي تهتف بنبرة متلجلجة:  
- آه، طبعا.

- هاستنكي في كافيتريا المستشفى.

التفت واختض من أمامها بينما ظلت هي جالسة لدقائق حتى تماكنت نفسها قبل أن تستأذن من يسرا وتذهب خلفه، كانت خطواتها مترددة وقلبيها يخفق بعنف، كأنها تخون يحيى لجلوسها مع كريم وتركها إياه في حالته تلك.

عندما دخلت الكافيتريا وجدته جالسا على مائدة قريبة يعيث بسلسلة مفاتيحه شاردا فيها وعلى وجهه شيء غريب، شيء صادق لا يشبه هذا التمثيل الذي توقعت أن يفتعله عندما يريد أن يتشاجر كما يفعل دائما، شيء مثل هذا الانكسار الذي رآته على وجهه عندما قص لها قصة وفاة زوجته وابنه.

جلست أمامه في توجس، بادرت بالحديث متسائلة:



- إنت عرفت سنين إن أنا هنا؟

أجابها دون أن يرفع رأسه:

- البواب حكى لي على كل اللي حصل وقال لي على اسم المستشفى.

توقعت أن يسأل عن سبب ما حدث، أن يبدي دهشته، أو حتى يتشاجر معها لوجود يحيى في شقتها خاصة بعد ما قاله لها في المرة السابقة عندما أمضت الليل في بيت يحيى، إلا أنه لم يفعل. سادت فترة صمت لم يكف فيها كريم عن العبث بمفاتيحه شاردا وبارا ترقبه بنفس التوجس، أخيرا، ابتسم ساخرا وهو يتساءل دون أن ينظر نحوها:

- إنتي عارفة أنا كنت جاي لك ليه؟

تساءلت في نبرة مترددة:

- ليه؟

- عشان أفوقك.

- تفوقيني.

- أيوه، كنت ناوي أقول لك الكلام الخايب ده زي إنتي إيه اللي متعدك هنا؟ وهو يبقى لك إيه يعني؟ وإن إنتي ما بتحببوش وإن بيتيأ لك والكلام القاضي ده.

كانت تستمع إليه والدهشة تكسو ملامحها من تلك الدبرة التي يتحدث بها عن نفسه، صممت قليلا قبل أن تتساءل لتحدثه على استكمال حديثه:

- وبعدين؟

رفع رأسه ونظر نحوها وهو يقول في نبرة منكسرة:

- وبعدين دخلت المستشفى وحسيت كأنى رجعت عشر شهور لورا، كل اللي حصل وقت الحادثة شفته قدام عينيا من ثاني، ولما شفتك افتكرت نفسي، افتكرت القعدة دي اللي كنت قاعدها مستني أي حد يطمني أو يقول لي كلمة عنهم، ساعتها حسيت إنى مش عاوز يجرى لك اللي جرى لي، مش عاوزك تخسري اللي أنا خسرت ولا تخرجي من هنا زي ما أنا خرجت من المستشفى الثانية من عشر شهور.

دمعت عينها بعدما أدركت سبب هذا الانكسار الذي يحتل ملامحه. قالت مبتسمة في رقة:

- عارف يا كريم، على الرغم من إنك تيان مش مختلف عن زمان إلا إنك فعلا اتغيرت من جواك.

جاهد لبيتسم وهو يقول مداعبا:

- وإنتي على الرغم من إنك تيانى مختلفة قوي عن زمان إلا إنك ماتغيرتيش يا يارا.

تساءلت في دهشة:

- إزاي يعني؟

- يعني بتحبي بنفس الطريقة، ومهما تحي يفضل فيه حنة جواكي بهرب من اللي بتحبيه.

تأملته يارا مندهشة من حديثه الذي يشبه ما كانت تفكر فيه منذ قليل بينما استطرده هو قائلا:

- بس قلة الثقة دي ماكانش لها تأثير قوي على علاقتنا لأن اللي أنا عملته كان أقوى بكثير عشان

كده تأثيرها مابانش.

أجابته في نبرة شبه نادمة:

- بس المرة دي تأثيرها كان واضح.

- يمكن عشان المرة دي مافيش مشكلة غيرها؟

نظرت نحوه مندهشة من إحساسها بأن كريم يحثها على التمسك بحبها ليحى فاستطرده هو

مبتسما ليؤكد لها ظننا:

- ماتضيعيش حد بتحبيه يا يارا عشان نقص الثقة اللا إرادى ده، لورنا رجعهولك بالسلامة

ماتخسريهوش بإرادتك وإلا هتندمي أكثر من اللي ندموا عشان ماحسوش بقيمة ناس معينة إلا لما

خسروهم غصب عنهم.

أحست بالاشفاق عليه عندما أيقنت أنه يتحدث عن نفسه، حاولت أن تجيبه لكن الكلام توقف

في حلقها عندما رأت يسرا تركض نحوها، انتفضت واقفة وهي تهتف في فرح:

- فيه إيه يا يسرا؟

اختلطت دموع يسرا بنظراتها الراقصة وهي تكاد تصرخ من الفرحة:

- يحيى فاق يا يارا، والدكتور دخلنا نشوفه.

لم تصدق يارا ما سمعته، أمسكت يسرا من كتفها وهي تهتف متلثمة:

- بجد؟ بجد يا يسرا؟

- أيوه يحيى فاق وطلب يشوفك.

هتفت يارا شبه صارخة:

- هو اتكلم معاكم؟

- لا طبعا، هو شااور لنا وماما فهمت وأنا جيت بسرعة عشان أقول لك.

نهض كريم وهتف مبتسما:

- روجي يا يارا، وماتنسيش تعزميني على الفرح.

نظرت يارا نحوه في امتنان قبل أن تندفع راكضة خلف يسرا التي كانت تسبقها بخطوتين، كانت تركض وقلها يكاد يتوقف من شدة الخفقان بفرحة كانت تخشى ألا تراها مرة أخرى، فرحة أوقفت عقلها عن إدراك أي شيء حتى أنها لم تشعر بأنفاسها وهي تكاد تتوقف من شدة الركض، كان كل ما يهيمها هو أن تراه، أن تلمسه، أن تتأكد من أن هاتين العينين المغمضتين قد كفتا عن الاستسلام لدنيا أخرى وأنها عادت إلى دنياها التي كانت تنتظره.

توقفت عند عتبة الباب تلتقط أنفاسها المبهورة وهي تدير عينها بتردد وخوف بين كل من كانوا يحيطون بفراشه رامقين إياها بالبتسامة رضا وارتياح، خفت أنفاسها عندما وقعت عينها عليه، كان لا يزال راقدًا في فراشه ومعظم وجهه الشاحب مختفٍ خلف قناع الأكسجين، التقت عينها بعينه، رأت فيهما ابتسامة خافتة، تلك الابتسامة التي طالما ابتسمها لها والتي ظلت طرال الأيام الماضية تتوق لها لكنها هذه المرة كانت أضعف وأكثر شحوبا.

اقتربت نحوه في خطوات واهنة وقلها يدق بعنف، عندما أصبحت بجانبه نسيت كل شيء حولها، نسيت العيون التي ترمقها، أحست أنها وحدها معه وأن الدنيا والزمن قد توقفا من حولهما، خفت دقات قلبها حتى حميت أنه قد توقف عن الخفقان.

ببساطة شديدة، وجدت نفسها تجثو على ركبتيها وتمسك بيده الموضوعة في وهن بجانبه على الفراش، ألصقت راحتها براحته وأحكمت قبضتها حول قبضته كأنها تتأكد من وجوده وتثبت به حتى لا يضيع منها، انحنى وألصقت شفيتها بظهر يده فانسابت دموعها مبللة إياها كأنها بتلك القبلة تشكر الله على إعادته لها، كأنها بتلك القبلة تعتذرله عن أي شيء وتفصح له عن كل شيء.



(٦٧)

- وبعدين يا زوزو؟ سندريلا حصل لها إيه؟

كان يحيى جالسا على فراش غرفة المستشفى التي انتقل إليها بعد خروجه من العناية المركزة، يده اليسرى لا تزال المحاليل معلقة بها وذراعه اليمنى يحيط بها الطفلة ذات الخمس سنوات وقد أسندت رأسها على كتفه وتبعثر شعرها اليني الناعم حولها بينما رفعت ذراعها الصغيرتين نحو الأعلى ممسكة بكتاب طفولي ذي رسومات ملونة وأحرف كبيرة استغرقت فهم بكل حواسها كأنها تحيا القصة بدلا من أبطالها.

سمعا طرقا انفتح على إثره الباب وأطلت يارا بوجه مشرق هادئ ومرتاح القسمات، تساءلت مبتسمة:

- ممكن أدخل؟

أجاب يحيى مبتسما:

- طبعاً.

دخلت يارا بخطوات واثقة مرحة كأنها تطير فوق الأرض. كأنها بالفعل كانت معلقة الروح حتى عادت إليها الحياة مع عودته، جلست على المقعد المجاور للفراش بينما ساعد يحيى الطفلة على الاعتدال فجلست وهو لا يزال يحيطها بذراعه قبل أن يقول مشيراً نحوها برأسه ومبتسما:

- أحب أعرفك على زينة أوزوزو، آخر العنقود عند يمنى وأصغر حفيدة.

خاطبتها يارا وقد اتسعت ابتسامتها:

- إزيك يا زوزو؟

أخفت الطفلة وجهها خلف الكتاب الذي تمسك به بينما تركت عينها فقط غير مخباتين لتتأمل بهما يارا في ارتياب وخجل دون أن تجيبها. اتسعت ابتسامته يحيى وهو يبرر قائلاً:

- أصل إحنا كنا بنحكي حكاية قيل ما تدخلني، مش هتكملي لي يا زوزو سندريلا حصل لها إيه؟

وضعت زينة الكتاب أمامها وهي تقول في تلقائية:

- ما خلاص، سندريلا اتجوزت الأمير والقصة خلصت.

فغمز يحيى ليارا وهو يتساءل مازحاً:

- طب وإنتي يا زوزو مش عاوزه تتجوزي إنتي كمان؟

قالت عاقدة حاجبها:

- ماينفعش.

- ليه؟

- عشان ماما قالت لي إن أنا لسه صغيرة، الكباريس هما اللي بيتجوزوا.

فتساءل يحيى متعابثا:

- يعني أنا بنفع أتجوز؟

تأملته زينة قليلا غير قادرة على الاستيعاب، كأنها فوجئت لتوها أن خالها رجل كبير يمكن أن يفعل

ما يفعله هؤلاء الذين تقرأ عنهم في قصصها الصغيرة، أجابته في نبرة مترددة:

- أه، ممكن.

فتساءل مقربا قمه من أذنها وموجها نظراته نحو يارا التي كانت تتابع الحديث مبتسمة وقد احمرت

وجنتاما قليلا:

- طب إيه رأيك؟ أتجوز مين؟

صمتت الطفلة قليلا ولا تزال الدهشة تحتل قسماتها قبل أن تقول في بساطة:

- اتجوز ماما.

أخذوا يضحكان بشدة على ردها البسيط الثقالي قبل أن يقول يحيى من وسط ضحكاته المتقطعة:

- ماينفعش يا زوزو، أولا عشان ماما يمى متجوزة بابا علاء وثانيا عشان ماما تبقى أختي

وماينفعش حد يتجوز أخته.

صمتت زينة قليلا مفكرة قبل أن تتساءل مكونة سؤالها بصعوبة:

- يعني كل حد المفروض يتجوز واحدة مش أخته ومش متجوزة حد تاني؟

- أيوه بالضبط، إيه رأيك بقى أتجوز مين؟

فأجابته متعجبرة:

- مش عارفة.

قلب يحيى شفتيه متضايقا قبل أن يقرب شفتيه مرة أخرى من أذنها وتساءل بصوت خفيض مثيرا عينيه في عيني يارا:

- طب إيه رأيك لو أتجوز يارا؟

حاولت يارا مغالبة ابتسامتها الخجلى والسيطرة على دقائق قلبها المضطربة وزينة ترمقها بنظرات متفحصة قبل أن تقول في بساطة نهائية:

- لا ماينفعش.

حاولت يارا كتم ضحكاتها من هذا النفي التلقائي الذي لم يتوقعاه بينما تساءل يحيى مستعظفا:

- ليه بس يا زوزو؟

- عشان سنديلا والأمير أتجوزوا في القصة عشان كانوا بيعجبوا بعض.

ثم رفعت حاجبها متسائلة في استنكار:

- إنتوا بتحبوا بعض؟

أجابها يحيى بينما نظراته موجهة نحو يارا:

- أنا عن نفسي يا حبا جدا جدا جدا..

- وهي؟

- أسألها.

نظرت زينة نحو يارا وتساءلت مستنكرة:

- إنتي بتحيي خالو يحيى؟

حاولت يارا كتم ابتسامتها الخجلى واقتربت قليلا من زينة وهي تتساءل بصوت خفيض:

- لازم يعني أجاب على السؤال ده يا زوزو؟

فهمت الطفلة في استنكار:

- أبوه طبعا، أمال هاوافق إزاي؟

ضغطت يارا شفتيها محاولة السيطرة على دقائق قلبها بينما كان يحيى يرمقها بنظرة منتصرة بعدما

نجح في وضعها في هذا الموقف دون أن تستطيع الهروب من الإجابة. أخذت يارا نفسا عميقا

ونظرت نحو يحيى وهي تقول مستسلمة:



- أبوه باحبه جدا جدا جدا.

رفعت زينة كفيها الصغيرتين وهي تقول في بساطة:

- يبقى ممكن تتجوزوا.

نظر يحيى نحوها مبتسما في انتصار بينما رمقته يارا في غيظ وإن ظلت الالبتسامة عالقة بشفتيها وقلها يدق بشدة.

لم يقطع حيل نظراتهما سوى دخول يمنى التي أقبلت نحوهما وهي تهتف مبتسمة:

- رغي وشقاوة ووجع دماغ تبقى زوزو طبعا اللي عاملة الدوشة.

أجابها يحيى مبتسما:

- بالعكس، زوزو دي هي اللي جابت التايبة.

تساءلت يمنى مستنكرة:

- تايبة إيه؟

أسرعت يارا لتجيب مغيرة دفة الحوار:

- رينا يخليها لك يا يمنى.

- أنا ماكنتش عاوزاها تبجي المستشفى بس هي الوحيدة اللي خدت الأجازة في أخواتها وكانت عمالة

تعيط عاوزاني فاتكسفت أسبها عند جارتى هناك، خلبيت علاء راح جابها.

ثم التفتت نحو زينة ورفعتها بين يديها وهي تهتف قائلة:

- يلا بينا بقى عشان تاكلي. بابا جاب لك ال Happy meal.

هتفت زينة في تدمرو يمنى تبتعدها نحو الباب:

- أنا عاوزه أقعد مع خالو يحيى ثاني.

- لا لازم نسيبه يقعد مع ضيوفه.

- دي مش ضيوف، دي يارا.

- طنط يارا يا بنت.

خرجت يمنى ولا يزال النقاش دائرا مع زينة، التفتت يحيى نحو يارا وقال والالبتسامة المنتصرة لا

تزال عالقة بشفتيه:

- يعني لازم أتضرب بالنار وأرقد في المستشفى وأموت عشان حضرتك تنطقي؟  
فركت يديها وهي تقول مبتسمة في خجل:

- ما خلاص بقى ما أنا قلتها.

أمال رأسه نحوها وهو يتساءل بابتسامة متخايطة:  
- هي إيه دي؟

أبعدت نظرها عنه وهي تقول وقد احمرت وجنتاها:  
- اللي أنا قلتها.

- أيوه اللي هي إيه؟

زفرت محاولة التخلص من الحرارة التي احتلت وجهها ثم حاولت التغلب على الابتسام وهي تنظر نحوه وتقول في نبرة حاولت أن تكون جادة وإن ظل بعض الاحمرار الخفيف يطلي وجنتها بينما يحس يتأملها مبتسما:

- إني باحبك وإني طول الفترة اللي إنت كنت فيها في العناية المركزة كنت حاسة إن روعي مسحوبة مني وكل ما أفكر إني ممكن أكون أنا السبب في اللي حصل لك أبقي مش طايقه نفسي وأبقي مش مصدقة، إزاي ماخدتش بالي إن إنت كنت الحاجة الوحيدة اللي رينا بعثها ليا عشان يعوضني بيها عن كل اللي حصل لي في حياتي؟

أمسك يدها الموضوعة بجانبه وثبت عينيه اللامعتين بداخل عينها وهو يقول مبتسما:

- وأنا كمان باحبك وأظن إنتي عارفة كده كويس بس كنتي خايقة وقلقانة وعندك حق، اللي حصل لك ماكانش قليل، وأنا كنت معتار ومش عارف أعمل إيه، وأنا كمان معذور لأنني لأول مرة في حياتي باحب.

صمت قليلا ليرمق ابتسامتها وعينها الدامعتين ثم استطرد قائلا:

- ولو الرصاصه دي جات فيا بدالك فعلا زي ما بتقولي يبقى كويس قوي إن ده حصل، لو إنتي قدرتي تستحملي يومين العناية المركزة دول أنا ماكنتش هاقدر أستحمل يومين زي دول لو لا قدر الله كانت جات فيكي.

ظلت تتأمله بعينين دامعتين، كيف كانت ولو حتى لا إراديا تخاف منه كما كانت تخاف كل الناس؟ كيف كانت تضعه في منزلة واحدة مع كل من عرفتهم من قبل وخذلوها؟ إنه يكاد يفديها بروحه، لم تتخيل في يوم من الأيام أنها يمكن أن تقابل شخصا يحيا بتلك الطريقة وتشعر معه بكل هذا الأمان.

مسحت دموعها قبل أن تنزلق وأسرعت تفتح حقيبتها وهي تقول لتغير مجرى الحديث:

- إنت نسييتني حاجة مهمة قوي، أنا جيت لك هدية.

عقد حاجبيه وتساءل مستنكرا:

- بمناسبة إيه؟

- بمناسبة إن أنا اكتشفت إن إنت جيت لي هدايا كتير وأنا ماجيتلكش هدايا قبل كده خالص.

فقال ضاحكا:

- فيه حد يقول كده برضو؟

- استنى بس.

أخرجت عليه على شكل مستطيل صغير من القطيفة الزرقاء، رمقته بعينين لامعتين قبل أن تفتحها ببطء أمام عينيه، تأمل يحيى ما في داخلها غير مستوعب في البداية ثم رفع رأسه ونظر نحوها مندهشا، اتسعت ابتسامتها من دهشته كأنها تلتقم من الموقف الذي وضعها فيه منذ قليل، تساءل بنبرة مستنكرة:

- دول دبلتين؟

حركت رأسها للأعلى وللأسفل وقد ازداد لمعان عينها واتسعت ابتسامتها بشدة، ازدادت دهشته من تلقائيتها فهتف متسائلا في استنكار ومداعبا إياها:

- مش المفروض برضو إن أنا اللي أجيهم؟ ولا حضرتك ناوية تخطبيني؟

ضيق عينيها مستنكرة دعابته قبل أن تقول في ثقة:

- لا وإنت الصادق، إنت اللي كنت خطبتي قبل كده لما كنا في المكتب قبل ما نقابل نادر، أنا يادوب

جيت الدبلتين.

مط شفتيه قبل إن يقول:



- إنني ما بتتسبش حاجة كده؟ طب جببتهم ليه بقى؟ ليه ماستنتيتيش لما أطلع أنا من المستشفى وأجيبهم؟

أخفضت عينها كأنها تخجل من تذكر تلك المشاعر المؤلمة التي احتلتها عندما أحست ألا حق لها فيه. قالت بنبرة خفيفة مترددة:

- عشان على الرغم من كل الحاجات اللي حكيت لك إن أنا كنت حاسة بيها لما إنت كنت في العناية المركزة ماكانش واجعني أكثر من إحساسي باني مش من عيلتك. إنني متطفلة. ماليش مكان واضح بين طنط عابدة وأخواتك. ماليش حق إنني أروح أسأل الدكتور عليك. لازم يبقى حد منهم معايا لأن ماليش أي صفة بالنسبة لك وماليش أي حق فيك. ولا حتى إنني أعيط قدام الناس عشانك. ثم نظرت نحوه مبتسمة وهي تقول مداعبة:

- و بما إنني مش ناوية أسيبكم خالص طول الفترة اللي جاية وناوية أفضل لازقة لكم لحد أما نتظمن عليك تماما. ففكرت إنني ماستنأش وأجيب الدليل دلوقتي لأنني بصراحة. ماليش نفس أحس الإحساس السخيف ده تاني. ماليش نفس أحس إن ماليش حق فيك وأنا تقريبا مالياش غيرك دلوقتي.

ابتسم يحيى وهو يتأملها متأثرا. دون أن يجيب مد يده وتناول منها العلبية الزرقاء. فتحها وأخرج منها الخاتم الذهبي ومد يده الأخرى ذات الخراطوم المعلق نحوها. مدت يدها ووضعها في يده تلك. أدخل الخاتم في أصبعها ببطء حتى لامس منبته عند الكف كأنه يتلذذ بكل ثانية يمر فيها الخاتم بجزء من أصبعها. تأملت الخاتم في أصبعها مبتسمة وقلها يدق مضطربا بسعادة لم تعرف لها مثيلا من قبل ولا حتى حين خطبها كريم. أخرجت الخاتم الأخر من العلبية وأمسكت بيده. نظرت نحوه لترى هذا الترقب في عينيه كأنه يشئى أن تتردد كما تفعل دائما. اتسعت ابتسامتها الواثقة وهي تتأمل أصابعه قبل أن تقوم بإدخال الخاتم في خنصره وقد فاق ما تشعر به في تلك اللحظة كل ما شعرت به طوال حياتها من ارتجافات للكيان.

عندما لامس الخاتم منبته أصبعه أسرع يمسك بيدها قبل أن تبعدها، نظر داخل عينها وهو يقول بانأ إياها بصوته وعينيه أمانا يعلم أنها في أمس الحاجة إليه:

- إنتي ماكنتيش محتاجة الدبلة عشان يبقى لك حق فيا، ححك فيا إنتي بتأخديه كل يوم من ساعة ما ربنا قدر إنه يخلقك من ضلعي ويحافظ لي عليك طول السنين الطويلة دي لحد أما يجمعني بيكي في الوقت المناسب.

كانت تتابعه بعينها المسحورتين من هذا الذي تسمعه منه وتشعر بصدقه من نبض خلاياه الملامسة لخلاياها ويدها في يده عندما انفتح الباب ودخل منصور بك على مقعده المتحرك تدفعه إحدى المرضات وعايدة خلفهما.

أخرجنا نفسيهما بصعوبة مما كانا نستغرقين فيه ليجيبنا تحياتهما وبتفاعلا معهما، تركت بارا مقعدها وذهبت لتجلس على مقعد عند الناحية الأخرى من الفراش لتكون بجانب يحيى وفي مواجهة منصور وعايدة اللذين استقرا مكانها.

هتف منصور في حماس:

- جرى إيه يا يحيى إنت هتفضل قاعد هنا ولا إيه؟ أنا خلاص اتكتب لي على خروج وبقيت زي الحديد وإنت لسه قاعد، أنا صحيح لسه قدامي مشوار في العلاج الطبيعي بس إن شاء الله في خلال فترة بسيطة جدا هارجع زي الأول وأحمن كمان، الاسم بس إن أنا اللي عجوز وإنت اللي شباب.

ضحك يحيى قبل أن يقول مجاملا:

- لا عجوز إيه ده سعادتك أكثر واحد شباب فينا يا منصور بيه.

قلب منصور شفثيه وهو يهتف مستنكرا:

- بيه إيه بقى؟ في حد برضو يقول لحماه يا بيه؟

تبادل يحيى وبارا نظرات الدهشة قبل أن يلتفت يحيى نحو عايدة ويهتف في نبرة ذات معنى:

- عملتها يا ماما؟

اتسعت ابتسامة عايدة وهي تقول في فخر:

- أيوه عملتها.

وأستكمل منصور قائلا:

- خلاص أنا ووالدتك اتفقنا على كل حاجة.

غمز يحيى ليارا وهو يقول مداعبا:

- من غير ما تسألونا ولا تاخذوا رأينا؟

أسرعت عابدة قائلة في حسم:

- بص يا ولد، إنت وهي تعرفوا بعض بقالكوا قد كده ولا عملتوا حاجة، يبقى في الحالة دي الكبار هما الوحيدين اللي يقدروا يخلصوا الموضوع.

نظر يحيى وبارا إلى بعضهما مبتسمين في انتصار ثم التفتا نحوها حيث هتف يحيى بنفس النبوة المنتصرة:

- عشان تعرفوا بقى، إحنا طلعلنا أجدع منكم.

ثم رفعا يديهما ليظهر لهما خاتمي الخطبة المستقرين في أصبعيها منذ دقائق، صرخت عابدة في سعادة وأسرعت لتقبل ابنها وتقبل يارا ثم خرجت مسرعة لتبلغ يسرا ويمنى بينما التفت منصور نحوهما وتساءل في سعادة ممزوجة بدهشة:

- عملتوها إزاي وإمتى؟

قال يحيى مبتسما وهو ينظر نحو يارا:

- عشان تعرفوا إن الصغيرين أجدع من الكبار.

بادلته يارا النظرات مبتسمة وعندما التفتت نحو أبيها صدمتها نظراته نحوها، كان يتأملها مبتسما في تأثر، في عينيه تلك النظرة التي تمنى يوم خطبتها لكريم أن يرمقها بها، لكن ما بها اضطربت هكذا وأخفضت عينها سرعيا متحاشية إياه؟ الموقف كله غريب عليها، أبوها ينظر نحوها متأثرا بخطبتها كما يفعل كل الآباء مع بناتهم، طالما تمنى أن يحدث لها مثلما حدث لكل صديقاتها ولكنه عندما حدث الآن اضطربت وتوقف عقلها عن العمل، متى ستعتاده بكل تفاصيل أبوته لها؟

استطرد منصور قائلا:

- بس برضو هتنفذوا باقي الاتفاق اللي اتفقته مع عابدة هانم، أول ما نتطمئن عليك خالص منعمل كتب كتاب صغير وبعدين فرح كبير في الفيلا عندي بعدها تسافروا تلفوا شوية في أوروبا قبل ما تطلعوا على نيودلهي عشان سعادتك تستلم شغلك وتستقروا هناك.

اختفت ابتسامة يحيى، تنحى قبل أن يقول مترددا:



- بس أنا عندي تعديل واحد على الكلام ده عشان فيه قرار مهم أخذته هيغير شوية في الخطة دي. نظرت ياراً نحوه مستنكرة نبرته بينما عقد منصور حاجبيه متسانلاً:  
- قرار إيه؟

لم يكذب فمه ليحجب حتى قاطعه دخول عابدة وابتيتها مهلات لخبر الخطية. انشغل جميعهم في تبادل المباركات والتهاني ونسوا الحديث الذي كانوا بصددده وهو ما أراح يحيى الذي أيقن في تلك اللحظة أنه من الأفضل أن ينفذ قراره ثم يخبرهم به بعد تنفيذه وليس العكس.

(٦٨)

عندما أذن له بالدخول تقدم يحيى مبتسما ابتسامة هادئة من مكتب الوزير الذي تهض مبتسما هو الآخر وخرج من خلف المكتب ليصافحه بشيء من الحميمية قائلا:

- حمد الله على السلامة يا بطل.

- الله يسلم معاليك.

- اتفضل اقعد يا يحيى.

جلس الوزير خلف مكتبه بينما جلس يحيى على المقعد أمامه مستطردا:

- ماما بتشكر معاليك على زيارة سعادتك والهانم ليا في المستشفى.

أغلق الوزير ما في يده من أوراق وهو يقول بابتسامة هادئة:

- تشكرني على إيه يس، إنت ناسي إن مراد الله يرحمه كان من أقرب أصدقائي ولا إيه؟ المهم، قول لي إنت طلبت تقابلني ليه؟

زفر يحيى ليتخلص من الحرج الذي انتابه عندما اقترب من هذا الذي أتى من أجله. دون أن يتكلم مد يده بملف مغلق يحوي ورقة واحدة تناوله منه الوزير في هدوء، فتحه وألقى نظرة سريعة على ما بداخله، كدبلوماسي محنك لم يبد على وجهه أي انفعال أو آثار دهشة بل نظر نحوه وقال في هدوء:

- يا راجل ده أنا كنت فاكرا إنك جاي تعزمني على فرحك، استقالة مرة واحدة؟! أجاب يحيى محاولا إخفاء حرجه:

- أنا عارف إني كان لازم أقدمها لمديري المباشر بس أنا استأذنته إني أقدمها لمعاليك لأن زي ما سعادتك قلت إن صداقة سعادتك لوالدي الله يرحمه بتخليني أعتبر نفسي زي ابن سعادتك وده شرف ليا طبعاً.

ابتسم الوزير قائلا:

- وطبعاً تلاقيه وافق إنك تقدمها لي على أمل إني أرفضها أو أقدر أقنعك إنك تتراجع عنها. مط يحيى شفتيه قائلا:

- يمكن معاليك.

عقد الوزير يديه أمامه قانلا في نبرة شبه ساخرة:

- و ناوي تشتغل إيه بعد ما تسبينا؟ هتعمل مشروع خاص ولا هتشتغل مع منصور بيه في مجموعته؟ ولا ناوي تكمل دراسات عليا وتشتغل دكتور في الجامعة؟

صمت يحيى حائرا فهو لم يفكر في أي بدائل، لم يفكر سوى في القرار ودوافعه فقط، عندما طال صمته وحيرته استطرد الوزير مبتسما في شبه انتصار:

- يا أبني إنت ماتعرفش تشتغل حاجة تانية غير هنا في الخارجية، إنت اتخلقت عشان تبقى دبلوماسي، هتسبينا وتروح فين؟

لم يعرف يحيى بم يجيب؟ الرجل محق في كل ما قال، ماذا سيفعل إن ترك هذا المكان الذي تربى في أجوانه وأجواء مشابهة له بحكم عمل والده فيه ثم عمله هو شخصيا فيه من بعده، إنه لا يجيد أي شيء آخر سوى عمله هذا الذي يحبه أكثر من أي شيء آخر في حياته؟ ولكن قراره هذا كيف يمكن العدول عنه بعد كل ما حدث وبعدهما اقتنع تماما بدوافعه؟ انقبه على صوت الوزير الذي استطرد في نبرة جادة:

- شوف يا يحيى، إنت يمكن تكون اعتمدت على مساعدة والدك في أول حياتك العملية بس ده مايمنعش إنك أثبتت كفاءتك في شغلك بمجهودك وشطارتك وتفوقك من غير مساعدة حد، إنت من أكفأ الدبلوماسيين في الوزارة وإنت فعلا بتحب شغلك وماتعرفش تشتغل غيره، يبقى إيه الحاجة اللي ممكن تخليك تستغني عنه بالسهولة دي؟

- يا قندم القرار ماكانش سهل، بس أنا اضبطرت أخده لأن اللي واجهته خلى من الصعب إني أستمر في التعامل مع الناس دول بعد كده.

عاد الوزير بجذعه إلى الخلف وهو يهتف في لا مبالاة:

- ليه؟

تململ يحيى قليلا قبل أن يجيب قانلا:

- سعادتك أكيد عرفت كل اللي حصل، اللي شفته وعرفته عن الناس دول والإطار اللي احتكيت من خلاله بيهم يخليني من الصعب إني أتعامل معاهم بشكل طبيعي بعد كده، أنا كنت هاموت على أيديهم.



زفر الوزير وهو يفرك جبينه استعدادا للكثير الذي سيقوله والذي بدأه قائلا:

- بص يا يحيى، أنا هاكلمك زي ابني بالضبط. أنا هاسألك سؤال واحد وفكر فيه كويس، تفتكر لو كان والدك الله يرحمه عايش دلوقتي كان هيوافقك على قرارك ده؟

بوغت يحيى بالسؤال، تذكر والده وهدوءه ورياستته وحكمته في مواجهة المواقف الصعبة، تخيل نفسه وهو يناقشه في قراره هذا، تفاعلاً عندما اكتشف أن والده لو كان على قيد الحياة الآن لما تجرأ حتى على التفكير في مثل هذا القرار، ليس فقط لارتباط أسرته بالعمل الدبلوماسي ولكن أيضا لخشيته من أن يرى والده في هذا القرار شيئا من التغافل أو الجبن، أصابته أفكاره بشيء من الخيبة في نفسه، هل هو حقا متخاذل؟ أجاب الوزير على أفكاره تلك حين استطرد قائلا:

- القرار القريب ده كان رد فعل طبيعي لي حصل، مش عشان إنت جبان لا سمح الله إنما عشان إنت إنسان، وإنسان نضيف كمان، عشان كده ماستعملتش اللي شفته مع إنك لو كنت فكرت شوية كمان كنت خدت بالك إن اللي عرفته ده مش جديد عليك ولا على أي حد طبيعي ماشي في الشارع، مش دبلوماسي معاه بكالوريوس علوم سياسية من إنجلترا ومثقف وفاهم الدنيا دي ماشية إزاي.

صمت الوزير مبتسما بعدما ظهر شيء من الاقتناع على ملامح يحيى قبل أن يستكمل قائلا:

- احتكاكك بالناس دول بالطريقة دي يمكن ليه عيوبه بس برضو ليه مميزاته، اللي عرفته مش جديد بس السياق اللي اتحطيت فيه جديد وأكيد اتعلمت منه كثير واللي اتعلمته ده هيقيدك في شغلك هنا أكثر من أي مكان تاني، الموضوع كله خلاص خلص، إحنا ومتصور بيه عرفنا نخلصه بطريقتنا وماحدث هيتعرض لكم تاني أبدا ومش هيحصل أي تأثير على شغلك مع الناس دي لأن زي ما قلت لك اللي تعرفه مش جديد والموضوع خلص وماقيش أي خطر لا عليهم ولا عليك، وكده ولا كده شغلنا مليون من القرف ده وقربك من حقيقة زي دي مش هيفرق كثير ومش هيفليك مختلف قوي عن الباقي بس على الأقل إنت هتبقى قاهم أكثر منهم.

عاد يصمت مرة أخرى ليتأكد من آثار الاقتناع على وجه يحيى ثم قال خاتما حديثه في ود:

- إنت الحمد لله ربنا سترها معاك وأنقذك من الخطر، لازم ترجع لحياتك الطبيعية وتركز في شغلك ومستقبلك والبلد الجديدة اللي إنت رايح لها، فيه ناس كثير بتخاف أو بتتعاشى إنها تعرف

الحقيقة بس إحنا أكثر ناس لازم نبقي عارفينها كويس حتى لو ما قدرناش ناخذ منها موقف مباشر بس معرفتنا لها هيغلينا نعرف نشتغل كويس في مكاننا، وخليك فاكر كلمة مهمة قوي كان مراد الله برحمه بيقولها، فاكرها؟

أجاب يحيى وهو يومئ برأسه شاردا كأنه يتذكر شكل أبيه وهو يتحدث معه:  
- لو ما عرفتش تضرب في الحلبة اضرب من مكانك.

فقال الوزير مبتسما:

- طلب ما إنت لسه فاكر أهو، قول لي، إنت قلت لوالدتك على القرار ده.

فحرك يحيى رأسه نافيا فاستطرد الوزير متسانلا:

- ولا خطيبتك؟

فابتسم يحيى قائلا:

- ماقلتش لأي حد.

فأجابه ضاحكا:

- لا مش مهم تقول لأي حد، المهم والدتك وخطيبتك، عارف أنا لو رحت قلت لهم إن إنت كنت هتستقيل من وراهم وتحطهم قدام الأمر الواقع، you will be in big trouble ...

ضحك يحيى متسانلا:

- للدرجة دي؟

- طبعا يا ابني، إنت أصلك طيب وعلى نياتك.

مد يده نحو يحيى بالملف الذي يحوي استقالته قائلا في نبرة أبوية صادقة:

- شيل يا يحيى الكلام الفارغ ده من دماغك، ركز في شغلك ومستقبلك وخطيبتك، ماتخليش أي حاجة أو أي حد يبعذك عن هدفك أو عن طريقك أو يآثر على ثقتك في سلامك النفسي.

تناول يحيى الملف ونهض واستدار ليوواجه الوزير الذي نهض هو الآخر وأقرب منه مصافحا وهو يتسائل مبتسما:

- صحيح إنت ما عزمتهيش على فرحك ليه؟

ابتسم يحيى قائلا:



- قريب إن شاء الله، ومعاليك أول المدعوين طبعاً.

فوضع الوزير يده الأخرى على كتف يحيى وشد عليه قائلاً:

- يلا شد حيلك عاوزين نفرح بيك إنت وبارا، هي مش اسمها يارا برضو؟

شأوما يحيى مؤمناً والابتسامة لا تزال عالقة بشفتيه وهو يحمد الله في قلبه أن صديق والده قد ساعده على التراجع عن قرار كان يمكن أن يندم عليه طوال عمره.



(٦٩)

كاد رأفت يقوم بإدخال المفتاح في الثقب عندما انفتح باب الشقة فجأة وظهرت ليديا أمامه. بوغت برؤيتها أمامه في تلك اللحظة على غير توقع وبوغت أكثر عندما أدرك أنها كانت في منزله. تفاجأت ليديا عندما رآته لكنها تمالكت نفسها وتجاوزته مسرعة دون أن تنظر نحوه هاربة من الموقف برمته. استوقفها صوته عندما وصلت إلى الدرج:  
- ليديا.

توقفت لثوان. أغمضت عينها وزفرت لتتخلص مما بداخلها من شحنات تتزايد كلما رآته. استدارت ببطء ونظرت في عينيه بنفس الجمود الذي أضفى يملأ نظراتها في كل مرة يجمعها به أي لقاء. فشل في السيطرة على ما أصابه من اضطراب وهو يهتف قائلا في نبرة مترددة:  
- ممكن. نقعد نتكلم مع بعض شوية؟

ضغطت ليديا شفيتها قبل أن تجيبه بنفس النبرة الباردة:

- مش وقته يا رأفت. اتكلم مع مامتك الأول. هي أهم.

أخفض عينيه وهو يجيب في حرج:

- ماما مش عاوزة تتكلم معايا خالص.

- لو دخلت لها دلوقتي هنتكلم معاك. أنا أقنعها تسمع لك ولو لآخر مرة. يمكن تقدر تصالحها.

رفع رأسه ونظر نحوها في دهشة شديدة من موقفها المتناقض هذا. أحس بسعادة من مجرد بارقة أمل بأن يعود كل شيء كما كان مع والدته. هتف بنبرة متقطعة غير مصدقة:

- ليديا.. أنا.. إنتي..

قاطعتة قائلة في حسم:

- ماتقولش حاجة يا رأفت. أنا سمعت كثير زمان. وماعدتش قادرة أسمع أي حاجة تاني.

صمت متمللا في حرج قبل أن يهتف مستعظفا:

- طب. إحنا مش هنقعد نتكلم مع بعض؟

زفرت ليديا وقد تملكها رغبة شديدة في التخلص من الموقف برمته. هتفت في نبرة أقل جمودا كأنها تحاول طفلا عندها:

- ادخل اتكلم مع مامتك أهم يا رأفت، اعمل أي حاجة عشان ترضى تصالحك، بعدها يبقى ربنا يسهل.

لم تنتظر منه إجابة، استدارت وهبطت الدرج مسرعة تاركة إياه غارقا في ضياعه وإن بدأ شيء من أمل يلوح له بسميها، دخل الشقة بخطوات مترددة، وجد والدته جالسة على الأريكة في مواجهة الباب، لأول مرة منذ مواجهتهما الأخيرة تبقى معه في نفس الغرفة دون أن تلتفض وتذهب مسرعة متعاشية النظر نحوه، رفعت رأسها ونظرت نحوه محاولة التغلب على ما في قلبها نحوه بينما لم يجرؤ هو على رفع رأسه، سمع حفيف ثوبها وهي تهض في تناقل ثم هتفت في نبرة هادئة:

- ادخل غير هدوسك واستحمى يا رأفت وحصلني على أوضتي.

كانها تطلب منه التطهر حتى يحق له الدخول في محراب غفرانها حيث ستقبل منه توبته، تركته ودخلت غرفتها، انصاع رأفت ودخل غرفته لينفذ أوامرها في هدوء ورضا وقد انتعش بداخله أمل استعادتها وربما أمل استعادتهما.

كان المترو منطلقا كالسهم، الهواء المقتحم نوافذه يعبث بخصيلات شعرها والأفكار الصباحية تعبت برأسها، لماذا فعلت ذلك؟ لماذا ذهبت إلى والدته لتقنعها بالاستماع إلى دفاعه الذي لم تقتنع هي به وقبول اعتذاره الذي يمتنع قلبها من قبوله على الأقل في الوقت الحالي؟ لماذا رجتها أن تتقبله مرة أخرى في كنف رحمتها وهي لاتزال تشعر بنفور نحوه؟

ربما تحسبا لبداية أخرى؟ تقلص قلبها عندما مرت هذه الفكرة يخاطرها، بداية أخرى مع رأفت بعد كل ما حدث هو أكثر ما يصيبها بالنفور الآن، هو أكثر ما تتجنبه في تلك المرحلة التي تعقب خروجها من أزمة تساقط فيها إيمانها بكل شيء ولم يعظم بداخلها سوى إيمانها بالله وحثمية إيمانها بنفسها، الأيام التي قضتها متوحدة في غرفتها كشفت لها أشياء فاجأتها عندما تجردت مما كانت تجملها به في الماضي فرأتها على حقيقتها، اكتشفت أنها ظلت سنوات تحيا مثل كويكب يدور في فلك شخص واحد، تختلف حياتها باختلاف قطر المدار، يرتفع إيمانها بنفسها عندما يضيئ القطر وتقترب منه، ويضيع هذا الإيمان عندما يتمسح المدار وتبتعد عنه، وفي كل الحالات هي مهددة بفقدانه وفقدان إيمانها بنفسها إن قرر هو أن يضرب بتلك القوة المغناطيسية التي تربطها به عرض الحائط فتصبح فجأة تائهة في فراغ موحش مثل كويكب تائه بلا مدار، والأبني من ذلك أنها

كانت مستسلمة لتلك الحياة بلا أدنى رغبة في التغيير، بلا أي محاولة للاقتناع بأن إيمانها بنفسها يجب ألا يعتمد على أي شيء أو أي شخص سوى نفسها.

اكتشفت أنها ستحتاج كثيرا من الوقت لتصالح نفسها وتكتسب رضاها مرة أخرى. ستحتاج كثيرا من الجهد والعمل لتستعيد هذا الإيمان وتعيد بناءه على أسسه السليمة، علي عملها وتفكيرها وسلامها الداخلي، ستحتاج إلى وقت طويل تنفرغ فيه للعمل على نفسها دون مساعدة أي إنسان أو التفكير في أي إنسان سوى نفسها..

لماذا إذا فعلت ما فعلته إذا كان هذا هو قرارها بالفعل؟ لا يوجد سوى ما فكرت به من قبل: بداية أخرى، هل تفكر حقا ولو على استحياء في بداية أخرى مع رافت؟ نعم، إنها تفكر في بداية أخرى ولكن تلك المرة ستكون بداية مختلفة، بداية سيسبقها فترة إعداد عنيقة لنفسها وله هو أيضا، لن تطلب منه أي شيء، فمط فتحت له بابا جديدا وقادته برفق لطريق آخر ليسير فيه ويقوم ببناء نفسه كما ستفعل هي، إذا أحسن استغلال تلك الفترة التي ستشغل هي خلالها بنفسها سينجح في اجتياز ما سيلي تلك الفترة من اختبارات، ليست اختباراتنا هي بل اختبارات الحياة واختباراته لنفسه، أما هي فلا تملك له سوى اختيار واحد: أن تستعيد ثقة قلبها فيه، قد يبدو أصعب الاختبارات بعد كل ما أصاب قلبها هذا بسببه، لكنها الآن تعلم أنه لا يوجد اختبار أصعب من أن يستعيد الإنسان ثقته بنفسه، إن فعل، امتلك القدرة على اجتياز أي اختبار آخر.

ستحتاج وقتا طويلا وسيحتاج هو وقتا أطول، ربما نجح وربما فشل، ربما استطاعت أن تغفر له وربما لا، كل هذا يتوقف على الفترة القادمة، تلك الفترة التي صممت هي على اجتيازها والتي وضعت على أول طريقها على أمل أن يستطيع اجتيازها هو الآخر.

تركت أفكارها في المترو وهي خارجة من محطة حدائق القبة، أول ما بدأت تتعلمه هو أن تتوقف عن التفكير في أي شخص عندما تكون في مهمة خاصة بها، لماذا تشغل نفسها بأي أفكار الآن؟ أمامها الكثير لتفكر به وتفعله، يجب أن نجد عنوان تلك الخياطة الجديدة التي وصفتها لها صديقتها، أن تكون بكامل تركيزها عندما تتفاوض معها في التصميمات والأسعار، أن تنفرغ للاستمتاع بالتفكير في أي لون ستختار وأي أقمشة ستبتاعها للثوب؟ كيف ستصف شعرها



وأين؟ حتى أدق التفاصيل يجب أن تستمتع أثناء التفكير فيها، لا يجب أن تكون فقط جميلة ولكن يجب أن تستمتع بإيمانها بجمالها.  
كما أن الثوب وكل ما يحيط به من تفاصيل لا يكتسبون أهميتهم فقط من متعة شرائها لشيء جديد وإنما أيضا من تلك المناسبة الجميلة التي ستحضرها وهي مرتدية هذا الثوب.

(٧٠)

تزينت سرايا منصور أبو بلاط بفروع من مصابيح بيضاء صغيرة تتدلى من السطح حتى قرب الأرض بقليل كأنها أعقاد من لؤلؤ تعبت بها نسمات تلك الليلة الصيفية وتنعكس أشعتها الرقيقة على جدران السرايا من الخارج.

أمام الدرج الرخامي الكبير للباب الداخلي المفضي إلى بهو السرايا ينتصب قوس من الورود البيضاء أعلاه غلالة حريرية من نفس اللون في منتصفها منقوش حرف ال Y باللون الذهبي. على يمينه نقش بقية اسم يحيى وعلى يساره بقية اسم يارا بنفس الحروف الأجنبية ذات اللون الذهبي تتلألاً مثل المصابيح المتوهجة خلفها على الجدران.

كان الناس يدلقون من تحت قوس الورود. يتأملون الفروع المتألئة على الجدران من الخارج قبل أن يدخلوا الصالة الكبيرة المزدانة أركانها بنفس الورود البيضاء والشرائط الحريرية المعقودة في رقة ومنتشرة في الأنحاء.

الموسيقى الهادئة تصدح أنغامها في الصالة والحديقة حيث تم إعداد كل شيء حول حمام السباحة في رقي يتناسب مع أرستقراطية منزل منصور أبو بلاط وأهمية حفل زواج ابنته. والناس يرقلون في ثياب السهرة ويتنقلون في هدوء بين أنحاء الحديقة والصالة حيث كان يحيى يستقبل المدعوين بابتسامة هادئة يحاول استخدامها لمداواة ما بداخله من صخب تزداد وتبرته كلما اقترب موعد ظهور يارا. قلبه يضطرب بعنف من اقتراب تلك اللحظة التي عاجز عن تخيلها من كثرة ما فعل. فترك نفسه ينتظرها دون أن يرسم لها حدوداً معينة وهو يتحرق شوقاً لها وخوفاً منها في آن واحد.

منصور كان يستقبل الثماني والمباركات ويرد عليها في سعادة حقيقية. يتغلب بصعوبة على تلك العرجة المتبقية من أثر فترة العلاج الطبيعي المكثفة ليتنقل بين المدعوين بحماس شديد كأنه لا يصدق أن ما يحدث حقيقة. في الماضي كان غاية أمله هو أن يرى ابنته يوم زفافها من بعيد أما أن يحضر حفل الزفاف وأن يقام هذا الحفل في منزله ويقوم بإيصالها بنفسه لزوجها فهو أمر لم يكن ليتجرأ حتى على تخيله بينه وبين نفسه.

استأذن منصور ممن كان يتحدث معهم عندما استدعته الفتاة المسؤولة عن تنظيم الحفل ليصعد الدرج استعدادا لبدء الرقعة.

تأكدت من استعداد الفرقة الموسيقية، أوقفت يعقبي أسفل الدرج. ثم صعدت بسرعة وخلفها منصور حتى أول الدرج حيث لا يتمكن المدعوون من رؤية يارا وحولها داليا وليديا وعابدة ويسرا ويمنى يتزاحمن على وضع اللمسات الأخيرة على ثوبها وطرحتها البيضاوين قبل أن يتركها تحت إلحاح الفتاة المسؤولة عن تنظيم الحفل وهبطن الدرج مسرعات للانضمام إلى باقي المدعوين. فتفت الفتاة موجبة حديثها ليارا ومنصور:

- أنا واقف في وسط السلم عشان تعرفوا تشوقوني، أول ما أشاور لكم ابتدوا انزلوا بالراحة. تركتهم لتقف على إحدى الدرجات في المنتصف بينما وضعت يارا ذراعها في ذراع منصور الذي نظر نحوها مبتسما وقال في نبرة مشجعة بعدما رأى بعض آثار الاضطراب البادية على وجهها:

- جاهزة يا أستاذة؟

أومات بنصف ابتسامة قلقة، تأملته وقد انتقل عقلها فجأة إلى أفكار شتى حول هذا الذي ومها حياة بلا أمان ثم عاد لتعويضها الآن بعدما فقد كل شيء، تعلم أنه لولا معنتها الأخيرة ما حدث هذا التقارب بينهما بتلك السرعة وما استطاعت أن تفقر له كل شيء بهذه السهولة. كانت محتاجة إليه لدرجة جعلتها تسامح بملء قلبها ولا يزال غفرانها له ساريا لأنها أيسنت أن قراغته لن يملأه أحد سواه وأنها لن تستطيع التعود مرة أخرى على وجود هذا القراغ في حياتها بعدما جربت سلامة نفسيا عجيبا لا يتأتى إلا عندما يسد هو تلك الثغرة في روحها بيديه. ولكن، عندما انتهت المحنة وعادت أفكارها القديمة، وجدت نفسها غير قادرة على النسيان، نعم غفرت، لكن النسيان شيء آخر. وجدت نفسها تتساءل هل يمكن أن يأتي اليوم الذي تتعامل فيه معه بطبيعية شديدة دون أن تتذكر شيئا مما فعله معها ومع أمها أو شيئا من تلك الجريمة التي ظل يرتكها طوال الخمسة وعشرين عاما الماضية وتركهن من أجلها؟ هل يمكن أن تعتاد أبوته لها والتي يبدو أنه استطاع الانخراط فيها سريعا دون أن يواجه الصعوبات التي تواجهها هي بينها وبين نفسها؟ لا تعرف إلى أين ستصل علاقتها بابيها ولكنها متأكدة من أن حياتها به على الرغم من كل تلك الصعوبات أفضل وأجمل بكثير من حياتها بدون.



نهبها منصور إلى إشارة الفناة التي لثت بدء عزف الفرقة الموسيقية مباشرة، تمسكت بذراعه بشدة لتستمد منه ما يطمئن اضطرابها وهي تهبط الدرجات المفضية إلى بهو السرايا.

أخذت أطراف ثوبها الأبيض تظهر شينا فشيئا، وكلما هبطت درجة ازداد اضطراب روحه بسعادة فاقت كل ما تغيل أنه يمكن أن يشعر به في تلك اللحظة التي عجز عن تغيلها، تلك اللحظة التي توقفت فيها الدنيا كلها عندما ظهرت يارا كاملة أمامه بثوبها الأبيض وطرحها الرقيقة المثبته في رأسها بطوق من ورود بهضاء صغيرة وقد انسدل من تحتها شعرها الأسود الفاحم.

في البداية لم تكن يارا تنظر نحوه، كانت منشغلة بنظرات كل هؤلاء المدعويين لها، بحثت بينهم عن أناس تمنى أن يكونوا موجودين في تلك اللحظة، بحثت عن أمها، أكثر من افتقدت في هذا اليوم، بحثت عن ربما، أكثر من تدين لها بسعادتها تلك، كادت تصاب بالغبية عندما أدركت أنها لن تجد أيها مهما بحثت بين المدعويين، لكنها تجاوزت تلك الغيبة التي حل محلها سعادة أدركتها عندما تذكرت أن الله قد عوضها بالكثيرين أولهم هذا الذي تستند على ذراعه وبينهم عابدة ويسرا ويمضى ورافت وليديا وداليا، هؤلاء الذين يتأملونها بفرحة فاقت حتى فرحتها بنفسها.

وأخبرهم وأهمهم هذا الذي يبعد عنها درجتين، هذا الذي بعثه الله لها ليعوضها به عن كل شيء، يحيى الرجل الوحيد الذي أحبته بعله قلبها وعقلها وإرادتها والرجل الوحيد الذي يملؤها أمانا واطمئنانا بمجرد وجوده، لم تدرك قدر حيا له إلا عندما كادت أن تفقده وبلغ يقينها مداه عندما التقت عينها بعينه في تلك اللحظة، وبينها وبين أن تكون له درجتان فقط.

كان واقفا عاقدا يديه أمامه في اعتداد كما يلغي لرجل أن يكون، يتأملها وهي تقترب منه بعينين لامعتين وابتسامة هادئة جميلة، الدنيا متوقفة من حوله منذ أن ظهرت أمامه كاملة بثوبها الأبيض، ولم تعد إلى الدوران مرة أخرى إلا عندما التقت عيناه بعينها وبينه وبين أن تكون له درجتان فقط.

تمت في الخامس والعشرين من مارس ٢٠١٤

والحمد لله

## تنويه هام

هذه الرواية لا تعد مصدرا لأي من الموضوعات المطروحة فيها وقد تم إدراج المصادر التي قمت باستخدامها لسببين:

أولا: الحفاظ على أدنى قدر من المهنية والمرجعية العلمية.

ثانيا: مساعدة القارئ على إيجاد مصادر تساعد على التعمق في أي من الموضوعات أو القضايا إن أحسن بنفسه ميلا لذلك

## المصادر

- تجارة السلاح

كتب

The Shadow world: inside Global arms trade by Andrew Feinstein

كتاب تجارة السلاح والأمن القومي العربي- د. سامي منصور - مكتبة مدبولي ١٩٩١

أفلام وثائقية:

Merchants of war

<https://www.youtube.com/watch?v=KN9em40q8-c>

Lebanon's illegal arms trade

<https://www.youtube.com/watch?v=XxumsOQMxLE>

- إجراءات شحن جثمان مصري مات بالخارج وشؤون وزارة الخارجية - الموقع الرسمي لوزارة الخارجية المصرية

<http://www.mfa.gov.eg/Arabic/ConsularServices/Pages/ServicesProvidedByMFA.asp>

x

القانون رقم ٤٥ لسنة ١٩٨٢ الخاص بنظام السلك الدبلوماسي والتقني والمعدل بالقانون رقم

٦٩ لسنة ٢٠٠٩

القرار الجمهوري رقم ١٤٦ لسنة ١٩٥٨ الخاص باللجنة التنظيمية للخدمة بوزارة الخارجية

والقرارات المعدلة له اللائحة التنفيذية للقانون رقم ٦٩ لسنة ٢٠٠٩ بتعديل بعض أحكام القانون



رقم ٤٥ لسنة ١٩٨٢ المصادرة بقرار وزير الخارجية رقم ٤٠١٤ لسنة ٢٠٠٩.

- قصة منزل Winchester mystery house: الموقع الرسمي للمنزل

<http://www.winchestermysteryhouse.com/sarahwinchester.cfm>

موقع ويكيبيديا:

Winchester mystery house [http://en.wikipedia.org/wiki/Winchester\\_Mystery\\_House](http://en.wikipedia.org/wiki/Winchester_Mystery_House)

Oliver Winchester [http://en.wikipedia.org/wiki/Oliver\\_Winchester](http://en.wikipedia.org/wiki/Oliver_Winchester)

حلقات وأفلام وثائقية:

<https://www.youtube.com/watch?v=rgxXdj-E5Cw> Weird US - Winchester Mystery

House

<https://www.youtube.com/watch?v=DAzVmJOLHas> "Mrs. Winchester's House" (1963)

((Winchester Mansion Documentary





### شكر خاص جدا

الى الدكتورة أسماء إسماعيل للمساعدة القيمة في الاستشارات الطبية (استعملت جهلي وأنا بافاضل معاها في التفاصيل الطبية)

وأيضاً شكر خاص إلى

آية لبيب عيد الرحمن وخالد نبيل للمساعدة في التفاصيل القانونية

ياسمين مصحفى شعلان ومحمد عطية للمساعدة في التفاصيل الصيدلانية

عمر الجندي وأسرته والسيد كريم حمين للمساعدة في شؤون الخارجية وإجراء

كريستين فرحات للمساعدة في إحضار جزء من المادة العلمية

مريم رزق لتعليقاتها القيمة

وأيضاً شكر كبير إلى

نهي حسن ووليس شريف لمراجعة المخطوطة عدة مرات أثناء وبعد كتابتها

وشكر إلى كل من ساعدني أو أبدى استعداداً للمساعدة أثناء رحلة الكتابة

# طرديصل متأفراً

تبدأ أحداث الرواية برجل يقطن بلندن يرى من نافذة شقته أربعة رجال يحملون فتاة ويلقونها من فوق العمارة المقابلة له. ثم تنتقل الأحداث إلى القاهرة حيث تحاول "يارا" فك لغز حادث الموت. تتشابك الخيوط غير أن طردا يصل به i pad وكارت معايدة ومجموعة أشياء أخرى يغير كل تفاصيل القضية.

بين تجارة السلاح والحب. بين الألم وصناعة الأمل. بين نشوة الوصول إلى حل لغز قديم. ومرارة البحث عن الجاني. بين كل ذلك يبقى أبطال الرواية يحاولون كشف ما حدث.

